

شرح

العلامة الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المصري الخلوتي المالكي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

ضبطه وصححه

محمد عبد السلام شاهين

الجزء الثالث

المحتوى:

أول سورة المؤمنون - آخر سورة الدخان

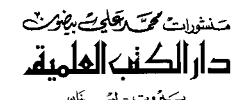


منشورات محمد علي بيضون



دار الكتب العلمية بيروت لبنان

الطبعة الرابعة
٢٠٠٦ م. ١٤٢٧ هـ



Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

الإدارة : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
Ramel Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg., 1st Floor
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ (١ ٩٦١)

فرع عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
Aramoun Branch - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
هاتف: ١٢ / ١١ / ٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+ ص.ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+ رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun-ilmiyah.com

الكتاب: حاشية الصاوي على تفسير الجلالين

المؤلف: الشيخ أحمد بن محمد الصاوي

المحقق: محمد عبد السلام شاهين

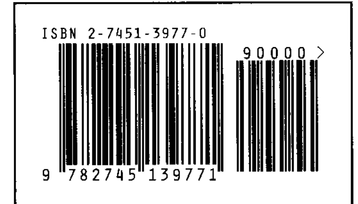
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 2070

سنة الطباعة: 2006 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الرابعة



ISBN 2-7451-3977-0

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةُ ٱلْمُؤْمِنُونَ

مكيّة

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ ﴿٢﴾ متواضعون ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون مكية

وهي مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(سورة) مبتدأ، و **(المؤمنون)** مضاف إليه مجرور بباء مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية، و **(مكية)** خبر وظاهره أن جميعها مكي، وقيل إلا ثلاث آيات وهي قوله: **(ولو رحمناهم)** إلى آخرها، فإنهن مدنيات. قوله: **(وثمان)** هذا قول الكوفيين، وقوله: **(أو تسع عشرة آية)** هو قول البصريين، وسبب هذا اختلافهم في قوله تعالى ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين﴾ هل هو آية كما قاله البصريون، أو بعض آية كما قاله الكوفيون؟ قوله: ﴿قَدْ﴾ **(للتحقيق)** أي لتحقيق ما يحصل في المستقبل، وتنزيله منزلة الواقع. قوله: **(فاز)** ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ظفروا بمقصودهم، ونجوا من كل مكروه، قال تعالى: ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ و ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، حلوه ومره. قوله: ﴿خَاشِعُونَ﴾ أي ظاهراً وباطناً فالخشوع الظاهري التمسك بآداب الصلاة، كعدم الالتفات والعبث وسبق الإمام ووضع اليد في الخاصرة وغير ذلك، والخشوع الباطني استحضار عظمة الله، وعدم التفكر بدنيوي. وقدم الصلاة، لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين.

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ ④ مؤدون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴾ ⑤ عن الحرام ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ ﴾ أي من زوجاتهم ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ أي السراري ﴿ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ⑥ في إتيانهن ﴿ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ ﴾ من الزوجات والسراري كالاستمناء باليد في إتيانهن ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴾ ⑦ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ وَعَهْدِهِمْ ﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿ رَٰعُونَ ﴾ ⑧ حافظون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ ﴾ جمعاً ومفرداً ﴿ يُحَافِظُونَ ﴾ ⑨ يقيمونها في أوقاتها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ ⑩ لا غيرهم ﴿ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ⑪ في ذلك إشارة إلى المعاد

قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة في الدين أو الدنيا، كان قولاً أو فعلاً أو مكروهاً أو مباحاً، كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يغني، والتغول في الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه، وبالجملة فينبغي للإنسان أن يرى ساعياً في حسنة لمعاده، أو درهم لمعاشه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج، كربع العشر من النقدين، والعشر أو نصفه من الحرث، والشاة من الأربعين، وعلى المصدر الذي هو فعل الفاعل، فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون، لأن القدر المخرج لا معنى لفعله، وعلى الثاني ففاعلون على بابه. قوله: ﴿حَافِظُونَ﴾ أي مانعون. قوله: (عن الحرام) أي عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه. قوله: (أي من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بمعنى من.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ عبر بما دون من إن كان المقام له، لأن الإناث ناقصات، ولاسيما الأرقاء ففيهن شبه بالبهائم، في حل البيع والشراء. قوله: (أي السراري) جمع سرية بالضم، وهي في الأصل الأمة التي بوئت ببيت، مأخوذة من السر، وهو الجماع أو الإخفاء، لأن الإنسان كثيراً ما يسرها ويسترها عن حرته، أو من السرور لأن مالكها يسر بها. قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ علة للاستثناء. قوله: (كالاستمناء باليد) أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، وقال أحمد بن حنبل: يجوز بشروط ثلاثة: أن يخاف الزنا، وألا يجد مهر حرة أو ثمن أمة، وأن يفعله بيده، لا بيد أجنبي أو أجنبية. قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ﴾ أي ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق، كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق، كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم. قوله: (جمعاً ومفرداً) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ مرادف للأمانات. قوله: (حافظون) أي غير مضيعين لها. قوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أي يحامون عليها بشروطها وأركانها وآدابها، ولكون الصلاة عماد الدين، وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها. قوله: (لا غيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل، لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر، وهو إضافي لا حقيقي، لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو، لقوله تعالى﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ أو يقال: إن الحصر فيهم حقيقي بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافراً.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ﴾ عبر بالإرث دون الاستحقاق، لأن الإرث ملك دائم. قوله:

ويناسبه ذكر المبدإ بعده ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ آدم ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته ﴿مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ متعلق بسلالة ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ منياً ﴿فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ هو الرحم ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحماً قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة عظماً في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ أي المقدرين، ومميز أحسن محذوف للعلم به أي

(ويناسبه ذكر المبدإ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها، والمعنى أن الآية التي سبقت، ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من اتصف بتلك الصفات، وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدإ، وحينئذ فبين الآيتين مناسبة، وهذا أتم مما قيل، إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها بما قبلها.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلإِنْسَانَ**﴾ الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله: ﴿**وعلى الفلك تحملون**﴾ أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى، الأول: تقلب الانسان في أطوار خلقته وهي تسعة آخرها قوله: (تبعثون) الثاني: خلق السماوات. الثالث: إنزال الماء. الرابع: منافع الحيوانات. وذكر منها أربعة أنواع، واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: **(والله)**. قوله: ﴿**مِنْ سُلاَلَةٍ**﴾ متعلق بخلقنا. قوله: **(متعلق بسلالة)** أي لأنه بمعنى مسلول. قوله: **(أي الإنسان نسل آدم)** أشار بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان، لكن لا بالمعنى الأول، وحينئذ ففي الكلام استخدام، ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾. قوله: ﴿**فِي قَرَارٍ مَكِينٍ**﴾ أي في مقر متمكن. وصف بذلك لأنه محفوظ، لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقاً.

قوله: ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً**﴾ قيل كلها، وقيل جزء منها، والباقي يوضع نصفه في موضع تربته، والنصف الثاني يوضع في السماء، فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور، أمطرت السماء منياً، فتتلاقى النطف النازلة من السماء، بالنطف الباقية في الأرض، فتوجد الخلائق بينهما، وهذا هو حكمة قوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون﴾. قوله: **(وفي قراءة عظماً)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿**ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**﴾ أي من غير توان، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها، إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين. قوله: **(بنفخ الروح فيه)** هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا، وقيل خروج أسنانه وشعره، وقيل كمال شبابه، والأتم أنه عام في هذا وغيره من النطق والإدراك وتحصيل المعقولات، وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم، من الكمالات الحسية والمعنوية التي يشير لها قول بعض العارفين.

وتحسب أنك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر

قوله: ﴿**فَتَبَارَكَ ٱللهُ**﴾ أي تعاظم وارتفع قدره. قوله: **(المقدرين)** أي المصورين، ودفع بذلك ما يقال: إن اسم التفضيل يقتضي المشاركة، مع أنه لا خالق غيره. فأجاب: بأن المراد بالخلق التقدير لا

خلقاً ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ للحساب والجزاء ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي سبع سماوات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة ﴿ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ ﴾ تحتها ﴿غَـٰفِلِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ ﴾ من كفايتهم ﴿ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ فيموتون مع دوابهم عطشاً ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ صيفاً وشتاء ﴿ وَ ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ

الإيجاد والإبداع، والتقدير حاصل من الحوادث. قوله: **(للعلم به)** أي من قوله الخالقين فإنه يدل عليه. قوله: ﴿**بَعْدَ ذَٰلِكَ**﴾ أي من الأمور العجيبة. قوله: ﴿**يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ**﴾ أي عند النفخة الثانية. إن قلت: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء، لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوماً، فإن نظر لآخر المدة وأولها، اقتضى أن يعطف بثم، وإن نظر لآخرها، اقتضى أن يعطف بالفاء؟ أجيب: بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من التراب غريب جداً، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريب لمشابهته في اللون أو الصورة، وكذا جعلها عظاماً، وأما جعلها خلقاً آخر فغريب، وكذا الموت والبعث، فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ**﴾ المراد به جهة العلو، لأن كونها فوق، وإنما هو بعد خلق الخلق، وإلا فوقت خلق السماوات لم يكونوا مخلوقين. قوله: **(لأنها طرق الملائكة)** أي في العروج والهبوط والطيران، وقيل معنى طرائق مطروقات، أي موضوعاً بعضها فوق بعض، فهو معنى طباقاً في الآية الأخرى. قوله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**﴾ الجار والمجرور متعلق بأنزلنا. قوله: ﴿**بِقَدَرٍ**﴾ أي تقدير بجلب منافعهم ودفع مضارهم، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم، واليه يشير المفسر.

قوله: ﴿**فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ**﴾ أي جعلناه ساكناً ثابتاً مستقراً في الأرض، بعضه على ظهرها، وبعضه في بطنها. قوله: ﴿**وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ**﴾ الباء في ﴿**بِهِ**﴾ للتعدية، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه. روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إن الله عز وجل، أنزل من الجنة خمسة أنهار: سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل، أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها، على جناحي جبريل، استودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس، فذلك قول تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج، أرسل الله عز وجل جبريل، فرفع من الأرض القرآن والعلم كله، والحجر الأسود من ركن البيت، ومقام إبراهيم، وتابوت موسى بما فيه، وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وإنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض، فقد أهلها خير الدنيا والدين. قوله: ﴿**لَكُمْ فِيهَا**﴾ أي الجنات. قوله: ﴿**وَمِنْهَا**﴾ أي من ثمر الجنات، كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك.

﴿مِن طُورِ سَيۡنَآءَ﴾ جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ﴾ من الرباعي والثلاثي ﴿بِٱلدُّهۡنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعدية على الثاني وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ٢٠﴾ عطف على الدهن أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ عظة تعتبرون بها ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ أي اللبن ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٞ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٢١﴾ ﴿وَعَلَيۡهَا﴾ أي الإبل ﴿وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي السفن ﴿تُحۡمَلُونَ ٢٢﴾ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أطيعوه ووحدوه ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾

قوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ﴾ المراد بها شجرة الزيتون، وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت، وهي أول شجرة نبتت في الأرض بعد الطوفان، وتبقى في الأرض كثيراً، حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة. قوله: ﴿سِينَاءَ﴾ قيل معناه المبارك أو الحسن الملتف بالأشجار، وهو الجبل الذي نودي عليه موسى. قوله: **(منع الصرف للعلمية والتأنيث)** أي وقيل للعلمية والعجمة، لأنه اسم أعجمي نطقت به العرب، فاختلفت فيه لغاتهم، فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها، وسينين، فهو علم مركب كامرىء القيس ومنع من الصرف، وإن كان جزء علم، نظراً إلى أنه عومل معاملة العلم. قوله: **(والتأنيث للبقعة)** أي والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للإلحاق بقرطاس، وهي منقلبة عن ياء أو واو، لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة. قوله: **(من الرباعي والثلاثي)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ عبر في جانب الأنعام بالعبرة دون النبات، لأن العبرة فيها أظهر. قوله: ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ عبر بلفظ الجمع هنا، لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله: ﴿ولكم فيها منافع﴾ الخ، وذكر الضمير في النحل باعتبار البعض، فإن المراد خصوص الإناث، بدليل الاقتصار على اللبن. قوله: **(أي الابل)** خصها لأنها المحمول عليها غالباً، ويصح عوده على الأنعام، لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالبقر.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم، فتكون ستاً: الأولى قصة نوح، الثانية قصة هود، الثالثة قصة القرون الآخرين، الرابعة قصة موسى وهارون، الخامسة قصة عيسى وأمه، والمقصود منه اطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى، ليقتدوا بهم في الخصال، ويتباعدوا عن خصالهم المذمومة، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار، وقيل عبد الله، وقيل يشكر، وعاش من العمر ألف سنة وخمسين، لأنه أرسل على رأس الأربعين، ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين، وعاش بعد الطوفان ستين سنة، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ﴾ بمنزلة التعليل لما قبله. قوله: **(وهو اسم ما)** أي قوله: ﴿إِلهٍ﴾، وأما لفظ ﴿غَيْرُهُ﴾ فيصح فيه الرفع اتباعاً لمحل إله، والجر اتباعاً للفظه قراءتان. قوله: **(وما قبله الخبر)** أي وهو الجار والمجرور، وما مشى عليه المفسر، طريقة ضعيفة للنحاة، وهي جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها، إذا كان الخبر ظرفاً، أو جاراً ومجروراً، والمشهور إهمالها حينئذ، فكان المناسب أن يقول: وهو مبتدأ مؤخر وما قبله

وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾ يتشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد غيره ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ أي الأمم الماضية ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿٢٥﴾ إلى زمن موته ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ ﴿٢٦﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم قال تعالى مجيباً دعاءه ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء وكان ذلك

الخبر. قوله: ﴿**أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فلا تتقون. قوله: ﴿**فَقَالَ ٱلْمَلَأُ**﴾ أي الأشراف. وحاصل ما ذكروه خمس مقالات: الأولى ﴿**مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**﴾. الثانية: ﴿**وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً**﴾. الثالثة: ﴿**مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا ٱلْأَوَّلِينَ**﴾. الرابعة: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ**﴾. الخامسة: ﴿**فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ**﴾. ولكونها ظاهرة الفساد، لم يتعرض لردها. قوله: (**بأن يكون متبوعاً**) أي بادعاء الرسالة. قوله: (**أن لا يعبد غيره**) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف. قوله: (**بذلك**) أي بأن لا يعبد غيره. قوله: (**إلا بشراً**) أي لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم، ينقاد الخلق اليهم من غير شك، فلما لم يفعل ذلك، علمنا أنه ما أرسل رسولاً. قوله: (**حالة جنون**) أي ففعلة بالكسر للهيئة. قال ابن مالك: وفعلة لهيئة كجلسة. قوله: (**إلى زمن موته**) أي فكانوا يقولون لبعضهم: اصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً، فالله ينصره ويقوي أمره، وإن كان كاذباً، فالله يخذله ويبطل أمره فنستريح منه، أو المراد بالحين، الزمان الذي تظهر فيه العواقب، فالمعنى انتظروا عاقبة أمره، فإن أفاق وإلا فاقتلوه.

قوله: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱنْصُرْنِي**﴾ أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم. قوله: ﴿**أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ**﴾ ﴿**أَنِ**﴾ مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: ﴿**بِأَعْيُنِنَا**﴾ حال من الضمير في اصنع، وجمع الأعين للمبالغة. قوله: (**بمرأى منا وحفظنا**) أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسلاً، لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه، فأطلق اللازم وأريد الملزوم. قوله: ﴿**وَوَحْيِنَا**﴾ أي تعليمنا، فإن الله أرسل إليه جبريل، فعلمه صنعتها وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين ذراعاً، وعرضها خمسين، وارتفاعها ثلاثين، والذراع إلى المنكب، وهذا أشهر الروايات، وقيل غير ذلك، وقد تقدم في هود، وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام، والوسطى للدواب والأنعام، والعليا للإنس.

قوله: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا**﴾ أي ابتداء ظهوره. قوله: ﴿**وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ**﴾ عطف بيان لمجيء الأمر. روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا فار الماء من التنور، فاركب أنت ومن معك، وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء، فصار إلى نوح، فلما نبع منه الماء، أخبرته امرأته فركبوا، واختلف في مكانه،

علامة لنوح ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أي أدخل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي ذكر وأنثى من كل أنواعها ﴿اثْنَيْنِ﴾ ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك، وفي القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملها في السفينة وفي قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود﴿ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ قيل كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل جميع من كانوا في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ (٢٧) ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٨) الكافرين وإهلاكهم ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من الفلك ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا﴾ بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان وبفتح الميم وكسر الزاي مكان النزول ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ (٢٩) ما ذكر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (٣٠) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن

فقيل كان بمسجد الكوفة، على يمين الداخل مما يلي باب كندة اليوم، وقيل كان في عين وردة من الشام. قوله: (**علامة لنوح**) أي على ركوب السفينة.

قوله: ﴿**مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ**﴾ أي غير البشر، لما يأتي أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين. قوله: (**وغيرهما**) أي من كل ما يلد أو يبيض، بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق، فلم يحمله فيها. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (**بالتنوين**) أي فحذف ما أضيف إليه كل، وعوض عن التنوين. قوله: (**أي زوجته**) أي المؤمنة لأنه كان له زوجتان، إحداهما مؤمنة فأخذها معه في السفينة، والأخرى كافرة تركها، وهي أم ولده كنعان. قوله: (**وهو زوجته**) أي الكافرة. قوله: (**بخلاف سام**) أي وهو أبو العرب، وحام هو أبو السودان، ويافث هو أبو الترك. قوله: (**ستة رجال**) أي فالجملة اثنا عشر. قوله: (**بترك إهلاكهم**) متعلق بتخاطبني. قوله: ﴿**إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾ أي محكوم عليهم بالغرق. قوله: (**وإهلاكهم**) أي ونجانا من إهلاكهم.

قوله: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً**﴾ الخ، العبرة بعموم اللفظ، فهذا الدعاء ينبغي قراءته لكل من نزل في محل يريد الاقامة فيه. قوله: (**عند نزولك من الفلك**) أي حين استوت على الجودي، وكان يوم عاشوراء، وابتداء ركوبه السفينة، كان لعشر خلون من رجب، فكان مكثهم في السفينة ستة أشهر. قوله: (**بضم الميم**) أي فيها قراءتان سبعيتان، وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك، بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين. قوله: ﴿**مُبَارَكاً**﴾ (**ذلك الانزال**) تفسير للضمير في مباركاً،

﴿بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾ قوماً ﴿ءَاخَرِينَ﴾ (٣١) هم عاد ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ هوداً ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣٢) عقابه فتؤمنون ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ أي بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣٣) ﴿وَ﴾ والله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما وهو مغنٍ عن جواب الثاني ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي إذا أطعتموه ﴿لَّخَاسِرُونَ﴾ (٣٤) أي مغبونون ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ

والوجهان لكل من الضم والفتح. قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ ﴿إِنْ﴾ مخففة واللام فارقة، والمعنى وإننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر، هل يتبعونه ويتعظون بوعظه.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿قَرْنًا﴾ أي قوماً سموا بذلك، لأن بعضهم مقترن ببعض في الزمان. قوله: (هم عاد) اسم قبيلة أرسل اليها هود، وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد، وبالرسول هود، هو ما عليه أكثر المفسرين، ويشهد له مجيء قصة هود، عقب قصة نوح في الأعراف وهود والشعراء. وخير ما فسرته بالوارد. ولا يشكل على هذا قوله في آخر القصة (فأخذتهم الصيحة) الموهم أن القرن ثمود، وأن الرسول صالح، لأنه يقال: المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته.

قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ أي في القرن، وإنما جعل القرن موضع الإرسال، ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم. قوله: ﴿رَسُولاً مِنْهُمْ﴾ أي من جنسهم وقبيلتهم، لأن هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وهم ينسبون لعاد، وتقدم ذلك في هود. قوله: (بأن) ﴿اعْبُدُوا﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لمجيئها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا.

قوله: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ﴾ عطف على ما قبله، وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين، بخلاف ما في الأعراف وهود، فإنه في جواب سؤال مقدر، ولذا تركت الواو. قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وصف مخصص، لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر. قوله: ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي أعطيناهم ملكاً عظيماً، قال تعالى مذكراً لهم بهذه النعم على لسان نبيهم ﴿أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون﴾ قوله: ﴿مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذه شبهة أولى تنتهي لقوله: ﴿لَخَاسِرُونَ﴾ والثانية إنكارهم البعث وتنتهي لقوله: ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ وأهمل الجواب عنها لفسادهما وركاكتهما. قوله: ﴿وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ أي منه، فحذف العائد لاستكمال الشروط التي أشار إليها ابن مالك بقوله:

كذا الذي جر بما الموصول جر ... كمر بالذي مررت فهو بر

قوله: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله: (والله). قوله: (والجواب لأولهما) أي على القاعدة التي ذكرها ابن مالك بقوله:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولا يصلح أن يكون جواباً للشرط لعدم وجود الفاء. قوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ الخ، الكاف اسم

﴿وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ هو خبر إنكم الأولى، وإنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بعد بعد ﴿ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان ﴿ إِنْ هِىَ ﴾ أي ما الحياة ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿ إِنْ هُوَ ﴾ أي ما الرسول ﴿ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ أي مصدقين في البعث بعد الموت ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ ﴾ من الزمان، وما زائدة ﴿ لَّيُصْبِحُنَّ ﴾ ليصيرن ﴿ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ على كفرهم وتكذيبهم ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ فماتوا ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ﴾ وهو نبت يبس، أي صيرناهم مثله في اليبس ﴿ فَبُعْدًا ﴾ من الرحمة ﴿ لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ المكذبين ﴿ثُمَّ

أن، وخاسرون خبرها، واللام للابتداء زحلقت للخبر، و ﴿وإذاً﴾ لتأكيد مضمون الشرط، ولذا قال المفسر **(إذا أطعتموه)**. قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ﴾ استفهام لتقرير ما قبله. قوله: ﴿أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ أي من القبور، أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى. قوله: **(تأكيد لها)** أي تأكيد لفظي. قوله: **(اسم فعل ماض)** اختلف في اسم الفعل، فقيل معناه لفظ الفعل، وعليه فهو مبني على الفتح، لا محل له من الإعراب، والثاني توكيد له، واللام زائدة، وما اسم موصول فاعله، و ﴿تُوعَدُونَ﴾ صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، وقيل معناه المصدر، وعليه فهو مبتدأ في محل رفع، والثاني توكيد له، و ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، فاللام ليست زائدة، إذا علمت ذلك، فكلام المفسر رضي الله عنه في غاية الإجمال، لأن قوله: **(اسم فعل ماض)** أحد قولين، وقوله: **(بمعنى مصدر)** هو القول الثاني. وقوله: **(أي بعد بعد)** يصح أن يقرأ بلفظ الفعل، فيكون تفسيراً للفعل الماضي أو بلفظ المصدر، فيكون تفسيراً للمصدر، وقوله: **(واللام زائدة)** ظاهره على كل من القولين، وليس كذلك، بل هي زائدة على كون المراد به لفظ الفعل، والموصول فاعل، لا على كونها للبيان، ولا على كونه مصدراً، وقوله: **(للبيان)** هذا قول ثان، فكان المناسب أن يأتي بأو، وترك التفريع على المصدر، وتقدم أنها ليست زائدة، بل متعلقة بمحذوف خبر، وفي هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين، والمشهور منها ستة عشر وهي ﴿هَيْهَاتْ﴾ بفتح التاء وضمها وكسرها، وفي كل مع التنوين وبدونه، و ﴿هَيْهَاتَ﴾ بإسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة، وفي كل من الثمان، إما بالهاء أو لا، أو إبدالها همزة، وقرىء بالجميع، لكن المتواتر القراءة الأولى، وهي الفتح من غير تنوين. قوله: **(أي ما الحياة)** أشار بذلك إلى أن ﴿إِنْ﴾ نافية، والضمير عائد على الحياة. قوله: **(بحياة أبنائنا)** جواب عما يقال: إن في قولهم ﴿وَنَحْيَا﴾ اعترافاً بالبعث، مع كونهم منكرين له. فأجاب: بأن المراد وتحيا أبناؤنا بعد موتنا.

قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُون﴾ أي بسبب تكذيبهم إياي. قوله: **(صيحة العذاب والهلاك)** جواب عما يقال: إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود. قوله: **(كائنة)** ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة. قوله: ﴿غُثَاءً﴾ مفعول ثان لجعلنا. قوله: **(وهو نبت يبس)** الأوضح أن يقول: وهو العشب إذا يبس. قوله: ﴿فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعداً مصدر

أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ﴾ أقواماً ﴿ ءَاخَرِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا ﴾ بأن تموت قبله ﴿ وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ بالتنوين وعدمه أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل ﴿ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو ﴿ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا ﴾ في الهلاك ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٤٥﴾ حجة بينة وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴾ ﴿٤٦﴾ قاهرين بني إسرائيل بالظلم ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ مطيعون خاضعون ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ التوراة

بدل من لفظ الفعل، والأصل بعدوا بعداً، واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعداً، وهو إخبار أو دعاء عليهم.

قوله: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم هود ونوح، وقوله: ﴿قُرُوناً آخَرِينَ﴾ أي كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب. قوله: ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي جماعة. قوله: ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي لا يتأخرون عنه، والمقصود من هذه الآية، التقريع والتخويف لأهل مكة كأنه قال: لا تغتروا بطول الأمل، فإن للظالم وقتاً يؤخذ فيه، لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه. قوله: **(بعد تأنيثه) أي في قوله**: ﴿أَجَلَهَا﴾ الراجع إلى ﴿أُمَّةٍ﴾، وقوله: **(رعاية المعنى)** أي لأن أمة بمعنى قوم: ﴿تَتْراً﴾ التاء مبدلة من واو وأصله وتراً، وهو مصدر على التحقيق، ومعناه المتابعة مع مهلة، وقيل المتابعة مطلقاً، وإن لم تكن مهلة، ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع. قوله: **(التنوين وعدمه)** أي فيها قراءتان سبعيتان، فمن نون قال: إن ألفه للإلحاق بجعفر كعلقى، فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين، ومن لم ينون قال: إن ألفه للتأنيث كدعوى. قوله: **(وتسهيل الثانية)** الخ أي فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو، وهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ جمع أحدوثة كأعجوبة وأضحوكة، ما يتحدث به عجباً وتسلياً، ولا يقال ذلك إلا في الشر، ولا يقال في الخير. قوله: ﴿فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ﴾ بعداً منصوب بمحذوف، أي بعدوا عن رحمتنا بعداً لا يزول. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي التسع وهي: العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم. قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ عطف مرادف، إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضاً. قوله: **(وغيرهما)** أي من باقي التسع. قوله: ﴿لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ أفرد مثل، لأنه يجري مجرى المصادر في الإفراد والتذكير، ولا يؤنث أصلاً. قوله: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ أي من جملة من هلك. قوله: **(أي قومه بني اسرائيل)** أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه، لأن التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه. **(جملة واحدة)** إما راجع لقوله: **(وأوتيها)** أو راجع لهلاك فرعون وقومه. قوله: **(لأن الآية فيهما واحدة)** أي لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة، فيصح نسبته لها وله.

﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ﴾ عيسى ﴿وَأُمَّهُ آيَةً﴾ لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ ﴿٥٠﴾ أي ماء جار ظاهر تراه العيون ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الحلالات ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ﴿٥١﴾ فأجازيكم عليه ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة، وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أخرى بكسرها مشددة استئنافاً ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٥٢﴾ فاحذرون ﴿فَتَقَطَّعُوا﴾ أي الأتباع ﴿أَمْرَهُمْ﴾ دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حال من فاعل تقطعوا أي أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارى

قوله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ﴾ سبب ذلك، أن ملك ذلك الزمان، كان أراد أن يقتل عيسى، فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة، حتى هلك ذلك الملك. قوله: **(وهو بيت المقدس)** هو أعلى مكان من الأرض، لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلاً، فهو أقرب البقاع إلى السماء. قوله: ﴿وَمَعِينٍ﴾ اسم مفعول من عان يعين فهو معين، وأصله معيون كمبيوع، استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقاء الساكنين، وكسرت العين لتصح الياء.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ خطاب لجميع الرسل على وجه الإجمال، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة، بل المراد خوطب كل رسول في زمانه بذلك، بأن قيل مثلاً لكل رسول: كل من الطيبات واعمل صالحاً، إني بما تعمل عليم، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الإجمال، التشنيع على رهبانية النصارى، حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله، فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات. قوله: **(الحلالات)** أي مستلذات أم لا.

قوله: ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ أي شكراً على تلك النعم، لتزدادوا بها قرباً من ربكم. قوله: **(فأجازيكم عليه)** أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فالآية فيها ترغيب وترهيب. قوله: ﴿وَ﴾ **(اعلموا)** ﴿أَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ قدر المفسر لفظ (اعلموا) إشارة إلى أن ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة معمولة لمحذوف و ﴿هَذِهِ﴾ اسمها، و ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ خبرها، وأمة حال، وواحدة صفة له. قوله: (دينكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين، والمراد به العقائد، لأنها هي التي اتحدت في جميع الشرائع، وأما الأحكام الفرعية، فقد اختلفت باختلاف الشرائع. قوله: **(وفي قراءة بتخفيف النون)** أي والهمزة مفتوحة، والعامل مقدر كما في المشددة، واسمها ضمير الشأن، و ﴿هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر ﴿أَنَّ﴾. قوله: **(استئنافاً)** أي فهو إخبار من الله، بأن جميع الشرائع متفقة الأصول، والقراءات الثلاث سبعيات. قوله: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه.

قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ أي جعلوا دينهم مفرقاً، فلذلك صاروا فرقاً مختلفة، كاليهود والنصارى

وغيرهم ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ ﴾ أي عندهم من الدين ﴿ فَرِحُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ مسرورون ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾ أي اترك كفار مكة ﴿ فِي غَمْرَتِهِمْ ﴾ ضلالتهم ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ ﴿٥٤﴾ أي حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾ نعطيهم ﴿ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ في الدنيا ﴿ نُسَارِعُ ﴾ نعجل ﴿ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ لا ﴿ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ أن ذلك استدراج لهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم ﴾ خوفهم منه ﴿ مُّشْفِقُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ خائفون من عذابه ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ القرآن ﴿ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٥٨﴾ يصدقون ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ معه غيره ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ مَآ ءَاتَوا ﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة أن لاتقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ ﴾ يقدر قبله لام الجر ﴿ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ في علم الله ﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ أي طاقتها فمن لم يستطع أن يصلي قائماً فليصل جالساً ومن لم يستطع أن

والمجوس، وغير ذلك من الأديان الباطلة. قوله: ﴿زُبُراً﴾ جمع زبور بمعنى فريق. قوله) ﴿فَرِحُونَ﴾ أي لاعتقادهم أنهم على الحق. قوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ، والضمير لكفار مكة، كما أشار لذلك المفسر، وهو تسلية له. قوله: ﴿فِي غَمْرَتِهِمْ﴾ مفعول ثان لذرهم، أي مستقرين فيها، والغمرة في الأصل الماء الذي يغمر القامة، ثم استعير ذلك للجهالة، والغمر بالضم يقال لمن لم يجرب الأمور، والغمر بالكسر الحقد. قوله: ﴿مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ﴾ بيان لما. قوله: ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إضراب انتقالي، أي لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم، بل استدراج لهم، قال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ اسم ﴿إِنَّ﴾، و﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و﴿مُشْفِقُونَ﴾ خبره و﴿مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بمشفقون، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿مُشْفِقُونَ﴾ الإشفاق الخوف مع زيادة التعظيم، فهو أعلى من الخشية، وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقي. قوله: (القرآن) أي وغيره من باقي الكتب السماوية. قوله: (يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يُؤْتُونَ﴾ من الإيتاء وهو الإعطاء. قوله: ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يُؤْتُونَ﴾ أي والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة، لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه، ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمي داخل الجنة والأخرى خارجها، وكان كثير البكاء من خشية الله، حتى أثرت الدموع في خديه. قوله: (يقدر قبله لام الجر) أي فيكون تعليلاً لقوله: ﴿وَجِلَةٌ﴾.

قوله: ﴿أُولٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ﴾ هذه الجملة خبر عن قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ وما عطف عليه، فاسم ﴿إِنَّ﴾ أربع موصولات، وخبرها جملة ﴿أُولٰئِكَ﴾ الخ. قوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ الضمير قيل للخيرات وقيل للجنة وقيل للسعادة، وقوله: (في علم الله) أي كتبوا سابقين في علم الله، فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم. قوله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ أي تفضلاً منه سبحانه

يصوم فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾ أي عندنا ﴿كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ شيئاً منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد في السيئات ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة ﴿مِّنْ هَـٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَـٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَـٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فيعذبون عليها ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي السيف يوم بدر ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ يضجون يقال لهم ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾﴾ لا تمنعون ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَـٰتِى﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ترجعون قهقرى ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي بالبيت أو الحرم بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في

وتعالى، وإلا فلا يسأل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين، إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الإنسان، وكذا جميع التكاليف التي افترضها الله على عباده فعلاً أو تركاً، وهذا لمن وفقه الله وكشف عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين:

إذا رفع الحجاب فلا ملالة ... لتكليف الإله ولا مشقة

قوله: (عندنا) أي عندية رتبة ومكانة واختصاص. قوله: ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ أي يبين أعمال العباد خيرها وشرها. قوله: (بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس، لأنه نكرة في سياق النفي. قوله: (فلا ينقص من ثواب أعمال الخير) أي لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة في اللوح المحفوظ، وهو مطابق لما في علم الله. قوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ رجوع لأحوال الكفار. قوله: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ﴾ أي سيئة. قوله: ﴿مِنْ دُونِ ذٰلِكَ﴾ أي غير ما ذكر للمؤمنين. والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة. قوله: ﴿هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ أي مستمرون عليها. قوله: (ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ ﴿إِذَا﴾ ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه و ﴿إِذَا﴾ الثانية للمفاجأة قائمة مقام الفاء. قال ابن مالك:

وتخلف الفاء إذا المفاجأة ... كـأن تجد إذا لنا مكافأة

قوله: (أغنياءهم ورؤساءهم) أي كأبي جهل وأضرابه من صناديدهم. قوله: ﴿يَجْأَرُونَ﴾ أي يصرخون ويبتهلون، أو يستغيثون ويلتجئون في كشف العذاب عنهم، ومع ذلك فلا ينفعهم. قوله: (يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم، حين تأتيهم الملائكة بالمطارق، من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار. قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي﴾ الخ، تعليل لما قبله. قوله: ﴿تَنْكِصُونَ﴾ من باب جلس ودخل، فهو بكسر الكاف وضمها. قوله: (ترجعون قهقرى) أي إلى جهة الخلف، وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان. قوله: ﴿بِهِ﴾ الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامراً، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم. قوله: ﴿سَامِراً﴾ من

مواطنهم ﴿سَٰمِرًا﴾ حال أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ من الثلاثي تتركون القرآن، ومن الرباعي أي تقولون غير الحق في النبي والقرآن، قال تعالى ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟﴾ أصله يتدبروا فأدغمت التاء في الدال ﴿ٱلْقَوْلَ﴾ أي القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦٨﴾ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ۝٦٩﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومجيء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ۝٧٠﴾ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي القرآن ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله تعالى عن ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم

السمر وهو الحديث ليلاً. قوله: **(حال)** المناسب للمفسر أن يقول احوال، ويؤخره عن قوله: **﴿تَهْجُرُونَ﴾** لأن الأحوال ثلاثة **﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾** و **﴿سَامِراً﴾**، و **﴿تَهْجُرُونَ﴾**. قوله: **(أي جماعة)** أشار بذلك إلى أن **﴿سَامِراً﴾** اسم جمع واحده مسامر. قوله: **(من الثلاثي)** أي مأخوذ من الهجران وهو الترك، أو من هجر هجراً بالتحريك هذى وتكلم بما لا يعقله. قوله: **(ومن الرباعي)** أي مأخوذ من الإهجار، وهو الفحش في الكلام.

قوله: **﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يدبروا، وهذا شروع في بيان اقدامهم على هذه الضلالات، لا بد أن يكون لأحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو القرآن المعجز، مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته. ثانيها: أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب، لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة، وليس كذلك، لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم. ثالثها: أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة، وليس كذلك، بل سبقت لهم معرفة كونه في غاية الأمانة والصدق. رابعها: أن يعتقدوا فيه الجنون، وليس كذلك، لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس. وسيأتي خامس في قوله: **﴿أم تسألهم خرجاً﴾** وأم في المواضع الأربعة مقدرة ببل الانتقالية، وهمزة الاستفهام التقريري، وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه. قوله: **(من صدق النبي)** الخ، بيان للحق على طبق الآية، على سبيل اللف والنشر المرتب.

قوله: **﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ﴾** أي القرآن وغيره فهو أعم من الحق الأول، ولذا أظهر في مقام الإضمار وأشار بقوله: **﴿وَأَكْثَرُهُمْ﴾** إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق، بل رجع عن كفره وآمن. قوله: **(عادة)** المناسب أن يقول عقلاً، لأن وجود الشريك يقضي بفساد العالم عقلاً لا عادة. قوله: **﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾** اضراب انتقال، والمعنى كيف يكرهون الحق، مع أن القرآن أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم؟ فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه، والعامة على قصر **﴿أَتَيْنَاهُمْ﴾** وقرىء بالمد بمعنى أعطينا، وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان، أو المفعول محذوف، وقرىء بالقصر مع تاء المتكلم أو تاء المخاطب،

﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١﴾ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ أجراً على ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌ﴾ وفي قراءة خرجا في الموضعين وفي قراءة أخرى خراجاً فيهما ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝٧٢﴾ أفضل من أعطى وأجر ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ أي دين الإسلام ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي الطريق ﴿لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾ عادلون ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين ﴿لَّلَجُّوا﴾ تمادوا ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾ يترددون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ الجوع ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ يرغبون إلى الله بالدعاء ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾ صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو يوم بدر بالقتل ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾

وقوله: ﴿بِذِكْرِهِمْ﴾ هكذا قرأ العامة، وقرىء شذوذاً بذكراهم بألف التأنيث، ونذكرهم بنون العظمة. قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُم خَرْجاً﴾ راجع لقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وما بينهما اعتراض. قوله: ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ﴾ تعليل لنفي السؤال المستفاد من الإنكار. قوله: (أجره وثوابه) أي في الآخرة، وقوله: (ورزقه) أي في الدنيا، فهذه الأمور كالخراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبداً. قوله: (وفي قراءة خرجاً في الموضعين) الخ، أي فالقراءات الثلاث سبعيات، لكن الأولى أبلغ، من حيث إنه عبر في حق الله بالخراج المفيد للتكرار، وفي حق العبيد بالخراج المفيد عدم التكرار، والمماثلة في القراءتين الباقيتين للمشاكلة. قوله: (وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر، وبالمد أي أثاب. قوله: ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ متعلق بناكبون. قوله: (عادلون) أي زائغون ومنحرفون.

قوله: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ﴾ الخ قال الأشياخ: الأظهر أن هذه الآية واللتين بعدها إلى ﴿مُبْلِسُونَ﴾ مدنيات؛ وسبب ذلك: أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة، دعا على أهل مكة بقوله: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها عليهم سنيناً كسنين يوسف» فقحطوا حتى أكلوا العلهز، وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة، شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل في سني المجاعة، فجاء أبو سفيان إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: أنشدك الله والرحم، ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين؟ قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع. فنزلت الآية. قوله: ﴿لَلَجُّوا﴾ اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ تأكيد لما قبله. قوله: ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا﴾ أصله استكونوا، نقلت حركة الواو إلى ما قبلها، فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي. ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل. قوله: (ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ﴿إِذَا﴾ شرطية، و ﴿إِذَا﴾ الثانية رابطة للجواب، قائمة مقام الفاء. قوله: (آيسون) أي فالإبلاس اليأس، ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله.

آيسون من كل خير ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الإسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٧٩﴾ تبعثون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٨٠﴾ صنعه تعالى فتعتبرون ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝٨١﴾ ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الأولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٨٢﴾ لا، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ﴾ ما هذا إلا ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨٣﴾ كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم ﴿قُل﴾ لهم ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤﴾ خالقها ومالكها ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ﴾ الخ، خطاب للخلق عموماً، قصد به تذكير النعم للمؤمنين، والتوبيخ للكافرين، حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها، لأن السمع خلق ليسمع به ما يرشد، والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله، والقلوب بمعنى العقول، ليتأمل بها في مصنوعات الله، فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها، فهو بمنزلة عادمها، قال تعالى: ﴿فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء﴾ وأفرد السمع وجمع الأبصار. قوله: (**تأكيد للقلة**) أي لفظ ما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير، والمعنى شكراً قليلاً، وهو كناية عن عدمه. قوله: (**تبعثون**) أي تحيون بعد الموت. قوله: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَافُ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي خلقاً وايجاداً. قوله: (**بالسواد والبياض**) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، أي اغفلتم فلا تعقلون أن القادر على إنشاء الخلق، قادر على اعادتهم بعد الموت؟

قوله: ﴿بَلْ قَالُوا﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ أي من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم. قوله: (**لا**) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (**وادخال الف بينهما**) أي وترك الإدخال، فالقراءات أربع سبعيات في الثاني، وثلاث في الأول بترك الإدخال بين المحققتين. قوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا﴾ وعد فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل هو الضمير المتصل و ﴿نَحْنُ﴾ توكيد له، و ﴿آبَاؤُنَا﴾ معطوف على الضمير المتصل، فهو نائب فاعل أيضاً، وقوله: ﴿هٰذَا﴾ مفعول ثان لوعد، ونائب الفاعل مفعول أول، والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث، ووعد غيره آباءنا من قبلنا به، وقدم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا، وعكس في النمل تفنناً وإشارة إلى أنه يجوز الأمران. قوله: ﴿قُلْ﴾ (**لهم**) أي لأهل مكة المنكرين للبعث. قوله: (**من الخلق**) أي المخلوقات عقلاء وغيرهم. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقها.

قوله: ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه. قوله: (**بإدغام التاء**) أي

قادر على الاحياء بعد الموت ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ الكرسي ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ تحذرون عبادة غيره ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ يحمي ولا يحمى عليه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ وفي قراءة لله بلام الجر في الموضعين :نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أي كيف تخيل لكم أنه باطل ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾﴾ في نفيه وهو ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا﴾ أي لو كان معه إله ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ ـه به مما ذكر ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد بالجر صفة والرفع خبر هو

بعد قلبها دالاً فذالاً وتسكينها. قوله: **(الكرسي)** المناسب إبقاؤه على ظاهره، فإن العرش على التحقيق غير الكرسي. قوله: **(والتاء للمبالغة)** أي وكذا الواو، فهما زائدتان، كزيادتها في الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة. قوله: **(يحمي ولا يحمى عليه)** الأول بفتح الياء كيرمي والثاني بضمها. والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه، ولا يمنع منه أحد، ولا ينصر من أراد خذلانه. قال تعالى: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده﴾. قوله: **(وفي قراءة لله بلام الجر)** أي وهو لمعظم السبعة. قوله: **(في الموضعين)** أي الأخيرين، وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة، ولم يقرأ بدونها أحد. قوله: **(نظراً إلى أن المعنى)** أي فلام الجر مقدرة في السؤال، فظهرت في الجواب نظراً للمعنى، وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال، لأنه لا فرق بين قوله: من رب السماوات، وبين لمن السماوات، كقولك: من رب هذه الدار؟ فيقال: زيد، وإن شئت قلت لزيد، لأن السؤال لا فرق فيه، بين أن يقال لمن هذه الدار، أو من ربها.

قوله: ﴿قُلْ فَأَنَّى﴾ أي فكيف ﴿تُسْحَرُونَ﴾. قوله: **(عبادة الله)** بدل من الحق فهو بالجر قوله: **(أي فكيف يخيل لكم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر، التخيل والوهم لا حقيقته. قوله: **(في نفيه)** أي الحق. قوله: ﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المفعول، وقوله: ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في اسم ﴿كَانَ﴾. قوله: **(أي لو كان معه إله)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿إِذاً لَذَهَبَ﴾ جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية، علم من قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾، وتقدم تحقيق الكلام في هذا البرهان في سورة الأنبياء. قوله: **(كفعل ملوك الدنيا)** كلامه يقتضي أن هذا أمر عادي لا إلزام قطعي، وهو خلاف التحقيق، بل التحقيق أنه دليل عقلي قطعي. قوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال: الله عالم الغيب والشهادة، وغيره لا يعلمهما، فغيره ليس بإله. قوله: **(بالجر صفة)** أي للفظ الجلالة أو بدل منه، وقوله: **(والرفع خبر)** هو مقدراً، أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عطف على معنى ما تقدم كأنه قال: علم الغيب فتعالى.

مقدراً ﴿فَتَعَـٰلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ ـه معه ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾﴾ من العذاب هو صادق بالقتل ببدر ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فأهلك بهلاكهم ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَـٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ ـه أي يكذبون ويقولون فنجازيهم عليه ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾ أعتصم ﴿بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ نزغاتهم بما يوسوسون به ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار

قوله: ﴿قُلْ رَبِّ﴾ الخ، هذا أمر لرسول الله ﷺ بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب، لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له. قوله: (إن ما) ﴿تُرِيَنِّي﴾ (إن) شرطية، و(ما) زائدة، و ﴿تُرِيَنِّي﴾ فعل الشرط، والنون للوقاية، والياء مفعول أول، و ﴿مَا﴾ مفعول ثان، و ﴿يُوعَدُونَ﴾ صلة ﴿مَا﴾، و ﴿رَبِّ﴾ تأكيد للأول، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلْنِي﴾ الخ، جواب الشرط. قوله: **(بالقتل ببدر)** أي وهو الذي رآه بالفعل. قوله: **(فأهلك بهلاكهم)** أي لأن شؤم الظالم قد يعم غيره. إن قلت: إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين، فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟ أجيب: بأنه أمر بذلك اظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره، وليكون في جميع الأوقات ذاكراً لله تعالى.

قوله: ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ﴾ الخ، إن حرف توكيد ونصب، ونا اسمها، والجار والمجرور متعلق بقادرون، و ﴿مَا﴾ واقعة على العذاب، وقادرون خبر إن، واللام للابتداء زحلقت للخبر، والمعنى: وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذي نعدهم به. قوله: **(أي الخصلة)** الخ، أشار بذلك إلى أن التي صفة لموصوف محذوف، وقوله: **(من الصفح)** الخ، بيان للخصلة التي هي أحسن. قوله: **(وهذا قبل الأمر بالقتال)** أي فهو منسوخ، ويحتمل أن المعنى ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولو في حال القتال، كأن الله يقول: إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم، ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به، حينئذ فتكون الآية محكمة، وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة.

قوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ أي في كل وقت، لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جداً، وهو وإن كان معصوماً، فالمقصود تعليم أمته، واظهار الالتجاء لربه. قوله: ﴿مِنْ هَمَزَاتِ﴾﴿الشَّيَاطِينِ﴾ جمع همزة وهي النخسة. قوله: **(نزغاتهم)** أي افساداتهم، والمعنى اتحصن بك من وساوس الشيطان. قوله: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ﴾ كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة. قوله: **(ابتدائية)** أي تبتدأ بعدها الجمل، اشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله، قصد به وصف حال الكافر بعد موته. قوله: **(الجمع للتعظيم)** جواب عما يقال: لم لم يقل رب ارجعني بالإفراد، مع أن المخاطب واحد؟ وأجيب أيضاً: بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال: ارجعن ارجعن ارجعن، أو الجمع باعتبار الملائكة الذين يقبضون روحه، كأنه استغاث بالله أولاً، ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة. قوله: **(يكون)** ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي بدلاً عنه. قوله: **(أي لا رجوع)** أشار بذلك إلى أن ﴿كَلَّا﴾ هنا معناها النفي، ومع ذلك فيها معنى

ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ (٩٩) الجمع للتعظيم ﴿لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا ﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري أي في مقابلته، قال تعالى ﴿كَلَّآ ﴾ أي لا رجوع ﴿إِنَّهَا ﴾ أي رب ارجعون ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ أي ولا فائدة فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ ﴾ حاجز يصدهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٠٠) ولا رجوع بعده ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (١٠١) عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون وفي آية فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٢) الفائزون ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ فهم ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ (١٠٣) ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ

الردع والزجر. قوله: (أي رب ارجعون) أي وما بعدها.

قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ الجمع باعتبار معنى أحد. قوله: ﴿بَرْزَخٌ﴾ هو المدة التي من حين الموت إلى البعث، والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجاباً ومانعاً من الرجوع وهو الموت، إذا علمت ذلك، فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً وإنما يبعثون يوم القيامة، لا فرق بين الأنبياء وغيرهم، وما ورد عن بعض الصالحين، من أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة، فالمراد أن روحه الشريفة، تشكلت بصورة جسده الشريف، وكذا يقال في الأولياء والشهداء، لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة، وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت. قوله: (ولا رجوع بعده) أي يوم البعث. قوله: (النفخة الأولى) هو قول ابن عباس، وقوله: (أو الثانية) هو قول ابن مسعود. قوله: (يتفاخرون بها) جواب عما يقال: إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها، فأجاب: بأن المعنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم. وأجيب أيضاً: بأن معنى لا أنساب بينهم، لا أنساب تنفعهم، لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة. قوله: (خلاف حالهم في الدنيا) أي لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم في الدنيا. قوله: (لما يشغلهم من عظم) علة لقوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ودفع بذلك ما يقال: كيف الجمع بين هذه الآية وآية ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة، وهذا مبني على أن المراد النفخة الثانية، وأما على أن المراد النفخة الأولى، فوجه الجمع أن نفي السؤال، إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته، وإنما هو بعد النفخة الثانية.

قوله: ﴿مَوَازِينُهُ﴾ الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الموزون. قوله: (بالحسنات) الباء سببية أي بسبب ثقل الحسنات. قوله: (بالسيئات) أي بسبب ثقل السيئات، والمعنى فمن رجحت حسناته ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ومن رجحت سيئاته ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ الخ. قوله: (فهم) ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ﴾ اللفح الإصابة بشدة. قوله: (شمرت شفاههم) الخ، فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد: أنه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي السفلى حتى تبلغ سرته.

﴿فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تخوفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٠٥﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ ﴿١٠٦﴾ عن الهداية ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ﴿١٠٨﴾ في رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ بكسر الهمزة ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿١١١﴾ بمطلوبهم استئناف وبفتحها مفعول ثان لجزيتهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ تمييز ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ

قوله: ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي في الدنيا. قوله: **(وفي قراءة)** وهي سبعية أيضاً. قوله: **(وهما مصدران بمعنى)** أي وهو سوء العاقبة. قوله: **(بعد قدر الدنيا مرتين)** أي وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثنا عشر الف سنة بعدد البروج، وقيل ثلاثمائة الف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة. قوله: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا﴾ أي اسكتوا سكوت هوان وذل. قوله: **(فينقطع رجاؤهم)** أي وهذا آخر كلامهم في النار، فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ﴾ تعليل لما قبله. قوله: **(بضم السين وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(وسلمان)** المناسب أن يقول بدله وخباب، لأن سلمان ليس من المهاجرين. قوله: **(فنسب اليهم)** أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء.

قوله: ﴿وَكُنْتُم مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ أي وذلك غاية الاستهزاء. قوله: **(بكسر الهمزة وبفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بلسان مالك)** دفع بذلك ما يقال إن قوله: ﴿قَالَ﴾ يقتضي أن الله يكلمهم، مع أنه قال في آية آخرى﴿ولا يكلمهم الله﴾فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله. قوله: **(وفي قراءة قل)** أي وهي سبعية أيضاً. والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله: ﴿قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ ثلاث قراءات سبعيات، الأمر فيهما والماضي فيهما، والأمر في الأول، والماضي في الثاني. قوله: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ ﴿كَمْ﴾ في محل نصب على الظرفية الزمانية، وقوله: ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾ هو مميزها، والمعنى لبثتم كم عدداً من السنين، والقصد من هذا السؤال، التوبيخ والتبكيت عليهم، لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا، ويعولون على اللبث فيها، وينكرون البعث، فلما أدخلوا النار، وأيقنوا دوامها وخلودهم فيها، سألهم عن لبثهم في الدنيا، زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه، حيث ظهر خلافه.

يَوۡمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ ﴿١١٣﴾ أي الملائكة المحصين أعمال الخلق ﴿قَـٰلَ﴾ تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضاً قل ﴿إِن﴾ أي ما ﴿لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول لا بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ ﴿١١٦﴾ الكرسي، هو السرير الحسن ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾ جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ لا يسعدون ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ﴾ المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ أفضل راحم.

قوله: ﴿فَاسْأَلِ ٱلْعَادِّينَ﴾ بالتشديد جمع عاد من العدد، وهذا من جملة كلامهم، لأنه غشيهم من الهول والعذاب، ما يشغلهم عن ضبط ذلك وإحصائه. قوله: ﴿قَالَ﴾ (تعالى) أي تقريعاً وتوبيخاً وتصديقاً لهم. قوله: ﴿لَوْ أَنَّكُمْ﴾ ﴿لَوْ﴾ هنا امتناعية، ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله: **(مقدار لبثكم)**، وجواب ﴿لَوْ﴾ محذوف أيضاً قدره المفسر بقوله: **(كان قليلاً)** أي في علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول، لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا، قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أجهلتم فحسبتم، وحسب بمعنى ظن، والاستفهام للتوبيخ والإنكار. قوله: ﴿عَبَثاً﴾ إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين، أو مفعول لأجله، والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح، فقوله: **(لا لحكمة)** تفسير للعبث. قوله: ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا تُرْجِعُونَ﴾ عطف على ﴿إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ فيكون حسب مسلطاً عليه. قوله: **(بالبناء للفاعل وللمفعول)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لا)** قدره جواباً للاستفهام. قوله: **(بل لنتعبدكم)** أي لنكلفكم. قوله: **(على ذلك)** أي على امتثال التعبد المذكور. قوله: **(إلا ليعبدون)** أي حكمة خلقي لهم، كونهم يمتثلون أوامري ويجتنبون نواهيّ.

قوله: ﴿فَتَعَالَى ٱللَّهُ﴾ أي تنزه. قوله: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الذي يحق له التصرف في ملكه، بالإيجاد والإعدام والثواب والعقاب وغير ذلك، فكل ما سواه مقهور، وهو القاهر فوق عباده. قوله: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ بالجر صفة للعرش، لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه، وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح. قوله: **(الكرسي)** تقدم أن المناسب ابقاؤه على ظاهره. قوله: **(هو السرير الحسن)** هكذا في بعض النسخ، وفي بعضها اسقاطها. قوله: **(صفة كاشفة)** أي بيان للواقع، لأن كل من ادعى مع الله إلهاً آخر، لا بد أن يكون لا برهان له به. قوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ هو جواب الشرط. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَافِرُونَ﴾ الجمهور على كسر إن استئنافاً، وفيه معنى العلة، وقرىء شذوذاً بالفتح على أنه خبر حسابه، والأصل حسابه أنه لا يفلح هو، فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم. قوله: **(في الرحمة زيادة على المغفرة)** أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية، ففي الغفران محو السيئات، وفي الرحمة رفع الدرجات. قوله: **(أفضل رحمة)** بالنصب على التمييز.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



مدنيّة

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ هذه ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ﴾ مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها ﴿ وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ واضحات الدلالات ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) بإدغام

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور مدنية

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

سميت بذلك لذكر النور فيها، وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة: علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها: لا تنزلوا النساء في الغرف، ولا تعلموهن الكتاب، وعلموهن سورة النور والغزل. قوله: (هذه) ﴿سُورَةٌ﴾ أشار المفسر إلى أن ﴿سُورَةٌ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله: (هذه) والاشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد، ويصح أن تكون ﴿سُورَةٌ﴾ مبتدأ وجملة ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ صفة لها والخبر قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا، والخبر محذوف، والتقدير فيما يتلى عليكم، وهذا على قراءة الرفع، وهي لعامة القراء، وقرىء ﴿سُورَةٌ﴾ بالنصب بفعل مضمر يفسره ﴿أَنْزَلْنَا﴾ فهو من باب الاشتغال أو على الإغراء، أي دونك سورة. قوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي أوجبنا ما فيها من الأحكام ايجاباً قطعياً. قوله: (مخففاً ومشدداً) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ كرر الإنزال لكمال الاعتناء بشأنها. قوله: ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي دلائل على وحدانية الله تعالى، وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود، وفي آخرها دلائل التوحيد،

التاء الثانية في الذال تتعظون ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ﴾ أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿ فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ أي ضربة، يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدهما ﴿ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ﴾ أي الجلد ﴿ طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ ﴾ يتزوج ﴿ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ أي المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الزواني ﴿عَلَى

فقوله: ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ إشارة إلى الأحكام، وقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إشارة إلى الأدلة. قوله: (**بإدغام التاء الثانية**) أي بعد قلبها دالاً فذالاً أي وبتسكينها، أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقيت ثالثة سبعية أيضاً وهي حذف إحدى التاءين.

قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ مبتدأ، والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أو جملة ﴿فَاجْلِدُوا﴾ ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط، وعليه درج المفسر، وقدمت المرأة في حد الزنا، وأخرت في آية حد السرقة، لأن شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر، والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة، وهي في الرجل أقوى وأكثر. قوله: (**لرجمهما بالسنة**) أشار بذلك إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحصن وغيره، فالسنة أخرجت المحصن وبينت أن حده الرجم، فصار الكلام في غيره. قوله: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا﴾ الخ، أي بسوط لين له رأس واحدة، ويجرد الرجل من ثيابه، والمرأة مما يقيها ألم الضرب، وتوضع في قفة فيها تراب للستر. قوله: (**والرقيق على النصف مما ذكر**) أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي، وقال مالك: لا يغرب إلا الذكر الحر، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان.

قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ﴾ قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ، وقرىء شذوذاً بالياء التحتية. قوله: ﴿رَأْفَةٌ﴾ بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان، وقرىء بالمد بوزن سحابة، والرأفة أشد الرحمة، ويقال رؤف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب. قوله: (**بأن تتركوا شيئاً من حدهما**) أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد: إقامة حد الله تعالى في الأرض، خير من أن تمطروا أربعين صباحاً. قوله: (**في هذا**) أي قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ الخ. قوله: (**تحريض**) أي حث على ما قبل الشرط وهو قوله: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله ﷺ فإنه قال: «لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». قوله: (**وهو جوابه**) أي كما هو رأي الكوفيين، قوله: (**أو دال**) أي كما هو رأي البصريين.

قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ الأمر للندب، والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة. قوله: (**قيل ثلاثة**) الخ، القولان للشافعي، وعند مالك أقل ذلك أربعة. قوله: (**أي المناسب لكل منهما ما ذكر**) أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو المشركة، والزانية ترغب في

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣﴾ الأخيار، نزل ذلك لما همَّ فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم، فقيل التحريم خاص بهم وقيل عام، ونسخ بقوله تعالى (وأنكحوا الأيامى منكم) ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ العفيفات بالزنا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾ أي كل واحد منهم ﴿ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٤﴾ لإتيانهم كبيرة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥﴾ بهم بإلهامهم التوبة، فبها ينتهي فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل

نكاح الزاني أو المشرك. قوله: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي لما فيه من المفاسد، كالطعن في النسب، والتعرض للتهم، والتشبه بالفساق، فالواجب التزوج بالعفيفات لما في الحديث: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس». قوله: (نزل ذلك) أي الآية، وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية، وإنما ذكر الأولى زيادة في التنفير. قوله: (وهن موسرات) أي غنيات. قوله: (خاص بهم) أي ولم ينسخ إلى الآن. قوله: ﴿وَأَنكِحُوا ٱلْأَيَامَىٰ﴾ جمع أيم، وهي من ليس لها زوج، بكراً أو ثيباً، ومن ليس له زوجة، وهو يشمل الزاني والزانية وغيرهما فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ﴾ تقدم أن الزاني والزانية، إما أن يرجما إن كانا محصنين، أو يجلدا إن لم يكونا كذلك، فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد، لا بد وأن يثبت، إما بإقرار، أو بأربعة عدول، فإن انتفى واحد من ذلك حد المدعي، فبين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة، وقوله: ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ، و ﴿يَرْمُونَ﴾ صلته، والخبر ثلاث جمل: الأولى ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾. الثانية قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً﴾. الثالثة قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ﴾، ومعنى ﴿يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ﴾ يتهمونهن، فشبه الاتهام بالرمي، بجامع التأدية للهلاك في كل، لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمي، وإن لم يثبت فقد هلك الرامي، وقوله: ﴿ٱلْمُحْصَنَاتِ﴾ لا مفهوم له، بل وكذا المحصنون، وإنما خصهن بالذكر، لأن الشأن قوة شهوة النساء. قوله: (العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة، لأن حصان كما يطلق على العفة، يطلق على التزوج وعلى الحرية، ومفهوم قوله: (العفيفات) أنه إذا رمي غير عفيف لا يحد، ويشترط زيادة على العفة، أن يكون المرمي يتأتى منه الزنا أو اللواط بأن يكون ذا آلة، فإن رمي مجبوباً عزر ولا يحد، وأن يكون حراً مسلماً مكلفاً، فإن انتفى شرط منها لم يحد القاذف، إلا رامي الصبي باللواط به أو الصبية المطيقين، فعند مالك يحد، وعند الشافعي يعزر. قوله: (بالزنا) أي أو اللواط في آدمي مطيق، أو جني تشكل بآدمي. قوله: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ أي عدول، وقوله: (برؤيتهم) متعلق بشهداء، أي يشهدون بأنهم رأوا الذكر في الفرج، ولا بد أن يتحدوا في الرؤية والأداء، فإن اختلفوا ولو في أي صفة حد الجميع. قوله: ﴿أَبَداً﴾ أي ما داموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء، وعلى هذا درج مالك والشافعي، وقال أبو حنيفة: لا تقبل شهادتهم ولو تابوا.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ استثناء متصل، لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي القذف. قوله: (فبها ينتهي فسقهم) هذا مبني على رجوع الاستثناء للجملتين

لا تقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ ﴾ بالزنا ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ ﴾ عليه ﴿ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ ﴾ مبتدأ ﴿ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ ﴾ نصب على المصدر ﴿ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾﴿٦﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾﴿٧﴾ في ذلك، وخبر المبتدإ تدفع عنه حد القذف ﴿وَيَدْرَؤُا۟﴾ يدفع ﴿ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ أي حد الزنا الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾﴿٨﴾ فيما رماها به من الزنا ﴿ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾﴿٩﴾ في ذلك ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بالستر في ذلك ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره﴿حَكِيمٌ﴾﴿١٠﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره لبين الحق في ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ ﴾ أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين

الأخيرتين، وهو مذهب مالك والشافعي، فعندهما أن التائب تقبل شهادته، ويزول عنه اسم الفسق. قوله: (**وقيل لا تقبل**) هذا مذهب أبي حنيفة، واتفق الجميع على أن القاذف يجلد، وإن تاب، فليس الاستثناء راجعاً إلى الجملة الأولى. قوله: ﴿**أَزْوَاجَهُمْ**﴾ جمع زوج بمعنى الزوجة، وحذف التاء أفصح من إثباتها إلا في المواريث.

قوله: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ**﴾ مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك، وقال الشافعي: له ترك البينة ويلاعن. وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول، فإنه لم يكن لهم بينة. قوله: ﴿**إِلَّا أَنْفُسُهُمْ**﴾ بالرفع بدل من شهداء. قوله: (**وقع ذلك**) أي قذف الزوجة بالزنا. قوله: (**لجماعة من الصحابة**) أي وهم هلال بن أمية وعويمر العجلاني وعاصم بن عدي. قوله: (**نصب على المصدر**) أي والعامل شهادة، وفي قراءة سبعية أيضاً بالرفع خبر المبتدأ. قوله: (**من الزنا**) أي أو نفي الحمل، لأن اللعان كما يكون في رؤية الزنا، يكون في نفي الحمل. قوله: ﴿**وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ**﴾ الخ، بالرفع لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿**أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ**﴾ بالنصب لا غير باتفاق السبعة، وقوله: ﴿**وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ**﴾ الخ، يجوز في السبعة رفعه ونصبه، فتحصل أن الخامسة الأولى بالرفع لا غير، وفي الثانية الوجهان، ولفظ أربع الأول فيه الوجهان، والثاني بالنصب لا غير، وحكمة تخصيص الرجل باللعنة، والمرأة بالغضب، أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله، وفي لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفي لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة. قوله: (**وخبر المبتدأ**) أي الذي قوله: ﴿**فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ**﴾. قوله: (**في ذلك**) أي فيما رماها به

ـ **فائدة** ـ يترتب على لعانه دفع الحد عنه، وقطع الولد منه، وإيجاب الحد عليها، وعلى لعانها دفع الحد عنها، وتأبيد تحريمها، وفسخ نكاحها. قوله: (**بالستر**) متعلق بكل من فضل ورحمة. قوله: (**لبين الحق في ذلك**) جواب ﴿**لَوْلَا**﴾.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ**﴾ الخ، شروع في ذكر الآيات المتعلقة بالإفك، وهي ثماني عشرة

بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة من المؤمنين، قالت: حسان بن ثابت وعبدالله بن أبيّ ومسطح وحمنة بنت جحش ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العصبة ﴿شَرًّا لَّكُم بل هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجركم

تنتهي بقوله: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾ ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما في الزنا من الشناعة والقبح، وذكر ما يترتب على من رمى غيره به، وذكر أنه لا يليق بآحاد الأمة، فضلاً عن زوجة سيد المرسلين ﷺ ذكر ما يتعلق بذلك. قوله: (**أسوأ الكذب**) أي أقبحه وأفحشه. قوله: (**على عائشة**) متعلق بالكذب، وقد عقد عليها النبي ﷺ بمكة وهي بنت ست سنين أو سبع، ودخل عليها بالمدينة وهي بنت تسع، وتوفي عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة. قوله: ﴿**عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**﴾ العصبة من العشرة إلى الأربعين، وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط، لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر. قوله: (**من المؤمنين**) أي ولو ظاهراً، فإن عبد الله بن أبي من كبار المنافقين. قوله: (**قالت**) أي عائشة في تعيين أهل الإفك. قوله: (**وحمنة بنت جحش**) هي زوجة طلحة بن عبيد الله.

قوله: ﴿**لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ**﴾ المخاطب به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم. قوله: ﴿**بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**﴾ أي لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً. قوله: (**يأجركم الله به**) أي بسبب الصبر عليه. قوله: (**ومن جاء معها**) أي يقود بها الراحلة. قوله: (**وهم صفوان**) أي السلمي بن المعطل. قوله: (**في غزوة**) قيل هي غزوة بني المصطلق، وكانت في السنة الرابعة، وقيل في السادسة. وسببها: أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه، وقائدهم الحرث بن ضرار أبو جويرية زوج النبي ﷺ، فلما سمع بذلك خرج اليهم، حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع، من ناحية قديد إلى الساحل، فاقتتلوا فهزم الله بني المصطلق، وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم، وردها عليهم. قوله: (**بعدما أنزل الحجاب**) أي وهو قوله تعالى: ﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾. قوله: (**وآذن**) بالمد والقصر، أي أعلم. قوله: (**وقضيت شأني**) أي حاجتي كالبول مثلاً. قوله: (**فإذا عقدي انقطع**) أي وكان من جزع ظفار، وهو الخرز اليماني غالي القيمة، وكان أصله لأمها، أعطته لها حين تزوجها رسول الله ﷺ، وقيل لأختها أسماء. قوله: (**ألتمسه**) أي أفتش عليه. قوله: (**فجلست في المنزل الذي كنت فيه**) أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها، فإن من الآداب، أن الإنسان إذا ضل عن رفقته، وعلم أنهم يفتشون عليه، أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه، فربما رجعوا فلم يجدوه. قوله: (**فنمت**) أي وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها. قوله: (**وكان صفوان قد عرس**) أي وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته، وكان إذا رحل الناس قام يصلي ثم اتبعهم، فما سقط منهم شيء إلا حمله، حتى يأتي به أصحابه. قوله: (**فسار منه**) أي فادلج بالتشديد سار من آخر الليل، وأما دلج سار من أوله. قوله: (**في منزله**) أي منزل الجيش الذي مكثت فيه عائشة. قوله: (**وطيء على يدها**) أي الراحلة خوف أن تقوم. قوله: (**موغرين**) أي اتينا الجيش في وقت القيلولة. قوله: (**فهلك من هلك**) أي تكلم بما كان سبباً في هلاكه. قوله: (**فيّ**) أي بسببي. قوله: (**ابن أبي ابن سلول**) نسب أولاً لأبيه ثم لأمه. قوله: (**انتهى قولها**) هذا باعتبار ما اختصره، وإلا فحديثها له بقية كما في البخاري وهي: فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهراً، وهم يفيضون

الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه وهو صفوان، فإنها قالت: كنت مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أنزل الحجاب، ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة، وآذن بالرحيل ليلة، فمشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرحل، فإذا عقدي انقطع «هو بكسر المهملة القلادة» فرجعت

من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ لا أشعر بشيء من ذلك، حتى نقهت بفتح فكسر، أي برئت من مرضي، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا، لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول، في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشي، فعثرت في مرطها، هو بكسر الميم، كساء من صوف، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت: أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه، أي قليلة المعرفة، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي، دخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: كيف تيكم؟ فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ قالت: يا بنيتي هوني على نفسك الشأن، فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبت تلك الليلة، حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار اليه بالذي يعلم من نفسه بالود لهم، فقال أسامة: هم أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، واسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: يا بريرة هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟ فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق نبياً، إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها، هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة، أي أعيبه وأنكره، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين فيأتي الداجن، وهو بدال مهملة ثم جيم، ما يألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله، فقام رسول الله ﷺ من نومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت في أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ وقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان: الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتي ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فجلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل

ألتمسه، وحملوا هودجي «هو ما يركب فيه» على بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خفافاً إنما يأكلن العلقة «هو بضم المهملة وسكون اللام من الطعام أي القليل» ووجدت عقدي، وجئت بعدما ساروا، فجلست في المنزل الذي كنت فيه، وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إلي، فغلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فأدلج. هما «بتشديد الراء والدال» أي نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه فأصبح في منزله، فرأى سواد إنسان نائم، أي شخصه، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون، فخمرت وجهي بجلبابي، أي غطيته بالملاءة، والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته ووطىء على يدها، فركبتها،

قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى اليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي اليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب، تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي، أي انقطع جريانه حتى ما أحس منه بقطرة وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال: قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيراً من القرآن فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم إني لبريئة لتصدقنني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلى أبا يوسف إذ قال: ﴿فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي، وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحي، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ فيّ اليوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام أن برح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أو الشدة والكرب، حتى إنه لينحدر منه مثل الجمان، أي اللؤلؤ من العرق في يوم شات، فلما سري أي كشف عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله، فقالت أمي: قومي لرسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم اليه ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم﴾ الآيات. فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح بشيء أبداً بعدما قال في عائشة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا يأتلِ أولوا الفضل منكم والسعة﴾ الآية إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾ فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه، وكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقال: يا زينب ما علمت ما رأيت؟ فقالت: يا رسول الله احمي سمعي وبصري، والله ما علمت عليها إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تساميني فعصمها الله بالورع. انتهى.

فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش، بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، أي من أوغر، واقفين في مكان وعر من شدة الحر، فهلك من هلك فيَّ، وكان الذي تولى كبره منهم، عبدالله بن أبيٍّ ابن سلول، ا هـ قولها، رواه الشيخان، قال تعالى: ﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم ﴾ أي عليه ﴿ مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ ﴾ في ذلك ﴿ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبدالله بن أبيّ ﴿ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ ﴿١١﴾ هو النار في الآخرة ﴿ لَّوۡلَآ ﴾ هلا ﴿إِذۡ﴾ حين ﴿ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ أي ظن بعضهم ببعض ﴿خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ ﴿١٢﴾ كذب بين، فيه التفات عن الخطاب، أي ظننتم أيها العصبة وقلتم ﴿لَّوۡلَا ﴾ هلا ﴿جَآءُو ﴾ أي العصبة ﴿ عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ ﴾ شاهدوه ﴿ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي في حكمه ﴿ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ فيه ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ

قوله: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ﴾ أي من العصبة. قوله: ﴿مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ﴾ أي جزاء ما اكتسب من الإثم في الدنيا، وهو لغير عبد الله بن أبيّ، فإنهم قد حدوا حد القذف، وعمي حسان وشلت يده في آخر عمره، وعمي مسطح أيضاً، أو في الدنيا والآخرة وهو لابن أبيّ، فعذبه الله بخزي الدنيا والخلود في النار. قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين في الإفك، وأنهم اكتسبوا الإثم، شرع في توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر: الأول هذا، والثاني ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ الخ، والثالث ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ﴾ الخ، الرابع ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ الخ، الخامس ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ الخ، السادس ﴿يَعِظُكُمُ ٱللهُ﴾ الخ، السابع ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ﴾ الخ، الثامن ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ﴾ الخ، التاسع ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ﴾ - إلى - ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضي، لأن لولا لها ثلاثة أحوال: إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ، وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض، وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية، وقد كررت هنا في ست مواضع: الأول والثاني والرابع توبيخية لا جواب لها، والثالث والخامس والسادس شرطية، ذكر جوابها في الثالث والسادس، وحذف في الخامس فتدبر، وإذا ظرف لظن، والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه، أن تحسنوا الظن في أم المؤمنين، ولا تصروا على الأمر القبيح بعد سماعه. قوله: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي بأبناء جنسهم في الايمان والصحبة. قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي إلى الغيبة، إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم، وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة في توبيخهم.

قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ أي الإفك. قوله: (شاهدوه) أي عاينوا الزنا. قوله: (في حكمه) أي الشرعي لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر، وهذا جواب عما يقال: إنهم كاذبون عند الله مطلقاً ولو أتوا بشهداء، فأجاب: بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة، لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر، فأراد الله أن يكذبهم ظاهراً وباطناً.

قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ امتناعية وجوابها قوله: ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ والمعنى

﴿فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ﴾ أيها العصبة أي خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ في الآخرة ﴿إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدى التاءين، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٌ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ في الإثم ﴿وَلَوۡلَآ﴾ هلا ﴿إِذۡ﴾ حين ﴿سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ﴾ هو للتعجب هنا ﴿هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ﴾ كذب ﴿عَظِيمٌ ١٦﴾ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ﴾ ينهاكم ﴿أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٧﴾ تتعظون بذلك ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ ١٨﴾ فيه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بنسبتها إليهم وهم العصبة ﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ بحد القذف ﴿وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمۡ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ وجودها فيهم ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ أيها العصبة ﴿وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠﴾ بكم لعاجلكم بالعقوبة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي المتبع ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ أي القبيح ﴿وَٱلۡمُنكَرِ﴾

امتنع مس العذاب لكم، لوجود فضل الله ورحمته عليكم. قوله: ﴿فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ أي بسببه وما اسم موصول و﴿أَفَضْتُمْ﴾ صلته أو مصدرية، أي بسبب الذي أفضتم فيه أو بسبب إفاضتكم. قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي لغير ابن سلول فإن عذابه محتم.

قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي تتلفظون به باللسان فقط، دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها، وإنما تلفظهم بالإفك محض حسد وعناد.

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ توبيخه، و﴿إِذْ﴾ ظرف لقلتم، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر، أن تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين ﴿لَوْلَا﴾ و﴿قُلْتُمْ﴾ لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها. قوله: (هو للتعجب هنا) أي مع التنزيه والمعنى تنزيهاً لك من انتهاك حرماتك، فإنه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلت فيهم﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾. قوله: (ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضمن ﴿يَعِظُكُمْ﴾ معنى (ينهاكم) فعداه بعن. قوله: ﴿أَبَداً﴾ أي مدة حياتكم. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، أي فلا تعودوا لمثله. قوله: (باللسان) أي فالمراد بإشاعتها إشاعة خبرها. قوله: (بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا، خصوص عائشة وصفوان. قوله: ﴿وهم العصبة﴾ تفسير للذين يحبون. قوله: (لحق الله) أي ذنب الإقدام، وهو محمول على عبد الله بن أبيّ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته. قوله: ﴿وَأَنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ عطف على ﴿فَضْلُ اللهِ﴾. قوله: (لعاجلكم بالعقوبة) جواب ﴿لَوْلَا﴾، وخبر المبتدأ محذوف، والتقدير موجودان. قوله: ﴿خُطُوَاتِ﴾ بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان.

شرعاً باتباعها ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم ﴾ أيها العصبة بما قلتم من الإفك ﴿ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ أي ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي ﴾ يطهر ﴿ مَن يَشَآءُ ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ﴾ بما قلتم ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٢١﴾ بما قصدتم ﴿ وَلَا يَأْتَلِ ﴾ يحلف ﴿ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ ﴾ أي أصحاب الغنى ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ عنهم في ذلك ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبداً، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ﴾ الخ، تعليل للجواب. قوله: (أي المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان، قوله: (باتباعها) متعلق بيأمر. قوله: ﴿مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا، وهو كذلك، إلا عبد الله بن أبيّ، فإنه استمر على النفاق حتى هلك كافراً.

قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ ﴿لَا﴾ ناهية، والفعل مجزوم بحذف الياء. قوله: (أي أصحاب الغنى) في تفسير الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله: ﴿وَالسَّعَةِ﴾ وحينئذ فالمناسب تفسير ﴿الْفَضْلِ﴾ بالعلم والدين والإحسان، وكفى به دليلاً على فضل الصديق. قوله: ﴿أَنْ﴾ (لا) ﴿يُؤْتُوا﴾ أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير (لا) النافية. قوله: ﴿أُولِي الْقُرْبَى﴾ أي القرابة، وقوله: ﴿وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ معطوف على ﴿أُولِي﴾ فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح قوله: (حلف أن لا ينفق على مسطح) أي فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبي بكر واعتذر وقال: إنما كنت أغشى مجلس حسان واسمع منه ولا أقول، فقال له أبو بكر: لقد ضحكت وشاركت فيما قيل، وكفر عن يمينه.

لطيفة: وقع لابن المقري، أنه وقع منه هفوة، فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة، فكتب الولد لأبيه:

لا تقطعن عادة بر ولا	تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن أمر الإفك من مسطح	يحط قدر النجم من أفقه
وقد جرى منه الذي قد جرى	وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده:

قد يمنع المضطر من ميتة	إذا عصى بالسير في طرقه
لأنه يقوى على توبة	توجب إيصالاً إلى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه	ما عوتب الصديق في حقه

انتهى. قوله: (لما خاض في الأفك) ظرف لقوله: (حلف). قوله: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾ أي أولو الفضل. قوله: ﴿وَلْيَصْفَحُوا﴾ أي ليعرضوا عن لومهم. قوله: (ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أي وحلف.

ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿٢٢﴾ للمؤمنين قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ﴾ بالزنا ﴿ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾ العفائف ﴿ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ عن الفواحش بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ بالله ورسوله ﴿ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿ يَوْمَ ﴾ ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم ﴿ تَشْهَدُ ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ من قول وفعل وهو يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ ﴾ يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ ﴿٢٥﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبدالله بن أبيّ. والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن. ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ من الناس ﴿ وَٱلْخَبِيثُونَ ﴾ من الناس ﴿ لِلْخَبِيثَٰتِ ﴾ مما ذكر ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ مما ذكر ﴿ لِلطَّيِّبِينَ ﴾ من الناس ﴿ وَٱلطَّيِّبُونَ ﴾ منهم ﴿ لِلطَّيِّبَٰتِ ﴾ مما ذكر أي اللائق

أن لا ينزع نفقته منه أبداً، ومسطح هو ابن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، وقيل اسمه عوف، ومسطح لقبه. قوله: **﴿ٱلْغَافِلَاتِ﴾ (عن الفواحش)** أي لسلامة صدورهن، ونقاء قلوبهن، واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى. قوله: **﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾** أي بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين، وقوله: **﴿وَٱلآخِرَةِ﴾** أي بالعذاب إن لم يتوبوا. قوله: **(ناصبة الاستقرار)** الخ أي والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد. قوله: **(بالفوقانية والتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** معمول ليوفيهم أو ليعلمون. قوله: **(جزاءهم الواجب عليهم)** أشار بذلك إلى أن المراد بالدين الجزاء لما في الحديث: «كما تدين تدان». قوله: **﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾** أي الثابت الذي لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً. قوله: **(ومنهم عبد الله بن أبيّ)** يأتي بهذا ليصح قوله: **(كانوا يشكون فيه)** فالشك من بعضهم، وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لا يترددون في الجزاء. قوله: **(أزواج النبي)** أي لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع، لاشتراكهن في العفة والصيانة والنسبة لرسول الله ﷺ. قوله: **(لم يذكر في قذفهن توبة)** أي مثل ما ذكر فيما تقدم في قوله: ﴿إلا الذين تابوا﴾. قوله: **(ومن ذكر)** مبتدأ و**(غيرهن)** خبره، وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الإفك، وإلا فهو كغيره من سائر المعاصي التي تمحى بالتوبة، وأما بعد نزول الآيات، فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان كفراً، لمصادمة القرآن العظيم، فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان.

قوله: **﴿ٱلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾** كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة، وتقبيحاً على من تكلم فيها. والمعنى أن المجانسة من دواعي الانضمام، فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه، والطيب كذلك، وهو بمعنى قولهم: وكل إناء بالذي فيه ينضح. قوله: **﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾** الإشارة بذلك لرسول الله وعائشة، أي فحيث كان رسول الله أطيب الطيبين، تبين بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات. **(من الناس ومن الكلمات)** هذان قولان في تفسير **﴿ٱلْخَبِيثَاتُ﴾** وقوله: **(مما ذكر)** أي من الناس والكلمات.

بالخبيث مثله وبالطيب مثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون من الرجال والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ أي

قوله: (**أي اللائق بالخبيث مثله**) أي من نساء أو كلمات. قوله: (**وقد افتخرت عائشة بأشياء**) منها أن جبريل عليه السلام، أتى بصورتها في سرقة حرير وقال: هذه زوجتك، ويروى أنه أتى بصورتها في راحته، ومنها أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها، وقبض رسول الله ﷺ في حجرها وفي يومها، ودفن في بيتها وكان ينزل الوحي عليه وهي معه في اللحاف، ونزلت براءتها من السماء، وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله ﷺ، وخلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقاً كريماً، وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمي بالفاحشة، برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفحشاء، برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام، وإن عائشة لما رميت بالفحشاء، برأها الله بالقول، فما رضي لها براءة صبي ولا نبي، حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان، انتهى.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾ الخ، لما ذكر الله أحكام العفاف، وكان من جملة العفاف، عدم دخول منازل الغير إلا بإذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك. وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل علي، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحالة، فنزلت. قوله: ﴿**غَيْرَ بُيُوتِكُمْ**﴾ أي غير محل سكنكم، وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها، فيجب عليه الاستئذان، لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته. قوله: ﴿**حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا**﴾ من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش، سمي بذلك لأن المستأذن مستوحش، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش. قوله: (**فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل**) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكثر والحق التفصيل، فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم، ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات، يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير، الأول إعلام، والثاني للتهيؤ، والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع، وإذا أتى الباب، لا يستقبله من تلقاء وجهه، بل يجيء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر، وإذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه، ولا يكتف بقوله أنا مثلاً، لما روي عن جابر بن عبد الله قال: استأذنت على النبي ﷺ فقال: من هذا؟ فقلت: أنا فقال النبي ﷺ: أنا أنا، كأنه كره ذلك لعدم إفادته، فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد الدخول على النبي ﷺ وهو في مشربة فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليكم، أيدخل عمر؟ قوله: (**من الدخول بغير استئذان**) أي ومن تحية الجاهلية، حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتاً غير بيته يقول: حييتكم صباحاً، حييتكم مساء، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. قوله: (**بإدغام التاء الثانية في الذال) أي بعد قلبها دالاً فذالاً**. قوله: ﴿**أَحَداً**﴾ (**يأذن لكم**) السالبة تصدق بنفي الموضوع، فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلاً، أو فيها من لا يصلح للإذن، أو فيها من

تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ فيقول الواحد: السلام، عليكم، أأدخل؟ كما ورد في حديث ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال خيريته فتعملون به ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان ﴿ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ﴾ أي الرجوع ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَكُمْ ۚ﴾ من القعود على الباب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ﴾ أي منفعة ﴿لَّكُمْ ۚ﴾ باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ عما لا يحل لهم نظره، ومن زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ﴾ عما لا

يصلح، لكن لم يأذن. قوله: ﴿حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ أي حتى يأتيكم الإذن، ولو مع خادم يوثق به. قوله: ﴿هُوَ أَزْكَى﴾ أي أطهر للأمن من الرذائل والدناءات.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ هذا كالاستثناء من قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ وسبب نزولها: أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال: يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات، أفلا ندخلها إلا بإذن؟ فنزلت. قوله: ﴿غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ أي غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة، كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها. قوله: (باستكنان) أي طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد، وقوله: (وغيره) كالبيع والشراء. قوله: (المسبلة) اقتصر عليها، لأن مورد سؤال أبي بكر في الخانات المسبلة التي بين مكة والشام. قوله: (وسيأتي) أي في آخر السورة في قوله: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإن الملائكة ترد عليكم، أي وإن كان بها أهل فسلموا عليهم.

قوله: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ، شروع في ذكر أحكام تعم المستأذنين وغيرهم. قوله: ﴿يَغُضُّوا﴾ أي يخفضوا. قوله: (ومن زائدة) أي يغضوا أبصارهم، وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج، الاشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج. قوله: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أي لأنه أبعد للريبة، ولا مفهوم للبصر والفرج، بل باقي الجوارح كذلك، وخص البصر والفرج بالذكر، لأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح. قوله: (فيجازيهم عليه) أي فالغاض يجازى بالحسنات، وغيره يجازى بالسيئات.

قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِن﴾ هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات، بغض الأبصار وحفظ الفروج، وبسط الكلام في شأنهن، لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روي: إذا أقبلت المرأة، جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر، وإذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر، وقد اشتملت هذه الآية على خمس وعشرين ضميراً للإناث، ما بين مرفوع ومجرور، ولم يوجد لها

يحل لهم فعله بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي خير ﴿لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عما لا يحل لهن نظره ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحل لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾ يظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين، والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة، ورجح حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية وما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ جمع بعل أي زوج ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز هم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج، وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهنَّ، وشمل ما ملكت أيمانهن العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾ بالجر صفة والنصب استثناء ﴿أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ﴾

نظير في القرآن في هذا الشأن. قوله: (**عما لا يحل لهن فعله بها**) أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج، كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظراً أو فعلاً. قوله: ﴿**زِينَتَهُنَّ**﴾ أي موضع زينتهن. قوله: (**فيجوز نظره لأجنبي**) الخ، هذا مذهب مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: (**حسماً للباب**) أي سداً للذريعة.

قوله: ﴿**وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ**﴾ أي يلقين خمرهن على موضع جيوبهن، وهو العنق، والجيب في الأصل طوق القميص، وكانت النساء على عادة الجاهلية، يسدلن خمرهن من خلفهن، فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها، فأمرن بإرسال خمرهن على جيوبهن ستراً لما يبدو منها. قوله: ﴿**زِينَتَهُنَّ**﴾، أي موضع زينتهن. قوله: ﴿**إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ**﴾ حاصل هذه المستثنيات اثنا عشر نوعاً آخرها أو الطفل.

قوله: ﴿**أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿**أَوْ أَبْنَائِهِنَّ**﴾ أي ولو من الرضاع وإن سفلوا. قوله: ﴿**أَوْ إِخْوَانِهِنَّ**﴾ جمع أخ كان من نسب أو رضاع. قوله: ﴿**أَوْ نِسَائِهِنَّ**﴾ أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الايمان، فيخرج الكافرات. قوله: (**فيجوز لهم نظره**) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء. ويجوز لهن نظر ذلك منهم، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم، وأما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم. قوله: (**فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن**) أي باتفاق مالك والشافعي، لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد. قوله: (**العبيد**) أي فيجوز أن يكشفن لهم، ما عدا ما بين السرة والركبة، لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين، وهذا مذهب الشافعي، وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره، فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف، وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين.

قوله: ﴿**أَوْ التَّابِعِينَ**﴾ الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء، أو الأبله الذي لا

أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكر كل ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾ بمعنى الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ﴾ يطلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خلخال يتقعقع ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ جمع أيم وهي من ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيباً، ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وعباد من جموع عبد ﴿إِن يَكُونُواْ﴾

يعرف الأرض من السماء، ولا الرجل من المرأة. قوله: ﴿غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ﴾ بالكسر الحاجة. قوله: ﴿مِنَ الرِّجَالِ﴾ حال من التابعين، أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي، وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط.

قوله: ﴿الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى، وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة، وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي. قوله: ﴿لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ من زِينتهنَّ﴾ أي فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط، وإلا فصوت الخلخال مثلاً ليس بعورة. قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى ٱللهِ جَمِيعاً﴾ هذا حسن اختتام لهذه الآية، كأن الله يقول: لا تقنطوا من رحمتي، فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب، فإن التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود. قوله: (تغليب الذكور) أي في قوله: ﴿وَتُوبُوا﴾ الخ.

قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا ٱلأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ الخ، الخطاب للأولياء والسادات، والإنكاح تزويج الغير. قوله: (جمع أيم) أي بوزن فيعل، قيل غير مقلوب، وقيل إن الأصل أيائم فقلب. قوله: (هي من ليس لها زوج) الخ، أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة الغير المتزوجين، سواء سبق لهما تزوج أو لا، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل، أو اضطرت المرأة للنفقة، لكن المرأة يزوجها وليها، والرجل يتزوج بنفسه، إن كان رشيداً أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها، فإن لم تخف الزنا، أو لم تضطر المرأة، كان مباحاً عند الشافعي، ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة. واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة، فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا، ولو كان ينفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راغباً فيه ولم يخش الزنا وراجياً النسل، وتارة يحرم، كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة، أن ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة. قوله: (وهذا في الأحرار) الخ، أي بقرينة قوله: ﴿وَإِمَائِكُمْ﴾. قوله: (أي المؤمنين) أي فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوباً، إن خيف بتركه الزنا، وهذا عند الشافعي، وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده، ولو خاف العبد الزنا، وحينئذ فالأمر عنده للندب. قوله: ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ أي فيزوجه سيده ولو بحرة، وقوله: ﴿وَإِمَائِكُمْ﴾ أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر، بشرط أن لا يجد

أي الأحرار ﴿ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ ﴾ بالتزوج ﴿ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ لخلقه ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٢﴾ بهم ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا ﴾ أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ يوسع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فينكحون ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ بمعنى المكاتبة ﴿ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ من العبيد والإماء ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة. وصيغتها، مثلاً: كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف، فإذا أديتها فأنت حر، فيقول قبلت ﴿وَءَاتُوهُم﴾ أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ ﴾ أي إمائكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي الزنا ﴿ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ تعففاً عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه فلا مفهوم للشرط

للحرائر طولاً، وأن يخشى الزنا، ومحل الشرطين إن لم يكن عقيماً. قوله: **(من جموع عبد)** أي وله جموع أخر، كعبيد وأعابد وأعبد، ونحو ذلك.

قوله: **﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾** أي فإن في فضل الله كفاية عن المال، لقوله عليه الصلاة والسلام: «اطلبوا الغنى بالتزوج»، فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالاً، وإن كانوا فقراء لما في الحديث: «تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها، فعليك بذات الدين تربت يداك». قوله: **﴿وَٱللَّهُ وَاسِعٌ﴾** أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفد. قوله: **﴿عَلِيمٌ﴾ (بهم)** أي بحالهم فيغنيهم. قوله: **﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً﴾** أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها، وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء، ويكون بملازمة الصوم والرياضة، لما في الحديث: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء، ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوي الشهوة واستعمال ضدها». قوله: **(أي ما ينكحون به)** أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب. قوله: **(عن الزنا)** قدرة إشارة إلى أن متعلق يستعفف محذوف.

قوله: **﴿وَٱلَّذِينَ﴾** اسم موصول مبتدأ و **﴿يَبْتَغُونَ﴾** صلته و **﴿ٱلْكِتَابَ﴾** معمول ليبتغون، وقوله: **﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾** حال من فاعل **﴿يَبْتَغُونَ﴾**، وقوله: **﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾** الجملة خبر، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط. قوله: **(بمعنى المكاتبة)** أي وهي مفاعلة، لأن السيد كتب على نفسه العتق، والعبد كتب على نفسه النجوم. قوله: **﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾** الأمر للندب. قوله: **(أي أمانة)** أي في دينه. قوله: **(وقدرة على الكسب)** أي بحرفة وغيرها. قوله: **﴿وَآتوهُمْ﴾** الأمر قيل للندب وقيل للوجوب. قوله: **(حط شيء)** أي وهو أفضل من الإعطاء، لأنه قد يصرفه في غير جهة الكتابة، والأفضل أن يكون ذلك الحط في آخر نجم.

قوله: **﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ﴾** جمع فتاة، ولا مفهوم للإكراه، بل الرضا بالزنا من الكبائر، وإنما عبر به لأنه سبب النزول. قوله: **﴿عَلَى ٱلْبِغَاءِ﴾** هو مصدر بغت المرأة تبغي بغاء، أي زنت، وهو مختص بزنا النساء. قوله: **﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾** لا مفهوم له، بل يحرم الإكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن،

﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلت في عبدالله بن أبيّ كان يكره جواريه على الكسب بالزنا ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٣﴾ بهن ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينة ﴿وَمَثَلًا﴾ خبراً عجيباً وهو خبر عائشة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي من جنس أمثالهم، أي أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم ﴿وموعظة للمتقين﴾ ﴿٣٤﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ الخ، ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون﴾ الخ، ﴿ولولا إذا سمعتموه قلتم﴾ الخ، ﴿يعظكم الله أن تعودوا﴾ الخ، وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي منورهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي صفته في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى

وإنما نص على ذلك، لأنه الواقع من عبد الله بن أبي الذي نزلت في حقه الآية. قوله: **(محل الإكراه)** أي فلا يتحقق الإكراه إلا عند تلك الأرادة، وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الإكراه حينئذ، فالتقييد لأجل صحة قوله: **﴿تُكْرِهُوا﴾**. قوله: **(كان يكره جواريه)** أي وكن ستاً فشكا ثنتان منهن للنبي ﷺ فنزلت الآية. قوله: **﴿غَفُورٌ﴾** **(لهن)** أي ما وقع منهن، لأن المكره وإن لم يكن آثماً، فلربما يحصل منه بعض ميل، والإكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدي له أو لتلف عضو، وأما القتل فلا يباح تخوف القتل، بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره، وأما ترك الصلاة مثلاً، فالإكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه. قوله: **(بفتح الياء وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بين فيها ما ذكر)** راجع للفتح، وقوله: **(أو بينة)** راجع للكسر. قوله: **﴿وَمَثَلًا﴾** عطف على آيات. قوله: **(أي من جنس أمثالهم)** أشار بذلك إلى أن في الآية حذف مضافين، والأصل **﴿وَمَثَلًا﴾** من جنس أمثال الذين خلوا.

قوله: **﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أو لا، وتدرك بواسطتها سائر المبصرات، كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لها، وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله، وحينئذ فيجاب عن الآية بأن معنى قوله: **﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** خالق النور في السماوات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة، وفي الأرض بالمصابيح والسرج والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين، وأفاد هذا المفسر بقوله: **(أي منورهما)** وقيل معنى **﴿نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** مظهرهما، لأن النور كما يطلق على الكيفية، يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى، فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر للأشياء من العدم إلى الوجود، قال ابن عطاء الله في الحكم: الكون كله ظلمة، أناره ظهور الحق فيه، فوجود العالم بوجود الله، إذ لولا وجود الله، ما وجد شيء من العالم.

قوله: **﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾** مبتدأ، وقوله: **﴿كَمِشْكَاةٍ﴾** خبر، والمثل بمعنى الصفة، والكلام على حذف مضاف، أي كمثل مشكاة. قوله: **(أي صفته في قلب المؤمن)** أشار بذلك إلى أن في الكلام شبه استخدام، حيث ذكر النور أولاً بمعنى، ثم ذكره ثانياً بمعنى آخر، فتحصل أنه فسر النور أولاً بالحسيّ، وثانياً بالمعنويّ. قوله: **﴿كَمِشْكَاةٍ﴾** اختلف في هذه اللفظة، قيل عربية وقيل حبشية معربة. قوله: **﴿فِي**

زُجَاجَةٍ ﴾ هي القنديل، والمصباح السراج أي الفتيلة الموقودة، والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل ﴿ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا ﴾ والنور فيها ﴿ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ أي مضيء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام، وبضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر: اللؤلؤ ﴿ يُوقَدُ ﴾ المصباح بالماضي وفي قراءة بمضارع أوقد مبنياً للمفعول بالتحتانية وفي أخرى توقد بالفوقانية أي الزجاجة ﴿ مِن ﴾ زيت ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ لصفائه ﴿ نُّورٌ ﴾ به ﴿ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ بالنار، ونور

زُجَاجَةٍ﴾ واحدة الزجاج، وفيه ثلاث لغات: الضم وبه قرأ العامة، والفتح والكسر وبهما قرىء شذوذاً. قوله: (**هي القنديل**) بكسر القاف. قوله: (**الموقودة**) صوابه الموقدة. قوله: (**غير النافذة**) قيد به لأنه في تلك الحالة أجمع للنور. قوله: (**أي الأنبوبة**) هي السنبلة التي في القنديل، وهو تفسير آخر للمشكاة، وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة، فتحصل أنه اختلف في المشكاة، فقيل هي الطاقة الغير النافذة التي وضع فيها القنديل، وعليه فهي ظرف للقنديل، وقيل هي السنبلة التي تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها. قوله: (**بكسر الدال وضمها**) أي مع الهمزة قراءتان سبعيتان. قوله: (**وبضمها وتشديد الياء**) قراءة سبعية أيضاً فتكون القراءات ثلاثاً. قوله: (**بمعنى الدفع**) أي وبابه قطع. قوله: (**منسوب إلى الدر**) أي لشدة صفائه. قوله: (**بالماضي**) الخ، حاصله أن القراءات ثلاث سبعيات بالماضي وبالمضارع بالتحتانية، ويكون الضمير عائداً على المصباح، وبالفوقانية ويكون الضمير عائداً على الزجاجة على حذف مضاف، أي فتيلة الزجاجة.

قوله: ﴿مِنْ﴾ (زيت) ﴿شَجَرَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، وأشار المفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿مُبَارَكَةٍ﴾ أي لكثرة منافعها، قال ابن عباس: في الزيتون منافع، يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود، وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الإبريسم، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان، ونبتت في منازل الأنبياء والأرض المقدسة، ودعا لها سبعون نبياً بالبركة، منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

قوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بالجر صفة لشجرة، وقرىء شذوذاً بالرفع خبر لمحذوف، أي لا هي شرقية ولا هي غربية، والجملة في محل جر نعت شجرة. قوله: (**بل بينهما**) الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بقوله: ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنها متوسطة، لا شرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهي الشام، فإن زيتونه أجود الزيتون. وفي الحديث: «لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة، ولا خير فيهما في مضحى»، والمقناة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذي لا تطلع عليه الشمس، والمضحى هو الذي تشرق عليه دائماً فتحرقه، وهو أحد قولين، وقيل معنى لا شرقية ولا غربية، أن الشمس تبقى عليها دائماً من أول النهار لآخره، لا يواريها عن الشمس شيء، كالتي تكون في الصحارى الواسعة، فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى، وعلى هذا فلا يتقيد بشام ولا غيرها. قوله: (**مضرين**) هذا هو محل النفي وهو حال. قوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير لأضاء.

الله أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ﴾ يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ ومنه ضرب الأمثال ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ متعلق بيسبح الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ تعظم ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ بفتح الموحدة وكسرها أي يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾

قوله: ﴿نُورٌ﴾ (به) أي الزيت، وقوله: ﴿عَلَى نُورٍ﴾ أي مع نور وهو نور المصباح والزجاجة، فالأنوار المشبه بها متعددة كأنوار المشبه، فليس المقصود في الآية التثنية، بل الكثرة، وتراكم الأنوار. قوله: (ونور الله أي هداه) الخ، أي فبراهين الله تزداد في قلب المؤمن برهاناً بعد برهان، إن قلت: لم ضرب المثل بنور الزيت، ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟ أجيب بأن الزيت فيه منافع، ويسهل لكل أحد، كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة، واختلف في هذه التشبيه، هل هو تشبيه مركب، بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد مثل نور الله الذي هو هداه وبراهينه الساطعة، كجملة النور الذي يتخذ من هذه الهيئة، أو تشبيه جزء بجزء، بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة، وقلبه بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح.

قوله: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي من يريد هدايته، فإن الأسباب دون مشيئته لاغية، ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور. قوله: (أي دين الإسلام) المراد به ما يشمل الإيمان، وهو الذي ضرب له المثل المتقدم، وأظهر في مقام الإضمار اعتناء بشأنه. قوله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ أي تقريباً للمعقول من المحسوس، فحيث كان نور الإيمان. والمعارف مثله هكذا، فلا تدخل شبهة على المؤمن، إلا شاهدها بعين البصيرة، كما تشاهد بعين البصر، ويشهد الحق بعين البصيرة، كما يشهده بعين البصر، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون، فأدناهم أهل المراقبة وأعلاهم أهل المشاهدة، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ وقوله في الحديث: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» وقوله في الحديث أيضاً: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه». للعارفين تفننات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور.

قوله: ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ المراد بها جميع المساجد، وقيل خصوص مساجد أربع: الكعبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء، لأنه لم يبنها إلا نبي، فالكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل، وبيت المقدس بناه داود وسليمان، ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله ﷺ، والأقرب الأول، لأن العبرة بعموم اللفظ. قوله: (يتعلق بيسبح الآتي) أي سواء قرىء ببنائه للفاعل أو المفعول، وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد، لما ورد: بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء، كما تضيء النجوم لأهل الأرض، ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف دل عليه قوله: ﴿يُسَبِّحُ﴾ والتقدير سبحوا ربكم في بيوت، وعلى هذين فالوقف على عليم، ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة، أو متعلق بتوقد، وعلى هذه الأربعة لا توقف على عليم.

قوله: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي أمر، والجملة صفة لبيوت، و ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور

مصدر بمعنى الغدوات أي البكر ﴿وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾﴾ العشايا من بعد الزوال ﴿رِجَالٌ﴾ فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدر جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ أي شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ﴾ حذف هاء إقامة تخفيف ﴿وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب ﴿فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ من الخوف،

بالباء المقدرة، والتقدير أمر الله برفعها. قوله: **(تعظم)** أي حساً ومعنى، فالتعظم الحسي رفعها بالبنيان المتين الحسن، مساوياً لبنيان البلد أو أعلى، ولا منافاة بين هذا، وقوله عليه الصلاة والسلام: «إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم» لأن المنهي عنه الزخرفة والتزويق، لا حسن البنيان واتقانه، ومن التعظيم الحسي، تطهيرها من الأقذار والنجاسات، قال القرطبي: كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد، لأنهم لا يتحرزون عن الأقذار والأوساخ، فيؤدي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد، وقد أمر رسول الله ﷺ بتنظيفها وتطييبها فقال: «جبنوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم، وجمروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر». والتعظيم المعنوي بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوي، وغير ذلك مما لا ينبغي.

قوله: **﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾** أي بأي ذكر كان. قوله: **(بفتح الموحدة وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاث، والأول أولى، ولذا اقتصر عليه المفسر، و **﴿رِجَالٌ﴾** فاعل فعل محذوف، أو خبر لمحذوف تقديره يحسبه أو المسبح، وعليه فالوقف على **﴿الْآصَالِ﴾** وعلى الكسر، فرجال فاعله، ولا يوقف على **﴿الْآصَالِ﴾**. قوله: **(أي يصلي)** فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه، واختلف في المراد بالصلاة، فقيل المراد الصبح في الغدو، وباقي الخمس في الآصال، وقد أشار لهذا المفسر بقوله: **(من بعد الزوال)** وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل: إنهما الصلاة الوسطى. قوله: **(مصدر)** أي في الأصل، وأما هنا فالمراد منه الأزمنة. قوله: **(أي البكر)** أي وهي أوائل النهار، وقوله: **(العشايا)** هي أواخر النهار.

قوله: **﴿رِجَالٌ﴾** خصوا بالذكر، لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة. قوله: **(شراء)** خص التجارة بالشراء، وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضاً لذكره البيع بعده، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها، ويكون خص البيع بالذكر، لأن الاشتغال به أعظم، لكون الربح الحاصل من البيع ناجزاً محققاً، والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله. قوله: **﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾** أي عن حقوق الله صلاة أو غيرها، فقوله: **﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾** من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنها، فإن المواظب عليها كامل الايمان. قوله: **﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾** أي أدائها في أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها.

قوله: **﴿يَخَافُونَ يَوْماً﴾** أي هؤلاء الرجال، وإن أكثروا الذكر والطاعات، فإنهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى، لعلمهم بأنهم ما عبدوه حق عبادته. قوله: **(بين النجاة والهلاك)** راجع لتقلب القلوب، وقيل معنى تقلب القلوب، ارتفاعها إلى الحناجر، فلا تنزل ولا تخرج من شدة الهول.

القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال هو يوم القيامة ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ أي ثوابه وأحسن بمعنى حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٨﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع أي في فلاة، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾ يظنه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه

قوله: (بين ناحية اليمين والشمال) وقيل تقلب الأبصار، شخوصها من هول الأمر وشدته. قوله: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة، أي إن مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن، وليست لام العلة، لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين، وتلك الأوصاف إنما هي لكامل الإيمان. قوله: (وأحسن بمعنى حسن) أي فالمحترز عنه المجازاة على القبيح، فالمعنى يجازون على كل عمل حسن، قال تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح.

قوله: ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم، بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم. قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ تذييل ووعد كريم، بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب. قوله: (يقال فلان ينفق بغير حساب) الخ، أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية، فوق ما وعدهم به.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها، ضرب المثل للكفار بأشر الأشياء وأخسها. والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين: مثل لأعمالهم الحسنة بقوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾ الخ، ومثل لأعمالهم السيئة بقوله: ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾ الخ، والاسم الموصول مبتدأ، و ﴿كَفَرُوا﴾ صلته، و ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ مبتدأ ثان، و ﴿كَسَرَابٍ﴾ خبر الثاني، والثاني وخبره خبر الأول، ويصح أن يكون ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ بدل اشتمال، و ﴿كَسَرَابٍ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ﴾. قوله: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ أي الصالحة، كصدقة وعتق وغير ذلك مما لا يتوقف على نية. قوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ الباء بمعنى في كما يشير له المفسر بقوله: (أي في فلاة). قوله: (جمع قاع) أي كجيرة جمع جار، وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع. قوله: (يشبه الماء الجاري) أي ويسمى آلاً أيضاً، قال الشاعر:

إذا أنا كالذي يجري لورد ... إلى آل فلم يدرك بلالا

ويسمى سراباً لأنه يتسرب أي يجري كالماء. قوله: ﴿يَحْسَبُهُ﴾ بكسر السين وفتحها، قراءتان سبعيتان، وماضيه حسب بكسر السين، وهو من باب تعب، في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً. قوله: ﴿ٱلظَّمْآنُ﴾ أي وكذا كل من رآه، وإنما خص ﴿ٱلظَّمْآنُ﴾ لأنه أحوج اليه من غيره. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ أي جاء ما قصده وظنه ماء، وهو غاية في محذوف، أي يستمر سائراً اليه ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ الخ. قوله: (كذلك الكافر) الخ، أشار بذلك إلى وجه الشبه، فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده، أن عمله الصالح ينفعه في الآخرة، فإذا جاء يوم

كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقه ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه ﴿ وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُۥ ﴾ أي عند عمله ﴿ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ﴾ أي جازاه عليه في الدنيا ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ﴿٣٩﴾ أي المجازاة ﴿ أَوْ ﴾ الذين كفروا أعمالهم السيئة ﴿ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ ﴾ عميق ﴿ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ ﴾ أي الموج ﴿ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ ﴾ أي الموج الثاني ﴿ سَحَابٌ ﴾ أي غيم هذه ﴿ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ ظلمة البحر وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني وظلمة السحاب ﴿ إِذَا أَخْرَجَ ﴾ الناظر ﴿ يَدَهُۥ ﴾ في هذه الظلمات ﴿ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ﴾ أي لم يقرب من رؤيتها ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ أي من لم يهده الله لم يهتد ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ

القيامة، لم يجد الثواب الذي كان يظنه، بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم، فعظمت حسرته بحال الظمآن الذي اشتدت عليه حاجته إلى الماء، فإذا شاهد السراب تعلق به، فإذا جاء لم يجده شيئاً. قوله: ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ﴾ أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله، أو المعنى وجد عذاب الله له. قوله: **(أي جازاه عليه في الدنيا)** المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق، أن الله جازاه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا، بالمال والبنين والعافية، وغير ذلك من لذات الدنيا، هكذا قال المفسر، وهو وإن كان صحيحاً في نفسه، إلا أن المفسرين على خلافه، فإنهم قالوا: معنى وفاه حسابه، جازاه عليه في الآخرة بالعذاب. والحاصل أنه إن أريد مثلاً أعماله الصالحة التي تتوقف على نية، فمسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة، ولا تنفعه أصلاً، وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فقيل لا يجد لها نفعاً أصلاً، وقيل يجد نفعها، إما في الدنيا كتوسعتها عليه وعافيته وغير ذلك أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر. قوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ أو للتقسيم، أي إن أعمال الكافر تنقسم قسمين، قسم كالسراب وهو العمل الصالح، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء، وقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾ معطوف على قوله: ﴿كَسَرَابٍ﴾ على حذف مضاف تقديره أو كذي ظلمات يدل عليه قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾. قوله: ﴿لُجِّيٍّ﴾ منسوب للج أو للجة، وهو الماء الغزير. قوله: ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ الخ، أي يعلوه، وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكمها، والمعنى أن البحر اللجي يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء، فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة، فإذا كان مع ذلك سحاب، ازدادت الظلمة جداً، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات: ظلمة البحر والأمواج والسحاب، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد، وظلمة القول، وظلمة الفعل. قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ﴾ أي قد غطى أنوار النجوم. قوله: (هذه) ﴿ظُلُمَاتٌ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ظُلُمَاتٍ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ خصها لأنها أقرب الأشياء اليه. قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة، بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء، والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً، فلا دين له. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لكل عاقل، وهو توبيخ للكفار، كأن الله يقول لهم: إن تسبيحي ليس قاصراً عليكم، بل جميع من في السماوات والأرض يسبحونني. قوله: (ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله: ﴿كل قد علم صلاته وتسبيحه﴾، فالصلاة مندرجة في عموم التسبيح.

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾ جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ حال، باسطات أجنحتهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ الله ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ فيه تغليب العاقل ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ المرجع ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ ﴿من﴾ زائدة ﴿جِبَالٍ فِيهَا﴾ في السماء بدل بإعادة الجار ﴿مِنْ

قوله: ﴿وَالطَّيْرُ﴾ بالرفع عطف على ﴿مَنْ﴾ والنصب على المعية، و ﴿صَافَّاتٍ﴾ بالنصب على الحال على كل من القراءتين، وقرىء شذوذاً برفعهما على الابتداء والخبر، ومفعول ﴿صَافَّاتٍ﴾ محذوف أي أجنحتها. قوله: **(بين السماء والأرض)** أشار بهذا إلى أن العطف مغاير، لأنه في حالة الطيران يكون بين السماء والأرض. قوله: ﴿قَدْ عَلِمَ﴾ **(الله)** ﴿صَلَاتَهُ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الضمير في علم على الله، ويصح عوده على كل، أي علم كل صلاة نفسه وتسبيحها. قوله: **(فيه تغليب العاقل)** أي حيث عبر بالفعل. قوله: **(خزائن المطر والرزق)** راجع للسماء، وقوله: **(والنبات)** راجع للأرض، وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف، والأصل ولله ملك خزائن السماوات والأرض، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره، وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له. قوله: ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مرجع الخلائق كلها إلى الله، فيجازى كل أحد بعمله.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبي ﷺ، لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به. قوله: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ أي بين أجزائه، لأن كل جزء سحاب، وبهذا اندفع ما قيل: إن بين لا تدخل إلا على متعدد، وإلى هذا يشير المفسر بقوله: **(يضم بعضه إلى بعض)** الخ، قوله: ﴿رُكَاماً﴾ الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض. قوله: ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي تبصره. بقوله: **(مخارجه)** أي ثقبه، فالسحاب غربال المطر، قال كعب: لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء، لأفسد ما يقع عليه من الأرض.

قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذي هو نفع للعباد، ينزل منها بعض الجبال التي هي البرد، وهو ضر للعباد، فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر. قوله: **(زائدة)** الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير، والثانية فيها ثلاثة أوجه: قيل زائدة، وقيل ابتدائية، وقيل تبعيضية، وهو الأحسن، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة، وقيل بيانية، وهو الأحسن، وحينئذ فيكون المعنى على ذلك، وينزل بعض جبال كائنة في السماء التي هي البرد، إنزالاً ناشئاً ومبتدأً من السماء. قوله: ﴿فِيهَا﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال. قوله: **(بدل بإعادة الجار)** هذا راجع لقوله: ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾، والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل، فيكون قولاً ثانياً، لأن هذا لا يتأتى على جعلها زائدة، بل على جعلها ابتدائية.

بَرَدٍ﴾ أي بعضه ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ﴾ يقرب ﴿سَنَا بَرۡقِهِۦ﴾ لمعانه ﴿يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ الناظرة له أي يخطفها ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ﴾ أي يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبۡرَةٗ﴾ دلالة ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ﴾ أي حيوان ﴿مِّن مَّآءٖۖ﴾ أي نطفة ﴿فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ﴾ كالبهائم والنعام ﴿يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿لَّقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖۚ﴾ أي بينات هي القرآن ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٦﴾﴾ أي دين الإسلام

قوله: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ﴾ أي بالبرد. قوله: ﴿سَنَا بَرْقِهِ﴾ هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء، وأما بالمد فمعناه الرفعة، وليس مراداً. قوله: (أي يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار للتعدية، والمعنى يذهبها بسرعة، لأن الضوء القوي يذهب الضعيف، ومن ذلك قول الفقهاء: إذا فعل رجل بآخر فعلاً أذهب بصره، وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره، فإنه يؤتى له بمرآة وتوضع في الشمس، ويجلس الشخص قبالتها، وتقلب المرآة يميناً وشمالاً، فإن ذلك يخطف بصره. قوله: (أي ويأتي بكل منها بدل الآخر) أي ويقصر هذا ويطول هذا، وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر.

قوله: ﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ جمع بصيرة، وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك، حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شيء واحد، فسبحان القادر على كل شيء. قوله: (على قدرة الله) متعلق بدلالة. قوله: (أي حيوان) أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة، ما دب على وجه الأرض، لا خصوص ذوات الأربع. قوله: (أي نطفة) هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية، وإلا فالملائكة خلقوا من النور، والجن خلقوا من النار، وآدم خلق من الطين، وعيسى خلق من النفس الذي نفخه جبريل في جيب أمه، والدود تخلق من الفاكهة والعفونات، وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد: أن الله خلق ماء، وجعل بعضه ريحاً ونوراً، فخلق منه الملائكة، وجعل بعضه ناراً فخلق منه الجن، وجعل بعضه طيناً فخلق منه آدم.

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ﴾ الضمير راجع لكل باعتبار معناه، وفيه تغليب العاقل على غيره، حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجميع. قوله: ﴿مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ قدمه لغرابته وسماه مشياً مشاكلة لما بعده، وإلا فهو زحف. قوله: (كالحيات والهوام) بالتشديد أي خشاش الأرض، وأدخلت الكاف الدود والسمك. قوله: (كالإنسان والطير) أي والنعام. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ أي ومنهم من يمشي على أكثر، كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين، وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله في قوله: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي مما ذكر ومما لم يذكر.

قوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أنزلنا، الخ، قوله: ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي المنافقون ﴿ ءَامَنَّا ﴾ صدقنا ﴿ بِٱللَّهِ ﴾ بتوحيده ﴿ وَبِٱلرَّسُولِ ﴾ محمد ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ هما فيما حكما به ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ ﴾ يعرض ﴿ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾ عنه ﴿ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ المعرضون ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم ﴿ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ المبلغ عنه ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ عن المجيء إليه ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ مسرعين طائعين ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ كفر ﴿ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ ﴾ أي شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ في الحكم أي فيظلموا فيه؟ لا ﴿ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٥٠﴾ بالإعراض عنه ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ بالقول اللائق بهم ﴿ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ بالإجابة ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾ حينئذ ﴿ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ الناجون ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ ﴾ يخافه ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ بالجنة ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ غايتها ﴿ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ﴾ بالجهاد

وعنايته، فلا يهتدي إلا من حفه الله بالعناية، فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ﴾ شروع في ذكر أحوال المنافقين. قوله: ﴿وَأَطَعْنَا﴾ قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول ﴿أَطَعْنَا﴾ محذوف.

قوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: (المبلغ عنه) جواب عما يقال: لم افرد الضمير في ﴿لِيَحْكُمَ﴾ مع أنه تقدمه اثنان؟ فأجاب: بأن الرسول هو المباشر للحكم، وإنما ذكر الله معه تفخيماً لشأنه وتعظيماً لقدرته. قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ ﴿إِذَا﴾ فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط. قوله: ﴿مُعْرِضُونَ﴾ أي إن كان الحكم عليهم بدليل ما بعده. قوله: (إليه) يصح أن يكون متعلقاً بيأتوا أو بمذعنين. قوله: ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة. قوله: ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ ﴿أَمْ﴾ بمعنى بل والهمزة، وكذا يقال فيما بعده، والاستفهام للتقرير. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي. والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله. قوله: (بالإعراض عنه) أي الحكم.

قوله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ العامة على نصب قول خبراً لكان، والاسم أن وما دخلت عليه، وقرىء شذوذاً برفعه على أنه اسمها، وأن وما دخلت عليه خبرها. قوله: (بالإجابة) أي قولاً وفعلاً. قوله: (حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول. قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ﴾ الخ، قال بعض الأحبار: هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى. قوله: (يخافه) هذا حل معنى، وإلا فكان حقه أن يقول يخفه. قوله: (وكسرها) أي بإشباع ودونه فهذه ثلاثة قراءات، وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة، وكلها سبعية. قوله: ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي الظافرون بمقصودهم، الناجون من كل مكروه.

قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ﴾ الضمير عائد على المنافقين، وهو معطوف على قوله: ﴿ويقولون آمنا بالله

﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾ لهم ﴿لَّا تُقْسِمُوا۟ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ للنبي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ﴿٥٤﴾ أي التبليغ البين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع

وبالرسول﴾. قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ﴿جَهْدَ﴾ منصوب على المفعولية المطلقة. والمعنى جهدوا اليمين جهداً، حذف الفعل واقيم المصدر مقامه، وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب، وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا، ولئن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا. قوله: ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ اللام موطئة للقسم، ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون، وأصله ليخرجونن، حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد، حذفت الواو لالتقائهما، وبقيت الضمة لتدل عليها. قوله: ﴿طَاعَةٌ﴾ مبتدأ، و ﴿مَّعْرُوفَةٌ﴾ صفته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: (خير من قسمكم) ويصح أن يكون ﴿طَاعَةٌ﴾ خبر المحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة، أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع، لا مجرد القول باللسان. قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ تعليل لما قبله، والمعنى لا تحلفوا باللسان، مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والإخلاص، فإن الله مطلع على بواطنكم وظواهركم، لا تخفى عليه خافية.

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه، وقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ علة لذلك المحذوف. قوله: ﴿مَا حُمِّلَ﴾ أي كلف. قوله: ﴿تَهْتَدُوا﴾ أي تصلوا للرشاد والفوز برضا الله، وهذا راجع لقوله: ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾، وقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ ٱلْمُبِينُ﴾ راجع لقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش. قوله: (أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداه، فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله.

قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ﴾ الخ، ﴿وَعَدَ﴾ فعل ماض، ولفظ الجلالة فاعله، والاسم الموصول مفعوله الأول، والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض، وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمناً يدل على هذا المحذوف. قوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ الخ، فإن اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم. قوله: ﴿مِنكُمْ﴾ الجار والمجرور حال ﴿مِن ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ والخطاب لعموم الأمة. قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي جميعها، وقد حصل ذلك. قوله: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾ ما مصدرية، والمعنى استخلافاً كاستخلاف الذين من قبلهم. قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ العائد محذوف أي ارتضاه لهم، والمعنى وليجعلن دينهم الذي رضيه لهم، ظاهراً وفائقاً على جميع الأديان. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بما ذكر) أي وهو ما تقدم

لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ﴾ من الكفار ﴿أَمۡنٗاۚ﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر وأثنى عليهم بقوله ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ أي رجاء الرحمة ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ﴾ بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعۡجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأۡوَىٰهُمُ﴾ مرجعهم ﴿ٱلنَّارُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿٥٧﴾ المرجع هي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي وقت الظهر ﴿وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ﴾

من الأمور الثلاثة. قوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أي يوحدونني. قوله: ﴿لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾ حال من فاعل ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ أو بدل مما قبله. قوله: (هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ما بالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهراً على جميع الأديان ويؤمنون، فقيل: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ الخ. قوله: ﴿بَعْدَ ذٰلِكَ﴾ (الأنعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله: ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وليس المراد به ما قابل الإيمان وإلا لقال الكافرون. قوله: (وأول من كفر به) أي بالأنعام. قوله: (قتلة عثمان) أي هم جماعة من الرعية أخذوه بغتة.

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾ معطوف على قوله: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: (بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان. قوله: (والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين، والاسم الموصول مفعول أول، ومعجزين مفعول ثان. قوله: (بأن يفوتونا) أي يفروا من عذابنا. قوله: ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ معطوف على جملة ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ﴾ أو على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم. قوله: (هي) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ اختلف في الأمر، فقيل للوجوب وقيل للندب، والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم. وسبب نزول هذه الآية: أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو، إلى عمر بن الخطاب ليدعوه، فدعاه فوجده نائماً وقد أغلق عليه الباب، فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل، فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء، فقال عمر: وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ فوجد هذه الآية قد نزلت، فخر ساجداً شكراً لله تعالى. قوله: (وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا بين العورة وغيرها. قوله: (في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿ثَلاَثَ مَرَّاتٍ﴾ منصوب على الظرفية.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلاَةِ الْفَجْرِ﴾ أي لأنه وقت القيام من النوم، ولبس ثياب اليقظة. قوله:

﴿ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ﴾ بالرفع خبر مبتدإ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه أي هي أوقات وبالنصب بتقدير أوقات منصوباً بدلاً من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي المماليك والصبيان ﴿جُنَاحُۢ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعۡدَهُنَّۚ﴾ أي بعد الأوقات الثلاثة هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم﴾ للخدمة ﴿بَعۡضُكُمۡ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ والجملة مؤكدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ﴾ أي الأحكام ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٞ﴾ ﴿٥٨﴾ بما دبره لهم، وآية الاستئذان قيل منسوخة وقيل لا، ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي الأحرار الكبار ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ

﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ﴾ أي التي تلبس في اليقظة، تضعونها لأجل القيلولة. قوله: ﴿مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ أي من أجل الظهيرة، وهي شدة الحر. قوله: ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ أي لأنه وقت التجرد من الثياب والنوم في الفراش. قوله: (**بالرفع**) أي وعليه فالوقف على قوله: ﴿الْعِشَاءِ﴾. قوله: (**أي هي أوقات**) الخ أي فالأصل أوقات ثلاث عورات، حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه. قوله: (**وبالنصب**) أي وعليه فالوقف على ﴿لَكُمْ﴾ والقراءتان سبعيتان. قوله: (**وهي لإلقاء الثياب**) مبتدأ، وقوله: (**تبدو فيها العورات**) خبره.

قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم. قوله: ﴿وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي في الدخول لعدم تكليفهم. قوله: (**هم**) ﴿طَوَّافُونَ﴾ خبر لمحذوف. قوله: ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله: ﴿بَعْضُكُمْ﴾ قدر المفسر بقوله: (**طائف**). قوله: (**والجملة مؤكدة لما قبلها**) وقيل ليست مؤكدة، لأن المعنى الأطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة، وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام، فلو كلفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيره، لضاق الأمر عليكم، فقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ فيه زيادة على ما قبله. قوله: (**وآية الاستئذان**) أي قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين﴾ الخ، قوله: (**قيل منسوخة**) أي لما روي: أن نفراً من العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد؟ فقال ابن عباس: **إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر**، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والحجب، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد. قوله: (**وقيل لا**) أي كما روي عن سعيد بن جبير حيث قال: يقولون نسخت، والله ما نسخت ولكن مما تهاون بها الناس. قوله: (**ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان**) أي لكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان في هذه الأوقات للصبيان والمماليك، ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة.

قوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ﴾ مقابل لقوله: ﴿والذين لم يبلغوا الحلم﴾. قوله: ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي الذين ذكروا في قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم﴾ الآية. قوله: ﴿آيَاتِهِ﴾ أي أحكامه. قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي بأمور الخلائق، فالذي ينبغي التخلق بأخلاق الشرع، ولا

﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكبرهن ﴿ٱلَّـٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا﴾ لذلك ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار ﴿غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ﴾ مظهرات ﴿بِزِينَةٖ﴾ خفية كقلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٞ﴾ (٦٠) بما في قلوبكم ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ﴾ في مؤاكلة مقابليهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ﴾ أي بيوت

يعول إنسان على ما يعلمه من صيانة حريمه، ويترك آداب الشرع. قوله: ﴿وَٱلۡقَوَاعِدُ﴾ جمع قاعد بغير تاء، كحائض وطامث، فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء، وكل وصف مخصوص بالنساء، فلا يحتاج لتمييز بتاء وهو مبتدأ، و﴿اللَّاتِي﴾ صفته، وقوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ﴾ خبره، وقرن بالفاء لعموم المبتدأ، فأن أل فيه اسم موصول، أو لكونه وصف بالاسم الموصول. قوله: (قعدن عن الحيض) أي انقطع حيضهن.

قوله: ﴿اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً﴾ أي لا يطمعن فيه، لموت شهوتهن عن الرجال. قوله: ﴿أَنْ يَضَعْنَ﴾ أي ينزعن. قوله: (من الجلباب) أي وهي الملحفة التي يغطى بها جميع البدن، كالملاءة والحبرة. قوله: (والقناع) أي الذي يلبس فوق الخمار، لستر الوجه والعنق. قوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ أي متزينات، فحيث وجد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة، وهو المفتى به عند مالك، وأحد قولين عند الشافعي. قوله: (بأن لا يضعنها) أي بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب. قوله: ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أي لما فيه من سد الذرائع، فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين، لأن كل ساقطة لها لاقطة.

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلأَعْمَى حَرَجٌ﴾ الخ، اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس: لما نزل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمي والعرج وقالوا: الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل، والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب، والأعرج لا يتمكن من الجلوس، ولا يستطيع المزاحمة على الطعام، والمريض يضعف عن التناول، ولا يستوفي حقه من الطعام، فنزلت هذه الآية، وعلى هذا فتكون ﴿عَلَى﴾ بمعنى في، أي ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج، وقيل سبب نزولها: أن هؤلاء الجماعة، كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء، خوف أن يستقذروهم، وعلى هذا فعلى على بابها، وقيل إن الآية نزلت في الجهاد، والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو، دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون: لا ندخلها وأصحابها غائبون، مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس، فنزلت الآية رخصة لهم، وكل صحيح. إذا علمت ذلك، فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة، وليس ذلك على العموم، فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره. قوله: (مقابليهم) أي السالمين من هذه الثلاثة.

أولادكم ﴿ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّـٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَـٰلَـٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ أي خزنتموه لغيركم ﴿ أَوْ صَدِيقِكُمْ ﴾ وهو من صدقكم في مودته، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا أي إذا علم رضاهم به ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا ﴾ مجتمعين ﴿ أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ متفرقين جمع شت نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ لكم

قوله: ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ معطوف على ﴿الأَعْمَى﴾ والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من بيوتكم. قوله: ﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بضم الباء وكسرها، قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي. قوله: (أي بيوت أولادكم) أي ذكوراً أو إناثاً، لأن بيوت الولد كبيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك لأبيك» وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه، وإن ولده من كسبه» والحامل للمفسر على هذا التقدير، عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه، وعدم ذكر الأولاد صراحة، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم.

قوله: ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ أي وإن علوا. قوله: ﴿إِخْوَانِكُمْ﴾ جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا، لأن المراد بهم أخوة النسب، وهم من شاركوك في رحم أو صلب. قوله: ﴿أَوْ بُيُوت أَخَوَاتِكُمْ﴾ جمع أخت أي مما تملكه، أو من ملك زوجها إن كان صديقاً له أو مأذونة فيه، وكذا يقال فيما يأتي. قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُمْ﴾ بالتخفيف، وقرىء شذوذاً بضم الميم وتشديد اللام مكسورة، أي ملككم غيركم. قوله: ﴿مَفَاتِحَهُ﴾ جمع مفتح بكسر الميم في قراءة العامة، وقرىء مفاتيحه بالياء، ومفتاحه بالإفراد. قوله: (أي خزنتموه لغيركم) أي حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس: عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه على ضيعته وماشيته، فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قوله: (وهو من صدقكم في مودته) أي من كان خالصاً لكم في المحبة. قوله: (من بيوت من ذكر) أي الأصناف الأحد عشر، وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم. قوله: (أي إذا علم رضاهم به) أي ولو بقرينة، وهذا أحد قولين للعلماء، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر، ولو لم يعلم رضاهم به، لأن القرابة التي بينهم تقتضي العطف والسماح. فإن قلت: على الأول حيث كان مشروطاً بعلم رضاهم، فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب. وأجيب: بأن هؤلاء يكفي فيهم أدنى قرينة، بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا، بخلاف غيرهم من الأجانب، فلا بد من علم الرضا بصريح الإذن أو قرينة. قوله: (مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿جَمِيعاً﴾ حال من فاعل ﴿تَأْكُلُوا﴾، وكذا قوله: ﴿أَشْتَاتاً﴾. قوله: (جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق. قوله: (نزل فيمن تحرج) أي فهو كلام مستأنف، بيان لحكم آخر، وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من كنانة، كان الرجل منهم لا يأكل، ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه، فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً، وقيل نزلت في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام، لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته.

قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً﴾ (لكم) أي مساكنكم. قوله: ﴿تَحِيَّةً﴾ منصوب على المصدر من معنى

لا أهل بها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ أي قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾ مصدر حيا ﴿مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ يثاب عليها ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ أي يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ لكي تفهموا ذلك ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ﴾ أي الرسول ﴿عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ

فسلموا، من باب جلست قعوداً وقمت وقوفاً. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ أي ثابتة بأمره. قوله: ﴿مُبَارَكَةً﴾ أي لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب. قوله: (ولكي تفهموا ذلك) أي معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد.

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، مدح المؤمنين الخالصين، والتعريض بذم المنافقين، و ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، و ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خبره. قوله: ﴿عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ إسناد الجمع للأمر مجاز عقلي، وحقه أن يسند للمؤمنين. قوله: (كخطبة الجمعة) أي والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة، وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر، لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي ﷺ بحيث يراه، فيعرف أنه إنما قام ليستأذن، فيأذن لمن يشاء منهم. قوله: ﴿حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ أي يطلبوا منه الإذن فيأذن لهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾ الخ، هذا توكيد لما تقدم، ذكر تفخيماً وتعظيماً للاستئذان. قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾ أي كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله، فأذن له النبي ﷺ وقال: ارجع فلست بمنافق، وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله ﷺ حين ماتت، والنبي ﷺ متجهز لغزوة بدر. قوله: ﴿فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله ﷺ، لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم، فإذا أذن لأحد، علم من ذلك أن رضا الله في إذنه، قال العارف:

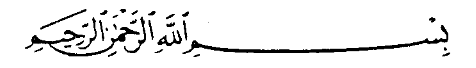
وخصك بالهدى في كل أمر ... فلست تشاء إلا ما يشاء

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ﴾ أي ليعوّضهم بدل ما فاتهم من مجالستك، من أجل العذر الذي نزل بهم. قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أي نداءه بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا: يا محمد، ولا بكنيته فتقولوا: يا أبا القاسم، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا: يا رسول الله، يا إمام المرسلين، يا رسول رب العالمين، يا خاتم النبيين، وغير ذلك، واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم، لا في حياته ولا بعد وفاته، فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة. قوله: (وخفض صوت) أي لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا

بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ بأن تقولوا يا محمد بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع وخفض صوت ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ أي يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، وقد للتحقيق ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ أي أمر الله أو رسوله ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ بلاء ﴿أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ في الآخرة ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ مَآ أَنتُمۡ﴾ أيها المكلفون ﴿عَلَيۡهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوۡمَ يُرۡجَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ فيه التفات عن الخطاب أي متى يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُواْۗ﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمُۢ ﴿٦٤﴾﴾.

أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا لـه بالقـول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعـمالكم وأنتم لا تشعرون) وهذه الآداب كما تكون في حق النبي، تكون في حق حملة شريعته، فينبغي لتلامذة الأشياخ، أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها، ليحصل لهم الفتوح والفلاح. قوله: ﴿الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ﴾ أي يذهبون واحداً بعد واحد، لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقي النبي المنبر، فإذا كثر الناس نظروا يميناً وشمالاً، ويخرجون واحداً بعد واحد، إلى أن يذهبوا جميعاً. قوله: ﴿لِوَاذاً﴾ حال من الواو في ﴿يَتَسَلَّلُونَ﴾ من التلاوذ، وهو الاستتار، بأن يغمز بعضهم بعضاً بالخروج.

قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِين يُخَالِفُونَ﴾ الخ، مرتب على ما قبله، وضمن ﴿يُخَالِفُونَ﴾ معنى يعرضون، فعداه بعن. قوله: ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر، أي إصابة فتنة. قوله: ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ﴾ ﴿أَوْ﴾ مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾ الخ كالدليل لما قبله. قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ﴿قَدْ﴾ للتحقيق، والمعنى أن الله يعلم الأمر الذي في قلوب المنافقين، من المخالفة والإعراض عن أوامر الله تعالى. قوله: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾ معطوف على ﴿مَا﴾ أي يردون إليه، وهو يوم البعث. قوله: ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي يخبرهم بأعـمالهم، فيثيبهم على الحسنـات، ويعاقبهم على السيئات.





مكيّة

إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني
وهي سبع وسبعون آية

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ تَبَارَكَ ﴾ تعالى ﴿ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾ القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ محمد ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي الإنس والجن دون الملائكة ﴿ نَذِيرًا ﴾ (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان مكية

إلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ إلى قوله ﴿رحيماً﴾ فمدني
وهي سبع وسبعون آية

سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل، لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته، ومكارم الأخلاق، وأحوال المعاد. قوله: (إلى قوله رحيماً) أي وهو ثلاث آيات. قوله: (تعالى) أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ما سواه، لأنه قديم، وما سواه حادث، أو معنى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم أي اتصف بكل كمال، ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى، فلا يقال تبارك النبي، ولا يقال تبارك السلطان مثلاً، وهو فعل ماض غير متصرف، فلا يأتي منه مضارع، ولا مصدر، ولا اسم فاعل. قوله: ﴿الْفُرْقَانَ﴾ من الفرق فعله فرق من باب قتل، وبها قرىء قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ وقرىء شذوذاً من باب ضرب، وهو بالتخفيف في المعاني، وبالتشديد في الاجسام، يقال فرقت بين الكلامين، وفرقت بين العبدين، والصحيح أنهما بمعنى واحد في المعاني والاجسام. قوله: (القرآن) أي ويسمى به البعض، كما يسمى به الكل، فالسورة الواحدة تسمى فرقاناً، والجميع يسمى فرقاناً، لأنه

مخوفاً من عذاب الله ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يخلق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ سوّاه تسوية ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ

معجز للبشر، وفارق بين الحق والباطل، كلاً أو بعضاً، ويصح أن يراد به جملة القرآن، ويكون نزل مستعملاً في حقيقته، بالنسبة لما نزل إذ ذاك، وبمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل. قوله: **(لأنه فرق بين الحق والباطل)** أي ميز بينهما، وقيل لأنه نزل مفرّقاً في أوقات كثيرة.

قوله: **﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾** إنما وصفه بهذا الوصف، لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها. قوله: **﴿لِيَكُونَ﴾** علة لقوله: **﴿نَزَّلَ﴾** والضمير عائد على النبي ﷺ، لأنه أكبر مذكور، ويصح أن يكون عائداً على الفرقان، أو المنزل، وهو الله تعالى، والأوضح الأول. قوله: **(دون الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الإنذار خاص بالإنس والجن، لأن الملائكة لا تجوز عليهم المعاصي والمخالفة لعصمتهم من ذلك، وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكليف بما يليق بهم على المعتمد. والحاصل: أن إرسال النبي ﷺ للثقلين إرسال تكليف، وكذا للملائكة، وأما للحيوانات التي لا تعقل والجمادات فإرسال تشريف. قوله: **﴿نَذِيراً﴾** أي وبشيراً، وإنما اقتصر على الإنذار، لأن السورة مكية، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير.

قوله: **﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** نعت للموصول الأول، أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف، أي هو الذي، أو منصوب على المدح، وما بعده من تمام الصلة، فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الموصول الأول والثاني، على جعله تابعاً له. قوله: **﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً﴾** رد على اليهود والنصارى. قوله: **﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾** ردعلى عباد الأصنام. قوله: **﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾** كالدليل لما قبله، لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولداً. قوله: **(من شأنه أن يخلق)** دفع بذلك مايقال: إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته. فأجاب: بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق، وهو المعدوم. قوله: **(سواه تسوية)** أي عدله تعديلاً، بأن جعله على شكل حسن، ودفع بذلك ما قيل: إن الآية فيها قلب، لأن الخلق متأخر عن التقدير، لأن التقدير أزلي، لأنه تعلق العلم والارادة الأزلي، والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزي الحادث، فأجاب: بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن، ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والإرادة، وهذا سر قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والإرادة أزلاً، فوجد على طبق ذلك، فإذا كان كذلك، كان التغيير لذلك مستحيلاً، لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلاً، وهو لا تتعلق به القدرة. إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد﴾ وقوله تعالى: ﴿إنا لقادرون على أن نبدل خيراً منهم وما نحن بمسبوقين) فإنه يقتضي أن في قدرة الله إذهاب هذا العالم والإتيان بغيره. أجيب: بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه. قوله: **(أي الكفار)** أي المعلومون من قوله: **﴿لِلْعَالَمِينَ﴾**.

قوله: **﴿آلِهَةً﴾** وصفهم بسبعة أوصاف، أولها قوله: **﴿لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً﴾** وآخرها قوله:

ضرٍ ﴾ أي دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي جره ﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً ﴾ أي إماتة لأحد وإحياء لأحد ﴿ وَلَا نُشُورًا ﴾ ﴿٣﴾ أي بعثاً للأموات ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ ﴾ أي ما القرآن ﴿ إِلَّآ إِفْكٌ ﴾ كذب ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ ﴿٤﴾ كفراً وكذباً أي بهما ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضاً هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك القوم فغيره ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ﴾ تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥﴾ غدوة وعشياً، قال تعالى رداً عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿ رَّحِيمًا ﴾ ﴿٦﴾ بهم ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ ﴿٧﴾ يصدقه ﴿ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ ﴾ من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ أي من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة نأكل بالنون أي نحن فيكون له مزية

﴿نُشُوراً﴾. قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها. قوله: ﴿لِأَنْفُسِهِمْ﴾ أي فضلاً عن غيرهم. قوله: ﴿ضَرّاً﴾ قدمه لأن دفعه أهم، وقدم الموت لمناسبة الضر.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن، إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى: قوله: ﴿ٱفْتَرَاهُ﴾ أي اختلقه. قوله: (وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا: إنهم يأتون له بالأخبار الماضية، وهو يعبر عنها بعبارات من عنده، فهذا معنى إعانتهم له. قوله: (قال تعالى) أي رداً لمقالتهم. قوله: (كفر وكذباً) لف ونشر مرتب. قوله: (أي بهما) أشار بذلك إلى أن ﴿ظُلْماً وَزُوراً﴾ منصوبان بنزع الخافض، ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ (أيضاً) أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خبر لمحذوف قدره بقوله هو. قوله: ﴿ٱكْتَتَبَهَا﴾ أي أمر بكتبها، لأنهم يعلمون أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. قوله: (من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم. قوله: (تقرأ) ﴿عَلَيْهِ﴾ أي فليس المراد بالإملاء الإلقاء على الكاتب ليكتبه. قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ المراد دائماً أبداً. قوله: (رداً عليهم) أي مقالتهم الشنيعة. قوله: (الغيب) أي ما غاب عنا. قوله: (للمؤمنين) كذا قال المفسر، ويصح أن يكون المراد الكفار، فيكون تعليلاً لمحذوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ، وقوله: ﴿كَانَ﴾ أي ولم يزل.

قوله: ﴿وَقَالُوا مَالِ هٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾ الخ، شروع في بعض قبائحهم التي قالوها في حق الرسول عليه السلام، والمعنى أي شيء حصل لهذا الذي يدعي الرسالة، حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في الأسواق لطلب الرزق كما نفعل؟ فتسميتهم إياه رسولاً بطريق الاستهزاء به. قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية. قوله: ﴿فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾ بالنصب في قراءة العامة على جواب التحضيض، وقرىء شذوذاً بالرفع عطفاً على ﴿أُنْزِلَ﴾. قوله: (يصدقه) أي يشهد له بالرسالة والصدق. قوله: ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بالتاء في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالياء، لأن تأنيث الجنة مجازي.

علينا بها ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الكافرون للمؤمنين ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝٨﴾ مخدوعاً مغلوباً على عقله، قال تعالى ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفه وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا۟﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝٩﴾ طريقاً إليه ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير الله ﴿ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَل﴾ بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورًۢا ۝١٠﴾ أيضاً، وفي قراءة بالرفع استئنافاً ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١﴾ (١) ناراً مسعرة أي مشتدة ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ

قوله: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ إظهار في موضع الإضمار، للإشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا: قوله: (مخدوعاً مغلوباً على عقله) أي فالمراد بالسحر الاختلال في العقل، من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم. قوله: ﴿ٱنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ على سبيل الاستفهام التعجبي، أي تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التي كانت سبباً في ضلالهم. قوله: ﴿فَضَلُّوا﴾ (بذلك) أي ضرب الأمثال. قوله: (عن الهدى) أي الحق. قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ أي لا يقدرون على الوصول إلى الهدى، لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفي كل نقص، وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه، فلما كان ما تقدم من مقام تنزيه فسره بتعالى، ولما كان ما هنا مقام إعطاء، فسره بتكاثر خيره، ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء، فسره بتعاظم، وهكذا يقال في كل مقام. قوله: ﴿خَيْراً مِنْ ذٰلِكَ﴾ أي مما اقترحوا بأن يعجل لك أعظم من ذلك في الدنيا.

قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ بدل من ﴿خَيْراً﴾. قوله: (لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله: (أي في الدنيا) والمعنى تكاثر خير الله الذي إن شاء جعل لك خيراً مما تمنوه لك في الدنيا وإنما لم تتعلق إرادة الله به لكونه فانياً، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه، لأن الدنيا دار ممر لا مقر، حلالها حساب، وحرامها عقاب، وحاشاه سبحانه وتعالى، أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب. قوله: (بالجزم) أي عطفاً على محل ﴿جَعَلَ﴾ لأنه جواب الشرط، والمعطوف على الجواب جواب. قوله: (بالرفع استئنافاً) أي أو معطوف على جواب الشرط، بناء على أنه غير مجزوم لقول مالك:
وبعد ماض رفعك الجزم حسن. وإنما لم يجزم لضعف تأثير إن في الشرط، لكونه ماضياً فارتفع، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم، إلى بيان ما هم في الآخرة من أنواع العذاب. قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ أي هيأنا وأحضرنا، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن، كما أن الجنة كذلك، لقوله تعالى: ﴿أعدت للمتقين﴾. قوله: (ناراً مسعرة) بالتشديد والتخفيف.

قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ﴾ أي حقيقة بعينها لما في الحديث: «من كذب علي متعمداً، فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً، قيل يا رسول الله أولها عينان؟ قال أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ

﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ غلياناً كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليه ومنها حال مكاناً لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ هلاكاً فيقال لهم ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ كعذابكم ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالى ﴿جَزَآءً﴾ ثواباً ﴿وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ مرجعاً ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وعدهم ما ذكر ﴿عَلَىٰ

بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾ يخرج عنق من النار له عينان يبصران، ولسان ينطق فيقول: «وكلت بمن جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر به من الطير يحب السمسم فيلتقطه» وفي رواية: «يخرج عنق من النار يوم القيامة، له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق يقول: إني وكلت بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين». وهذا مذهب أهل السنة، وقالت المعتزلة: الكلام على حذف مضاف، أي رأت زبانيتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة. قوله: ﴿مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ قبل مسيرة سنة، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: (**أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه**) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته، بل المراد منه الرؤية والعلم. وأجيب أيضاً: بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان، وقد أفاده أولاً، فتحصل أن المفسر أجاب بجوابين.

قوله: ﴿**وَإِذَا أُلْقُوا**﴾ أي طرحوا. قوله: ﴿**مَكَاناً**﴾ منصوب على الظرفية أي في مكان. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**بأن يضيق عليهم**) أي كضيق الحائط على الوتد الذي يدق فيه بعنف. قوله: (**لأنه في الأصل صفة له**) أي وهو نكرة، ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالاً، كقول الشاعر:

لمية موحشاً طلل

والأصل لمية طلل موحش.

قوله: ﴿**مُقَرَّنِينَ**﴾ حال من الواو في ﴿**أُلْقُوا**﴾ والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل. قوله: (**مصفدين**) من التصفيد وهو الشد والإيثاق بالقيود. قوله: ﴿**دَعَوْا هُنَالِكَ**﴾ أي في ذلك المكان. قوله: ﴿**ثُبُوراً**﴾ أي فيقولون: يا ثبوراه، هذا أوانك فاحضر، لأنه أخف مما هم فيه. قوله: (**فيقال لهم**) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم. قوله: ﴿**ثُبُوراً وَاحِداً**﴾ أي مرة واحدة. قوله: (**كعذابكم**) تشبيه في الكثرة، وفي نسخة باللام، أي لأجل دوام عذابكم وكثرته، فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك. قوله: ﴿**قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، وإلا فليس في النار خير. قوله: (**في علمه تعالى**) جواب عما يقال: إنها لم تكن جزاء ومصيراً الآن، فأجاب: بأن المعنى قد سبق علم الله، بأنها تكون لهم جزاء ومصيراً. قوله: (مرجعاً) أي مستقراً.

رَبِّكَ وَعۡدٗا مَّسۡـُٔولٗا ﴾ ﴿١٦﴾ يسأله من وعد به ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، أو تسأله لهم الملائكة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ﴾ بالنون والتحتانية﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن﴿فَيَقُولُ﴾ تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتاً للحجة على العابدين﴿ءَأَنتُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾ ﴿١٧﴾ الحق بأنفسهم ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي ﴾ يستقيم ﴿ لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ ﴾ أي غيرك ﴿ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ مفعول أول، ومن

قوله: ﴿لَهُم فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾ أي من النعم اللائقة بهم، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم، فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه، ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه، ولا يخطر بباله سؤاله، وبهذا اندفع ما قيل: إن مقتضى الآية، أن الإنسان يتمنى مراتب الأنبياء في الجنة ويعطاها. قوله: (حال) أي من الهاء في لهم، أو من الواو في ﴿يَشَاءُونَ﴾. قوله: ﴿كَانَ﴾ (وعدهم ما ذكر) أشار بذلك إلى أن اسم ﴿كَانَ﴾ يعود على الوعد المفهوم من قوله: ﴿وَعَدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾. قوله: (ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم وقوله: (ربنا وأدخلهم) أي كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين.

قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ ظرف مفعول لمحذوف تقديره اذكر، والضمير في نحشرهم للعابدين لغير الله. قوله: (بالنون) أي مع النون في نقول أو الياء، وقوله: (والتحتانية) أي مع التحتانية في يقول، فالقراءات ثلاث سبعيات، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع. قوله: ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ معطوف على مفعول ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾، وأوقع ﴿مَا﴾ على العقلاء وهو قليل، وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل، ويصح أن يراد من ﴿مَا﴾ العاقل وغيره كالأصنام، وغلب غير العاقل على العقال لكثرته. قوله: (إثباتاً للحجة على العابدين) أي وتبكيتاً لهم، وهو جواب عما يقال: إن الله عالم في الأزل بما ذكر، فما فائدة هذا السؤال. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال واحدة، فتكون خمساً، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية، إن قلت على قراءة الإبدال، يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع. أجيب: بأن محل منعه ما لم يكن مسموعاً، وهذا مسموع من رسول الله ﷺ. قوله: ﴿هٰؤُلَاءِ﴾ نعت لعبادي، أو عطف بيان أو بدل منه.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي المعبودين، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا في الجواب. قوله: ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ أي أتباعاً يعبدوننا، ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون أي معبودون لنا، لأن الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع، كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني، إذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء، بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله، وأما بمعنى من تولوا خدمة الله، أو من تولاهم الله، فلم يكلهم لغيره، فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم. قوله: (مفعول أول) أي لنتخذ قوله: (وما قبله) أي وهو قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾. قوله: (فكيف نأمر بعبادتنا) أي بعبادتهم إيانا، فنحن لم نضلهم.

زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ ﴿١٨﴾ هلكى، قال تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم ﴾ أي كذب المعبودون العابدين ﴿ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ بالفوقانية أنهم آلهة ﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ ﴾ بالتحتانية والفوقانية أي لا هم ولا أنتم ﴿ صَرْفًا ﴾ دفعاً للعذاب ﴿ وَلَا نَصْرًا ﴾ منعاً لكم منه ﴿ وَمَن يَظْلِم ﴾ يشرك ﴿ مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ ﴿١٩﴾ شديداً في الآخرة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ فأنت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ﴾ بلية ابتلي الغني بالفقير

قوله: ﴿وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ﴾ الخ، استدراك لرفع ما يتوهم ثبوته، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة، فجعلوا ذلك سبباً للضلال، وليس لنا مدخل في ذلك، وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة. قوله: (تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكر في آياتك، فالنسيان معناه الترك. قوله: ﴿بُوراً﴾ يحتمل أنه جمع بائراً، ومصدر من البوار وهو الهلاك. قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ﴾ خطاب للعابدين فالواو واقعة على المعبودين، والكاف على العابدين، وقوله: ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾ أي فيما تقولون، وقوله: (بالفوقانية) أي باتفاق العشرة، وقوله: (إنهم آلهة) مقول القول. قوله: (أي لا هم) راجع للتحتانية، وقوله: (ولا أنتم) راجع للفوقانية.

قوله: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي أيها المكلفون من العابدين والمعبودين، فظلم العابد بعبادته غير الله، وظلم المعبود برضاه بذلك. قوله: ﴿نُذِقْهُ﴾ بنون العظمة في قراءة العامة. قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ الخ، المقصود من هذه الآية، تسليته للنبي ﷺ والرد على المشركين حيث قالوا: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾ الخ. قوله: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ الجملة حالية، وإن مكسورة باتفاق القراء، واللام للابتداء زحلقت للخبر. والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين في حال من الأحوال، إلا في حالة أكلهم الطعام، ومشيهم في الأسواق، أي فهذه عادتهم ودأبهم، فإن هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان، فجعل بعض العبيد فتنة لبعض، ليظهر الصابر من غيره. قوله: (ابتلي الغني بالفقير) الخ، فالغني ممتحن بالفقير يحسده، والفقير ممتحن بالغني يسخر به ويحتقره، والصحيح ممتحن بالمريض. يقول: لم لم نعاف، ونصير مثل هذا، والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه ويغتر بصحته، والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء، ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا، والمخلص من ذلك الصبر على أحكام الله والرضا بها، لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه، ولا ينظر إلى من هو فوقه، لئلا يزدري نعمة الله عليه، وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه، ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم، ومن هنا ينبغي صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم. قوله: (يقول الثاني) أي الفقير والمريض والوضيع، وقوله: (في كل) أي من الأقسام الثلاثة، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى، والصبر أن يحبس كل

والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثاني في كل ما لي لا أكون كالأول في كل ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر أي اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ بمن يصبر وبمن يجزع ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال تعالى ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتياً بالإبدال في مريم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلائق يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي الكافرين

منها نفسه، هذا عن البطر، وهذا عن الضجر، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ويل للعالم من الجاهل، وويل للجاهل من العالم، وويل للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد، وويل للسلطان من الرعية، وويل للرعية من السلطان، بعضكم لبعض فتنة»، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾. قوله: (استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته، أي لينظر أيحصل منكم صبر أم لا، فيجازيكم على ذلك.

قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾ في ذلك تأنيس للعبد، أي إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع، فلا تنبغي الشكوى للخلق، ولا إظهار ما في القلوب، بل إن وجد الشخص في نفسه صبراً فليشكر الله، وإن وجد غير ذلك، فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة. قوله: (لا يخافون البعث) أي لأنهم منكرون له. فهم يزعمون أنهم آمنون منه. قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن ﴿لَوْلَا﴾ تحضيضية. قوله: (فكانوا رسلاً الينا) أي بالشرائع ونحوها بدل محمد.

قوله: ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ أي يكشف الحجاب لنا فنراه عياناً. قوله: (فنخبر) بالبناء للمفعول أي يخبرنا هو بأن محمداً رسوله. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم مقالتهم. قوله: (تكبروا) أي حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر، بل طمعوا أن يكون من الملائكة. قوله: ﴿فِي﴾ (شأن) ﴿أَنْفُسِهِمْ﴾ أي أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر قام بها. قوله: (بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتواً والباء للسببية، ولم يذكر متعلق ﴿اسْتَكْبَرُوا﴾ وقد علمته، وفي الآية لف ونشر مرتب، فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة، والعتق راجع لطلبهم رؤية الله. قوله: (على أصله) أي من غير إبدال. قوله: (بالإبدال في مريم) أي لمناسبة رؤوس الآي ، وأصله عتووا، كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء، ثم اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء.

قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ أي المتولين عذابهم. قوله: ﴿لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ﴾ هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة، تقديره قائلين لهم لا بشرى. قوله: (فلهم البشرى بالجنة) أي لقوله تعالى: ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾. قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معطوف على ﴿يَرَوْنَ﴾ فالضمير للكفار. قوله: ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾ العامة على كسر الحاء، وقرىء شذوذاً بفتحها وضمها.

بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ ﴿٢٢﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة، قال تعالى ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ عمدنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا﴿ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ ﴿٢٣﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿٢٤﴾ منهم أي موضع قائلة فيها وهي الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي كل سماء ﴿بِٱلْغَمَـٰمِ﴾ أي معه، وهو غيم أبيض ﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ من كل سماء

قوله: **(يستعيذون من الملائكة)** أي يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة. قوله: **(عمدنا)** أي تعلقت إرادتنا، ودفع بذلك ما قيل إن القدوم من صفات الحوادث، وهو محال على الله تعالى، ففسره بلازمه وهو القصد، والمراد من القصد في حقه تعالى، تعلق إرادته بالشيء. قوله: **(وقرى ضيف)** بكسر القاف مع القصر، أو فتحها مع المد، ومعناه الإحسان اليه. قوله: **(في الدنيا)** متعلق بعملوا. قوله: **(في الكوى)** جمع كوة وهي الطاقة في الحائط، بفتح الكاف وضمها. قوله: **(لعدم شرطه)** أي وهو الإيمان. قوله: **(ويجازون عليه في الدنيا)** أي بإعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا، فأعمال الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نية، يعطى جزاءها في الدنيا، وأما ما تتوقف على نية، فلا يجد لها جزاء أصلاً لعدم صحتها.

قوله: **﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ (من الكافرين)** أي أن مستقر المؤمنين في الجنة، خير من مستقر الكافرين في الدنيا، فأفعل التفضيل على بابه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(في الدنيا)** فهو جواب عما يقال: إن مستقر أهل النار لا خير فيه، ويصح أن يراد استقرار كل في الآخرة، والتفضيل ليس مراداً، بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار. قوله: **(من ذلك)** أي من قوله: **﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾** قوله: **(كما ورد في الحديث)** قال ابن مسعود: لا ينتصف النهار يوم القيامة، حتى يقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، والقيلولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم، لأن الله تعالى قال: **﴿وَاحْسَنُ مَقِيلًا﴾** والجنة لا نوم فيها، ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين، حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس.

قوله: **﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾** ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر. قوله: **(أي كل سماء)** أشار إلى أن أل في السماء استغراقية. قوله: **(أي معه)** أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع، ويصح أن تكون للسببية أو للملابسة، أو بمعنى عن. قوله: **(وهو غيم أبيض)** أي سحاب فوق السماوات السبع، ثخنه كثخن السماوات السبع، وثقله كثقلها، فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله، وهكذا حتى ينزل إلى الأرض، وفيه ملائكة كل سماء، فينزل أولاً ملائكة سماء الدنيا، وهم مثل الأرض عشر مرات، ثم ملائكة السماء الثانية، وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا، وإذ نزل ملائكة السماء الدنيا، اصطفوا حول العالم المجموع في الحشر صفاً، وإذا نزل ملائكة السماء الثانية، اصطفوا خلف هذا الصف

﴿تَنزِيلًا ۝٢٥﴾ هو يوم القيامة، ونصبه باذكر مقدراً، وفي قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية في الأصل، وفي أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ بخلاف المؤمنين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك عقبة بن أبي معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي ابن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَٰ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ

صفاً آخر، وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة، كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار، ويطردون عنهم النار، وتقدم بسط ذلك في سورة إبراهيم عند قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الخ. قوله: **(ونصبه باذكر مقدرا)** أي وهو معطوف على ﴿يوم يرون الملائكة﴾ وكذا قوله: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾**. قوله: **(في الأصل)** أي قبل قلبها شيناً وتسكينها وإدغامها في الشين. قوله: **(وفي أخرى وننزل بنونين)** الخ، هذه القراءة إنما تأتي عند تشديد الشين، فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات، فعند تشديد الشين يجوز في ننزل القراءتان، وعند التخفيف يجوز في ننزل قراءة واحدة، وهي كونه ماضياً مبنياً للمفعول، خلافاً لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات.

قوله: **﴿الْمُلْكُ﴾** مبتدأ، و **﴿يَوْمَئِذٍ﴾** ظرف له، و **﴿الْحَقُّ﴾** نعت له، و **﴿لِلرَّحْمٰنِ﴾** خبره. والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده، وحكمة التقييد بهذا اليوم، وإن كان الملك لله في كل زمن؛ أن ثبوت الملك له خاصة في ذلك اليوم، فليس لأحد ملك ظاهر أبداً، وأما فيما عداه من أيام الدنيا، فيكون للخلق تصرف صوري، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(لا يشركه فيه أحد)**. قوله: **(بخلاف المؤمنين)** أي فليس عليهم عسيراً لما ورد: أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة.

قوله: **﴿وَيَوْمَ﴾** منصوب باذكر، أو معطوف على ﴿يوم يرون﴾ كما تقدم. قوله: **﴿يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾** هو من باب تعب ونفع. والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه، قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتت يداه يأكلهما. قوله: **(عقبة بن أبي معيط)** أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت في ظالم خاص، ويقاس عليه كل ظالم، وهو أحد قولين، وقيل نزلت في الظالمين عموماً. قوله: **(كان نطق بالشهادتين)** الخ، وذلك أنه صنع طعاماً ودعا الناس اليه، ودعا رسول الله ﷺ، فلما قدم الطعام قال رسول الله ﷺ: ما أنا بآكل طعامك، حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، ففعل، فأكل رسول الله من طعامه، وكان عقبة صديقاً لأبي ابن خلف، فلما أخبر بذلك قال له: يا عقبة صبأت؟ قال: لا، ولكن دخل علي رجل، فأبى أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم، فقال: ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل عقبة، فعاد بزاقه على وجهه فحرقه، فقال رسول الله ﷺ: لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر، فأمر علياً فقتله، وطعن النبي أبياً بأحد في المبارز، فرجع إلى مكة ومات، وحكم الآية عام في كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روي: «يحشر المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل».

﴿ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا ۝٢٧﴾ طريقاً إلى الهدى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة أي ويلتي ومعناه هلكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي أبياً ﴿خَلِيلًا ۝٢٨﴾ ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ بأن ردني عن الإيمان به قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾ الكافر ﴿خَذُولًا ۝٢٩﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾ قريشاً ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ متروكاً قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا ۝٣١﴾ ناصراً لك على أعدائك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾ هلا ﴿نزل عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالى نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي متفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ

قوله: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَعَضُّ﴾. قوله: **(للتنبيه)** أي وليست للنداء، لأن المنادى شرطه أن يكون اسماً، وليت حرف تمن أو للنداء، والمنادى محذوف أي يا قوم. قوله: **(عوض عن ياء الاضافة)** أي وأصله ويلتي بكسر التاء وفتح الياء، فتحت التاء فتحركت، وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فيقال في إعرابه ويلتا مضاف، والألف مضاف اليه في محل جر، وليس لنا ألف في محل جر، إلا ما كانت عوضاً عن ياء المتكلم. قوله: ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً﴾ فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور، وفلانة عن علم من يعقل من الإناث. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّنِي﴾ علة لتمنيه، وأكده باللام القسمية، إظهاراً لندمه وتحسره. قوله: **(أي القرآن)** أي وقيل كلمة الشهادة. قوله: **(قال تعالى)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ الخ، جملة مستأنفة من كلامه تعالى، وكلام الظالم تم عند قوله: ﴿جَاءَنِي﴾. قوله: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ﴾ أي هو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والإنس. قوله: **(بأن يتركه)** أي يترك نصره.

قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ عطف على قوله: (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه، وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الأهوال، وهذا القول قيل صدر منه في الدنيا، وعليه يحمل قول المفسر **(فاصبر كما صبروا)** وقيل سيقع منه في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقاً. قوله: ﴿مَهْجُوراً﴾ أي فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به، لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه، وإن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد: «من تعلم القرآن وعلق مصحفه، لم يتعاهده ولم ينظر فيه، جاء يوم القيامة متعلقاً به يقول: يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً، اقض بيني وبينه».

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا﴾ الخ، شروع في تسليته ﷺ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك، جعلنا لكل نبي عدواً. قوله: ﴿بِرَبِّكَ﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: ﴿هَادِياً﴾ أي موصلاً لك إلى الطريق القويم. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، حكاية عن بعض قبائح كفار مكة، وشبههم التي تتعلق بالقرآن، ولما كانت تلك الشبهة، ربما تدخل على بعض الضعفاء، اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها. قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنُ﴾ ﴿نُزِّلَ﴾ بمعنى أنزل، لأن نزل بالتشديد معناه الإنزال

بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾ أي أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ بياناً هم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة

مفرقاً، وأنزل معناه الإنزال جملة، فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه. قوله: ﴿جُمْلَةً﴾ يؤيده قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في لية القدر﴾ حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا، لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لتلك الشبهة بأمور ثلاثة، مقتضياً لنزوله مفرقاً، الأول تثبيت فؤاده ﷺ، الثاني ترتيله ليسهل حفظه، الثالث قوله: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً**﴾. قوله: **(نزلناه)** ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**كَذٰلِكَ**﴾ نعت لمصدر محذوف، والمعنى نزلناه تنزيلاً مثل ذلك التنزيل.

قوله: ﴿**لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ علة للمحذوف الذي قدره المفسر، والمعنى أنزلناه مفرقاً ليتقوى قلبك على تلقيه، فلا يحصل لك منه ثقل، لأن القرآن في نفسه ثقيل، سيما على من لم يقرأ ولم يكتب، قال تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ ولذلك لما نزل عليه ﷺ **(اقرأ)** فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي، فإن الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت.

قوله: ﴿**وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ أي فرقناه آية بعد آية، وشيئاً بعد شيء، في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة. قوله: **(لتيسر فهمه وحفظه)** أي لك ولأمتك عن ظهر قلب، وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم، ولذا ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم» ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال، ليثبت في قلوبهم، واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه، فإن الطفل إذا رأى السورة قصيرة، قوي على حفظها ونشط لما بعدها. قوله: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ**﴾ أي سؤال عجيب، يريدون به القدح في نبوتك.

قوله: ﴿**إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ**﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل: لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال، إلا في حال إتياننا اليك بالحق، وبما هو أحسن بياناً له، والمعنى كلما أوردوا شبهة، أو أتوا بسؤال عجيب، أجبنا عنه بجواب حسن، يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه، فلو نزل القرآن جملة، لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة، كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسأل عنها، فيكون الأمر موكولاً له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولاً إلى الله، كان أتم مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمع للمعاندين. قوله: ﴿**وَأَحْسَنَ**﴾ معطوف على الحق، فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل. قوله: ﴿**الَّذِينَ يُحْشَرُونَ**﴾ خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هم)**. قوله: **(أي يساقون)** أي يسحبون مقلوبين يطؤون الأرض برؤوسهم ووجوههم، وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى. قوله: **(من غيرهم)** متعلق بكل من ﴿**شَرٌّ**﴾ و ﴿**أَضَلُّ**﴾، والمراد بغيرهم باقي الكفار، والمعنى أن من عانده ﷺ، فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة. قوله: **(وهو كفرهم)** الضمير عائد على السبيل.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ**﴾ شروع في تسليته ﷺ على مكائد قومه، بذكر بعض قصص

﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ ﴿٣٥﴾ معيناً ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي القبط فرعون وقومه، فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ ﴿٣٦﴾ أهلكناهم إهلاكاً ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب لما ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾ عبرة ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٣٧﴾ مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَا﴾ قوم صالح ﴿وَأَصْحَابَ الرَّسِّ﴾ اسم بئر ونبيهم قيل شعب وقيل غيره كانوا قعوداً حولها فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًا﴾

الأنبياء على سبيل الإجمال، والمعنى لا تحزن يا محمد، فإن من خالفك وعاندك، يحل به الدمار، كما حل بالمخالف من الأمم المتقدمة. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ﴾ معطوف على ﴿آيَاتِنَا﴾ والواو لا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً، فإن إتيان موسى التوراة، كان بعد رسالة هارون، وهلاك فرعون وقومه، ويمكن أن يجاب عن الآية، بأن المراد بقوله: ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ قدرنا له أن يأتيه في علمنا، فهو إخبار عما سيحصل، فالماضي بالنسبة لما سبق في علم الله. قوله: ﴿أَخَاهُ﴾ مفعول أول لجعلنا، و ﴿هَارُونَ﴾ بدل منه، و ﴿وَزِيراً﴾ مفعول ثان لجعلنا هارون معيناً لموسى، بوحي مثاله في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة، فهو نبي ورسول بما جاء به موسى، بخلاف وزارة علي للنبي ﷺ المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» فالمراد منها مطلق الإعانة لا المشاركة في الاتصاف بالرسالة، فإن من أثبتها لعلي فقد كفر. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي أدلة توحيدنا لا خصوص التسع.

قوله: ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: (فذهبا) الخ. قوله: ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ ﴿لَمَّا﴾ شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ كما قال المفسر. قوله: (لطول لبثه) دفع بذلك ما يقال: لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح؟ فأجاب بجوابين: الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه، فكأنه رسل متعددة. الثاني أن من كذب رسولاً، فقد كذب بالرسل. قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي جعلنا هلاكهم وما وقع منهم. قوله: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، تسجيلاً عليهم بوصف الظلم. قوله: (سوى ما يحل) أي ينزل بهم، وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها، بخلاف سائر معانيه، فهو بالكسر لا غير.

قوله: ﴿وَثَمُوداً﴾ بالصرف على معنى الحي، وتركه على معنى القبيلة، قراءتان سبعيتان. قوله: (اسم بئر) اختلف هل هي اسم البئر التي لم تطو، أو للبئر مطلقاً، وما قاله المفسر أحد أقوال في الرس، وقيل هو قرية باليمن، كان فيها بقايا ثمود، فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا، وقيل الأخدود، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون، فسموه العنقاء لطول عنقها، وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. قوله: (وقيل غيره) أي وهو حنظلة. قوله: (فانهارت) أي انخسفت بهم.

أقواماً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ ﴿٣٨﴾ أي بين عاد وأصحاب الرس ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ في إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ ﴿٣٩﴾ أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءهم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا ﴾ أي مرَّ كفار مكة ﴿عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ﴾ مصدر ساء أي بالحجارة وهي عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ ﴾ يخافون ﴿نُشُورًا ﴾ ﴿٤٠﴾ بعثاً فلا يؤمنون ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ مهزوءاً به يقولون ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ﴿٤١﴾ في دعواه محتقرين له عن الرسالة ﴿إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال تعالى ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ ﴾ عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ﴿٤٢﴾ أخطأ طريقاً أهم أم

قوله: ﴿وَكُلًّا﴾ منصوب بفعل محذوف يلاقي ﴿ضَرَبْنَا﴾ في معناه، تقديره وخوفنا كلًّا ضربنا له الأمثال، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا ﴿فَتَبَّرْنَاهُمْ تَتْبِيراً﴾ أي فتتناهم تفتيتاً فجعلناهم كالتبر، وهو قطع الذهب والفضة المفتتة. قوله: (مروا) أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا، فعدي بعلى، وإلا فأتى يتعدى بنفسه أو بإلى، والمعنى: مروا في أسفارهم إلى الشام. قوله: **(مصدر ساء)** أي بحسب الأصل، والمراد في الآية بالمطر السوء الرمي بالحجارة. قوله: **(وهي عظمى قرى قوم لوط)** أي واسمها سدوم، وتقدم أن القرى خمسة، وقيل إن أل في القرية للجنس فيشمل جميعها، لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها، وقيل نجت منها واحدة كانت لا تعمل الخبائث. قوله: ﴿يَرَوْنَهَا﴾ أي يرون آثارها. قوله: **(والاستفهام للتقرير)** أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه.

قوله: ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُوراً﴾ أي كانوا كفاراً لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبة، فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه. قوله: ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾. قوله: ﴿إِلَّا هُزُواً﴾ مفعول ثان ليتخذون، وقوله: **(مهزوءاً به)** أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول، لأن المفعول الثاني في الأصل خبر، والمصدر لا يصح الإخبار به إلا بتأويل. قوله: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ الخ الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر. قوله: **(في دعواه)** ﴿رَسُولاً﴾ قدر ذلك دفعاً لما يقال هم لا يعترفون برسالته، فكيف يقولون ما ذكر؟ قوله: ﴿لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ أي بكثرة الأدلة والمعجزات. قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ أي ثبتنا واستمسكنا بعبادتها. قوله: **(قال تعالى)** أي رداً لقولهم: ﴿إِنْ كَانَ لَيُضِلُّنَا﴾. قوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ ﴿مَنْ﴾ اسم استفهام مبتدأ، و﴿أَضَلُّ﴾ خبره، و﴿سَبِيلاً﴾ تمييز، وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله: **(أهم أم المؤمنون)**. قوله: **(قدم المفعول الثاني)** أي وقيل: لا تقديم ولا تأخير، لاستوائهما في التعريف. قوله: **(وجملة من)** الخ، أي بحسب الصورة، وإلا فهي وصلتها في قوة المفرد. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل، والهمزة والاستفهام فيها إنكاري. قوله: ﴿أَنَّ

المؤمنون ﴿أَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم، وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت، والثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾ أخطأ طريقاً منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ من وقت الأسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ مقيماً لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي الظل ﴿دَلِيلًا﴾ ﴿٤٥﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ أي

﴿أَكْثَرَهُمْ﴾ استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن. قوله: **﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ﴾** أي في عدم انتفاعهم بالآيات. قوله: **﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾** أي لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدها، وتمييز من يحسن اليها ممن يسيء اليها، وتطلب ما ينفعها وتهرب ما يضر بها، وهؤلاء ليسوا كذلك.

قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾** أقام الله سبحانه وتعالى، أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالألوهية، وذكر منها خمسة: الأول هذا، والثاني قوله: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾، الثالث قوله: ﴿وهو الذي أرسل الرياح﴾، الرابع قوله: ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾، الخامس قوله: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾، وهذا الخطاب للنبي ﷺ ولكل عاقل، فإن من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل، عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال. قوله: **(تنظر)** أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية، فقوله: **﴿كَيْفَ﴾** منصوب بمد على الحال. والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف؟ أي على حالة، وقدر المفسر **(فعل)** إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات، لأن المقصود نصب الأدلة، ليستدل بها على مؤثرها، فإن كل صنعة لا بد لها من صانع، وإن كان يلزم من التفكر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب، لأنه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل: العارف يرى الله في كل شيء، فالآثار كالمرآة للناظر، فمن تأمل فيها رأى مؤثرها، ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة. قوله: **(من وقت الأسفار)** الخ، المناسب أن يقول: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين، ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها، ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول، ومن زوالها إلى غروبها، وأما ما قاله المفسر، فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين، وهذا الوقت أعني من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، أطيب الأوقات وأفضلها، ولذا وصفت به الجنة، قال تعالى: ﴿وظل ممدود﴾ وفيه يجد المريض راحته، والمسافر وكل ذي علة، وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد، وطيب نفوس الأحياء، قال أبو العالية: نهار الجنة هكذا، وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر.

قوله: **﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ساكناً﴾** أي ثابتاً مستقراً لا يذهب عن وجه الأرض. قوله: **(لا يزول بطلوع الشمس)** أي بأن لا تطلع، فلا يزول بأن يستمر الليل مقيماً، أو تطلع من غير ضوء. قوله: **﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً﴾** أي الشمس دليلاً على الظل ليلاً ونهاراً، فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس، وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغير، وأما ذات الشمس فجوهر. قوله: **﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً﴾**

الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ ﴿٤٦﴾ خفياً بطلوع الشمس ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ سائراً كاللباس ﴿وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ ﴿٤٧﴾ منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدَّام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات، ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة نشير ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ ﴿٤٨﴾ مطهراً ﴿لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالتخفيف يستوى فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُۥ﴾ أي الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا﴾

يَسِيراً﴾ أي قليلا شيئا فشيئا، وذلك أن الشمس إذا طلعت، ظهر لكل شخص ظل إلى جهة المغرب، فكلما ارتفعت في الأفق، نقص الظل شيئاً فشيئاً، إلى أن تصل الشمس وسط السماء، فعند ذلك ينتهي نقص الظل، فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبداً في بعض أيام السنة، كمكة وزبيد، وما عداها تبقى له بقية، وهذا على حسب الأشهر القبطية، وضبط ذلك بعضهم بقوله طزه جبا أبدوحي، فالطاء بتسعة لطوبة، فظل الزوال فيه تسعة أقدام، والزاي بسبعة لأمشير، والهاء بخمسة لبرمهات، والجيم بثلاثة لبرمودة، والباء باثنين لبشنس، والألف بواحدة لبؤنة، والألف الثانية بواحد لأبيب، والباء باثنين لمسرى، والداخل بأربعة لتوت، والواو بستة لبابة، والحاء بثمانية لهاتور، والياء بعشرة لكيهك، فإذا زالت الشمس، زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً، حتى تغرب الشمس. قوله: (**كاللباس**) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة، والجامع بين المشبه والمشبه به الستر في كل. قوله: ﴿**وَالنَّوْمَ سُبَاتاً**﴾ من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر. قوله: (**بقطع الأعمال**) الباء سببية، والجار والمجرور متعلق براحة. قوله: (**لابتغاء الرزق**) أي طلبه.

قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ**﴾ أي المبشرات وهي ثلاث: الشمال وتأتي من جهة القطب، والجنوب تقابلها، والصبا وتأتي من مطلع الشمس، والدبور تأتي من المغرب وبها أهلكت قوم عاد. قوله: (**وفي قراءة الريح**) أي وهي سبعية أيضاً، وأل فيها للجنس. قوله: (**وفي قراءة بسكون الشين**) الخ، حاصل ما ذكره المفسر من القراءات أربع، وكلها سبعية، الأولى والثانية جمع نشور كرسول، والثالثة مصدر نشر، والرابعة جمع نشير. قوله: (**ومفرد الأولى**) أي والثانية. قوله: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**﴾ فيه التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿**طَهُوراً**﴾ أي طاهراً في نفسه مطهراً لغيره. قوله: ﴿**بَلْدَةً**﴾ أي أرضاً. قوله: (**بالتخفيف**) أي لا غير، لأن المخفف لما ليس ذا روح غالباً، وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح، قال تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾. وقال بعضهم:

أيا سائلي تفسير ميت وميت ... فدونك قد فسرت ما عنه تسأل
فما كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

قوله: (**يستوي فيه المذكر**) الخ، جواب عما يقال: لم ذكر ميتاً، مع أنه نعت لبلدة وهي مؤنثة؟ وقوله: (**ذكره**) الخ، جواب ثان، فكان المناسب أن يأتي بأو. قوله: ﴿**أَنْعَاماً**﴾ خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها، لكونها سبباً لحياتهم ومعاشهم. قوله: (**جمع إنسان**) هو الراجح، وقيل جمع إنسي وهو معترض

إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ (٤٩) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ ﴾ أي الماء ﴿ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا ﴾ أصله يتذكروا أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٥٠) جحوداً للنعمة حيث قالوا: مطرنا بنوء كذا ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ (٥١) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيراً ليعظم أجرك ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿ وَجَاهِدْهُم بِهِ ﴾ أي القرآن ﴿ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (٥٢) ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ ﴾ شديد العذوبة ﴿ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ شديد الملوحة ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بأن الياء في إنسي للنسب، وهو لا يجمع على فعالي، كما قال ابن مالك: واجعل فعالي لغيري ذي نسب. قوله: **(وأصله أناسين)** أي كسرحان وسراحين. قوله: **﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾** أي فرقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة، على حسب ما قدر في سابق علمه، روي عن ابن مسعود أنه قال: ليس من سنة بأمطر من أخرى، ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق، فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم، وإذا عمل قوم بالمعاصي، حول الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً، صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار. قوله: **(أدغمت التاء في الذال)** أي بعد قلبها دالاً، فذالاً. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي نعمة الله به)** أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيراً. قوله: **(جحوداً للنعمة)** أي حيث أضافوها لغير خالقها. قوله: **(مطرنا بنوء كذا)** النوء سقوط نجم من المنازل في المغرب، وطلوع رقيبه من المشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع، واعتقاد تأثير تلك الأشياء في المصنوعات كفر، لأنه لا أثر لشيء في شيء، بل المؤثر هو الله وحده، وإنما تلك الأشياء، من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، ويمكن تخلفها، كالإحراق للنار، والري للماء، والشبع للأكل.

قوله: **﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾** أي في زمنك. قوله: **(ليعظم أجرك)** أي فالنبي ﷺ له مثل أجر من آمن به، من بعثه إلى يوم القيامة. قوله: **﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾** أي بل اصبر على أحكام ربك. قوله: **﴿جِهَاداً كَبِيراً﴾** أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج، أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف. قوله: **(أرسلهما متجاورين)** أي أجراهما متلاصقين لا يتمازجان، ولا يبغي أحدهما على الآخر. قوله: **﴿هٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾** هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة، جواب سؤال مقدر كأنه قيل: كيف مرجهما؟ ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول، أي مقولاً فيهما هذا عذب الخ، وسمي الماء العذب فراتاً، لأنه يفرت العطش أي يشقه ويقطعه. قوله: **(شديد الملوحة)** أي وقيل شديد الحرارة، وقيل شديد المرارة، وهذا من أحسن المقابلة حيث قال: عذب فرات، وملح أجاج. قوله: **(حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر)** أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله، ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان، بل يبقى على كل ما هو عليه، بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى، وهذا أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهية.

﴿بَرْزَخًا﴾ حاجزاً لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾ أي ستراً ممنوعاً به اختلاطهما ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر بأن يتزوج ذكراً كان أو أنثى طلباً للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾ قادراً على ما يشاء ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي الكفار ﴿مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ معيناً للشيطان بطاعته ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ مخوفاً من النار ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ طريقاً بإنفاق ماله في مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أي قل سبحان الله

قوله: ﴿وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ تقدم أن معناه تعوذنا تعوذاً، والمراد هنا الستر المانع، فشبه البحرين بطائفتين متعاديتين، كل منهما تتحصن من الأخرى، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله: ﴿حِجْراً مَحْجُوراً﴾ على طريق الاستعارة المكنية. قوله: ﴿بَشَراً﴾ أي خلقاً كاملاً مركباً من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾. قوله: (ذا نسب) الخ، أي فقسمه قسمين، ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر، أي أناساً يصاهر بهن، وأخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والتزوج. قوله: (ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته، وصهر المرأة أقارب زوجها. قوله: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾ أي حيث خلق من مادة واحدة، إنساناً ذا أعضاء مختلفة، وطباع متباعدة، وأخلاق متعددة، وجعله قسمين متقابلين، فمن كان قادراً على ذلك وأمثاله، فهو حقيق بأن لا يعبد غيره.

قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾ شروع في ذكر قبائح المشركين، مع ظهور تلك الأدلة. قوله: ﴿مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفنناً. قوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾ أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك، وأل في الكافر للجنس، فالمراد كل كافر، وقيل معنى ظهيراً مهيناً لا يعبأ به، فعلى بمعنى عند، والمعنى: وكان الكافر عند ربه مهاناً لا حرمة له، مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك. قوله: (بطاعته) أي الشيطان، والباء سببية، والمعنى صار الكافر معيناً للشيطان على معصية الله، بسبب طاعته إياه، والخروج عن طاعة الله.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ أي لم نرسلك في حال من الأحوال، إلا في حال كونك مبشراً ونذيراً، فمن آمن فقد تحقق بالبشارة، ومن استمر على الكفر فله النذارة. قوله: (على تبليغ ما أرسلت به) أي المفهوم من قوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾. قوله: (لكن) ﴿مَنْ شَاءَ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلاً لنفسي، لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلباً لمرضاته فليفعل. قوله: (في مرضاته تعالى) أي كالصدقة والنفقة في سبيل الله تعالى. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه، وعن طاعة رسوله، وأمر

والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨﴾ عالماً تعلق به بذنوب هو ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ من أيام الدنيا أي في قدرها لأنه لم يكن ثم شمس، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ هو في اللغة سرير

الرسول أن لا يسألهم أجراً على تبليغه، أمره بالاعتماد عليه تعالى، ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم، فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون، فإنهم إذا ماتوا، ضاع من توكل عليهم، والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور، من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها. قوله: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ صفة كاشفة، لأن معنى الحي في حقه تعالى، ذو الحياة الأبدية التي يستحيل عليها الموت والفناء، ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم، لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية.

قوله: ﴿وَسَبِّحْ﴾ أي نزهه عن كل نقص. قوله: ﴿بِحَمْدِهِ﴾ الباء للملابسة كما قال المفسر، أي وصفه بالكمالات. قوله: (أي قل سبحان الله والحمد لله) أي فذلك بجمع التسبيح والتحميد، لأن معنى تسبيح الله، تنزيه الله عن كل نقص، ومعنى الحمد لله، كل كمال ثابت لله، فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التي أوتيها رسول الله ﷺ، وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التي بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر، وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين، ليكون النطق بها عن معرفة ويقين، فهي نتيجة ما قبلها، والله أكبر نتيجة الثلاث فيها، لأنه إذا تنزه عن النقائص، واتصف بالكمالات، وثبت أنه لا إله غيره، فقد انفرد بالكبرياء والعظمة. وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد، لأنهما مستلزمتان للجملتين بعدهما. قوله: ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الباء زائدة في الفاعل. قوله: (عالماً) أي بالمذنب والطائع. قوله: (تعلق به) أي بخبيراً. قوله: (بذنوب) أي لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق في كل وقت، فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا طاعاتهم، بل عليه بنفسه، ويفوض أمره اليه. قوله: (هو) ﴿الَّذِي﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول خبر لمحذوف، وهذه الجملة سيقت تحريضاً للتوكل عليه تعالى، فإن من كان قادراً على ذلك، فهو حقيق بالتوكل عليه.

قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي فالأرض في يومين الأحد والاثنين، وما عليهما في يومين الثلاثاء والأربعاء، والسماوات في يومين الخميس والجمعة، وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة. قوله: (أي في قدرها) دفع بذلك ما يقال: إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك. قوله: (والعدول عنه) أي عن الخلق في لمحة. قوله: (التثبت) أي التأني والتؤدة في الأمور، وعدم العجلة فيها، لما ورد: أن العجلة من الشيطان، واستثنى العلماء من ذلك مسائل اقراء الضيف، وتزويج البكر، وتجهيز الميت، والصلاة في أول وقتها، وقضاء الدين، وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته، والتوبة من الذنب. قوله: (هو في اللغة سرير الملك) أي ومنه قوله: (أيكم يأتيني بعرشها) والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السماوات السبع. قوله: (بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبر المحذوف، أو خبر الذي خلق. قوله: (أي استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة، ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه، وهو أحد معاني الاستواء، واستدلوا لذلك بقول الشاعر:

الملك ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ بدل من ضمير استوى أي استواء يليق به ﴿فَسۡـَٔلۡ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾ بالرحمن ﴿خَبِيرٗا﴾ ﴿٥٩﴾ يخبرك بصفاته ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ لكفار مكة ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا﴾ بالفوقانية والتحتانية، والآمر محمد ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمۡ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورٗا﴾ ﴿٦٠﴾ عن الإيمان. قال تعالى ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وفي قوله: ﴿ٱلرَّحْمٰنُ﴾ إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين، وكان سقف الجنة لا بوصف الجلال، وإلا لذاب ولم يبق له أثر. قوله: ﴿فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ ﴿بِهِ﴾ متعلق بخبيراً، قدم لرعاية الفاصلة. والمعنى اسأل يا محمد خبيراً بصفاته تعالى، وليس خبيراً بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقاً باسأل، والباء بمعنى عن. والمعنى اسأل عنه خبيراً، أي عالماً بصفاته، يطلعك على ما خفي عليك، والخبير يختلف باختلاف السائل، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام، فالخبير هو الله، وإن كان السائل أصحابه، فالخبير النبي، وإن كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن الله وهكذا، فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين، يفيدون الطالب عن الله، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي لكفار مكة. قوله: ﴿قَالُوا وَمَا ٱلرَّحْمٰنُ﴾ أي ظناً منهم أن المراد به غيره تعالى، لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب. قوله: **(وبالفوقانية والتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(والآمر محمد)** أي على كل من القراءتين. قوله: **(ولا نعرفه)** راجع لقوله: ﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فكان المناسب ذكره بلصقه. قوله: **(لا)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: **(تعاظم)** أي انفرد بالعظمة، لأن من كانت هذه أوصافه، فهو منفرد بالكبرياء والعظمة، وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة، تفسر في كل مقام بما يناسبه.

قوله: ﴿بُرُوجاً﴾ جمع برج وهو في الأصل القصر العالي، سميت هذه المنازل بروجاً، لأنها للكواكب السبعة السيارة، كالمنازل الرفيعة التي هي كالقصور لسكانها، فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة. قوله: **(الحمل)** أي ويسمى بالكبش. قوله: **(والأسد)** أي ويسمى بالليث أيضاً، وقوله: **(والدلو)** ويسمى الدلى أيضاً. قوله: **(المريخ)** بكسر الميم. قوله: **(وله)** أي من البروج المذكورة، والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشر بروج، كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر، كل واحد منهما أخذ واحداً من البروج، وتقدم في سورة الحجر نظم الكواكب والبروج، وتقدم أن زحل نجم في السماء السابعة، والمشتري في السادسة، والمريخ في الخامسة، والشمس في الرابعة، والزهرة في الثالثة، وعطار في الثانية، والقمر في الأولى، وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها، فلا ينافي سيرها في البروج كلها، وكذا غيرها من باقي الكواكب السبعة، وذلك لأن البروج أصلها في سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها. قوله: **(والزهرة)** بفتح الهاء. قوله: **(وعطارد)** بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع. قوله: **(وزحل)** ممنوع

اثني عشر الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوت، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سِرَاجًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ وفي قراءة سرجاً بالجمع أي نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي يخلف كل منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ بالتشديد والتخفيف كما تقدم ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ أي شكراً لنعمة ربه عليه فيهما ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ وما بعده صفات له إلى: أولئك يجزون غير المعترض

من الصرف للعلمية والعدل كعمر، وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع في العالم السفلي كالأكل والشرب، يوجد النفع عندها لا بها، فهي من جملة الأسباب العادية، فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق.

قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أي السماء. قوله: **(أي نيرات)** صفة لموصوف محذوف، أي كواكب نيرات ودخل فيها القمر، فلذلك قال: **(وخص القمر)** الخ. قوله: **(لنوع فضيلة)** أي لأن مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى: ﴿ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾. قوله: **(أي يخلف كل منهما الآخر)** أي بأن يقوم مقامه، فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه. قوله: **(بالتشديد)** أي فأصله يتذكر قلبت التاء دالاً وأدغمت في الذال. قوله: **(والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(كما تقدم)** أي في قوله: ﴿لقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾. قوله: **(ما فاته في أحدهما من خير)** الخ، أي فمن فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرها. قوله: ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ﴾ الخ، لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل اليه أمرهم، ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين، ووصفهم بأوصاف ثمانية، بها تنال المراتب العالية، وإضافتهم اليه تعالى للتشريف، وإلا فكل المخلوقات عباد الله، ويقال إضافتهم له من حيث كونه رحماناً، لكونهم مظهر الرحمة، وستختص بهم في الآخرة. قوله: **(وما بعده)** أي من الموصولات الثمانية التي أولها. قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وآخرها قوله: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا﴾. قوله: **(إلى أولئك)** أي وهي الخبر كما سيذكره هناك. قوله: (غير المعترض فيه) أي وهو قوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثاماً﴾ إلى قوله: ﴿مَتاباً﴾ وهو ثلاث آيات. وحاصل ما ذكره من الأوصاف، أن بعضها متعلق بالخلق، وبعضها متعلق بالخالق. قوله: ﴿هَوْناً﴾ هو مصدر هان كقال. قوله: **(أي بسكينة)** أي تؤدة وتأن. قوله: ﴿الْجَاهِلُونَ﴾ أي السفهاء. قوله: ﴿وَقَالُوا سَلَاماً﴾ أي مع القدرة على الانتقام، فالمراد الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام، وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث: «كاد الحليم أن يكون نبياً». وفي الحديث: «يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم». والآثار في ذلك كثيرة.

فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ ﴿٦٣﴾ أي قولاً يسلمون فيه من الإثم ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا﴾ ﴿٦٤﴾ بمعنى قائمين أي يصلون بالليل ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿٦٥﴾ أي لازماً ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾ بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٦٦﴾ هي، أي موضع استقرار وإقامة ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾ على عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ بفتح أوله وضمه أي يضيقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ ﴿٦٧﴾ وسطاً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ أي عقوبة ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد ﴿لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ﴾ بجزم الفعلين بدلاً وبرفعهما استئنافاً ﴿مُهَانًا﴾ ﴿٦٩﴾ حال ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ منهم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَٰتٍ﴾ في

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ﴾ شروع في ذكر معاملتهم للخالق اثر معاملتهم للخلق، وخص البيتوتة بالذكر، لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء، وفي الحديث: «لا زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن أمتي لا ينامون»، وأخر الليل مراعاة للفواصل. قوله: **(أي يصلون بالليل)** هذا صادق بصلاة العشاء والصبح في جماعة، ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيراً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ الخ، أي فهم مع حسن المعاملة للخالق وللخلق، ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله، بل هم خائفون من عذابه، وجلون من هيبته. قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا﴾ الخ، تعليل لقولهم: ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾. قوله: ﴿كَانَ غَرَاماً﴾ أي في علمه تعالى. قوله: **(أي لازماً)** أي لزوماً كلياً في حق الكفار، ولزوماً بعده خروج في حق عصاة المؤمنين. قوله: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ﴾ الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله قوله: ﴿مُسْتَقَرّاً﴾ هما بمعنى واحد، وهو الذي يشير اليه المفسر، وقيل مستقراً، لعصاة المؤمنين ومقاماً للكافرين. قوله: **(بفتح أوله)** أي مع كسر التاء وضمها، من باب ضرب ونصر، وقوله: **(وضمه)** أي مع كسر التاء لا غير، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(أي يضيقوا)** أي على عيالهم مع يسارهم. قوله: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَاماً﴾ هو بمعنى قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ الآية.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلٰهاً﴾ الخ، شروع في بيان اجتنابهم للمعاصي، اثر بيان إتيانهم الطاعات. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، بأن تكون مستحقة للقتل، كالمرتد والزاني المحصن والقاتل. قوله: **(أي واحداً من الثلاثة)** في بعض النسخ أي ما ذكر، وهو المناسب لقوله: ﴿يُضَاعَفْ﴾ لأن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك تضاعف له العقوبة. قوله: **(وفي قراءة يضعف)** أي فهما قراءتان سبعيتان، وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(بدلاً)** أي من يلق بدل اشتمال. قوله: ﴿مُهَاناً﴾ أي ذليلاً حقيراً.

الآخرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ أي لم يزل متصفاً بذلك ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ أي يرجع إليه رجوعاً فيجازيه خيراً ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي الكذب والباطل ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ معرضين عنه ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟﴾ يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا﴾ بالجمع والإفراد ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ في الخير ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾﴾ من

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ استثناء متصل من الضمير في يلق. قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ اسم الإشارة راجع لقوله من تاب. قوله: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي يمحو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة، ويثبت مكانها الطاعات أو نيتها، وفي القرطبي: ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد، أن يصنع مكان كل سيئة حسنة.

قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ أي عن المعاصي بتركها والندم عليها. قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي فعل الطاعات ولو بالنية، كمن فجأة الموت عقب التوبة. قوله: (فيجازيه خيراً) دفع بذلك ما يتوهم اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال: من تاب وعمل صالحاً، فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن. قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي لا يحضرونه أو لا يشهدون به. قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي من غير تقصد منهم له. قوله: (وغيره) أي وهو الفعل القبيح. قوله: ﴿مَرُّوا كِرَاماً﴾ أي مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش. قوله: (بل خروا سامعين) الخ، أشار بذلك إلى أن النفي مسلط على القيد فقط وهو قوله: ﴿صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾ والمعنى إذا قرىء عليهم القرآن، ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا، حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر. قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ ﴿مِنْ﴾ للبيان. قوله: (بالجمع والإفراد) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ أي ما يحصل به سرورها. قوله: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ أي اجعلنا هداة يقتدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات، بأن تصفي بواطننا من غيرك، حتى يكون حالنا سبباً في هداية الخلق، ولذا قيل: حال رجل في ألف رجل، أنفع من وعظ ألف رجل في رجل ولفظ إمام يستوي فيه الجمع وغيره، فالمطابقة حاصلة.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اسم الإشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية. قوله: ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ اسم جنس أريد به الجمع، والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها، كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا. قوله: (بالتشديد) أي ومعناه يعطون، والفاعل الله، وقوله: (والتخفيف) أي فمعناه يجدون، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تَحِيَّةً وَسَلَاماً﴾ جمع بينهما لأن المراد بالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، وبالسلام سلامه

الملائكة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿٧٦﴾ موضع إقامة لهم، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَا﴾ نافية ﴿يَعْبَؤُا﴾ يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزَامًا﴾ ﴿٧٧﴾ ملازماً لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا فقتل منم يوم بدر سبعون، وجواب لولا دل عليه ما قبلها.

تعالى عليهم بالقول، أو سلام الملائكة، أو سلام بعضهم على بعض. قوله: (**الملائكة**) أي أو من الله أو من بعضهم لبعض، والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات، فتحصل أن قوله: ﴿**تَحِيَّةً وَسَلَاماً**﴾ قيل هما بمعنى واحد، وجمع بينهما لاختلاف لفظهما، وقيل متخالفان، فالتحية الإكرام بالهدايا والتحف، والسلام الدعاء، إما من الملائكة، أو من الله، أو من بعضهم لبعض. قوله: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا**﴾ أي لا يموتون ولا يخرجون. قوله: (**وأولئك**) أي الواقع مبتدأ، وقوله: (**وما بعده**) أي قوله: ﴿**يُجْزَوْنَ**﴾ الواقع خبره.

قوله: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾ الخ، لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين، أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التي بها العبادة لله، فلولا العبادة الواقعة من الخلق، لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده، فإن الإنسان خلق ليعرف ربه ويعبده، وإلا فهو شبيه بالبهائم، قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ ففي العبادة يتنافس المتنافسون، وبها يفوز الفائزون. قوله: ﴿**لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ**﴾ (**إياه**) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعله.

قوله: ﴿**فَسَوْفَ يَكُونُ**﴾ (**العذاب**) أي الذي دل عليه قوله: ﴿**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ**﴾. قوله: ﴿**لِزَاماً**﴾ مصدر لازم كقاتل قتالاً، والمراد هنا اسم الفاعل، وفي الآية تهديد لكفار مكة. قوله: (**فقتل منهم يوم بدر سبعون**) الخ، روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين، الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر، وقوله خمس أي خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل، فالدخان هو قوله تعالى: ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ والمراد به شيء يشبه الدخان، وقد نزل بقريش من شدة الجوع، صار الواحد يرى كأن بينه وبين السماء دخاناً، والقمر في قوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ والروم في قوله تعالى: ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ والبطشة في قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ وهي القتل يوم بدر، واللزام هو الأسر يومها. قوله: (**دل عليه ما قبلها**) أي وهو قوله: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي**﴾ والتقدير لولا دعاؤكم، أي طلبكم من الله رفع الشدائد، وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة، ما يعبأ بكم، أي ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم، وقوله: ﴿**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ**﴾ أي دمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم، فسوف يكون العذاب لازماً لكم، لا يرد عنكم، ولا يقبل منكم دعاء فتدبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



مكيّة

الا ﴿والشعراء﴾ الى آخرها ـ فمدني
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى من ﴿ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ المظهر الحق من الباطل ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعراء مكية

إلا ﴿والشعراء﴾ إلى آخرها ـ فمدني
وهي مائتان وسبع وعشرون آية

أي السورة التي ذكر فيها الشعراء، سميت باسم بعضها على عادته تعالى، وقد ورد في فضل الطواسين أحاديث منها ما روي عنه ﷺ أنه قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني المصّ مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي. قوله: **(إلا والشعراء إلى آخرها)** أي وجملته أربع آيات.

قوله: **﴿طسٓمٓ﴾** هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض، وفي مصحف ابن مسعود: طِ س م مفصولة من بعضها وبها قرىء، فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف، وقرىء هنا وفي القصص بكسر الميم على البناء، وأمال الطاء بعض القراء. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا القول أصح وأسلم. قوله: **﴿تِلْكَ﴾** مبتدأ، و **﴿آيَاتُ ٱلْكِتَابِ﴾** خبره، واسم الإشارة عائد على آيات هذه السورة. قوله: **(بالإضافة بمعنى من)** أي والمعنى آيات من الكتاب. قوله: **(المظهر الحق من الباطل)** أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر، ويصح أن يكون من باب اللازم بمعنى ظهر، أي الظاهر إعجازه.

﴿ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ ﴾ قاتلها غماً من أجل ﴿ أَلَّا يَكُونُواْ ﴾ أي أهل مكة ﴿ مُؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ولعل هنا للإشفاق، أي أشفق عليها بتخفيف هذا الغم ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ ﴾ بمعنى المضارع أي تظل أي تدوم ﴿ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ ﴿٤﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء ﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ ﴾ قرآن ﴿ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ ﴾ صفة كاشفة ﴿ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ ﴾ به ﴿ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ ﴾ عواقب ﴿ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ ﴿٦﴾ ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ ﴾ ينظروا ﴿ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا ﴾ أي كثيراً ﴿ مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴾ ﴿٧﴾ نوع حسن ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ ﴾ دلالة على كمال قدرته تعالى ﴿ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم

قوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ هذا تسلية له ﷺ، والباخع من بخع من باب نفع: قتل نفسه من وجد أو غيظ. قوله: (ولعل هنا للاشفاق) أي فالترجي بمعنى الأمر، والمعنى ارحم نفسك وارأف بها. قوله: (أي أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعي وبوصلها من الثلاثي، والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف، وإن تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق. قوله: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ﴾ الخ، هذا تسلية لرسول الله ﷺ ببيان حقيقة أمرهم، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فإننا لو شئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم، فيؤمنون قهراً عليهم، ولكن سبق في علمنا شقاؤهم، فعدم إيمانهم منا لا منهم، فأرح نفسك من التعب القائم بها، و ﴿إِنْ﴾ حرف شرط، و ﴿نَشَأْ﴾ فعل الشرط، و ﴿نُنَزِّلْ﴾ جوابه.

قوله: ﴿آيَةً﴾ أي معجزة تخوفهم، كرفع الجبل فوق رؤوسهم، كما وقع لبني إسرائيل. قوله: (بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿فَظَلَّتْ﴾ مستأنف، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿نُنَزِّلْ﴾، فهو في محل جزم. قوله: (ولما وصفت الأعناق بالخضوع) الخ، دفع بذلك ما يقال: كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء؟ فأجاب: بأنه لما ناسب الخضوع لها، وهو وصف العقلاء، جميعها بالياء والنون كقوله تعالى: ﴿رأيتهم لي ساجدين﴾ ﴿قالتا أتينا طائعين﴾، وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول خاضعة، وهناك أجوبة أخر، منها أن المراد بالأعناق الرؤساء، ومنها أن لفظ الأعناق مقحم والأصل فظلوا لها خاضعين، ومنها غير ذلك. قوله: ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، وقوله: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمٰنِ﴾ ﴿مِنَ﴾ ابتدائية. قوله: (صفة كاشفة) أي لأنه فهم من قوله: ﴿يَأْتِيهِمْ﴾، لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ أي غير متأملين. قوله: (عواقب) أي وعبر عنها بالأنباء، لأن القرآن أخبر عنها، والمراد ننزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلأَرْضِ﴾ أي إلى عجائبها، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ، وهذا بيان للأدلة التي تحدث في الأرض وقتاً بعد وقت، تدل على أنه منفرد بالألوهية، ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر. قوله: ﴿كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ ﴿كَمْ﴾ في محل نصب مفعول لأنبتنا، و ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ تمييز لها. قوله: (نوع حسن) أي كثير النفع. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً﴾ الخ، قد ذكرت هذه الآية في هذه السورة ثمان مرات. قوله: (في علم الله) هذا مبني على أصالة ﴿كَانَ﴾، وقوله: (وكان قال سيبويه) الخ، توجيه ثان فكان المناسب أن يقول: وقال

مؤمنين﴿٨﴾ في علم الله، وكان قال سيبويه زائدة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٩﴾ يرحم المؤمنين ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ رسولاً ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري ﴿يَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ الله بطاعته فيوحدونه ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من

سيبويه كان زائدة. قوله: **(ذو العزة)** أي الهيبة والجلال. قوله: **(ينتقم من الكافرين)** أي بمظهر عزته الذي هو القهر والغلبة، وقوله: **(يرحم المؤمنين)** أي بمظهر رحمته.

قوله: **﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾** الخ، ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة سبع قصص: أولها قصة موسى وهارون، ثانيها قصة إبراهيم، ثالثها قصة نوح، رابعها قصة هود، خامسها قصة صالح، سادسها قصة لوط، سابعها قصة شعيب، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص، أن بها تكون الحجة على الكافرين، والزيادة في علم المؤمنين، ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء، وكافرها أشقى الأشقياء، وحكمة التكرار الزيادة في إيمان المؤمن، وقطع حجة الكافر، والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)**، وليس المراد به ذكر وقت المناداة، بل المراد ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت. قوله: **(ليلة رأى النار والشجرة)** أي رأى النار موقدة في الشجرة الخضراء، وليس هذا مبدأ ما وقع في المناداة، وإنما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى: ﴿إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾ إلى قوله: ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾.

قوله: **﴿أَنِ ائْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ﴾** يصح أن تكون **﴿أَنِ﴾** مصدرية كما مشى عليه المفسر، أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه، وكان النداء بكلام نفسي، سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة. قوله: **(رسولاً)** حال من فاعل **﴿ائْتِ﴾**. قوله: **﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾** بدل من القوم الظالمين، وقوله: **(معه)** أي فرعون، وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال. قوله: **(وبني إسرائيل)** معطوف على **(أنفسهم)**، والتقدير وظلموا بني إسرائيل. قوله: **(باستعبادهم)** أي معاملتهم إياهم معاملة العبيد في استخدامهم في الأعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين. قوله: **(للاستفهام الإنكاري)** المناسب أن يقول للاستفهام التعجبي، لأن المعنى على الإنكار فاسد، لأنه للنفي، ومدخولها نفي، ونفي النفي إثبات، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك، ويصح أن تكون ألا للعرض.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ﴾** الخ، اعتذار من موسى لإظهار العجز عن الأمر الذي كلفه، وقد أتى بثلاثة أعذار، كل واحد منها مرتب على ما قبله. قوله: **﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾** هما بالرفع على الاستئناف، أو عطف على خبر إن عند السبع، وقرىء شذوذاً بنصبهما عطفاً على مدخول أن، والمقصود من هذا الاعتذار، الإعانة على هذا الأمر المهم، بشرح الصدر، وطلق اللسان، وإرسال أخيه، والأمن من القتل، وقد دل على ذلك قوله في سورة طه ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة

تكذيبهم لي ﴿ وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿ فَأَرْسِلْ إِلَىٰ ﴾ أخي ﴿هَـٰرُونَ ﴾ ﴿١٣﴾ معي ﴿ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ ﴿١٤﴾ به ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿كَلَّا﴾ أي لا يقتلونك ﴿فَاذْهَبَا﴾ أي أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا ﴾ أي كلاً منا ﴿ رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾ إليك ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ أَرْسِلْ مَعَنَا ﴾ إلى الشام ﴿ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿١٧﴾ فأتياه فقالا له ما ذكر ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا ﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿ وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ ثلاثين سنة

من لساني﴾ الآيات. قوله: **(للعقدة التي فيه)** أي الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير، حين نتف لحية فرعون، فاغتم لذلك وهم بقتله، فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه، فقدم له تمرة وجمرة، فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه، فحصل فيه ثقل في النطق.

قوله: **﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾** أي وكان في مصر، فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة، فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل، وإن كان حاضراً، وهارون جاءته الرسالة في ذلك الوقت أيضاً بواسطة جبريل. قوله: **(معي)** أي ليكون معيناً لي، وهو بمعنى قوله في سورة القصص**﴿فأرسله معي ردءاً يصدقني﴾**. قوله: **﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾** أي في زعمهم. قوله: **﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾** أي فيفوت المقصود من الإرسال. قوله: **(فيه تغليب الحاضر على الغائب)** أي بالنسبة لموسى، وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى، لكن سمع موسى الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل. قوله: **﴿بِآيَاتِنَا﴾** جمع الآيات مع أنهما اثنان العصا واليد، باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات له. قوله: **﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾** أي معية خاصة بالعون والنصر. قوله: **(أجريا مجرى الجماعة)** أي تعظيماً لهما. قوله: **(أي كلاً منا)** قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها، الذي هو الرسول حيث أفرده.

قوله: **﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** أي خلصهم وأطلقهم. قوله: **(فأتياه)** الخ، أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾** الخ، مرتب على محذوف، روي أنهما لما انطلقا إلى فرعون، لم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه، فدخل البواب على فرعون وقال له: ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين، فقال له فرعون: ائذن له لعلنا نضحك معه، فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها، فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهارون، فأسرعوا اليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهارون، فأقبلت تلحس أقدامهما، وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال: ما أنتما؟ قالا: إنا رسول رب العالمين، فعرف موسى، لأنه نشأ في بيته فقال: **﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾** الخ، فامتن عليه أولاً بنعمة التربية، وثانياً بعدم مؤخذاته بما وقع منه من قتل القبطي. قوله: **(قريباً من الولادة)** قصده بذلك دفع ما ورد على الآية، بأن الوليد يطلق على المولود حال ولادته، وليس مراداً هنا، فإنه كان زمن الرضاع عند أمه، ثم أخذه فرعون بعد الفطام، والأولى إبقاء الآية على ظاهرها، لأن موسى وإن كان عند أمه، إلا أنه تحت نظر فرعون، فهو في تربيته من حين ولادته.

يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ فَعَلْتُهَآ إِذًا ﴾ أي حينئذ ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ عما آتاني بعدها من العلم والرسالة ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ علماً ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ ﴾ أصله تمن بها عليَّ ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿٢٢﴾ بيان لتلك، أي اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ﴾ لموسى ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿٢٣﴾ الذي قلت إنك رسوله، أي أيُّ شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ أي خالق ذلك ﴿ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ ﴿٢٤﴾ بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده ﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ ﴾ من أشراف قومه ﴿ أَلَا

قوله: ﴿مِنْ عُمُرِكَ﴾ حال من سنين، لأنه نعت نكرة قدم عليها. قوله: **(وعدم الاستعباد)** أي اتخاذك لي عبداً مثل بني إسرائيل. قوله: **(حينئذ)** هذا حل معنى لا حل اعراب، وهي حرف جواب فقط، وقيل حرف جواب وجزاء. قوله: **(عما آتاني الله بعدها)** الخ، أي فليس عليَّ فيما فعلته في تلك الحالة لوم؛ لعدم التكليف حينئذ، أو المعنى من المخطئين لا من المتعمدين. قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ في ذلك رد لما وبخه به فرعون، وهو القتل بغير حق، فكأنه قال: فكيف تدعي الرسالة، وقد حصل منك ما يقدح في تلك الدعوى؟ فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة، ثم أتته بعد ذلك.

قوله: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ﴾ مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿تَمُنُّهَا﴾ صفة لنعمة، و﴿أَنْ عَبَّدْتَ﴾ الخ، عطف بيان موضح للمبتدأ، كما قاله المفسر. قوله: **(أصله تمن بها علي)** أي فحذف الجار فاتصل الضمير، فهو من باب الحذف والايصال. قوله: **(ولم تستعبدني)** أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي، لأن استعبادك غيري ظلم، وقد نجاني الله منه. قوله: **(وقدر بعضهم)** أي وهو الأخفش. قوله: **(أول الكلام)** أي والأصل أو تلك نعمة، الخ. قوله: **(للإنكار)** أي وهو بمعنى النفي. قوله: **(أي أي شيء هو)** أي وذلك لأن ما يسأل بها عن الحقيقة. والمعنى أي جنس هو من أجناس الموجودات. قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي جنس السماوات والأرض، فاندفع ما قيل: لم ثني الضمير مع أن مرجعه جمع؟.

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها. قوله: **(من أشراف قومه)** أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور، ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك. قوله: **(الذي لم يطابق السؤال)** أي لأن ما يسأل بها عن الحقيقة، وقد أجابه بالصفات التي يسأل عنها بأي، والعدول عن المطابقة، لأن السؤال عن الحقيقة عبث وسفه لاستحالته. قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنما ذكر ذلك لأن نفوسهم أقرب الأشياء اليهم. قوله: **(وهذا)** أي الجواب. قوله: **(ولذلك)** أي لشدة غيظه. قوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ﴾ سماه رسولاً استهزاء، وأضافه إلى المخاطبين استنكافاً من نسبته له.

تَسْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٢٦﴾ وهذا وإن كان داخلاً فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك ﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿ أَوَلَوْ ﴾ أي أتفعل ذلك ولو ﴿ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ أي برهان بين على رسالتي ﴿ قَالَ ﴾ فرعون له ﴿ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ فيه ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٣٢﴾ حية عظيمة ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ ﴾ أخرجها من جيبه ﴿ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ ﴾ ذات شعاع ﴿ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٣٤﴾ فائق في علم السحر ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ جامعين ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ ﴿٣٧﴾ يفضل موسى في علم السحر ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٣٨﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ الاستفهام للحث على الاجتماع، والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ

قوله: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق، ويذهب بها من المغرب. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي إن كان لكم عقل، وفيه رد لقوله: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾. قوله: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهاً غَيْرِي﴾ الخ، عدول عن الحاجة إلى التهديد، لقصر حجته وجهله وعدم استقامته، روي أنه فزع من موسى فزعاً شديداً، حتى كان اللعين لا يمسك بوله. قوله: (أي أتفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة على ذلك المحذوف. قوله: ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ﴾ إنما أمر فرعون بالإتيان به، لظنه أنه يقدر على معارضته.

قوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أي من جيبه، قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال: هل لك غيرها؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق. قوله: (من الأدمة) أي السمرة. قوله: ﴿حَوْلَهُ﴾ ظرف في محل الحال. قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ لما رأى تلك الآيات الباهرة، خاف على قومه أن يتبعوه، فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلاً بالرأي والتدبير، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام. قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أي أي شيء تأمرونني به. قوله: ﴿يَأْتُوكَ﴾ مجزوم في جواب الأمر. قوله: (يفضل موسى) أي يفوقه ويزيد عليه. قوله: (من يوم الزينة)

﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ بعد ما قالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ﴿أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿ءَامَنتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿لَهُۥ﴾ لموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ لا ضرر علينا في ذلك

كان يوم عيد لهم، وقيل كان يوم سوق. قوله: **(والترجي على تقدير غلبتهم)** أي الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع. قوله: **(على الوجهين)** أي تحقيقها وتسهيل الثانية، وكان عليه أن يقول وتركه، أي ترك الإدخال على الوجهين، فتكون القراءات أربعاً. قوله: **﴿لَأَجْراً﴾** أي أجرة وجعلاً.

قوله: **﴿قَالَ نَعَمْ﴾** أي لكم الأجرة على عملكم السحر. وزادهم بقوله: **﴿وَإِنَّكُمْ إِذاً﴾** الخ قوله: **(فالأمر فيه)** جواب عما يقال: كيف يأمرهم بفعل السحر، مع أنه لا يجوز الأمر به، لأن الأمر به رضا، والرضا بالكفر كفر، وحاصل الجواب: أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسناً له، وأما الأمر به للتوسل لإبطاله، فليس فيه استحسان ولا رضا، بل هو الممدوح شرعاً. قوله: **﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾** أي نقسم ونحلف بعزة فرعون، وأقسموا لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون. قوله: **(من الأصل)** أي أصل الصيغة. قوله: **(يقلبونه)** أي يغيرونه عن حاله الأول من الجمادية، إلى كونه حية تسعى. قوله: **(بتمويههم)** الباء سببية.

قوله: **﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ﴾** أي خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة، فلم يتمالكوا أنفسهم. قوله: **﴿رَبِّ مُوسَى وهارونَ﴾** بدل مما قبله للتوضيح وللإشعار، بأن سبب إيمانهم، ما أجراه الله على يد موسى وهارون. قوله: **(وإبدال الثانية ألفاً)** صوابه الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفاً، وترك قراءة أخرى، وهي حذف الأولى من الهمزتين وقلب الثانية ألفاً. قوله: **(فعلمكم شيئاً منه وغلبكم بآخر)** أي أخفاه منكم، وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه، لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق.

قوله: **﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾** حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم، اشتد خوف فرعون على باقي قومه من دخولهم في الايمان، فنفر الباقي بقوله: **﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾** الخ. قوله: **﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ راجعون في الآخرة ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن﴾ أي بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥١﴾ في زماننا ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوًّا ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾ بني إسرائيل، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة في أسرى أي سر بهم ليلاً إلى البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَٰشِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ جامعين الجيش قائلاً ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ قيل كانوا

مُنْقَلِبُونَ﴾ تعليل لنفي الضمير، وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف، ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل. قوله: **(في زماننا)** أي من أتباع فرعون، فلا ينافي أن بني إسرائيل سبقوهم بالايمان.

قوله: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾** يحتمل أن يكون بتكليم الله له، أو على لسان جبريل. قوله: **(بعد سنين)** أي ثلاثين، وذلك أن موسى مكث في مصر أولاً ثلاثين، وفي مدين عشر سنين، ثم لما رجع إلى مصر ثانياً، مكث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة، ثم أغرق الله فرعون وقومه، وعاش بعد ذلك خمسين سنة، فجملة عمره مائة وعشرون سنة. قوله: **(بآيات الله)** أي باقي التسع، لأن موسى افتتحهم أولاً بالعصا واليد فلم يؤمنوا، فجاءهم بالسنين المجدبة، ثم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم، فلم يفد فيهم ذلك، وقد سبق ذلك مفصلاً في الأعراف.

قوله: **﴿بِعِبَادِي﴾** الإضافة للتشريف، والمعنى سر بعبادي المختصين برحمتي، وإلا فالكل من حيث الخلق عباده. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي سر بهم ليلاً)** تفسير لكل من القراءتين. قوله: **(إلى البحر)** أي بحر القلزم، فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل، فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر، فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك فيقول: هكذا أمرني ربي، فلما أصبح فرعون، وعلم بسير موسى ببني إسرائيل، خرج في أثرهم، وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش.

قوله: **﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾** علة للأمر بالسير. قوله: **(حين أخبر بسيرهم)** روي أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون: إن لنا في هذه الليلة عيداً، ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب، ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر، فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم. قوله: **(ومقدمة جيشه)** الخ، أي وجملة جيشه ألف ألف وستمائة. قوله: **(فاعلون ما يغيظنا)** أي حيث خالفوا ديننا، وطمسوا على أموالنا، وقتلوا أبكارنا، لما روي أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط، وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل، كل أربعة أبيات في بيت، ثم يذبحوا أولاد الضأن، ويلطخوا أبوابهم بدمائها لتميز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط، فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم، فأصبحوا مشغولين بموتاهم، وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه.

ستمائة ألف وسبعين ألفاً ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه ﴿ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ فاعلون ما يغيظنا ﴿ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ ﴿٥٦﴾ متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون، قال تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾ أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه ﴿ مِّن جَنَّٰتٍ ﴾ بساتين كانت على جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ ﴾ ﴿٥٧﴾ أنهار جارية في الدور من النيل ﴿ وَكُنُوزٍ ﴾ أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزاً لأنه لم يعط حق الله منها ﴿ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ﴿٥٨﴾ مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ أي إخراجنا كما وصفنا ﴿ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ

قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حذِرُونَ﴾ أي من عادتنا الحذر والحزم في الأمور. قوله: **(وفي قراءة)** الخ، أي وهي سبعية أيضاً بمعنى الأولى، وقيل الحذر المتيقظ، والحاذر الخائف. قوله: **(كانت على جانبي النيل)** أي من أسوان إلى رشيد، قال كعب الأحبار: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا: سيحان وجيجان والنيل والفرات، فسيحان نهر الماء في الجنة، وجيجان نهر اللبن في الجنة، والنيل نهر العسل في الجنة، والفرات نهر الخمر في الجنة. قوله: **(أموال ظاهرة)** هذا أحد قولين، وقيل المراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها بالذكر، لأن ما فوق الأرض انطمس، وحينئذ فتسميتها كنوزاً ظاهراً. قوله: **(مجلس حسن للأمراء والوزراء)** قيل كان إذا قعد على سريره، وضع بين يديه ثلاثمائة كرسي من ذهب، يجلس عليها الاشراف من قومه والامراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب، وقيل المقام الكريم المنابر، وكانت ألف منبر لألف جبار، يعظمون عليها فرعون وملكه. قوله: **(إخراجنا كما وصفنا)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ خبر لمحذوف.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي الجنات والعيون والكنوز، وقيل المراد أورثنا بني إسرائيل ما استعاروه من حلي آل فرعون، والأحسن أن يراد ما هو أعم، فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها. قوله: **(وقت شروق الشمس)** أي يوم الملاقاة، وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم، لأنهم تأخروا عنهم، حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم. قوله: **(أي لن يدركونا)** أشار بذلك إلى أن كلا للنفي. والمعنى لا سبيل لهم علينا، لأن الله وعدنا بالخلاص منهم.

قوله: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ الخ، قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر، هاج البحر فصار يرمي بموج كالجبال، فصار بنو إسرائيل يقولون: أين أمرت، فرعون من خلفنا والبحر أمامنا، وموسى يقول: ههنا، فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر، فإذا الرجال واقف على فرسه، ولم يبتل سرجه ولا لبده. قوله: **(اثني عشر فرقاً)** أي قطعة بعدد أسباط بني إسرائيل. قوله: **(بينها مسالك)** أي بين الاثني عشر فرقاً. قوله: **(على هيئته)** أي وهي انفلاقه اثنتي عشرة فرقة. قوله: **(وحزقيل)** المذكور في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ الخ، وقوله: **(ومريم بنت ناموسي)** أي كانت عجوزاً تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة. قوله: **(التي دلت على عظام يوسف عليه السلام)** أي وسبب ذلك: أن الله أمر

إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿٥٩﴾ بعد إغراق فرعون وقومه ﴿ فَأَتْبَعُوهُم ﴾ لحقوهم ﴿ مُّشْرِقِينَ ﴾ ﴿٦٠﴾ وقت شروق الشمس ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ ﴾ أي رأى كل منهما الآخر ﴿ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به ﴿ قَالَ ﴾ موسى ﴿ كَلَّآ ﴾ أي لن يدركونا ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى ﴾ بنصره ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿٦٢﴾ طريق النجاة قال تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ﴾ فضربه ﴿ فَٱنفَلَقَ ﴾ فانشق اثني عشر فرقاً ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ ﴿٦٣﴾ الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده ﴿ وَأَزْلَفْنَا ﴾ قربنا ﴿ ثَمَّ ﴾ هناك ﴿ ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ ﴿٦٤﴾ فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أي إغراق فرعون وقومه ﴿ لَءَايَةً ﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٦٧﴾ بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسي التي دلت على عظام يوسف عليه السلام ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٦٨﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ نَبَأَ ﴾ خبر ﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ﴿٦٩﴾ ويبدل منه ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا

موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر، فسأل عن قبره فلم يعرف إذ ذاك، فدلته عليه هذه العجوز، بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة، وكان يوسف قد دفن في قعر بحر النيل، فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام.

ـ **فائدة** ـ قال قيس بن حجاج: لما فتحت مصر، أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر القبط، فقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة وعادة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها، أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام ليهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى، لا يجري قليلاً ولا كثيراً وهموا بالجلاء، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص، كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأعلمه بالقصة، فكتب إليه عمر بن الخطاب: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني بعثت اليك بطاقة في داخل كتابي، فألقها في النيل إذا أتاك كتابي، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص، أخذ البطاقة ففتحها، فإذا فيها من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك، فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم، فأصبحوا وقد زاد في تلك الليلة ستة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة.

قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ عطف على (اذكر) العامل في قوله: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ الخ، عطف قصة على قصة. قوله: (أي كفار مكة) خصهم بالذكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية،

تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾﴾ أي نقيم نهاراً على عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ﴾ حين ﴿تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ كم إن لم تعبدوهم ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ أي مثل فعلنا ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فإني أعبده ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ إلى الدين ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ ﴿وَإِذَا

وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة. قوله: (ويبدل منه) أي بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿مَا﴾ اسم استفهام معمول لتعبدون، والمعنى ما هذا الذي تعبدونه، أي ما حقيقته. قوله: (صرحوا بالفعل) الخ، جواب عما يقال: كان القياس أن يقولوا أصناماً كقوله: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل، ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار. قوله: (أي نقيم نهاراً على عبادتها) هذا معنى نظل الأصلي، ولكن مقتضى الأفتخار، أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلاً ونهاراً. قوله: (زادوه) أي قوله: ﴿فَنَظَلُّ﴾ الخ.

قوله: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت في الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ولا بد من محذوف هنا، دل عليه قوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ تقديره هل يسمعون دعاءكم؟ قوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ ﴿إِذْ﴾ هنا بمعنى إذا، استحضاراً للحال الماضية وحكاية لها تبكيتاً عليهم. قوله: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا﴾ الخ، هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله إبراهيم، وإنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد، فلما لم يجدوا مخلصاً غيره احتجوا به. قوله: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أتأملتم فعلكم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه. قوله: ﴿وَآبَاؤُكُمْ﴾ عطف على الضمير في ﴿تَعْبُدُونَ﴾ وهو ضمير رفع متصل، فلذا فصل بالضمير المنفصل، قال ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أسند العداوة لنفسه تعريضاً بهم، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فإنهم عدو لكم، إن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل؟ أجيب بأجوبة منها: أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، ومنها أن الكلام على حذف مضاف؛ أي فإن أصحابهم عدو لي، ومنها أن الكلام على القلب أي فإني عدو لهم. قوله: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ أشار المفسر بقوله: (لكن) إلى أن الاستثناء منقطع، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوي، بل هو وليي في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ نعت لرب العالمين، أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف، وما بعده عطف عليه. قوله: ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أتى بالفاء هنا، وفي قوله: ﴿يَشْفِينِ﴾ لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض، بخلاف الإطعام والإسقاء، فليس بينهما ترتب، وأتى بثم في جانب الاحياء، لبعد زمنه عن زمن الموت، لأن المراد به الاحياء في الآخرة. قوله: (إلى الدين) أي وغيره من مصالح دنياي وآخرتي، وإنما خص الدين، لأن المقام للرد ولأنه أهم.

مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٨٢﴾ أي الجزاء ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ النبيين ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناء حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ﴿٨٥﴾ أي ممن يعطاها ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿٨٦﴾ بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ أي الناس، قال تعالى فيه ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ أحداً

قوله: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ أي في الدنيا والآخرة. قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ أسند المرض لنفسه، وإن كان الكل من الله تأدباً كما قال تعالى: (بيدك الخير) ولم يقل الشر، وقال الخضر: (فأردت أن أعيبها)، وقال: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾. قوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب، مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها. قوله: ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ ذكر ذلك تواضعاً وتعليماً للأمة، وإلا فهو معصوم من الخطايا. قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً﴾ لما ذكر تلك الأوصاف قوي رجاؤه في ربه، فطلب منه معالي الأمور، وخير الدنيا والآخرة. قوله: (علماً) أي زيادة فيه. قوله: ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي في العمل أو في درجات الجنة.

قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ من اضافة الموصوف للصفة، أي ذكراً حسناً، من باب تسمية الشيء باسم آلته. قوله: (الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى، فما من أمة من الأمم، إلا وهي تحبيه وتثني عليه بخير، سيما هذه الأمة المحمدية خصوصاً في المؤمنين منهم، فإنهم يذكرونه بخير في كل تشهد، وإنما طلب ذلك لينتفع به هو، وينتفع به المثني، لكن بشرط الإيمان، وأما حديث: «من أحب قوماً حشر معهم وإن لم يعمل بعملهم» فمعناه: إذا اشتركوا معهم في الإيمان وإن لم يصلوا لمقامهم.

قوله: ﴿مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي مندرجاً فيهم ومن جملتهم، واضافة جنة للنعيم من اضافة المحل إلى الحال فيه، فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك، وقد أجابه الله في جميع دعواته، سوى الدعاء بالغفران لأبيه. قوله: (بأن تتوب عليه) الخ، ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حي، ولكن ينافيه قوله: (وهذا قبل أن يتبين له) فإن التبين المذكور، إنما حصل بموته كافراً، وحينئذ فلا يصح جعله قيداً للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان، وإنما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التي هو عليها. وأجيب: بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافراً وهو حي، فقد صح ما قاله المفسر. قوله: (وهذا) أي الدعاء له بما ذكر. قوله: (كما ذكر في سورة براءة) أي قوله: ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه﴾ الآية. قوله: (تفضحني) أي تكشف عيوبي بين خلقك، وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلي، فإن تعذيب المطيع جائز عقلاً لا شرعاً. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ الخ، من كلام الله تعالى، ويصح أن يكون من كلام إبراهيم، فيكون بدلاً من يوم قبله. قوله: (لكن) ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ﴾ الخ؛ أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولكن ينافيه تقديره أحداً، فتحصل أن الاستثناء، إما منقطع إن جعل من قوله: ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ويكون

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ ﴿٨٩﴾ من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ فيرونها ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ ﴿٩١﴾ الكافرين ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ بدفعه عن أنفسهم لا ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ألقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ مع معبوديهم ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٧﴾ بيّن ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ في العبادة ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ أي الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ أي يهمه أمرنا ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾

المعنى (لكن) ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ فإنه ينتفع، أو متصل أن جعل من المفعول الذي قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحداً إلا الذي أتى الله بقلب سليم، فإنه ينفعه المال والبنون. قوله: **(وهو قلب المؤمن)** أي فينتفع بالمال الذي أنفقه في الخير والولد الصالح بدعائه له لما في الحديث: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**.

قوله: **﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** أي بحيث يشاهدونها في الموقف ويعرفون ما فيها، فتحصل لهم البهجة والسرور، وعبر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: **﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾** أي جعلت لهم بارزة ظاهرة، بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب، فتحصل لهم المساءة والأحزان، ويوقنون بأنهم مواقعوها، ولا يجدون عنها مصرفاً.

قوله: **﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾** أي على سبيل التوبيخ. قوله: **﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾** **﴿أَيْنَ﴾** خبر مقدم، و **﴿مَا﴾** مبتدأ مؤخر، و **﴿كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾** صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه، وقوله: **﴿مِنْ دُونِ ٱللَّهِ﴾** حال. قوله: **(ألقوا)** أي مرة بعد أخرى، لأن الكبكبة تكرير الكب، وهو الإلقاء على الوجه، كأن من ألقي في النار، ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها. قوله: **﴿ٱلْغَاوُونَ﴾** عطف على ضمير كبكبوا، وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل. قوله: **(ومن أطاعه)** عطف تفسير. قوله: **﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾** الجملة حالية، ومقول القول **﴿تَٱللَّهِ﴾** الخ. قوله: **(واسمها محذوف)** الخ، قد يقال إنها في الآية مهملة، فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام، قال ابن مالك: وخففت إن فقل العمل الخ.

قوله: **﴿إِذْ نُسَوِّيكُمْ﴾** ظرف لكونهم في ضلال مبين. قوله: **(أو أولونا)** أي السابقون علينا، وهو جمع أول. قوله: **(من الملائكة والنبيين)** الخ، فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد: لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة. قوله: **﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾** أفرد الصديق وجمع الشفعاء، لكثرة الشفعاء في العادة، وقلة

لو هنا للتمني، ونكون جوابه ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٠٥﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل وتأنيث قوم باعتبار معناه وتذكيره باعتبار لفظه ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ ﴾ نسباً ﴿ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ الله ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٠٧﴾ على تبليغ ما أرسلت به ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٠٨﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغه ﴿ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ ﴾ أي ثوابي ﴿ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١١٠﴾ كرره تأكيداً ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ ﴾ نصدّق ﴿ لَكَ ﴾ لقولك ﴿ وَاتَّبَعَكَ ﴾ وفي قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ ﴿ الْأَرْذَلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾ السفلة كالحاكة والأساكفة ﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي ﴾ أي علم لي ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١١٢﴾

الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان أي خاصته أو الخالص، ويؤيده قول المفسر **(أي يهمه أمرنا)**، وقوله: **(يهمه)** بضم أوله وكسر ثانيه، وبفتح أوله وضم ثانيه. قوله: **(ونكون جوابه)** أي فهو منصوب في جواب التمني. قوله: **﴿لآيَةً﴾** أي عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها على أحسن ترتيب.

قوله: **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** أي بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه، وسارة زوجته، كما تقدم في سورة الأنبياء. قوله: **(بتكذيبهم له)** جواب عما يقال: لم جمع المرسلين، مع أنهم إنما كذبوا رسولاً واحداً وهو نوح؟ فأجاب: بأن تكذيبهم له تكذيب للباقي، فالجمع على حقيقته، وقوله: **(أو لأنه)** الخ، جواب ثان، وعليه فالجمع مجاز. قوله: **(وتأنيث قوم)** أي تأنيث الفعل المسند اليه، وقوله: **(باعتبار)** معناه أي وهو الأمة والجماعة. قوله: **(وتذكيره)** أي تذكير الضمير العائد عليه في قوله: **﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾** ولا مفهوم لقوم، بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك. قوله: **(نسباً)** أي لا في الدين. قوله: **﴿نُوحٌ﴾** تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر، ونوح لقبه. قوله: **﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾** **﴿أَلَا﴾** للعرض. قوله: **﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** إنما أخبر بذلك ليتبع، وليس قصده الافتخار.

قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾** أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: **﴿مِنْ أَجْرٍ﴾** **﴿مِنْ﴾** زائدة في المفعول، أي أجرة وجعلاً. قوله: (كرره **تأكيداً**) أي وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة، والثاني على عدم سؤاله أجراً منهم. قوله: **﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ﴾** الخ، هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم، حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من ايمانهم، وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصاً لوجه الله، بل هو طمع في أن ينالهم شيء من الدنيا. قوله: **(وفي قراءة)** ظاهرة أنها سبعية وليس كذلك بل هي عشرية، والمعتمد جواز القراءة بها. قوله: **(وأتباعك)** مبتدأ، وخبره **﴿الْأَرْذَلُونَ﴾** جمع أرذل، كالأكبرون جمع أكبر. قوله: **(السفلة)** المراد بهم الفقراء والضعفاء، وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عوائقهم، كالرياسة والغنى، فإن ذلك موجب للأنفة عن الاتباع.

قوله: **﴿قَالَ وَمَا عِلْمِي﴾** يحتمل أن تكون **﴿مَا﴾** استفهامية، واليه يشير المفسر بقوله: **(أي علم لي)**

﴿إن﴾ ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ تعلمون ذلك ما عبَّدتموهم ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ ﴿إن﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١١٥﴾ بيِّن الإنذار ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ بالحجارة أو بالشتم ﴿قَالَ﴾ نوح ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ﴿١١٧﴾ ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٨﴾ قال تعالى ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿١١٩﴾ المملوء من الناس والحيوان ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾ من قومه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٢٤﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٢٥﴾ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿١٢٦﴾ ﴿وَمَا

ويحتمل أن تكون نافية. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية، وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الإيمان. قوله: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ أي حساب بواطنهم. قوله: (ما عبدتموهم) قدره إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية حذف جوابها. قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء، وهذا كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالي والفقراء، كما تقدم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾. قوله: ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ أي للمكلفين أعزاء وغيرهم، فكيف يليق مني طرد الفقراء؟.

قوله: ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ أي تترك ما أنت عليه من معارضتنا. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال: إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك، فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبي وأصروا عليه، بعدما كررت عليهم الدعوة، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة نوح في قوله: ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً﴾الخ، قوله: ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً﴾ من الفتاحة بالضم والكسر وهي الحكومة، أي احكم بيننا بما يستحقه كل منا. قوله: ﴿وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون في الاتباع، وكان من معه من المؤمنين ثمانين، أربعون من الرجال وأربعون من النساء، على أحد أقوال تقدمت.

قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي بالطوفان، حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض. قوله: ﴿الْبَاقِينَ﴾ (من قومه) أي صغاراً وكباراً، فالهلاك الدنيوي عمّ الكبار والصغار والبهائم، وأما في الآخرة فالخلود في النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين، من أول الدنيا إلى آخرها، فيدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺ.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ اسم أبي قبيلة هود الأعلى، سميت القبيلة باسمه، فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد، وقوله: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ المراد هود، وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع، لاشتراك الكل في المجيء بالتوحيد. قوله: ﴿أَخُوهُمْ﴾ أي من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد، وكان هود تاجراً جميل الصورة يشبه آدم، وعاش من العمر أربعمائة وأربعاً وستين سنة. قوله: ﴿أَلَا

أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناء علماً للمارة ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ ﴿١٢٨﴾ بمن يمر بكم وتسخرون منهم، والجملة حال من ضمير تبنون ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ كأنكم ﴿تَخْلُدُونَ﴾ ﴿١٢٩﴾ فيها لا تموتون ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ من غير رأفة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في ذلك ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٣١﴾ فيما أمرتكم به ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم ﴾ أنعم عليكم ﴿ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٣٤﴾ أنهار ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٣٥﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ ﴾ مستوٍ عندنا

﴿تَتَّقُونَ﴾ **﴿أَلَا﴾** أداة عرض، وهو الطلب بلين ورفق، تأليفاً لقلوب المجرمين لعلهم يهتدون. قوله: **﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** تعليل لعرضه التقوى عليهم، والمعنى إني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين، لا أزيد ولا أنقص.

قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** تفريع على قوله: **﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾** فحيث كنت رسولاً أميناً، فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتي، فطاعته من حيث كونه رسولاً من عند الله لا من حيث ذاته، ولذا لم يقل: ألا تتقون وتطيعوني. قوله: **﴿مِنْ أَجْرٍ﴾** أي جعل وأجرة على رسالتي. قوله: **﴿إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** أي لأنه المرسل لي الغني المغني.

قوله: **﴿أَتَبْنُونَ﴾** الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة، كل واحد منها مناف للتقوى: البناء للبعث، واتخاذ المصانع، والتجبر. قوله: **﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾** بكسر الراء ويقال بفتحها، هو المكان المرتفع. قوله: **(علماً للمارة)** أي كالعلم في الارتفاع. قوله: **(بمن يمر بكم)** الخ، هذا أحد أوجه في تفسير متعلق البعث، وقيل: **﴿تَعْبَثُونَ﴾** بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به في الأسفار، مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها، وقيل المعنى تبنون بنياناً يجتمعون فيه للعبث، وكل صحيح واقع منهم. قوله: **﴿مَصَانِعَ﴾** جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها، وهو الحوض والبركة تحت الأرض كالصهاريج. قوله: **(كأنكم)** فسر لعل بكان بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون، والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجي، ويكون المعنى: راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك، لأن مجيء لعل بمعنى كأن لم يرد.

قوله: **﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ﴾** أي فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف. قوله: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** **(في ذلك)** أي فيما تقدم من الأمور الثلاثة. قوله: **﴿الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾** أي أعطاكم المدد وهو النعم. قوله: **﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ﴾** بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل. قوله: **﴿وَبَنِينَ﴾** أي ذرية. قوله: **﴿وَجَنَّاتٍ﴾** جمع جنة.

قوله: **﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾** أي إن دمتم على مخالفتي، ولم تشكروا هذه النعم بعد بعثتي. قوله: **(في الدنيا)** أي بالريح العقيم، وقوله: **(وفي الآخرة)** أي بالخلود في النار. قوله: **﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ**

﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ ﴿١٣٦﴾ أصلاً أي لا نرعوي لوعظك ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوَّفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾﴿١٣٧﴾ أي اختلاقهم وكذبهم، وفي قراءة بضم الخاء واللام، أي ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين أي طبيعتهم وعادتهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾﴿١٣٨﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٤١﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ ﴿١٤٣﴾ ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿١٤٤﴾ ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ﴾ من الخير ﴿ءَامِنِينَ﴾ ﴿١٤٦﴾ ﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿١٤٧﴾ ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا

ٱلْوَاعِظِينَ﴾ هذا أبلغ من أن يقولوا أولم تعظ، لأن المعنى سواء علينا أوعظت، بأن كنت من أهل الوعظ، أم لم تكن أصلاً من أهله، بأن كنت أمياً مثلنا ولست نبياً. قوله: (**أي لا نرعوي لوعظك**) أي لا نرتدع ولا ننكف له. قوله: **﴿إِلَّا خَلْقُ ٱلأَوَّلِينَ﴾** أي من تقدموا قبلك كشيث ونوح، فإنهم كانوا يختلقون أموراً فاقتديت بهم، فاسم الإشارة على هذه القراءة، راجع لما خوفهم به. قوله: (**وفي قراءة**) أي وهي سبعية أيضاً، وعليها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم، وهو عدم البعث. قوله: (**أي طبيعتهم وعادتهم**) أي عادة الأولين من قبلنا، أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون، ولا بعث ولا حساب.

قوله: **﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾** أي على ما فعلناه من الأعمال. قوله: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾** أي استمروا على تكذيبه. قوله: (**بالريح**) أي الصرصر، وكانت باردة شديدة الصوت لا ماء فيها، وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام، أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في أواخر الشتاء، وسيأتي بسطها في سورة الحاقة. قوله: **﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** أي بل أقلهم كانوا مع هود في حظيرة تنسم عليهم ريح لينة، حتى مضت تلك المدة، فأخذهم وهاجروا من تلك الأرض إلى مكة. قوله: **﴿ٱلْعَزِيزُ﴾** أي الغالب على أمره. قوله: **﴿ٱلرَّحِيمُ﴾** أي المنعم على عباده بدقائق النعم. قوله: **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾** اسم أبي قبيلة صالح الأعلى، سميت القبيلة باسمه، وتسمى أيضاً عاداً الثانية، وهم ذرية من آمن من قوم هود. قوله: **﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾** المراد بهم صالح، وتقدم وجه التعبير بالجمع. قوله: **﴿أَخُوهُمْ﴾** أي في النسب، لاجتماعهم معه في الأب الأعلى، وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة، وبينه وبين هود مائة سنة. قوله: **﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾** تقدم أن **﴿أَلَا﴾** أداة عرض كما في قول الشاعر:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راءٍ كمن سمعا

وحكمة التعبير أولاً بالعرض، تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين، لقصر عقلهم وجهلهم. قوله: **﴿أَتُتْرَكُونَ﴾** الاستفهام إنكاري توبيخي، وما اسم موصول بيّنها المفسر بقوله: (**من الخيرات**) وهنا اسم إشارة للمكان القريب، والمراد دار الدنيا، والمعنى أتظنون أنكم تتركون في الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات، آمنين من كل مكروه، ولا تمتحنون بأوامر ونواه، ولا تحاسبون على شيء فيها؟ لا تظنوا

هَضِيمٌ ﴾ ﴿١٤٨﴾ لطيف لين ﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ ﴿١٤٩﴾ بطرين وفي قراءة فارهين حاذقين ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ ﴿١٥٠﴾ فيما أمرتكم به ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالمعاصي ﴿ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ بطاعة الله ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقلهم ﴿ مَآ أَنتَ ﴾ أيضاً ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ﴿١٥٤﴾ في رسالتك ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ ﴾ نصيب من الماء ﴿ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٥٦﴾ بعظم العذاب ﴿ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي عقرها بعضهم برضاهم ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴾ ﴿١٥٧﴾ على عقرها ﴿ فَأَخَذَهُمُ

ذلك، بل الواجب عليكم ترك الفاني والاشتغال بالباقي. قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ بدل من قوله: ﴿هَهُنَا﴾ بإعادة الجار. قوله: ﴿وَنَخْلٍ﴾ هو اسم جنس جمعي، واحده نخلة، يذكر ويؤنث، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقاً. قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ هو ثمرها في أول ما يطلع كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو، وبعده الاغريض، ويسمى خلالاً ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر، يجمعها قولك: طاب زبرت، فأطوار النخيل سبعة كأطوار الإنسان، ولذا ورد في الحديث: «أكرموا عماتكم النخل»، وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار.

قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ أي لطول أعمارکم، فإن السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم، لأن الواحد منهم كان يعيش ثلاثمائة سنة إلى ألف. قوله: (بطرين) أي لنعم ربكم. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (حاذقين) أي ماهرين في العمل. قوله: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الإسناد مجازي في النسبة، والأصل لا تطيعوا المسرفين في أمرهم. قوله: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ صفة للمسرفين. قوله: ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ دفع بذلك ما يتوهم أنه يقع منهم الاصلاح في بعض الأوقات. قوله: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ أي فكيف تدعي أنك رسول إلينا.

قوله: ﴿قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ﴾ الإشارة اليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا، عن أبي موسى الأشعري قال: رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعاً في ستين ذراعاً. قوله: ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ الخ، أمرهم صالح بأمرين: الأول قوله: ﴿لَهَا شِرْبٌ﴾ والثاني قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ﴾. قوله: (نصيب من الماء) أي فهي تشرب منه يوماً، وأنتم تشربون منه يوماً، لا تزاحمكم ولا تزاحموها، وفي يومها تشربون من لبنها.

قوله: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي يوم الثلاثاء، وأخذهم العذاب يوم السبت، وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم، وهو أنهم في اليوم الأول تصفر وجوههم، ثم تحمر في اليوم الثاني، ثم تسود في اليوم الثالث. قوله: (أي عقرها بعضهم) أي وهو قدار، وكان قصيراً أزرق، وكان ابن زنا، ضربها في ساقيها بالسيف. قال السدي وغيره: أوحى الله إلى صالح، أن قومك سيعقرون ناقتك، فقال لهم ذلك، فقالوا: ما كنا لنفعل، فقال لهم صالح: إنه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها، ويكون هلاككم على يديه، فقالوا: لا يولد في هذا الشهر ذكر إلا قتلناه، فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر، فذبحوا أبناءهم، ثم للعاشر فأبى أن يذبح ابنه، وكان لم يولد له قبل ذلك، فكان ابن العاشر أزرق أحمر، فنبت نباتاً سريعاً،

﴿ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٥٨﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٥٩﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿١٦٥﴾ أي من الناس ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ أي أقبالهن ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ ﴿١٦٦﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ ﴿١٦٧﴾ من بلدتنا ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ المبغضين ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ أي من عذابه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿فِي

فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا: لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، وغضب التسعة على صالح، لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم، فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله، فقالوا: نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا، فنكمن في غار، حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده، أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون، فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر، وكان صالح لا ينام في القرية، بل كان ينام في المسجد، فإذا أصبح أتاهم فوعظهم، فلما دخلوا الغار، أرادوا أن يخرجوا، فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك، فصاحوا في القرية: يا عباد الله، أما رضي صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم، فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة.

قوله: ﴿نَادِمِينَ﴾ **(على عقرها)** إن قلت: لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم؟ أجيب: بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبة منهم. قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين، إشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار، لا يغادر منهم أحداً، والرحمة الحاصلة للمؤمنين، لا تغادر منهم أحداً، فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه.

قوله: ﴿أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لا في النسب، لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام، وهما من بلاد المشرق من أرض بابل، فنزل إبراهيم الخليل من أرض الشام، ولوط بسدوم وقراها. قوله: ﴿ٱلذُّكْرَانَ﴾ جمع ذكر، أي أدبارهم. قوله: **(أي الناس)** وكذا غيرهم من الحيوانات الغير العاقلة، فهذه الخصلة القبيحة، لم تكن في أحد قبل قوم لوط، ثم لما خسف بهم تنوسيت، حتى ظهرت في هذه الأمة المحمدية، فإنا لله وإنا إليه راجعون. قوله: ﴿مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ أي أحل وأباح. قوله: **(أي أقبالهن)** أي لأنه محل نبات البذر، قال تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم فائتوا حرثكم أنى شئتم﴾. قوله: ﴿عَادُونَ﴾ أي متعدون. قوله: ﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ متعلق المحذوف خبر إن أي لقال من القالين، و ﴿ٱلْقَالِينَ﴾ صفته، و ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ متعلق بالخبر المحذوف، ولا يصح أن يجعل قوله: ﴿مِنَ ٱلْقَالِينَ﴾ خبر إن، فيكون عاملاً في ﴿لِعَمَلِكُمْ﴾ يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل، مع أنه لا يجوز. قوله: **(أي من عذابه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه، فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل. قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي بنتيه وزوجته المؤمنة قوله:

﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ ﴿١٧١﴾ الباقين أهلكناها ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ ﴿١٧٢﴾ أهلكناهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ حجارة من جملة الإهلاك ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ﴿١٧٣﴾ مطرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٤﴾ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ وفي قراءة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء هي غيضة شجر قرب مدين ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾ لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ الناقصين ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ ﴿١٨٢﴾ الميزان السوي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من

(الباقين) أي في العذاب، قيل تبعت لوطاً ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر، وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها. قوله: **(أهلكناهم)** أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها. قوله: **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾** أي على من منهم خارج القرى، لسفر أو غيره. قوله: **(مطرهم)** هذا هو المخصوص بالذم.

قوله: **﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾** هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار، وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن، في الحجر، وق، وهنا، وص، فالأوليان بأل مع الجر لا غير، والأخريان يقرآن بالوجهين. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(بحذف الهمزة)** أي الثانية، وقوله: **(على اللام)** أي لام التعريف، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها، بتحريك اللام لأنها همزة وصل، أتى بها للتوصل للنطق بالساكن، وفي كلام المفسر نظر، لأنه يقتضي أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله: **(وفتح الهاء)** لأن المقرون بأل يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا، قال ابن مالك:

وجـر بـالـفـتـحـة مـا لا يـنـصرف   مـا لم يضف أويـك بعـد أل ردف

فالمناسب أن يقول: وفي قراءة بوزن ليلة، ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية، وحينئذ فجره بالفتحة ظاهر للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربياً، وللعلمية والعجمة إن كان أعجمياً. قوله: **(وفتح الهاء)** في بعض النسخ وفتح التاء وهي أوضح. قوله: **(هي غيضة شجر)** بفتح الغين وبالضاد المعجمة، أي مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض، وكان شجرهم الدوم. قوله: **(قرب مدين)** هي قرية شعيب، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام. قوله: **﴿الْمُرْسَلِينَ﴾** المراد به شعيب، وفي جمعه ما علمت، وقد أرسل شعيب أيضاً لأهل مدين، لكن أهل مدين اهلكوا بالصيحة، وأصحاب الأيكة اهلكوا بعذاب يوم الظلة. قوله: **(لأنه لم يكن منهم)** أي بل كان من مدين، قال تعالى: ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾. قوله: **(الناقصين)** أي لحقوق الناس.

قوله: **﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾** أي فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير. قوله: **(وغيره)** أي كقطع

حقهم شيئاً ﴿ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ﴿١٨٣﴾ بالقتل وغيره من عثي بكسر المثلثة أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ ﴾ الخليقة ﴿ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿١٨٤﴾ ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ ﴿١٨٥﴾ ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾﴿١٨٧﴾ في رسالتك ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾﴿١٨٨﴾ فيجازيكم به ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾ هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٨٩﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٩٠﴾ ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٩١﴾ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٩٢﴾ ﴿ نزل به الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ ﴿١٩٣﴾ جبريل ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ ﴿١٩٤﴾ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١٩٥﴾ بيِّن وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي ذكر القرآن المنزل على محمد

الطريق. قوله: **(لمعنى عاملها)** أي ولفظها مختلف. قوله: **﴿وَالْجِبِلَّةَ﴾** بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة، كأنها الجبال قوة وصلابة، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وبفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء. قوله: **﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾** أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة في تكذيبه، لأنه عند دخول الواو، يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصوداً بخلاف تركها، فلم يقصد إلا التسحير والثاني دليل له. قوله: **(مخففة من الثقيلة)** المناسب أن يقول مهملة لا عمل لها، لأن المكسورة إذا خففت قل عملها، والأولى حمل القرآن على الكثير. قوله: **(بسكون السين وفتحها)** قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾** استمروا على تكذيبه. قوله: **﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾** روي أن الله تعالى فتح عليهم باباً من أبواب جهنم، وأرسل عليهم حراً شديداً، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء، فأنضجهم الحر فخرجوا، فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم، فوجدوا لها برداً وروحاً وريحاً طيبة، فنادى بعضهم بعضاً، فلما اجتمعوا تحت سحابة، ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض، فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي، فصاروا رماداً، وهذا العذاب الذي حل بهم، هو الذي طلبوه تهكماً بشعيب بقولهم: فأسقط علينا كسفاً من السماء. قوله: **(أصابهم)** أي سبعة أيام، ثم لجوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام. قوله: **﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنـزل عليه، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون.

قوله: **﴿نَزَلَ بِهِ﴾** الباء للملابسة، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال: نزل في حال ملابسة له على حد خرج زيد بثيابه. قوله: **﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾** خصه بالذكر لأنه سلطان الأعضاء، فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء، ففي الحديث: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي القلب»، فحيث نزل على قلبه، فقد تمكن من سائر بدنه، فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان،

﴿لَفِى زُبُرِ﴾ كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٩٦﴾ كالتوراة والإنجيل ﴿أَوَ لَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿١٩٧﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك، ويكن بالتحتانية ونصب آية، وبالفوقانية ورفع آية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾ ﴿١٩٨﴾ جمع أعجم ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي كفار مكة ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ أنفة من اتباعه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٢٠٠﴾ أي كفار مكة بقراءة النبي ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟﴾ العذاب ﴿ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿٢٠١﴾ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٠٢﴾ ﴿فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ ﴿٢٠٣﴾ لنؤمن فيقال لهم لا، قالوا متى هذا العذاب، قال تعالى ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿٢٠٤﴾ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾ ﴿٢٠٥﴾ ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ من العذاب ﴿ما﴾ استفهامية بمعنى

ولذا ورد: أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية، يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن يتلوها جبريل عليه ظاهراً، حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة، قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾.

قوله: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنْذِرِينَ﴾ أي ومن المبشرين. قوله: ﴿بِلِسَانٍ﴾ يصح أن يكون بدلاً من قوله به بإعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقاً بالمنذرين، والمعنى لتكون من الذين انذروا بهذا اللسان العربي وهم: هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية. قوله: **(أي ذكر القرآن)** دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت في سائر الكتب، مع أنه ليس كذلك، والمراد بذكره نعته والإخبار عنه، بأنه ينزل على محمد، وأنه صدق وحق.

قوله: **﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً﴾** الاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: **(وأصحابه)** أي وكانوا أربعة غيره: أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين، فالخمسة من علماء اليهود، وقد حسن إسلامهم. قوله: **(ويكن بالتحتانية ونصب آية)** أي على أنه خبر ﴿يَكُنْ﴾ مقدم، واسمها قوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ الخ. قوله: **(ورفع آية)** أي على أنه فاعل بتكن، وقوله: ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ بدل من ﴿آيَةً﴾ قوله: **(جمع أعجم)** أصله أعجمي بياء النسب خفف بحذفها، وبه اندفع ما يقال: إن أفعل فعلاء لا يجمع جمع المذكر السالم. قوله: **(أنفة من اتباعه)** أي تكبراً. قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ معمول لسلكناه، والضمير في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر. قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الخ، الجملة مستأنفة أو حال من الهاء في ﴿سَلَكْنَاهُ﴾، وقوله: ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ مقدم من تأخير، وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا: هل نحن منظرون أي مؤخرون عن الإهلاك ولو طرفة عين لنؤمن، فيقال لهم: لا أي لا تأخير ولا إمهال. قوله: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ استفهام توبيخ وتهكم، حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم، والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، تقديره أيعقلون ما ينزل بهم؟

قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ معطوف على ﴿فَيَقُولُوا﴾ وما بينهما اعتراض، وقوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ تنازعه رأيت يطلبه مفعولاً أول، و ﴿جَاءَهُمْ﴾ يطلبه فاعلاً، فأعملنا الأول وأضمرنا في الثاني ضميراً يعود

أي شيء ﴿ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾ ﴿٢٠٧﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه أي لم يغن ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ ﴿٢٠٨﴾ رسل تنذر أهلها ﴿ ذِكْرَىٰ ﴾ عظة لهم ﴿ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٢٠٩﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم. ونزل رداً لقول المشركين ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ﴾ بالقرآن ﴿ الشَّيَاطِينُ ﴾ ﴿٢١٠﴾ ﴿ وَمَا يَنبَغِي ﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ﴿٢١١﴾ ذلك ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ ﴾ لكلام الملائكة ﴿ لَمَعْزُولُونَ ﴾ ﴿٢١٢﴾ بالشهب ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ ﴿٢١٣﴾

عليه، أي ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ﴾ هو أي الذي كانوا يوعدونه، وجملة ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ الخ، في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لرأيت. قوله: ﴿مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي به، و ﴿مَا﴾، اسم موصول. قوله: **(استفهامية)** أي استفهام انكار كما أشار له بقوله: **(أي لم يغن)** فهذا مساوٍ في المعنى لقول بعضهم إنها نافية، وهي على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى، وقوله: ﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ فاعل بأغنى، و ﴿مَا﴾ مصدرية.

قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ الخ، أي إنه جرت عادته سبحانه وتعالى، أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول اليهم وعصيانهم، وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى، وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لا يعد ظالماً، لأنه متصرف في ملكه يحكم لا معقب لحكمه، ففعله دائر بين الفضل والعدل. قوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ الجملة صفة لقرية. فإن قلت: لم تركت الواو هنا وذكرت في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾؟ أجيب: بأن الأصل ترك الواو، وإذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله: ﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾. قوله: ﴿ذِكْرَى﴾ مفعول لأجله، أي لأجل تذكيرهم العواقب. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي لا نفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الإنذار، بل لا نهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل. قوله: **(رداً لقول المشركين)** مقول لقول محذوف، تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه، فهو من جملة الكهنة.

قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أي لا يمكنهم. قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ الخ، علة لقوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. قوله: **(لكلام الملائكة)** إن كان المراد كلامهم بالوحي الذي يبلغونه للأنبياء، فالشياطين معزولون عنه لا يصلون اليه أصلاً، وإن كان المراد به المغيبات التي ستقع في العالم، فكانوا أولاً يسترقونها، فلما ولد ﷺ منعوا من السماوات، فلما بعث سلط عليهم الشهب، وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين، وانقطع نزولهم على الكهنة، فبطل قول المشركين إن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ﴾ نزل رداً لقول المشركين: اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة، والخطاب له ﷺ والمراد غيره. قوله: **(رواه البخاري ومسلم)** أي فقد ورد أنه ﷺ قال في إنذاره: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً». وفي رواية أنه ﷺ

إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ﴿٢١٤﴾ وهم بنو هاشم وبنو المُطلب، وقد أنذرهم جهاراً، رواه البخاري ومسلم ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ ألن جانبك ﴿ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢١٥﴾ الموحدين ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ ﴾ أي عشيرتك ﴿ فَقُلْ ﴾ لهم ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٢١٦﴾ من عبادة غير الله ﴿ وَتَوَكَّلْ ﴾ بالواو والفاء ﴿ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿٢١٧﴾ أي فوض إليه جميع أمورك ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ ﴿٢١٨﴾ إلى الصلاة ﴿ وَتَقَلُّبَكَ ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ ﴿٢١٩﴾ أي المصلين ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٢٢٠﴾ ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ ﴿٢٢١﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ ﴾ كذاب ﴿ أَثِيمٍ ﴾ ﴿٢٢٢﴾ فاجر مثل مسيلمة

صعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون من قريش قد اجتمعوا، فجعل الذي لا يستطيع أن يخرج، يرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخر السورة.

قوله: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي فبعد الإنذار تواضع لمن آمن منهم، وتبرأ ممن بقي على كفره، ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم، فإن الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه. قوله: **(بالواو والفاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو هو معطوف على قوله: ﴿وَأَنْذِرْ﴾، وعلى الفاء هو بدل من قوله: ﴿فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ﴾. قوله: ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ﴾ أي الغالب على أمره، القاهر لكل معارض لأمره. قوله: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ أي بالمؤمن الممتثل لأمره. قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ أي منفرداً، قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي مع الجماعة. قوله: **(إلى الصلاة)** لا مفهوم لها، بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من سائر تنقلاته، وإنما خص الصلاة، لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، ولأن قرة عينه فيها لما في الحديث: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»، والمراد برؤيته إياه، زياد تجلي الرحمة عليه، وإلا فرؤيه الله حاصلة لكل مخلوق.

قوله: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ ﴿فِي﴾ على كلام المفسر بمعنى مع وقيل إن ﴿فِي﴾ على بابها، والمراد بالساجدين المؤمنون. والمعنى: يراك متقلباً في أصلاب وأرحام المؤمنين، من آدم إلى عبدالله فأصوله جميعاً مؤمنون، وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فإنه كان كافراً. وأجيب بجوابين الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارح، الثاني أنه كان أباه حقيقة، وقولهم إن أصوله ﷺ ليسوا كفاراً محله ما دام النور المحمدي في الواحد منهم، فإذا انتقل لمن بعده، فلا مانع من أن يعبد غير الله، وحينئذ فآزر ما كفر، إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده.

قوله: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ الخ، هذا رد لقولهم إنه كاهن. قوله: ﴿عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ ٱلشَّيَاطِينُ﴾ الجار والمجرور متعلق بتنزل، والجملة في محل نصب، سادة مسد المفعول الثاني والثالث إن جعل ﴿أُنَبِّئُكُمْ﴾ متعدياً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعدياً لاثنين. قوله: **(وغيره)** أي كالسطيح. قوله: **(من الكهنة)** جمع كاهن، وهو الذي يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذي يخبر عن الأمور الماضية.

وغيره من الكهنة ﴿يُلْقُونَ﴾ أي الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ أي ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ يضمون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ في شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ يمضون فيجاوزون الحد مدحاً وهجاء ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿ما لا يفعلون ﴿٢٢٦﴾﴾ أي يكذبون ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي لم يشغلهم عن الذكر ﴿وَانْتَصَرُوا﴾

قوله: ﴿**يُلْقُونَ السَّمْعَ**﴾ يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين، والمعنى يلقون ما سمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد ﴿**عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ**﴾، والمعنى يلقون ما سمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصغون إلى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم.

قوله: ﴿**وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾ الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة، والأكثرية باعتبار الأقوال، أي أكثر أقوالهم كاذبون فيها، والأقل فيها صدق، وليس المراد أن الأقل فيهم صادق، بل الكل طبعوا على الكذب، وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق. قوله: (**وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء**) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله: ﴿**إنهم عن السمع لمعزولون**﴾. وحاصل ذلك: أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السماوات، وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده ﷺ، وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شيء من الشياطين.

قوله: ﴿**وَالشُّعَرَاءُ**﴾ أي الذين يستعملون الشعر، وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول ﷺ منهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، ومسافع بن عبد مناف، وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر، واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم. قوله: (**من أودية الكلام وفنونه**) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام، فهم مشبهون بالهائم في الأودية الذي لا يدري أين يتوجه. قوله: (**يمضون**) أي يخوضون. قوله: (**أي يكذبون**) أي لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما، ولا يفعلون ما ذكر، ويذمون ضدهما ويصرون عليه، ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم.

قوله: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ سبب نزولها: أن كعب بن مالك قال للنبي ﷺ: قد أنزل في الشعر، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل». وقوله: قد أنزل في الشعر، أي أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله. قوله: (**من الشعراء**) أي ومنهم حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك وغيرهم. واعلم أن الشعر منه مذموم، وهو مدح من لا يجوز مدحه، وذم من لا يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الأولى، وقوله عليه السلام: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً ودماً، خير له من أن يمتلىء شعراً». ومنه ممدوح، وهو مدح من يجوز مدحه، وذم من يجوز ذمه، وعليه تتخرج الآية الثانية. وقوله ﷺ: «**إن من الشعر لحكمة**» وقال الشعبي: كان أبو

بهجوهم الكفار ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ﴾ بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين، قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر من الثلاثة، وروي عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستنشده، فروي أنه دعا عمر بن أبي ربيعة المخزومي، فاستنشده قصيدة فأنشده اياها، وهي قريب من تسعين بيتاً، ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها، وكان حفظها من مرة واحدة،وروي أنه عليه السلام قال يوم قريظة لحسان: «اهج المشركين فإن جبريل معك». وكان يضع له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ وينافح، ويقول رسول الله: «إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله». وروي عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل» فأرسل ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم فلم يرض، وأرسل كعب بن مالك، ثم أرسل إلى حسان بن ثابت، فلما دخل عليه حسان قال: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه، ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال النبي ﷺ: «لا تعجل، فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتى يخلص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: والذي بعثك بالحق نبياً، لأسلنك منهم كما تسل الشعر من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: إن الله يؤيدك بروح القدس، لا يزال يؤيدك ما نافحت عن رسوله، قالت: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «هجاهم حسان فشفى واشتفى»، فقال حسان:

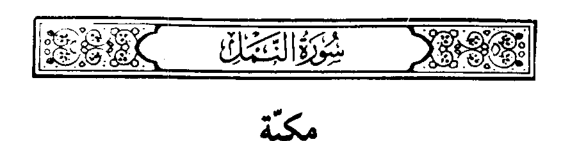
هجوت محمداً فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمداً براً تقياً	رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي ان لم تروها	تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات	على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات	تلطمهن بالخمر النساء
فإن اعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم	يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبداً	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جنداً	هم الأنصار عرضتها اللقاء
تلاقى كل يوم من معد	سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم	ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس له خفاء

قوله: (قال الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ استدلال على جواز هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم، وقوله: (فمن اعتدى عليكم) الخ، استدلال على شرط المماثلة

بمثل ما اعتدى عليكم﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿ أَىَّ مُنقَلَبٍ ﴾ مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ ﴾ ﴿٢٢٧﴾ يرجعون بعد الموت.

في المقابلة، فلا يجوز للمظلوم أن يزيد في الذم على ما ظلم به من الهجو. قوله: ﴿أيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ معمول لينقلبون الذي بعده لا لما قبله، لأن الاستفهام له الصدر، وهو مفعول مطلق، أي ينقلبون، أي انقلاب، والجملة سادة مسد مفعولي يعلم، والمعنى يرجعون مرجعاً سيئاً، لأن مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مرجع وأشره.

بسم الله الرحمن الرحيم



مكيّة

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿طسٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١﴾ مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة هو

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل مكية
وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون. الثانية قصة النمل. الثالثة قصة بلقيس. الرابعة قصة صالح مع قومه. الخامسة قصة لوط مع قومه. وما بقي منها حكم ومواعظ. قوله: **(ثلاث أو أربع)** الخ، أي إنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال. قوله: **(الله أعلم بمراده بذلك)** تقدم أن هذا القول أسلم، وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الإعراب، لأنه فرع معرفة المعنى، والموضوع أنه لم يعرف. قوله: **﴿تِلْكَ﴾** مبتدأ، و **﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾** خبره، واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة. قوله: **(آيات منه)** أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول: جلست مع زيد ساعة الليل، تريد ساعة منه. قوله: **(مظهر الحق من الباطل)** أي فالحق صار بالقرآن ظاهراً واضحاً، والباطل كذلك. قوله: **(عطف بزيادة صفة)** جواب عما يقال: لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى؟ فأجاب: بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن.

قوله: **﴿هُدىً﴾** خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(هو)** فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال

﴿ هُدًى ﴾ أي هاد من الضلالة ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ المصدقين به بالجنة ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿ وَيُؤْتُونَ ﴾ يعطون ﴿ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ﴿٣﴾ يعلمونها باستدلال وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ ﴿٤﴾ يتحيرون لقبحها عندنا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي يلقى عليك

مقدر تقديره: ما فائدة الإتيان به؟ وما الثمرة المترتبة عليه؟ فأجاب بأنه ﴿هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. قوله: **(أي هاد من الضلالة)** هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى، ويحتمل أن المراد ذو هدى، أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى على حد ما قيل في زيد عدل. قوله: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حذف من الأول لدلالة الثاني عليه، فالقرآن هدى للمؤمنين وبشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى﴾ وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعتنى بهم، المشرفون بخدمته تعالى. قوله: **(يأتون بها على وجهها)** أي بشروطها وأركانها على الوجه الأكمل.

قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أي الواجبة للأصناف الثمانية. قوله: ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ، و﴿يُوقِنُونَ﴾ خبره، و﴿بِالآخِرَةِ﴾ متعلق بيوقنون. قوله: **(يعلمونها بالاستدلال)** أي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فمن شك في ذلك فقد كفر. قوله: **(لما فصل بينه وبين الخبر)** أي بمتعلق الخبر وهو قوله: ﴿بِالآخِرَةِ﴾. قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ مقابل قوله: ﴿هُدىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الخ، على عادته سبحانه وتعالى، متى ذكر وصف المؤمنين، يعقبه بذكر ضدهم قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم، وهي في الواقع ليست حسنة، وإنما ذلك ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

قوله: **(يتحيرون فيها)** أي لتعارض تزيين الشيطان وإخبار الرحمن، ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبح، فأهل الكفر متحيرون في كفرهم لكونهم في ظلمات، ومن المعلوم أن السائر في الظلمات، متحير بخلاف السائر في النور، فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم، وأهل الكفر متشككون متحيرون. قوله: ﴿هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ أي إن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا، لدوام العذاب في الآخرة. قوله: **(بشدة)** أخذ ذلك من تشديد الفعل. قوله: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ أي من عند من يضع الشيء في محله، العالم بالكليات والجزئيات، فذكر وصف العلم بعد الحكمة، من ذكر العام بعد الخاص. قوله: **(اذكر)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿إِذْ قَالَ﴾ ظرف لمحذوف، والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له. قوله: **(زوجته)** أي بنت شعيب، أي وولده وخادمه. قوله: **(عند مسيره من مدين)** أي ليجتمع بأمه وأخيه بمصر، وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة، وقد ضل عن الطريق، وأخذ زوجته الطلق. قوله: **(وكان قد ضلها)** أي تاه عنها.

بشدة ﴿مِن لَّدُنْ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ في ذلك اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾ زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر ﴿إِنِّي آنَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق وكان قد ضلها ﴿أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ بالإضافة للبيان وتركها أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن﴾ أي بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي بارك الله ﴿مَن فِي النَّارِ﴾ أي موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي الملائكة أو العكس، وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف ويقدر بعد في مكان ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨﴾ من جملة ما نودي ومعناه تنزيه الله من السوء ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ﴾ أي الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٩﴾ ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ يرجع، قال تعالى ﴿يَا مُوسَىٰ لَا

قوله) ﴿أَوْ آتِيكُمْ﴾ أو مانعة خلو تجوز الجمع. قوله: **(أي شعلة نار)** أي شعلة مقتبسة من النار، فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر، لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكواكب. قوله: **(بدل من تاء الافتعال)** أي لأنها وقعت بعد الصاد، وهي من حروف الأطباق، فقلبت طاء على القاعدة المعلومة. قوله: **(بكسر اللام)** أي من باب تعب، وقوله: **(وفتحها)** أي من باب رمى. قوله: ﴿نُودِيَ﴾ أي ناداه الله. قوله: **(أي بأن)** أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، وما بعدها في تأويل مصدر، وحرف الجر مقدر قبلها، أي نودي ببركة ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ الخ، أي بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة، أي ناداه الله، بأننا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة، كما تقدم في طه حيث قال: ﴿وأنا اخترتك﴾ الخ.

قوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ هو نائب فاعل ﴿بُورِكَ﴾، وهذه تحية لموسى وتكرمة له. قوله: **(أو العكس)** أي فتفسر من الأولى بالملائكة، والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف. قوله: **(يتعدى بنفسه)** أي فيقال باركك الله. قوله: **(وبالحرف)** أي اللام وفي وعلى. قوله: **(ويقدر بعد في مكان)** أي على التفسير الأول، فيقال أن بورك من في مكان النار، وإنما احتيج لهذا التقدير، لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة، بل كان في المكان القريب منها. قوله: **(من جملة ما نودي)** أي أتى به، وإنما أتى بالتنزيه هنا، لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان، بحرف وصوت، أو كون الله في مكان أو جهة.

قوله: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ لم يقل هنا وأن كما في القصص، لأنه هنا ذكر بعد أن فعل، فحسن عطف ألق عليه، وما يأتي لم يذكر، فقد عطف وأن ألق، على قوله أن يا موسى إني أنا الله. قوله: ﴿تَهْتَزُّ﴾ حال من ضمير ﴿رَآهَا﴾. قوله: **(حية خفيفة)** أي في سرعة الحركة، فلا ينافي عظم جثتها. قوله: **(يرجع)** أي لم يرجع على عقبه. قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ **(منها)** أي لأنك في حضرتي، ومن كان فيها فهو آمن، لا يخطر بباله خوف من شيء. قوله: **(لكن)** ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ الخ، أشار إلى أن الاستثناء منقطع، و ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ﴾ خبره. قوله: **(أتاه)** أي عمله. قوله: **(طوق القميص)** إنما لم يأمره بإدخالها

تخف﴾ منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ ⑩ من حية وغيرها ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا﴾ أتاه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ⑪ أقبل التوبة وأغفر له ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ طوق القميص ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف لونها من الأدمة ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص لها شعاع يغشى البصر آية ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ مرسلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ⑫ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ أي مضيئة واضحة ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ⑬ بين ظاهر ﴿وَجَحَدُوا بِهَا﴾ أي لم يقروا ﴿وَ﴾ قد ﴿اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أي تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد ﴿فَانْظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ⑭ التي علمتها من إهلاكهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكراً لله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

في كمه، لأنه كان عليه مدرعة قصيرة من صوف لا كم لها، وقيل: لها كم قصيرة. قوله: **﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ﴾** جواب لقوله: **﴿أَدْخِلْ﴾** قوله: **(لها شعاع)** أي لمعان وإشراق. قوله: **(آية)** أشار بذلك إلى أن **﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾** في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير **﴿تَخْرُجْ﴾**، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع.

قوله: **﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾** متعلق بما قدره المفسر، وقوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾** الخ، تعليل لذلك المقدر. قوله: **﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا﴾** أي جاءهم موسى بها، وقوله: **﴿مُبْصِرَةً﴾** اسم فاعل والمراد به المفعول، أطلق اسم الفاعل على المفعول، إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها. قوله: **(أي مضيئة)** أي إضاءة معنوية في جميعها، وحسية في بعضها وهو اليد. قوله: **﴿قَالُوا هَٰذَا﴾** أي ما نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى. قوله: **﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾** حال من الواو في **﴿جَحَدُوا﴾** ولذا قدر فيه **(قد)**. قوله: **(أي تيقنوا)** الخ، أشار به إلى أن السين زائدة. قوله: **(راجع إلى الجحد)** أي على أنه علة له. قوله: **﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** **﴿كَيْفَ﴾** خبر مقدم لكان، و **﴿عَاقِبَةُ﴾** اسمها مؤخر، والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض. قوله: **(من إهلاكهم)** أي بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين.

قوله: **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾** هو بالمد بمعنى أعطينا، وهو شروع في ذكر القصة الثانية، وكان لداود تسعة عشر ولداً أجلهم سليمان، وعاش داود مائة سنة، وسليمان ابنه نيفاً وخمسين سنة، وبين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة، وبين سليمان ومحمد ﷺ ألف وسبعمائة سنة. قوله: **(بالقضاء بين الناس)** أي وهو علم الشرائع. قوله: **(ومنطق الطير)** أي تصويته. قوله: **(وغير ذلك)** أي كتسبيح الجبال.

قوله: **﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به. قوله: **﴿الَّذِي فَضَّلَنَا﴾** أي أعطانا هذا الفضل العظيم. قوله: **(وتسخير الجن والإنس)** الخ، ظاهره أن هذا كان لكل من داود

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ تؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المؤتى ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ البين الظاهر

وسليمان وهو كذلك، إلا أن سليمان فاق أباه، وكانت له السلطنة الظاهرة. قوله: ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي الذين لم يؤتوا مثلنا، وهذه مزية، وهي لا تقتضي الأفضلية، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا، فأولو العزم أفضل منهما، لأن التفضيل من الله لا بالمزايا. قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أي قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر، مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه، وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء.

قوله: ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي قال سليمان لبني إسرائيل: شكراً لله على نعمه. قوله: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ أي فهمنا الله أصوات الطير، ولا مفهوم للطير، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه، ورد أن سليمان كان جالساً، إذ مر به طائر يطوف، فقال لجلسائه: أتدرون ما يقول هذا الطائر؟ إنه قال لي: السلام عليك أيها الملك المسلط، والنبي لبني إسرائيل، أعطاك الله الكرامة، وأظهرك على عدوك، إني منطلق إلى أفراخي، ثم أمر بك الثانية، وإنه سيرجع إلينا الثانية، ثم رجع فقال لهم: يقول السلام عليك أيها الملك المسلط، إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا ثم آتيك، فافعل بي ما شئت، فأخبرهم سليمان بما قال، وأذن له فانطلق. ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول هذا البلبل؟ قالوا لا يا نبي الله، قال إنه يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء. ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاً، فخاف، فقال له سليمان احذر، فقال الهدهد: يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به، ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال له: ما هذا؟ قال ما رأيتها حتى وقعت بها يا نبي الله، قال: ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض، أما ترى الفخ؟ فقال يا نبي الله إذا نزل القضاء عمي البصر. وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: لدوا للموت وابنوا للخراب. وصاحت فاختة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له. وصاح عنده طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: كما تدين تدان. وصاح عنده هدهد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا لا، قال: إنه يقول: إن من لا يرحم لا يرحم. وصاح عنده صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: إنه يقول: استغفروا الله يا مذنبون. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتله. وقيل: إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت، ولذلك يقال له الصرد الصرام. وصاحت عنده طيطرجي فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: كل حي ميت، وكل جديد بال. وصاحت عنده خطافة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: قدموا خيراً تجدوه. فمن ثم نهى رسول الله ﷺ عن قتلها. وقيل: إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة، فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت، فهي لا تفارق بني آدم أنساً لهم، قال: ومعها أربع آيات من كتاب الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ إلى آخرها، وتمد صوتها بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾. وهدرت حمامة عند سليمان فقال: أتدرون ما

﴿ وَحُشِرَ ﴾ جمع ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ ﴾ في مسير له ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ﴿١٧﴾

تقول؟ قالوا: لا، قال: إنها تقول: سبحان ربي الأعلى، عدد ما في السماوات والأرض. وصاح قمري عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: سبحان ربي العظيم المهيمن. قال كعب: وحدثهم سليمان فقال: الغراب يقول: اللهم العن العشار، والحدأ يقول: كل شيء هالك إلا وجهه، والقطاة تقول: من سكت سلم، والببغاء تقول: ويل لمن الدنيا همه، والضفدع تقول: سبحان ربي القدوس، والبازي يقول: سبحان ربي وبحمده، والسرطان يقول: سبحان المذكور بكل مكان، وصاح دراج عند سليمان فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال إنه يقول: الرحمن على العرش استوى. وقال النبي ﷺ: الديك إذا صاح قال: اذكروا الله يا غافلون. وقال النبي ﷺ: «النسر إذا صاح قال: يا ابن آدم عش ما شئت فآخرك الموت، وإذا صاح العقاب قال: في البعد من الناس راحة. وإذا صاح القنبر قال: إلهي العن مبغض آل محمد. وإذا صاح الخطاف قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إلى آخرها فيقول ﴿ولا الضالين﴾ فيمد بها صوته كما يمد القارىء».

قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ قال ذلك تحدثاً بنعمة الله، وشكراً على ما أعطاه. قوله: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ﴾ أي من الأماكن البعيدة، وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره، لئلا يتقدموا في السير، قال محمد بن كعب القرظي: كان عسكر سليمان عليه السلام، مائة فرسخ في مائة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وقيل نسجت له الجن بساطاً من ذهب وحرير فرسخاً في فرسخ، وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد، وحوله كراسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، والعلماء على كراسي الفضة، والناس حوله، والجن والشياطين حول الناس، والوحش حولهم، وتظلله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمائة منكوحة يعني حرة، وسبعمائة سرية، فيأمر الريح العاصف فترفعه، ثم يأمر الرخاء فتسير به. وروي عن كعب الأحبار أنه قال: كان سليمان إذا ركب، حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام، تسع كل قدر عشرة من الإبل، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وهو بين السماء والأرض، واتخذ ميادين للدواب، فتجري بين يديه، والريح تهوي، فسار من إصطخر يريد اليمن، فسلك على مدينة رسول الله ﷺ، فلما وصل اليها قال سليمان: هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان، طوبى لمن آمن به، وطوبى لمن اتبعه، ولما وصل مكة، رأى حول البيت أصناماً تعبد فجاوزه سليمان، فلما جاوزه بكى البيت، فأوحى الله اليه ما يبكيك؟ قال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك، ومعه قوم من أوليائك، مروا علي ولم يصلوا عندي، والأصنام تعبد حولي من دونك، فأوحى الله اليه لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوهاً سجداً، وأنزل فيك قرآناً جديداً، وأبعث منك نبياً في آخر الزمان، أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عماراً من خلقي يعبدونني، أفرض عليهم فريضة، يحنون اليك حنين الناقة إلى ولدها، والحمامة إلى بيضها، وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مروا بوادي النمل. قوله: (يجمعون ثم يساقون) أي يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون.

يجمعون ثم يساقون ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ ﴾ هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ ﴾ لا يكسرنكم ﴿ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب

قوله: ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا**﴾ غاية لمحذوف، أي فساروا مشاة على الأرض وركباناً حتى إذا أتوا، الخ. قوله: (**نمله صغار**) أي وهو المعروف، وقوله: (**أو كباراً**): أي كالبخاتي أو الذئاب. قوله: ﴿**قالت نملة**﴾ قيل اسمها طاخية وقيل جرمى، وحكى الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول: سلوني، فأمر أبو حنيفة شخصاً سأل قتادة عن نملة سليمان، هل كانت ذكراً أو أنثى؟ فلم يجب، فقيل لأبي حنيفة في ذلك فقال: كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة، قال بعضهم: وفيه نظر لأن لحاق التاء في قالت، لا يدل على أنها مؤنثة، لأن تاءه للوحدة لا للتأنيث، وحينئذ فيصح أن يقال: قال نملة، وقالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق. قوله: (**وقد رأت جند سليمان**) أي من ثلاثة أميال بدليل قوله الآتي، وقد سمعه من ثلاثة أميال.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّمْلُ**﴾ الخ، اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعاً من البلاغة، أولها النداء بيا، ثانيها لفظ أي، ثالثها التنبيه، رابعها التسمية بقولها: ﴿**النَّمْل**﴾، خامسها الأمر بقولها: ﴿**ادْخُلُوا**﴾ سادسها التنصيص بقولها: ﴿**مَسَاكِنَكُمْ**﴾، سابعها التحذير بقولها: ﴿**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ**﴾ ثامنها التخصيص بقولها: ﴿**سُلَيْمَانُ**﴾، تاسعها التعميم بقولها: ﴿**وَجُنُودُهُ**﴾ عاشرها الإشارة بقولها: ﴿**وَهُمْ**﴾، حادي عشرها العذر بقولها: ﴿**لَا يَشْعُرُونَ**﴾. وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين، وهي من جملة الحيوانات العشرة التي تدخل الجنة وهي: براق رسول الله ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش ولده، وبقرة بني إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزير، وناقة صالح، وحوت يونس، روي أن سليمان قال لها: لم حذرت النمل، أخفت من ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل، فلم قلت: ﴿**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ**﴾، فقالت النملة: أما سمعت قولي: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت، ويفتنن في الدنيا، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر، فلما تكلمت مع سليمان، مضت مسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له؟ والله ما عندنا إلا نبقة واحدة، فقالت: حسنة ائتوني بها، فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها، وأمر الله الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والإنس والعلماء والأنبياء على البساط، حتى وقفت بين يديه، ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه، وأنشأت تقول:

ألم تر أنا نهدي إلى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره ... لأقصر البحر عنه يوماً وساحله
ولكننا نهدي إلى من نحبه ... فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما في ملكنا من يشاكله

فقال لها: بارك الله فيكم، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله، والنمل حيوان

بخطابهم ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾ انتهاءً ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾ وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركباناً ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ الأنبياء والأولياء ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي أعرض لي ما

معروف شديد الإحساس والشم، حتى إنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفاً من الإنبات، ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق، لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت، ويأكل في عامه نصف ما جمع، ويستبقي باقيه عدة. قوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ فيه وجهان، أحدهما أنه نهي، والثاني أنه جواب الأمر. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جملة حالية. قوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً﴾ مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم، وكان سبب ضحكه شيئين: أحدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون. الثاني سروره بما آتاه الله ما لم يؤت أحداً، من ادراك سمعه ما قالته النملة. قوله: **(ابتداء)** الخ، فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت، والضحك انفتاحه مع صوت خفيف، والقهقهة انفتاحه مع صوت قوي، وهي لا تكون من الأنبياء. قوله: **(في هذا السير)** أي في خصوص سيره على وادي النمل، وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح. قوله: ﴿وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ إنما ذكر نعمة والديه تكثيراً للنعمة، ليزداد في الشكر عليها. قوله: ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ على حذف مضاف أي في جملة ﴿عِبَادِكَ﴾ وفي بمعنى مع، والمراد الكاملون في الصلاح، لأن الصلاح مقول بالتشكيك، فما من مقام إلا وفوقه أعلى منه، والكامل يقبل الكمال.

قوله: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ شروع في القصة الثالثة، والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد، وكان سبب سؤاله عن الهدهد، أنه كان دليل سليمان على الماء، وكان يعرف موضع الماء، ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة، ويعرف قربه وبعده، فينقر في الأرض، ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له: إن الصبي يضع له فخاً ويحثو عليه التراب، فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه، فقال ابن عباس: إذا نزل القضاء والقدر، ذهب اللب وعمي البصر، قيل ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد. قوله: **(فتستخرجه الشياطين)** أي بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء، كما تسلخ الشاة.

قوله: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ استفهام استخبار. قوله: ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، كأنه لما يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره، فقال: ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك، وهو إضراب انتقالي. قوله: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث، فأو بين الكلمتين الأوليين للتخيير، وفي الثالث للترديد بينه وبينهما، فهي في الأخير بمعنى إلا. قوله: **(بنتف ريشه)** هذا أحد أقوال في معنى التعذيب، وقيل هو أن

منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾ فلم أره لغيبته، فلما تحققها قال ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾ تعذيباً ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوامّ ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾ بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١﴾

يحشره مع غير أبناء جنسه، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع في الشمس. قوله: **(بنون مشددة)** الخ، أي والقراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾** أي حجة ظاهرة على غيبته، والسبب في غيبة الهدهد، أن سليمان عليه السلام، لما فرغ من بناء بيت المقدس، عزم على الخروج إلى أرض الحرم، فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فحملتهم الريح، فلما وافى الحرم، أقام ما شاء الله أن يقيم، أي من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام، ولم يكن مأموراً بتكسيرها، فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة، ويذبح خمسة آلاف ثور، وعشرين ألف شاة، وقال لمن حضره من أشراف قومه: إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي، صفته كذا وكذا، ويعطى النصر على جميع من عاداه، وتبلغ هيبته مسافة شهر، القريب والبعيد عنده في الحق سواء، لا تأخذه في الله لومة لائم، قالوا: فبأي دين يدين يا نبي الله؟ قال بدين الله الحنيفية، فطوبى لمن أدركه وآمن به، قالوا: كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله؟ قال مقدار ألف سنة، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل، قال: فأقام بمكة حتى قضى نسكه، ثم خرج من مكة صباحاً وسار نحو اليمن، فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر، فرأى أرضاً حسناء تزهو خضرتها، فأحب النزول بها ليصلي ويتغدى، فلما نزل قال الهدهد: قد اشتغل سليمان بالنزول، فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك، فبينما هو ينظر يميناً وشمالاً، رأى بستاناً لبلقيس، فنزل اليه فإذا هو بهدهد آخر، وكان اسم هدهد سليمان يعفور، وهدهد اليمن عفير، فقال عفير ليعفور: من أين أقبلت؟ قال: أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود، قال ومن سليمان؟ قال: ملك الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح، فمن أين أنت؟ قال عفير: أنا من هذه البلاد، قال: ومن ملكها؟ قال: امرأة يقال لها بلقيس، وإن لصاحبك ملكاً عظيماً، ولكن ليس ملك بلقيس دونه، فإنها تملك اليمن، وتحت يدها أربعمائة ملك، كل ملك على كورة، مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل، ولها ثلاثمائة وزير يدبرون ملكها، ولها اثنا عشر قائداً، مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل، فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها؟ قال: أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء، قال الهدهد اليماني: إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة، فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها، وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء، فسأل عن الماء الجن والإنس فلم يعلموا، فتفقد الهدهد فلم يره، فدعا بعريف الطير وهو النسر، فسأله عن الهدهد فقال: أصلح الله الملك، ما أدري أين هو، وما أرسلته إلى مكان، فغضب سليمان وقال: **﴿لأعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾** الآية، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيراناً، فقال له: علي بالهدهد الساعة، فارتفع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم، ثم التفت يميناً وشمالاً، فرأى الهدهد مقبلاً من نحو اليمن، فانقض العقاب يريده، وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء، فقال: بحق الذي قواك وأقدرك علي، إلا

ببرهان بيِّنٍ ظاهر على عذره ﴿فَمَكَثَ﴾ بضم الكاف وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي يسيراً من الزمان، وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ بالصرف وتركه قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف ﴿بِنَبَإٍ﴾ خبر ﴿يَقِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سرير ﴿عَظِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ طوله ثمانون ذراعاً، وعرضه أربعون ذراعاً، وارتفاعه

ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء، فتركه العقاب وقال: ويلك ثكلتك أمك، إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك، فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام، فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له: ويلك أين غبت في يومك هذا؟ فلقد توعدك نبي الله، وأخبراه بما قال سليمان، فقال الهدهد: أو ما استثنى نبي الله؟ فقالوا: بلى إنه قال: ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ فقال نجوت إذاً، وكانت غيبته من الزوال، ولم يرجع إلا بعد العصر، فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان، وكان قاعداً على كرسيه، فقال العقاب: قد أتيتك به يا نبي الله، فلما قرب منه الهدهد، رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض، تواضعاً لسليمان عليه الصلاة والسلام، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده اليه وقال له: أين كنت؟ لأعذبنك عذاباً شديداً، فقال: يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل، فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك، ارتعد وعفا عنه ثم سأله: ما الذي أبطأك عني؟ فقال الهدهد: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ إلى آخره.

قوله: ﴿فَمَكُثَ﴾ أي الهدهد. قوله: **(بضم الكاف وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثاني من باب نصر. قوله: **(أي يسيراً من الزمان)** أي وهو من الزوال إلى العصر. قوله: **(فعفا عنه)** أي من أول الأمر قبل أن يذكر العذر. قوله: **(وسأله عما لقي في غيبته)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ﴾ الخ، مفرع على محذوف. قوله: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ أي علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهي ثلاث مراحل. قوله: **(بالصرف وتركه)** أي فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظراً إلى أنه اسم رجل وتركه نظراً إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث. قوله: **(اسمها بلقيس)** بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان، وكان أبوها ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هي آخرهم، وكان الملك يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: ليس أحد منكم كفؤاً لي، وأبى أن يتزوج منهم، فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة يقال لها ريحانة بنت السكن، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب اليهم، أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها.

قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ عطف على قوله: ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ لأنه بمعنى ملكتهم، قال ابن عباس: كان يخدمها ستمائة امرأة. قوله: **(يحتاج اليه الملوك)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾

ثلاثون ذراعاً، مضروب من الذهب والفضة، مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد، عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن، كما في قوله تعالى ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ والجملة في محل مفعول يهتدون بإسقاط إلى ﴿ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ في قلوبهم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ بألسنتهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ

عام أريد به الخصوص. قوله: ﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ أي تجلس عليه، أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا، وأما وصف عرش الله بالعظم، فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السماوات والأرض وما بينهما فحصل الفرق. قوله: (**طوله ثمانون ذراعاً**) الخ، وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك، وارتفاعه في الهواء كذلك. قوله: (**عليه سبعة أبواب**) صوابه أبيات بدليل قوله: (**على كل بيت باب مغلق**). قوله: ﴿**يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ**﴾ أي فهم مجوس.

قوله: ﴿**فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ أَنْ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ**﴾ الخ، ذكر ذلك رداً على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله، لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السماوات والأرض، عالم بجميع المعلومات. قوله: (**أي أن يسجدوا له**) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون ﴿**أَنْ**﴾ ناصبة، و ﴿**لَا**﴾ زائدة، و ﴿**يَسْجُدُوا**﴾ فعل مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعل، وعليها فلا يجوز الوقف على ﴿**يَهْتَدُونَ**﴾ لأنه من تتمته، كأنه قال: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ، وقرأ الكسائي بتخفيف ألا، وتوجيهها أن يقال إن لا للافتتاح، ويا حرف تنبيه، واسجدوا فعل أمر، لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ، ووصلت الياء بسين اسجدوا، فاتحدت القراءتان لفظاً وخطاً، وهناك وجه آخر في هذه القراءة، وهو أن يا حرف نداء والمنادى محذوف، والتقدير ألا يا هؤلاء وهو ضعيف، لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف. قوله: (**من المطر والنبات**) لف ونشر مرتب، فالمطر هو المخبوء في السماوات، والنبات هو المخبوء في الأرض.

قوله: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله: ﴿**الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ**﴾ إلى هنا، إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان، وليس داخلاً تحت قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ وإنما ذكر الهدهد ذلك، ليغري سليمان على قتالهم، وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم، بل إنما غرضه وصف ملكها. قوله: (**وبينهما بون**) أي فضل ومزية. قوله: ﴿**قَالَ سَنَنْظُرُ**﴾ هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره: فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر؟ قوله: (**فهو أبلغ من أم كذبت**) أي لأنه يفيد أنه إن كان كاذباً في هذه الحادثة، كان معدوداً من الكاذبين ومحسوباً منهم، والكذب له عادة وليست فلتة يعفى عنه فيها، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم. قوله: (**من عبد الله**) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف، وقدم اسمه على البسملة، لأنها كانت في ذلك الوقت

﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ ﴿٢٦﴾ استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بون عظيم ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ أي من هذا النوع، فهو أبلغ من أم كذبت فيه، ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضؤوا وصلوا، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: من عبد الله سليمان بن داود، إلى بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فلا تعلوا عليَّ وائتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه، ثم قال للهدهد: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾ انصرف ﴿عَنۡهُمۡ﴾ وقف قريباً منهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يردُّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفاً ثم وقفت على ما فيه ثم ﴿قَالَتۡ﴾ لأشراف قومها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة ﴿أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾ مختوم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ﴾ أي مضمونه ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ

كافرة، فخاف أن تستخف باسم الله، فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى. قوله: **(السلام على من اتبع الهدى)** أي أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال. قوله: **(فلا تعلوا علي)** أي لا تتكبروا. قوله: **(مسلمين)** أي منقادين لدين الله، وفي هذا الخطاب، إشعار بأنه رسول من عند الله، يدعوهم إلى دين الله وليسَ مطلق سلطان، وإلا لقال وائتوني طائعين. قوله: **(ثم طبعه بالمسك)** أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع.

قوله: **﴿فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾** إما بسكون الهاء أو كسرها من غير إشباع أو بإشباع، ثلاث قراءات سبعيات. قوله: **﴿مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾** إن جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذي، و **﴿يَرْجِعُونَ﴾** صلته، والعائد محذوف، ويكون مامفعول يرجعون. والمعنى انتظر الذي يرجعونه، وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر، كانت ما استفهامية، وذا بمعنى الذي، ويرجعون صلتها، والعائد محذوف، والتقدير أي شيء الذي يرجعونه، والموصول هو خبر ما استفهامية، أو ماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون، تقديره أي شيء يرجعون. قوله: **(من الجواب)** بيان لما. قوله: **(وأتاها وحولها جندها)** الخ، وقيل أتاها فوجدها نائمة، وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها، وكذلك كانت تفعل إذا رقدت، فألقى الكتاب على نحرها، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه، فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر، فرمى بالصحيفة إليها. قوله: **(فلما رأته ارتعدت)** أي حين وجدت الكتاب مختوماً ارتعدت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكاً منها، فقرأت الكتاب، وتأخر الهدهد غير بعيد، وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها. قوله: **(بقلبها واواً مكسورة)** المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء وقلبها واواً الخ، فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: **﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ﴾** الخ، لم تذكر صورة الكتاب، بل اقتصرت على ما فيه الفائدة، لشدة

ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واواً، أي أشيروا عليَّ ﴿ فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا ﴾ قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴾ ﴿٣٢﴾ تحضرون ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ ﴾ أي أصحاب شدة في الحرب ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ نطعك ﴿ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا ﴾ بالتخريب ﴿ وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ أي مرسلو الكتاب

معرفتها وبلاغة لفظها. قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾ مكرم معظم. قوله: (مختوم) أي لأن الكتاب المختوم، يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه، لما ورد: من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به. قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ جملة مستأنفة وقعت جواباً لسؤال مقدر تقديره: ماذا مضمونه. قوله: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ﴾ أي الأشراف، سموا بذلك لأنهم يملؤون العين بمهابتهم، وكانوا ثلاثمائة واثني عشر، لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع. قوله: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً﴾ أي إن عادتي معكم لا أفعل أمراً حتى أشاوركم. قوله: ﴿أُولُو قُوَّةٍ﴾ الخ، استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أولاً، ثم ردوا الأمر إليها. قوله: (نطعك) مجزوم في جواب الأمر.

قوله: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ﴾ الخ، أي فلم ترض بالحرب الذي أشاروا عليها به، بل اختارت الصلح وبينت سببه. قوله: ﴿إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ أي عنوة. قوله: ﴿بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلي. قوله: (إن كان ملكاً قبلها) أي وقاتلناه. قوله: (أو نبياً لم يقبلها) أي واتبعناه، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور. قوله: (ألفاً بالسوية) أي خمسمائة ذكر، وخمسمائة أنثى. قوله: (فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أي كما يضرب الطين. قوله: (وأن تبسط من موضعه) أي توضع في الأرض كالبلاط. قوله: (إلى تسعة فراسخ) أي وهو مسيرة يوم وثمن يوم. قوله: (وأن يبنوا) أي الجن. قوله: (عن يمين الميدان وشماله) أي وقصد بذلك إظهار البأس والشدة. وحاصل تفصيل تلك القصة: أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية، فألبست الجواري لباس الغلمان الأقبية والمناطق، وألبست الغلمان لباس الجواري، وجعلت في أيديهم أساور الذهب، وفي أعناقهم أطواق الذهب، وفي آذانهم أقرطة وشنوفاً، مرصعات بأنواع الجواهر، وحملت الجواري على خمسمائة فرس، والغلمان على خمسمائة برذون، على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج، بعثت إليه لبنات من فضة، وتاجاً مكللاً بالدر والياقوت، وأرسلت بالمسك والعنبر والعود، وعمدت إلى حقة، جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة، وخرزة جزع معوجة الثقب، ودعت رجلاً من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو، وضمت إليه رجالاً من قومها أصحاب عقل ورأي، وكتبت مع المنذر كتاباً تذكر فيه الهدية وقالت: إن كنت نبياً فميز الوصفاء والوصائف، وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها، واثقب الدرة ثقباً مستوياً، وأدخل في الخرزة خيطاً من غير علاج أنس ولا جن، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت: إذا كلمكم سليمان، فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء، وأمرت الجواري أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال، ثم قالت للرسول: انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه، فإن

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ٣٥ من قبول الهدية أو ردها، إن كان ملكاً قبلها، أو نبياً لم يقبلها، فأرسلت خدماً ذكوراً وإناثاً ألفاً بالسوية، وخمسمائة لبنة من الذهب، وتاجاً مكللاً بالجواهر، ومسكاً وعنبراً وغير ذلك مع رسول بكتاب، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر، فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة، وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميداناً، وأن يبنوا حوله حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة، وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع

نظر إليك نظراً فيه غضبٌ، فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه، وإن رأيت الرجل بشاشاً لطيفاً فاعلم أنه نبي، فتفهم قوله ورد الجواب، فانطلق الرسول بالهدايا، وأقبل الهدهد مسرعاً إلى سليمان فأخبره الخبر، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبناً من الذهب والفضة ففعلوا، وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسع فراسخ، وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة، وأن يخلوا قدر تلك اللبنات التي معهم، وأن يعملوا حول الميدان حائطاً مشرفاً من الذهب والفضة ففعلوا، ثم قال سليمان: أي دواب البر والبحر أحسن؟ فقالوا: يا نبي الله رأينا في بحر كذا دواب مختلفة ألوانها، لها أجنحة وأعراف ونواص، قال: عليّ بها، فأتوه بها، قال: شدوها عن يمين الميدان وشماله، وقال للجن: عليّ بأولادكم، فاجتمع منهم خلق كثير، فأقامهم على يمين الميدان وشماله، ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره، ووضع أربعة آلاف كرسي على يمينه وعلى شماله، وأمر الجن والإنس والشياطين والوحوش والسباع والطير، فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان، رأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم، ووضعوا ما معهم من الهدايا، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة، ترك من طريقهم موضعاً على قدر ما معهم من اللبنات، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خالياً، خافوا أن يتهموا بذلك، فوضعوا ما معهم من اللبن في ذلك الموضع، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم ما رأوا وفزعوا، فقالت لهم الشياطين: جوزوا لا بأس عليكم، وكانوا يمرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطير، حتى وقفوا بين يدي سليمان، فأقبل عليهم بوجه طلق، وتلقاهم ملقى حسناً وسألهم عن حالهم، فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب الملكة، فنظر فيه وقال: أين الحقة؟ فأتى بها وحركها، فجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها، فقال لهم: إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة، فقال الرسول: صدقت، فأثقب الدرة وأدخل الخيط في الجزعة، فقال سليمان: من لي بثقبها؟ وسأل الإنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الشياطين فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: تصيّر رزقي في الشجر، فقال لها: ذلك لك، ثم قال: من لهذه الخرزة؟ فقالت دودة بيضاء: أنا لها يا نبي الله، فأخذت الدودة خيطاً في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر، فقال لها سليمان: ما حاجتك؟ قالت: يكون رزقي في الفواكه، فقال: لك ذلك، ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها، والغلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه، وكانت الجارية تصب الماء على باطن

أولاد الجن، عن يمين الميدان وشماله ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ﴾ الرسول بالهدية ومعه أتباعه ﴿ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ لفخركم بزخارف الدنيا ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ ﴾ بما أتيت به من الهدية ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ طاقة ﴿ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ ﴾ من بلدهم سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ أي إن لم يأتوني مسلمين، فلما رجع إليها الرسول بالهدية، جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وأغلقت الأبواب، وجعلت عليها حرساً، وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت في اثني عشر ألف قيل، مع كل قيل ألوف كثيرة، إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ ﴾ في الهمزتين ما تقدم ﴿ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ منقادين طائعين فلي أخذه قبل ذلك لا بعده ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ هو القوي الشديد ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ الذي تجلس

ساعدها، والغلام يصبه على ظاهره، فميّز بين الغلمان والجواري، ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿**فَلَمَّا جاءَ سُلَيْمانَ**﴾ الخ.

قوله: ﴿**قَالَ أَتُمِدُّونَنِ**﴾ الخ، استفهام إنكاري وتوبيخ، أي لا ينبغي لكم ذلك. قوله: ﴿**وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ حال ثانية مؤكدة للأولى. قوله: (**أي إن لم يأتوني مسلمين**) أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين. قوله: (**داخل سبعة أبواب**) صوابه أبيات، وقد تقدم أنه داخل سبعة أبيات، فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر نبياً. قوله: (**حرساً**) بفتحتين جمع حارس. قوله: (**قيل**) بفتح القاف أي ملك، سمي بذلك لأنه ينفذ ما يقول. قوله: (**إلى أن قربت منه**) أي من سليمان. قوله: (**شعر بها**) أي علم، وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريره فسمع وهجا قريباً منه فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان، وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا المَلأُ**﴾ الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرهما. قوله: (**ما تقدم**) أي من التحقيق أو قلب الثانية واواً. قوله: ﴿**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا**﴾ أي وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس، وعرشها في سبإ، وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين. قوله: (**فلي أخذه قبل ذلك**) أي قبل إتيانهم مسلمين، لأنهم حربيون حينئذ. قوله: (**لا بعده**) أي لأن إسلامهم يعصم مالهم، وهذا بحسب الظاهر، وأما باطن الأمر فقصده أن يبهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد إيماناً. قوله: ﴿**عِفْرِيتٌ**﴾ بكسر العين وقرىء شذوذاً بفتحها. قوله: (**وهو القوي**) أي وكان مثل الجبل، يضع قدمه عند منتهى طرفه، وكان اسمه ذكوان وقيل صخر.

قوله: ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ**﴾ يحتمل أنه فعل مضارع، أصله أأتي بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً، ويحتمل أنه إسم فاعل كضارب وقائم. قوله: ﴿**مِنْ مَقَامِكَ**﴾ أي مجلسك. قوله: (**أسرع من ذلك**) أي لأن المقصود الإتيان به قبل أن تقدم هي، والحال أن بين قدومها مسيرة ساعة ونصف، ومجلسه من الغداة إلى نصف

فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ ﴿٣٩﴾ أي على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ المنزل وهو آصف بن برخيا كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي ساكناً ﴿عِندَهُ قَالَ هَذَا﴾ أي الإتيان لي بـه ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ ليختـبرني ﴿أَأَشْكُرُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمة ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أي لأجلها لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ بالإفضال على من يكفرها ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي غيروه إلى

النهار. قوله: ﴿عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أي وهو التوراة. قوله: (وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر، وكان وزير سليمان وقيل كاتبه، وكان من أولياء الله تعالى، وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل، وقيل الخضر، وقيل ملك آخر، وقيل سليمان نفسه، وعلى هذا فالخطاب في قوله أنا آتيك للعفريت، وما مشى عليه المفسر هو المشهور. قوله: (كان صديقاً) أي مبالغاً في الصدق مع الله ومع عباده. قوله: ﴿طَرْفُكَ﴾ هو بالسكون البصر. قوله: (قال) أي آصف، وقوله أي لسليمان. قوله: (دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذي دعا به: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل يا حي يا قيوم، وقيل يا إلهنا وإله كل شيء، إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت ائتني بعرشها. قوله: (بأن جرى تحت الأرض) أي بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك. قوله: (أي ساكناً) أي غير متحرك، كأنه وضع من قبل بزمن متسع، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول، وإلا كان واجب الحذف، لأن الظرف يكون مستقراً، وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر.

قوله: ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أي إحسانه إليّ. قوله: (وإدخال ألف) الخ، أي فالقراءات أربع سبعيات، وبقيت خامسة وهي إدخال ألف بين المحققين. قوله: (لأن ثواب شكره له) أي لأن الشكر سبب في زيادة النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: (بالإفضال على من يكفرها) أي فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة. قوله: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ معطوف في المعنى على قوله: ﴿قَالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ وكلاهما مرتب على قوله: ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ﴾. قوله: (إلى حالة تنكره إذا رأته) أي فالتنكير إبهام الشيء، بحيث لا يعرف ضد التعريف، ومنه النكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين. قوله: ﴿نَنْظُرْ﴾ هو جواب الأمر. قوله: (قصد بذلك) الخ، أشار بذلك إلى حكمة التغيير. قوله: (لما قيل إن فيه شيئاً) أي نقصاً، والقائل له: ما ذكر الجن، وقالوا له: إن رجليها كرجلي حمار، وقالوا له أيضاً: إن في ساقيها شعراً لأنهم ظنوا أنه يتزوجها، فكرهوا ذلك لئلا تفشي له أسرار الجن، ولئلا يأتي منها أولاً فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الذل.

حال تنكره إذا رأته ﴿ نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ ﴾ إلى معرفته ﴿ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئاً فغيروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ ﴾ لها ﴿ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ ﴾ أي أمثل هذا عرشك ﴿ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ ﴾ أي فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك، ولو قيل هذا، قالت نعم، قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً ﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿ وَصَدَّهَا ﴾ عن عبادة الله ﴿ مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾ أي غيره ﴿ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿ قِيلَ لَهَا ﴾ أيضاً ﴿ ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمي الحمار ﴿ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ ﴾ من الماء ﴿ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ ﴾

قوله: ﴿قِيلَ﴾ (لها) القائل سليمان أو مأموره. قوله: ﴿أَهٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ الهمزة للاستفهام، والهاء للتنبيه، والكاف حرف جر، وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿عَرْشُكِ﴾ مبتدأ مؤخر، وفصل بين ها للتنبيه واسم الإشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه، وكان مقتضاه أن يقال: أكهذا عرشك. قوله: (أي أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل، وقولهم لا يفصل بين ها للتنبيه واسم الإشارة بشيء من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة، وإن كانت في المعنى إسماً بمعنى مثل. قوله: (وشبهت عليهم) الخ، أي فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان، والمشاكلة الإتيان بمثل الكلام السابق وإن لم يتحد الكلامان كقوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾. قوله: (قال سليمان) أي تحدثاً بنعمة الله.

قوله: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا﴾ أي العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هي العلم بما ذكر، وكنا مسلمين من قبل أن تسلم، فنحن أسبق منها علماً وإسلاماً. قوله: ﴿وَصَدَّهَا﴾ أي منعها، وقوله: ﴿مَا كَانَتْ﴾ فاعل صد، والمعنى منعها عن عبادة الله الذي كانت تعبد من دون الله وهو الشمس. قوله: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ بكسر إن في قراءة العامة استئناف، وقرىء شذوذاً بفتحها على إسقاط حرف التعليل. قوله: ﴿قِيلَ لَهَا﴾ (أيضاً) أي كما قيل نكروا لها عرشها. قوله: (هو سطح) وقيل الصرح القصر أو صحن الدار. قوله: (من زجاج أبيض) أي وهو المسمى بالبلور. قوله: (اصطنعه سليمان) أي أمر الشياطين به، فحفروا حفيرة كالصهريج، وأجروا فيها الماء، ووضعوا فيها سمكاً وضفدعاً وغيرهما من حيوانات البحر، وجعلوا سقفها زجاجاً شفافاً، فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج، فمن لم يكن عالماً به، يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك. قوله: (لما قيل له) القائل ذلك الجن. قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ﴾ أي أبصرته. قوله: ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ أي على عادة من أراد خوض الماء، قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق، فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر، سلمت وكشفت عن ساقيها. قوله: (لتخوضه) أي لأجل أن تصل إلى سليمان. قوله: (فرأى ساقيها) إلخ، أي فلما علم ذلك صرف بصره عنها. قوله: ﴿مُمَرَّدٌ﴾ صفة أولى لصرح، وقوله: ﴿مِنْ قَوَارِيرَ﴾ صفة ثانية جمع

لتخوضه وكان سليمان على سريره في صدر الصرح فرأى ساقيها وقدميها حساناً ﴿قَالَ﴾ لها ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ مملس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي زجاج ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها، فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة؛ ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام

قارورة. قوله: (**مملس**) ومنه الأمرد لملاسة وجهه أي نعومته لعدم الشعر به. قوله: (**بعبادة غيرك**) أي وهو الشمس. قوله: ﴿**مَعَ سُلَيْمَانَ**﴾ حال من التاء في ﴿**أَسْلَمْتُ**﴾ كما أشار لذلك بقوله: (**كائنة**) والمعنى أسلمت حالة كوني مصاحبة له في الدين، ولا يصح أن يكون متعلقاً بأسلمت، لأنه يوهم أنها متحدة معه في الإسلام في زمن واحد. قوله: (**فعملت له الشياطين النورة**) أي بعد أن سأل الإنس عما يزيل الشعر، فقالوا له: يحلق بالموسى، فقالت: لم يمس الحديد جسمي، فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها، فسأل الجن فقالوا لا ندري، فسأل الشياطين فقالوا: نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء، فاتخذوا النورة والحمام، فكانت النورة والحمام من يومئذ. قوله: (**فتزوجها**) أي وولدت منه ولداً وسمته داود، ومات في حياة أبيه، وبقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قولين، وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان: اختاري رجلاً من قومك حتى أزوجك إياه، فقالت: ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال، وقد كان لي من قومي الملك والسلطان؟ قال: نعم إنه لا يكون في الإسلام إلا ذلك، ولا ينبغي لك أن تحرمي ما أحل الله، قالت: إن كان ولا بد، فزوجني ذا تبع ملك همدان، فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن، وملك زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له: اعمل لذي تبع ما استعملك فيه، فلم يزل يعمل له ما أراد، إلى أن مات سليمان، وحال الحول ولم يعلم الجن موته، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته: يا معشر الجن، إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم، فرفعوا أيديهم وتفرقوا. قوله: (**وأقرها على ملكها**) أي وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم يرَ الناس مثلها في الارتفاع والحسن. قوله: (**ويقيم عندها ثلاثة أيام**) أي وكان يبكر من الشام إلى اليمن، ومن اليمن إلى الشام. قوله: (**روي أنه ملك**) أي أعطي الملك. قوله: (**فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه**) أي فما سواه يفنى، وهو الباقي بلا زوال، قال العارف:

ما آدم في الكون وما إبليس ... ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى ... يا من هو للقلوب مغناطيس

فالأكوان جميعها إشارات دالة على المقصود بالذات وهو الواحد القهار. قوله: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ**﴾ شروع في القصة الرابعة من هذه السورة، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبي القبيلة، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث، وتسمى عاد الثانية، وأما عاد الأولى فهم قوم هود. قوله: ﴿**أَخَاهُمْ صَالِحًا**﴾ أي في النسب لأنه من أولاد ثمود الذي هو أبو القبيلة، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة. قوله:

ملكه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ ﴾ من القبيلة ﴿ صَٰلِحًا أَنِ ﴾ أي بأن ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحده ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿٤٥﴾ في الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون ﴿ قَالَ﴾ للمكذبين ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقاً فائتنا بالعذاب ﴿ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ فلا تعذبون ﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا﴾ أصله تطيرنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل، أي تشاءمنا ﴿ بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ ﴾ شؤمكم ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أتاكم به ﴿ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾ تختبرون بالخير والشر ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي منها قرضهم

(أي بأن) ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أشار بذلك إلى أن أن مصدرية، وحرف الجر محذوف، ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها، وهو تقدم جملة فيها القول دون حروفه. قوله: (وحده) أي اعتقدوا أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، لا شريك له في شيء منها. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ إذا فجائية، والمعنى ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم، فآمن فريق وكفر فريق، وتقدم حكاية اختصام الفريقين في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ الخ. قوله: (فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه. قوله: (من حين إرساله) أي وبعد ظهور المعجزات.

قوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي لأي شيء تستعجلون بالعذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة؟ ويصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة، والمعنى لم تؤخرون الإيمان الذي هو سبب في الرحمة، وتقدمون الكفر الذي هو سبب العذاب؟ قوله: (هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية. قوله: (من الشرك) أي بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا. قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق، لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده. قوله: (أدغمت التاء في الطاء) أي بعد قلبها طاء. قوله: (واجتلبت همزة الوصل)، أي للتوصل للنطق بالساكن. قوله: (أي تشاءمنا) أي أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة. قوله: (حيث قحطوا المطر) أي حبس عنهم.

قوله: ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به، فالشؤم وصفكم لا وصفي، وسمي طائراً لأنه يأتي الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر. قوله: ﴿تُفْتَنُونَ﴾ أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح، ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلاً: نحن قوم نقرأ ويقرأون. قوله: (تختبرون بالخير والشر) أي لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله، وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم. قوله: (مدينة ثمود) أي وهو الحجر، وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة.

قوله: ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط ما دون العشرة من الرجال، والنفر ما دون السبعة إلى الثلاثة. قوله: (أي رجال) دفع بذلك ما يقال: إن تمييز التسعة جمع مجرور، فكيف يؤتى به مفرداً؟ فأجاب بأنه وإن كان مفرداً في اللفظ فهو جمع في المعنى، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولوداً

الدنانير والدراهم ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ بالطاعة ﴿قَالُوا﴾ أي بعضهم لبعض ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أي احلفوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ بالنون والتاء وضم التاء الثانية ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي من آمن به أي نقتلهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بالنون والتاء وضم اللام الثانية ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي ولي دمه ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ بضم الميم وفتحها أي إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿وَمَكَرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾

يولد في شهرهم هذا، يكون عقر الناقة على يديه، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه، فعاش ذلك الولد ونبت نباتاً سريعاً، فكان إذا مر بالتسعة حزنوا على قتل أولادهم، فسول لهم الشيطان أن يجتمعوا في غار، فإذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه، وتقدم أنهم اجتمعوا في الغار، فأرادوا أن يخرجوا منه، فسقط عليهم الغار فقتلهم، وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف، وقيل إنهم جاءوا ليلاً لقتله شاهرين سيوفهم، فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر. قوله: **(أي احلفوا)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**تَقَاسَمُوا**﴾ فعل أمر، أي قال بعضهم لبعض: احلفوا على كذا. قوله: **(بالنون)** مع فتح التاء وقوله: **(والتاء)** كان المناسب أن يقول بالتاء، لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي من آمن به)** أي وسيأتي أنهم أربعة آلاف. قوله: **(بالنون)** أي مع فتح اللام، وقوله: **(والتاء)** أي فقراءة النون هنا، مع قراءة النون في الذي قبله، وقراءة التاء مع التاء، فهما قراءتان فقط. قوله: **(أي ولي دمه)** أي دم من قتل صالح ومن معه. قوله: ﴿**مَهْلِكَ أَهْلِهِ**﴾ أي أهل ولي الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به. قوله: **(بضم الميم)** أي مع فتح اللام، وقوله: **(وفتحها)** أي مع فتح اللام وكسرها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: **(أي إهلاكهم)** راجع للضم لأنه من الرباعي. قوله: **(وهلاكهم)** راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي. قوله: ﴿**وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾ أي ونحلف إنا لصادقون، أو المعنى والحال وإنا لصادقون فيما قلنا. قوله: ﴿**وَمَكَرُوا مَكْراً**﴾ أي أرادوا إخفاء ما بيتوا عليه من قبل صالح وأهله. قوله: ﴿**وَمَكَرْنَا مَكْراً**﴾ أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون، وهو من باب المشاكلة، نظير قول الشاعر:

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

وإلا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى، لأنه التحيل على الغدر، وهو من صفات العاجز، والعجز على الله محال. قوله: ﴿**فَانْظُرْ**﴾ أي تأمل وتفكر. قوله: ﴿**إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ**﴾ بكسر إن على الاستئناف، وفتحها على أنه خبر لمحذوف، أي وهي تدميرنا إياهم، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(أو برمي الملائكة)** أو للتنويع، أي أن عذابه نوعان موزعان عليهم، رمي الحجارة على التسعة بسبب تبييتهم على قتل صالح وأهله، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة، ولو قال المفسر: أهلكناهم برمي الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح. قوله: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ**﴾ مبتدأ وخبر أي ديارهم.

بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾ أي خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ بظلمهم، أي كفرهم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً﴾ لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قدرتنا فيتعظون ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بصالح وهم أربعة آلاف ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ الشرك ﴿وَلُوطًا﴾ منصوباً باذكر مقدراً قبله ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي اللواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أي يبصر بعضكم بعضاً انهماكاً في المعصية ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ عاقبة فعلكم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ من أدبار الرجال ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ الباقين في العذاب ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل أهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾ بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ بالعذاب

قوله: (**بظلمهم**) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية. قوله: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**﴾ أي المذكور من إهلاكهم.

قوله: ﴿**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي من الهلاك، فخرج صالح بهم إلى حضرموت، فلما دخلها مات صالح، فسميت تلك البلدة بذلك، ثم بنى الأربعة الآلاف مدينة يقال لها حاضوراء. قوله: ﴿**وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ أي يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا. قوله: (**ويبدل منه**) أي بدل اشتمال، والمراد ذكر القول لا ذكر وقته. قوله: ﴿**لِقَوْمِهِ**﴾ أي من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو في الأصل أرض بابل، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسذوم. قوله: (**يبصر بعضكم بعضاً**) أشار بذلك إلى أن المراد الإبصار بالعين، وقيل المراد إبصار القلب، ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة. قوله: (**وإدخال ألف بينهما**) أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿**لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**﴾ أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك، وقوله: ﴿**شَهْوَةً**﴾ مفعول لأجله. قوله: (**عاقبة فعلكم**) أي وهي العذاب الذي نزل بهم. قوله: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ مقدم، وقوله: ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا**﴾ اسمها مؤخر. قوله: ﴿**آلَ لُوطٍ**﴾ المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة. قوله: ﴿**مِنْ قَرْيَتِكُمْ**﴾ الإضافة للجنس، لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سذوم. قوله: ﴿**يَتَطَهَّرُونَ**﴾ أي يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء. قوله: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ**﴾ أي فخرج لوط بأهله من أرضهم، وطوى الله له الأرض حتى نجا، ووصل إلى إبراهيم. قوله: (**الباقين في العذاب**) أي الذي حل بهم، وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها، قيل كان فيها أربعة آلاف ألف.

قوله: ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ**﴾ أي على من كان في ذلك الوقت خارجاً عن المدائن لسفر أو غيره. قوله: (**هو حجارة السجيل**) أي الطين المحروق. قوله: (**مطرهم**) هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿**قُلِ الْحَمْدُ**

مطرهم ﴿قُلِ﴾ يا محمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ هم ﴿ءَآللَّهُ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿خَيْرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ بالتاء والياء أي أهل مكة به أي الآلهة خير لعابديها ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة، وهو البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حسن ﴿مَّا كَانَ

لِلَّهِ﴾ لما تم سبحانه وتعالى القصص، أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين، شكراً له على نصرة أهل الحق والإيمان، وقطع دابر أهل الكفر والطغيان، وتمهيداً لما يذكر من أدلة التوحيد التي أقامها رداً على المشركين، والسر في ذلك، إنصات العاقل وإصغاؤه ليدخل في زمرة من سلم الله عليهم.

قوله: ﴿وَسَلامٌ﴾ أي أمان. قوله: ﴿الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ قيل هم الأنبياء والرسل، وقيل أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل مؤمنو هذه الأمة، وقيل كان مؤمن من مبدإ الدنيا إلى منتهاها، ومعنى اصطفى اختارهم أزلاً لخدمته وطاعته في الدنيا، ولجنته ونعيمه في الآخرة، فالأصل اصطفاه الله للعبد، فلولا اصطفاؤه له، ما وفق العبد لخدمة ربه، ومن هذا قولهم: لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** الخ، ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم، والصواب أن هنا قراءتين فقط، تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مداً لازماً، وتقدم أن هذين الوجهين يجريان في خمسة مواضع في القرآن غير هذا، اثنان في الأنعام﴿آلذكرين﴾ في الموضعين، وثلاثة في يونس﴿الله أذن لكم﴾ ﴿آلآن﴾ في الموضعين.

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ خبر لفظ الجلالة، وهو إما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار، أو صفة لا تفضيل فيها، والكلام على حذف مضاف، والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده، أم الأصنام خير لمن عبدها، فهو تهكم بالمشركين، لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله، والاختيار للشيء لا يكون إلا لخير ومنفعة، ولا خير في عبادتها. وكان ﷺ إذا قرأها يقول: «بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم». قوله: ﴿أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود المعادل، وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية، فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام إنكاري. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي أهل مكة)** تفسير للواو في يشركون. قوله: **(أي الآلهة)** تفسير لما، والمعنى أم الآلهة التي يشركونها به خير لعابديها.

قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين في الأخرى، وأم منقطعة، ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره ﴿خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ﴾ وقرىء شذوذاً بتخفيف، فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام. قوله: **(فيه الالتفات)** أي وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى هو المنبت للأشجار والزرع لا غيره، وخلقها مختلفة الألوان والطعوم، مع كونها تسقى بماء واحد. قوله: **(وهو البستان المحوط)** أي المجعول عليه حائط لعزته. قوله: ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ صفة لحدائق، وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل.

لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَءِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضعه السبعة ﴿مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أعانه على ذلك، أي ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ يشركون بالله غيره ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾ فيما بينها ﴿أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ توحيده ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ الإضافة بمعنى في، أي يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ تتعظون بالفوقانية والتحتانيـة وفيه إدغام التاء في الذال وما زائدة لتقليل القليل ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وبالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً

قوله: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي لا ينبغي لأنكم عاجزون عن إخراج النبات، وإن كنتم قادرين على السقي والغرس ظاهراً. قوله: ﴿أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي فضلاً عن ثمارها وأشكالها. قوله: **(وإدخال ألف بينهما)** أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(في مواضعه السبعة)** أي مواضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة، وهي لفظ إله خمس مرات، وأئذا، وأئنا. قوله: **(أي ليس معه إله)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري، وكذا يقال فيما بعده. قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ إضراب انتقالي من تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم.

قوله: ﴿أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ أي مستقراً للإنسان والدواب، لا تتحرك بما على ظهرها. قوله: **(فيما بينها)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خِلَالَهَا﴾ ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق، ويصح أن تكون بمعنى صير، و ﴿خِلَالاً﴾ مفعول ثان. قوله: ﴿حَاجِزاً﴾ أي معنوياً غير مشاهد. قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وكفرهم تقليد، والأقل يعلم الأدلة، وكفرهم عناد. قوله: ﴿الْمُضْطَرَّ﴾ هو اسم مفعول، وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال، قلبت طاء لوقوعها إثر حرف الإطباق وهو الضاد.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾ أشار بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه، فلا ينبغي لمن كان مضطراً ترك الدعاء، بل يدعو، والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى، لأن الله أرأف على العبد من نفسه، فالعاقل إذا دعا الله يسلم في الإجابة لمراد الله. قوله: **(الإضافة بمعنى في)** أي فالمعنى يجعلكم خلفاء في الأرض. قوله: **(وفيه إدغام التاء في الذال)** أي بعد قلبها دالاً فذالاً، وهذا على كل من القراءتين. قوله: **(وما زائدة لتقليل القليل)** أي فالمراد تأكيد القلة. قوله: **(وبعلامات الأرض)** أي كالجبال. قوله: **(أي قدام المطر)** أي أمامه. قوله: **(وإن لم يعترفوا بالإعادة)** أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله: كيف يقال لهم ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ مع أنهم منكرون للإعادة؟ وأشار إلى جوابه بقوله: لقيام البراهين عليها وإيضاحه، أن يقال إنهم معترفون بالابتداء، ودلالة الابتداء على الإعادة ظاهرة قوية، وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر في إنكار الإعادة، بل ذلك محض جحود.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ﴾ أي قدام المطر ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾ به غيره ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يفعل شيئاً مما ذكر إلا الله ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً مما ذكر. وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ﴿بَلِ﴾ بمعنى هل ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ بوزن أكرم، وفي قراءة أخرى ادارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال واجتلبت همزة الوصل، أي بلغ ولحق أو تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله، والأصل عميون استثقلت الضمة

قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ أمره ﷺ بتبكيتهم، إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره. قوله: (أن معي إلهاً) الأوضح أن يقول: أن مع الله إلهاً لأن النبي مأمور بهذا القول، وهو لا يقول لهم: إن كنتم صادقين أن معي إلهاً. قوله: (وسألوه) أي المشركون. قوله: ﴿مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ﴿مَنْ﴾ فاعل ﴿يَعْلَمُ﴾ والجار والمجرور صلتها، و ﴿الْغَيْبَ﴾ مفعول به، و ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله: (يعلمه) والتقدير لا يعلم الذي ثبت في السماوات كالملائكة، والأرض كالإنس، الغيب لكن الله هو الذي يعلمه. قوله: (من الملائكة والناس) بيان لمن في السماوات والأرض على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: (لكن) ﴿اللَّهُ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، ولا يصح جعله متصلاً لإيهامه أن الله من جملة من في السماوات والأرض وهو محال. قوله: (وقت) ﴿يُبْعَثُونَ﴾ تفسير لأيان، والمناسب تفسيرها بمتى، لأن ﴿أَيَّانَ﴾ ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت. قوله: (بمعنى هل) أي التي للاستفهام الإنكاري. قوله: (أي بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى، وقوله: (أو تتابع) راجع للثانية، والمعنى هل بلغ علمهم في الآخرة، أو تتابع علمهم الآخرة، حتى سألوا عن وقت مجيء الساعة؟ ليس عندهم علم بذلك، بل ولا إثبات، حتى يسألوا عن وقت الساعة، فسؤالهم محض تعنت وعناد.

قوله: ﴿فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ أي الآخرة. قوله: ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ أي عندهم جزم بعدمها لعدم إدراكهم دلائلها. قوله: (بعد حذف كسرتها) أي وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة. قوله: (أيضاً) أي كما قالوا ما تقدم. قوله: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً﴾ كان فعل ماض ناقص وأنا اسمها، و ﴿تُرَاباً﴾ خبرها، و ﴿آبَاؤُنَا﴾ معطوف على اسم كان، وسوغه الفصل بخبرها، قوله: ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا﴾ وعد فعل ماض، ونا نائب الفاعل مفعول أول، ﴿وَهٰذَا﴾ مفعول ثان، و ﴿نَحْنُ﴾ تأكيد لنا، و ﴿آبَاؤُنَا﴾ عطف على

على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ أيضاً في إنكار البعث ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ من القبور ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ ﴾ ما ﴿ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ جمع أسطورة بالضم أي ما سطر من الكذب ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ بإنكارهم وهي هلاكهم بالعذاب ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٠﴾ تسلية للنبي ﷺ أي لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ بالعذاب ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٧١﴾ فيه ﴿ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ ﴾ قرب ﴿ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٧٣﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ تخفيه ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٧٤﴾ بألسنتهم ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الهاء للمبالغة أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٧٥﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ الموجودين في زمان نبينا

المفعول الأول، وسوغه الفصل بالمفعول الثاني والضمير المنفصل، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث، كما وعد من قبله آباءنا به، فلو كان حقاً لحصل.

قوله: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** أمر تهديد لهم، إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا، نزل بهم ما نزل بمن قبلهم. قوله: **﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** أي لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم. قوله: **(بإنكارهم)** أي المجرمين. قوله: **(بالعذاب)** أي الدنيوي، لأنه هو المشاهد آثاره. قوله: **﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾** أي لا تغتم على عدم إيمانهم فيما مضى، ولا تخف من مكرهم في المستقبل، فالحزن غم لما مضى، والخوف غم لما يستقبل. قوله: **﴿وَلَا تَكُنْ﴾** بثبوت النون هنا وهو الأصل، وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعاً، تسعة مبدوءة بالتاء، وثمانية بالياء، واثنان بالنون، وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم، قال ابن مالك:

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

قوله: **﴿فِي ضِيقٍ﴾** بفتح الصاد وكسرها، قراءتان سبعيتان أي حرج. قوله: **﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين. قوله: **﴿قُلْ عَسَى﴾** الخ، الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق. قوله: **(القتل ببدر)** أي وغيره، وهذا هو العذاب المعجل. قوله: **(وباقي العذاب)** الخ، أي هو العذاب المؤجل. قوله: **(ومنه)** أي الفضل. قوله: **﴿لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾** أي فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليهم. قوله: **(الهاء للمبالغة)** أي كرواية وعلامة، وسماها هاء باعتبار الوقف، ولو قال التاء لكان أسهل، وقيل إنها كالتاء الداخلة على المصادر، ونحو العاقبة والعافية، ونظيرها الذبيحة والنطيحة في أنها أسماء غير صفات. قوله: **(ومكنون علمه)** الواو بمعنى أو، لأنه تفسير ثان، فتسميته كتاباً على سبيل

﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أي ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا ﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ من العذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾﴾ بما يحكم به فلا يمكن أحداً مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ أي الدين البيِّن، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتى وبالصم وبالعمي فقال ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ ﴿وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن﴾ ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا

الاستعارة التصريحية، حيث شبه بالكتاب كالسجل الذي يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شيء منها. قوله: ﴿**أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾ أي فقد نص بالتصريح على الأكثر، فلا ينافي قوله: ما فرطنا في الكتاب من شيء، ومن جملته اختلافهم في شأن المسيح، وتفرقهم فيه فرقاً كثيرة، فوقع بينهم التباغض، حتى لعن بعضهم بعضاً. قوله: **(أي عدله)** دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل، المعنى يقضي بقضائه أو يحكم بحكمه فأجاب بأن المراد بالحكم العدل. قوله: **(فلا يمكن أحداً مخالفته)** الخ، تفريع على العزيز، فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: ﴿**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ**﴾ الخ، تفريع على كونه عزيزاً عليماً، أي فإذا ثبتت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه والثقة به. قوله: ﴿**إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**﴾ علة للتوكل وكذا قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾. قوله: **(بينها وبين الياء)** أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**مُدْبِرِينَ**﴾ أي معرضين. قوله: ﴿**بِهَادِي الْعُمْيِ**﴾ ضمنه معنى الصرف فعداه بعن. قوله: ﴿**إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا**﴾ أي من سبق في علم الله أنه يكون مؤمناً ومن هنا قولهم لولا السابقة ما كانت اللاحقة. قوله: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ**﴾ أي قرب وقوعه، وإنما عبر بالماضي لحصوله في علم الله، لأن الماضي والحال والاستقبال في علم الله واحد لإحاطته بها، والمراد بالقول: مواعيد القرآن بالفضائح والخزي والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار. قوله: **(حق العذاب)** تفسيرلوقع والمعنى قرب نزوله بهم. قوله: ﴿**أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ**﴾ أي وهي الجساسة، ورد في الحديث: «أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب» وروي أن لها أربع قوائم، ولها زغب وريش وجناحان، وعن ابن جريج في وصفها: رأس ثور، وعين خنزير، وأذن فيل، وقرن إبل، وعنق نعامة، وصدر أسد، ولون نمر، وخاصرة هرة، وذنب كبش، وخف بعير، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن علي رضي الله عنه: أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون، فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها. وعن النبي ﷺ أنه سئل من أين تخرج

﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي كفار مكة، وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء بعد تكلمهم ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ أي لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتبوعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ أي يجمعون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا

الدابة، فقال: من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى، يعني المسجد الحرام. وروي أنها تخرج ثلاث خرجات، تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهراً طويلاً، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن، حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد. وقيل تخرج من الصفا لما روي: بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت معه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم، أي تتحرك تحرك القنديل، وتنشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج الدابة من الصفا، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام، فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا، فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو حتى يضيء بها وجهه، وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه، فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه، وتكتب بين عينيه كافر، ثم تقول لهم: أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار، وروي أن أول الآيات خروجاً، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها، واختلف أيضاً في تعيين هذه الدابة فقيل: هي فصيل ناقة صالح، وهو أصح الأقوال، فإنه لما عقرت أمه هرب، فانفتح له حجر فدخل في جوفه، ثم انطبق عليه الحجر، فهو فيه حتى يخرج بإذن الله عز وجل، وقيل غير ذلك.
قوله: (**تقول لهم**) تفسير لتكلمهم. قوله: (**عنا**) متعلق بمحذوف، أي حال كونها حاكية وناقلة لما تقول: (**عنا**) بأن تقول: قال الله: ﴿**إِنَّ النَّاسَ**﴾ الخ. قوله: (**أي كفار مكة**) المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار. قوله: (**وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء**) أي للتعدية أو للسببية، وأما على قراءة الكسر، فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل، والقراءتان سبعيتان.
قوله: (**ينقطع الأمر بالمعروف الخ**) أي لعدم إفادة ذلك، لأنه في ذات الوقت يظهر المؤمن والكافر عياناً بوسم الدابة، فمن وسمته بالكفر لا يمكن تغييره، فحينئذٍ لا ينفع أمر بمعروف ولا نهي عن منكر، ووجد في بعض النسخ، ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر، أي لا يوجد في هذا الوقت من يتوب إلى الله أي يرجع إليه، ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر.

قوله: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُ**﴾ أي الحشر الخاص بهم للعذاب، بعد انفضاض الحشر العام لجميع الخلق.
قوله: ﴿**مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ تبعيضية، وقوله: ﴿**مِمَّنْ يُكَذِّبُ**﴾ بيانية للفوج. قوله: ﴿**فَوْجاً**﴾ الفوج في الأصل الجماعة المارة المسرعة، ثم أطلق على الجماعة مطلقاً. قوله: (**رؤساؤهم**) أي كأبي جهل وأبيّ بن خلف وفرعون وقارون والنمروذ وغيرهم من رؤساء الضلال، فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة.
قوله: (**يرد آخرهم إلى أولهم**) المناسب أن يقول: يرد أولهم على آخرهم، أي يحبس أولهم ويوقف حتى يأتي آخرهم، ويجتمعون حتى يساقون.

جَاءُوا﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِئَايَتِي وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام ما الاستفهامية ﴿ذَا﴾ موصول أي ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٤﴾ بما أمرتم به ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ إذ لا حجة لهم ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿الَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ خصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي خافوا

قوله: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمعنى أنكرتموها وجحدتموها. قوله: ﴿وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً﴾ الجملة حالية مؤكدة للإنكار والتوبيخ، والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها، فهم مؤاخذون بالجهل والكفر. قوله: ﴿أَمْ مَاذَا﴾ أم منقطعة بمعنى بل، وما اسم استفهام أدغمت ميم أم في ما، فقوله: (فيه إدغام ما الاستفهامية) أي الإدغام فيها. قوله: (حق العذاب) أي نزل بهم وهو كنهم في النار. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ أي بحجة واعتذار. قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي يعلموا. قوله: ﴿أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾ أي مظلماً بدلالة قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ بدلالة قوله: ﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ عليه، ففي الآية احتباك. قوله: (بمعنى يبصر فيه) أي فالإسناد مجازي من الإسناد إلى الزمان. قوله: (ليتصرفوا فيه) أي بالسعي في مصالحهم. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي الجعل المذكور. قوله: (دلالات على قدرته تعالى) أي من حيث اختلاف الليل والنهار والظلمة.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾. قوله: (النفخة الأولى) أي وتسمى نفخة الصعق، ونفخة الفزع فعبر عنها بالفزع، وفي سورة الزمر بالصعق، قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض﴾ الخ، فعند حصولها يموت كل حي ما عدا ما استثنى، وأما النفخة الثانية فعندها يحيا كل من كان ميتاً، فالنفخة اثنتان وبينهما أربعون سنة، وقيل إنها ثلاث: نفخة الزلزلة وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها، ونفخة الموت، ونفخة الإحياء، والقول الأول هو المشهور، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى العرش، ينتظر متى يؤمر بالنفخة، وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض، ويسمى بالبوق في لغة اليمن. قوله: (من إسرافيل) أي وهو أحد الرؤساء الأربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

قوله: ﴿مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ أي من كل من كان حياً في ذلك الوقت. قوله: (أي خافوا الخوف المفضي إلى الموت) أي استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به. قوله: (والتعبير بالماضي) الخ، جواب عما يقال: إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضي؟ فأجاب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع، لأن الماضي والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد، لتعلق العلم به. قوله: (أي جبريل) الخ، أي فهؤلاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى، بخلاف باقي الملائكة، وإنما يموتون بين النفختين، ويحيون قبل

الخوف المفضي إلى الموت، كما في آية أخرى ﴿فصعق﴾ أو التعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه أي وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ﴾ بصيغة الفعل واسم الفاعل ﴿دَاخِرِينَ ۝٨٧﴾ صاغرين والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ المطر إذا ضربته الريح، أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة، ثم تصير كالعهن، ثم تصير هباء منثوراً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله، أي صنع الله ذلك صنعاً ﴿ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾ بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾

الثانية. قوله: (وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار، وقيل: موسى، وقيل جميع الأنبياء. قوله: (إذ هم أحياء) أي حياة برزخية لا تزول ولا تحول، ولكن ليست كحياة الدنيا. قوله: (أي كلهم) أي المخلوقات من صعق ومن لم يصعق. قوله: (بصيغة الفعل) أي الماضي، فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة. قوله: (واسم الفاعل) أي فيقرأ بعد الهمزة وضم التاء وسكون الواو، وأصله آتون له، حذفت باللام للتخفيف والنون للإضافة، والقراءتان سبعيتان. قوله: (صاغرين) أي أذلاء لهيبة الله تعالى، فيشمل الطائع والعاصي، وليس المراد ذل المعاصي، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التي بها يكون إحياء الخلق، يأتي كل إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى.

قوله: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ عطف على قوله: ﴿يُنْفَخُ﴾. قوله: (وقت النفخة) أي الثانية، لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض، إنما يكون بعد النفخة الثانية، كما يشهد به قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾ الآية. قوله: (لعظمها) أي وذلك لأن الأجرام الكبار، إذا تحركت مرة واحدة، لا تكاد تبصر حركتها. قوله: (المطر) الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره، لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد، ولعل الباء سقطت من قلم المصنف، والأصل من السحاب بالمطر. قوله: (حتى تقع) أي الجبال على الأرض. قوله: (مبسوسة) أي مفتتة كالرمل السائل. قوله: (كالعهن) أي الصوف المنفوش. قوله: (مؤكد لمضمون الجملة قبله) أي لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك، إنما هو من صنع الله لا غيره.

قوله: ﴿الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي وضعه في محله على أكمل حالاته. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي لا إله إلا الله) إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل، لأن الكب في النار ليس بمطلق سيئة، بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان، وحينئذٍ فأل في الحسنة للعهد، أي الحسنة المعهودة وهي كلمة التوحيد، وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر.

أي لا إله إلا الله يوم القيامة﴿ فَلَهُۥ خَيۡرٌ ﴾ ثواب ﴿ مِّنۡهَا ﴾ أي بسببها وليس للتفضيل إذ لا فعل خير منها، وفي آية أخرى عشر أمثالها ﴿ وَهُم ﴾ أي الجاءون بها ﴿ مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منوناً وفتح الميم ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ﴾ أي الشرك ﴿ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تبكيتاً﴿ هَلۡ ﴾ أي ما﴿ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا ﴾ جزاء ﴿ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ من الشرك والمعاصي قل لهم ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ﴾ أي مكة ﴿ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا ﴾ أي جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم إنسان ولا يظلم فيها أحد ولا يصطاد صيدها ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب﴿ وَلَهُۥ ﴾ تعالى ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكه﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ ﴿٩١﴾ لله بتوحيده ﴿ وَأَنۡ

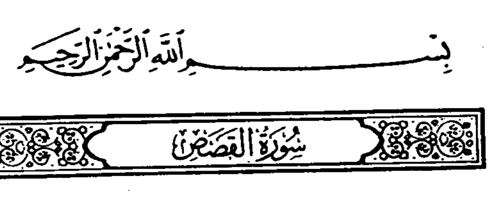
قوله: ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ أي وهو الخلود في الجنة. قوله: **(أي بسببها)** أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ للسببية، ويصح أن تكون للتعليل، أي من أجل مجيئه بها. قوله: **(وليس للتفضيل)** أي ليس خيراً فعل تفضيل، لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله، ويؤيد ما قاله المفسر، ما روي عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة، وهو الثواب والأمن من العذاب، أما من يكون له شيء من خير من الإيمان فلا، لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله. قوله: **(بالإضافة)** أي إضافة فزع لليوم. قوله: **(وكسر الميم)** أي للإعراب، وقوله: **(وفتحها)** أي فتحة بناء وهي قراءة ثانية في الإضافة، وقوله: **(فزع منوناً)** معطوف على قوله: **(بالإضافة)** فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات، فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو في الأخير.

قوله: ﴿آمِنُونَ﴾ أي لا يصيبهم منه شيء، والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم، فلا تنافي بين أثباته فيما تقدم ونفيه هنا. قوله: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ أي ألقوا عليها في النار. قوله: **(ويقال لهم)** أي وقت كبهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزنتها. قوله: **(أي ما)** ﴿تُجْزَوْنَ﴾ الخ، أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(قل لهم)** ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ﴾ الخ، أمر ﷺ بأن يقول لهم ما ذكر، بعد بيان ما يحصل في المعاد، إشارة إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له، آمنوا أو كفروا، فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم، ورجوعهم عما يوجب نقصانهم.

قوله: ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ صفة للرب ولا يعارضه قوله ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، وإني حرمت المدينة» لأن إسناد التحريم لله، باعتبار حكمه وقضائه، وإسناد التحريم لإبراهيم، باعتبار إخباره بذلك وإظهاره. قوله: **(ولا يختلى خلاها)** أي لا يقطع حشيشها الرطب. قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي أثبت على ما كنت عليه. قوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ أي أواظب عليه لتكشف لي حقائقه ودقائقه، لأن علوم القرآن كثيرة، فبتكرار التلاوة ازداد علوماً ومعارف، وفي هذه الآية إشعار أن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدراً عند الله.

﴿أَتْلُوَا الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ المخوفين فليس علي إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٣﴾ بالياء والتاء، وإنما يمهلهم لوقتهم.

قوله: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ (له) أي للإيمان. قوله: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا أنا من المنذرين﴾ هو جواب الشرط، والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له. قوله: (**وهذا قبل الأمر بالقتال**) أي فهو منسوخ. قوله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي على ما أعطاني من النعم العظيمة التي أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم. قوله: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي في الدنيا. قوله: (**وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم**) أي وجوه الذين قتلوا وأدبارهم. قوله: (**بالياء والتاء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى هو وعيد محض، وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين.



مكيّة

إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله (لا نبتغي الجاهلين)

وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿طسٓمٓ﴾ ① الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلۡكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى من ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ ② المظهر الحق من الباطل ﴿نَتۡلُواْ﴾ نقص ﴿عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيم

سورة القصص مكية

إلا ﴿إن الذي فرض﴾ الآية نزلت بالجحفة. وإلا ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ إلى قوله ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾
وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله، لأن القصص مصدر بمعنى الإخبار، وتسمى أيضاً سورة موسى. قوله: (نزلت بالجحفة) أي حين خرج رسول الله ﷺ من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب، فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة، عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها، فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيراً له، بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع، ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر، وقيل المعاد الموت، وقيل الآخرة، وكل صحيح، وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية، لأنها لم تنزل قبل الهجرة، ولم تنزل بعد استقرارها، بل نزلت بالطريق. قوله: (إلى قوله: لا نبتغي الجاهلين) أي وهو أربع آيات. قوله: (أي هذه الآيات) أي آيات هذه السورة والإشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى.

قوله: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ﴾ مفعوله محذوف أي شيئاً، وقوله: ﴿مِنْ نَبَإِ﴾ صفة لذلك المحذوف، ويصح

خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾ الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣﴾ لأجلهم لأنهم المنتفعون به ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤﴾ بالقتل وغيره ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ ملك فرعون ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحي إلهام أو منام ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المولود المذكور ولم

أن تكون ﴿مِنْ﴾ اسم بمعنى بعض هي المفعول، أو زائدة على مذهب الأخفش، و ﴿نَبَإِ﴾ هو المفعول. قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حال إما من فاعل ﴿نَتْلُو﴾ أو من مفعوله، والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق، أو كون الخبر ملتبساً بالصدق. قوله: **(لأجلهم)** أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل، أي إن المقصود بالذكر المؤمنون، لأنهم هم المنتفعون بذلك، قال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾.

قوله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ كلام مستأنف بيان للنبأ. قوله: **(تعظم)** أي تكبر وافتخر. قوله: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً﴾ أي أصنافاً، فجعل الصنائع الشريفة والإمارة للقبط، وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل، من بناء وحرث وحفر وغير ذلك، ومن لم يستعمله ضرب عليه جزية. قوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ بدل اشتمال من قوله: ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ الخ، وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر، استطالوا على الناس وعملوا المعاصي، فسلط الله عليهم القبط، فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون، قيل إنه ذبح سبعين ألفاً، إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ أي الراسخين في الفساد. قوله: **(بالقتل وغيره)** أي كدعوى الألوهية. قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ أي نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه. قوله: **(يقتدى بهم)** أي بعد أن كانوا أذلاء مسخرين. قوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاءون. قوله: ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾ أي نبصره، و ﴿فِرْعَوْنَ﴾ وما عطف عليه مفعول أول، و ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ مفعول ثان. قوله: **(وفي قراءة)** أي وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ وعلى هذه فتجب إمالة الراء إمالة محضة. قوله: **(ورفع الأسماء الثلاثة)** أي على الفاعلية. قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾ أي المستضعفين. قوله: **(يخافون من الموت)** الخ، أي وقد حصل ما خافوه، حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام، وحين أدركهم الغرق. قوله: **(وحي إلهام أو منام)** هذان قولان للمفسرين، وقيل كان بملك تمثل لها، واعترض بأنها ليست بنبية، وأجيب: بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع، وأما بغيرها فجائز، كنزول الملك على البار بأمه التي تقدمت قصته في البقرة. قوله: ﴿إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾ أي واسمها يوحانذ

يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ البحر أي النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته في بحر

بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة، وقيل: لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و ﴿أَلْقِيهِ﴾، ونهيين وهما ﴿لَا تَخَافِي﴾ و ﴿لَا تَحْزَنِي﴾، وخبرين وبشارتين وهما ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ و ﴿جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فهما خبران تضمنا بشارتين. قوله: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ يصح أن تكون مفسرة أو مصدرية. قوله: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي من الذبح. قوله: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ (غرقه) دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه، فالمثبت هو خوف الذبح، والمنفي هو خوف الغرق. قوله: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ أي لتأمني عليه، وهو علة للنهي عن الخوف والحزن. قوله: (فوضعته في تابوت) أي وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك، وجعلت المفتاح في التابوت. قوله: (مطلي بالقار) أي الزفت. قوله: (ممهد) أي مفرش له فيه، ففرشت فيه قطناً محلوجاً. قوله: (وأغلقته) أي وقيرت رأسه. وحاصله: أن أم موسى لما تقاربت ولادتها، وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى بني إسرائيل، مصافية لأم موسى ومصاحبة لها، فلما ضربها الطلق، أرسلت إليها فقالت: قد نزل بي ما نزل، فليسعفني حبك إياي اليوم فعالجتها، فلما أن وقع موسى بالأرض، هالها نور بين عيني موسى، فارتعش كل مفصل فيها، ودخل حب موسى قلبها، ثم قالت القابلة لها: يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني، إلا ومرادي قتل مولودك، ولكن وجدت لابنك هذا حباً، ما وجدت حب شيء مثل حبه، فاحفظي ابنك، فلما خرجت القابلة من عندها، أبصرها بعض العيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى، فقالت أخته: يا أماه هذا الحرس بالباب، فلفت موسى بخرقة وألقته في التنور وهو مسجور، وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع، قال: فدخلوا فإذا التنور مسجور، ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن، فقالوا: ما أدخل عليك القابلة؟ فقالت: هي مصافية لي، فدخلت علي زائرة. فخرجوا من عندها، فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى: فأين الصبي؟ فقالت: لا أدري، فسمعت بكاء الصبي من التنور، فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار برداً وسلاماً فاحتملته، ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان، خافت على ابنها، وقذف الله في نفسها أن تتخذ تابوتاً، ثم تقذف التابوت في النيل، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون، فاشترت منه تابوتاً صغيراً، فقال النجار: ما تصنعين بهذا التابوت؟ فقالت: لي ابن أخبئه في التابوت، وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به، انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى، فلما همّ بالكلام، أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام، وجعل يشير بيده، فلم يدر الأمناء ما يقول، فأعياهم أمره، قال كبيرهم: اضربوه. فضربوه وأخرجوه، فلما انتهى النجار إلى موضعه، رد الله عليه لسانه فتكلم، فانطلق أيضاً يريد الأمناء، فأتاهم ليخبرهم، فأخذ لسانه وبصره، فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئاً، فضربوه وأخرجوه، فبقي حيران، فجعل لله عليه إن رد لسانه وبصره، أن لا يدل عليه، وأن يكون معه ويحفظه حيثما كانوا، وعرف الله منه الصدق، فرد عليه لسانه وبصره، فخر لله ساجداً وقال: يا رب دلني

النيل ليلاً ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه وفتح

على هذا العبد الصالح، فدل الله عليه، فآمن به وصدقه. وقيل: لما حملت أم موسى به، كتمت أمرها عن جميع الناس، فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله، وذلك شيء ستره الله تعالى، لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل، فلما كانت السنة التي ولد فيها، بعث فرعون القوابل إليهن، ففتشن النساء تفتيشاً، لم يفتشن قبل ذلك مثله، وحملت أم موسى. فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها، وكانت القوابل لا يتعرضن لها، فلما كانت الليلة التي ولد فيها، ولدته ولا رقيب لها ولا قابلة، ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم، وأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وهو البحر ليلاً، وكان لفرعون يومئذ بنت، وكان بها برص شديد، وكان لفرعون يومئذ بنت، لم يكن له ولد غيرها، وكانت من أكرم الناس عليه، وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه، وكان بها برص شديد، وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة، فنظروا في أمرها فقالوا: أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر، فيوجد فيه شبه الإنسان، فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك، وذلك في يوم كذا، في شهر كذا، حين تشرق الشمس، فلما كان ذلك اليوم، غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل، وكانت معه امرأته آسية بنت مزاحم، وأقبلت بنت فرعون في جواريها، حتى جلست على شاطىء النيل مع جواريها، تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن، إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج، فقال فرعون: إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بشجرة ائتوني به، فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه، فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه، وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه، فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً لم يره غيرها، فعالجته ففتحت الباب، فإذا هي بصبي صغير في التابوت، وإذا النور بين عينيه، وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمص منها لبناً، فألقى الله محبته في قلب آسية، وأحبه فرعون وعطف عليه، وأقبلت بنت فرعون، فلما أخرجوا الصبي من التابوت، عمدت إلى ما يسيل من ريقه، فلطخت به برصها، فبرئت في الحال بإذن الله تعالى، فقبلته وضمته إلى صدرها، فقال الغواة من قوم فرعون: أيها الملك، إنّا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا، رمي به في البحر خوفاً منك، فهمّ فرعون بقتله فقالت آسية: ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي فنصيب منه خيراً ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً﴾، وكانت آسية لا تلد، فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها، وقال فرعون: أما أنا فلا حاجة لي فيه، قال رسول الله ﷺ: لو قال فرعون يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها، فقيل لآسية سميه: فقالت: سميته موسى، لأنّا وجدناه في الماء والشجر، لأن مو هو الماء، وشا هو الشجر، فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة.

قوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ عطف على ما قدره المفسر بقوله: **(فأرضعته)** الخ. قوله: **(صبيحة الليل)** أي وكان يوم الاثنين. قوله: **(وفتح)** أي فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا. قوله: **(في عاقبة الأمر)** أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة، لأن علة التقاطهم أن يكون حبيباً وابناً، ففي الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف، يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن، على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين، فالترتب الثاني متعلق معنى اللام، فقدر استعارة الترتب الكلي المشبه به بالترتب الكلي المشبه، فسرى التشبيه لمعنى

وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ﴿٨﴾ من الخطيئة أي عاصين فعوقبوا على يديه ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد همَّ مع أعوانه بقتله هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ بعاقبة أمرهم معه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لما علمت بالتقاطه ﴿فَارِغًا﴾ مما سواه ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ﴾ أي بأنه ابنها ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ بالصبر أي سكناه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب لولا دل عليه ما قبلها ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ مريم ﴿قُصِّيهِ﴾ أي اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ من مكان بعيد اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ أنها أخته وأنها ترقبه ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ

اللام الذي هو الترتب مع الجزئي، فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئي، والعداوة والحزن قرينة، أفاده الملوي. قوله: (وفي قراءة) الخ، أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (من حزنه) هو من باب ضرب ونصر. قوله: (فعوقبوا على يديه) أي إنه تربى على أيديهم، فهو أبلغ في إذلالهم.

قوله: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ أي وهي آسية بنت مزاحم، وكانت من خيار النساء، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذي كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام، وقيل من بنات الأنبياء من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهي قاعدة إلى جنبه: هذا الولد أكبر من ابن سنة، وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له: إنه أتى من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل. قوله: (هو) ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ﴾ أشار المفسر إلى أنه خبر لمحذوف. قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ الخ، أي لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة. قوله: (فأطاعوها) أي على عادة أمراء مصر، من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من آل فرعون.

قوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ يصح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنه ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً. قوله: ﴿فَارِغاً﴾ (مما سواه) أي من التفكير في غيره، لما ورد أنه أتاها الشيطان وقال: كرهت أن يقتل فرعون ابنك، فيكون لك أجره وثوابه، وتوليت أنت قتله فأغرقته في البحر، فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها. قوله: ﴿لِتُبْدِي بِهِ﴾ ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء، ويصح أن يبقى على ظاهره، وتكون الباء زائدة أي تظهره.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ جوابها محذوف أي لأبدت به كما أشار له المفسر. قوله: (بوعد الله) أي المدلول عليه بقوله ﴿إنا رادوه إليك﴾ الخ. قوله: ﴿لِأُخْتِهِ﴾ أي شقيقته. قوله: (مريم) هو أحد أقوال، وقيل اسمها كلثمة وقيل كلثوم. قوله: ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ حال إما من الفاعل أو من الضمير المجرور

﴿ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل رده إلى أمه، أي منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بالارضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾ وفسرت ضمير له بالملك جواباً لهم، فأجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ برده إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا

بالياء، أي أبصرته مستخفية كائنة عن جنب وأبصرته بعيداً منها. قوله: **(اختلاساً)** أي اختفاء. قوله: **(وأنها ترقبه)** أي تنظره.

قوله: **﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ﴾** أي على موسى. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** هو ظرف مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه. قوله: **(أي منعناه)** أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع، لأن الصبي ليس من أهل التكليف. قوله: **(من المراضع المحضرة)** أي التي أحضرها فرعون. قوله: **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** أي مخلصون في العمل من شوائب الفساد. قوله: **(حنوهم عليه)** أي عطفهم وميلهم إليه. قوله: **(وغيره)** أي كالتربية وإصلاح الحال. قوله: **(فقبل ثديها)** أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، قيل إن هامان لما سمع قولها **﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾** قال إنها لتعرفه وأهله، فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت: إنما أردت وهم له أي للملك ناصحون، فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله، فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالباً للرضاع، وهو يعلله شفقة عليه، فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها، فقال لها: من أنت منه، فقد أبى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت: إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن، لا أكاد أوتى بصبي إلا قبلني، فدفعه إليها وقال لها: أقيمي عندنا لإرضاعه، فقالت: لا أقدر على فراق بيتي، فإن رضيتم أرضعته في بيتي، وإلا فلا حاجة لي فيه، وأظهرت الزهد فيه نفياً للتهمة عنها، فرضوا بذلك، فرجعت إلى بيتها من يومها، ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر.

قوله: **﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾** أي تبرد وتسكن من ألم الفراق. قوله: **﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾** عطف على **﴿تَقَرَّ﴾** منصوب بأن مضمرة بعد **﴿كَيْ﴾**. قوله: **(فمكث عندها إلى أن فطمته)** أي وهو سنتان. قوله: **(وأخذتها لأنها مال حربي)** جواب عما يقال: كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها؟ قوله: **(أو ثلاث)** أو لتنويع الخلاف. قوله: **(أي بلغ أربعين سنة)** المناسب أن يقول أي كمل عقله وانتهى شبابه، لأن موسى أقام في مصر ثلاثين سنة، ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين، ووقعة قتل القبطي كانت قبل ذهابه لمدين، فهي السبب فيه. قوله: **(كما جزيناه)** أي مثل ذلك الذي فعلناه بموسى وأمه، نجزي المحسنين على إحسانهم. قوله **(منف)** بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة، وهي من أعمال مصر، وقيل هي قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل هي مدينة عين الشمس، وقيل هي مصر. قوله: **(وقت القيلولة)** وقيل بين المغرب والعشاء، وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت،

يَعۡلَمُونَ ﴾ ⑬ بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها لأنها مال حربي فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾ وهو ثلاثون سنة أو وثلاث ﴿ وَٱسۡتَوَىٰٓ ﴾ أي بلغ أربعين سنة ﴿ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا ﴾ حكمة ﴿ وَعِلۡمٗاۚ ﴾ فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما جزيناه ﴿ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ ⑭ لأنفسهم ﴿ وَدَخَلَ ﴾ موسى ﴿ ٱلۡمَدِينَةَ ﴾ مدينة فرعون وهي منف بعد أن غاب عنه مدة ﴿ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا ﴾ وقت القيلولة ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ أي إسرائيلي ﴿ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ ﴾ أي قبطي يسخر الإسرائيلي ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ ﴾ فقال له موسى خلِّ سبيله فقيل إنه قال لموسى: لقد هممت أن أحمله عليك ﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ ﴾ أي ضربه بجمع كفه وكان شديد القوَّة والبطش ﴿ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ ﴾ أي قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه في الرمل ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ أي قتله ﴿ مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ ﴾ المهيج غضبي ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ ﴾ لابن

أن موسى كان يسمى ابن فرعون، وكان يركب مراكبه، ويلبس لباسه، فركب فرعون يوماً وكان موسى غائباً، فلما قدم قيل له: إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه المقيل في أرض منف، فدخلها ليس في طرقها أحد. قوله: ﴿وَهٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي وكان طباخاً لفرعون واسمه فليثون، وأراد أن يسخر الإسرائيلي لحمل الحطب.

قوله: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ﴾ أي طلب غوثه ونصره. قوله: (أن أحمله) أي الحطب. قوله: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ﴾ أي دفعه بجمع كفه، وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع. قوله: (بجمع كفه) أي بكفه مجموعة، فهو من إضافة الصفة للموصوف. قوله: ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي أوقع عليه القضاء وهو الموت. قوله: (ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال: كيف تجرأ على قتل القبطي؟ وحاصل إيضاح الجواب: أن قتله كان خطأً، وقد يقال: قتله من باب دفع الصائل وهو واجب، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿قَالَ هٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطي، وظهر له أن قتله خلاف الأولى، لما يترتب عليه من الفتن، والشيطان تفرحه الفتن.

قوله: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ الحق أن هذا تواضع منه، وحسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (بحق إنعامك) ﴿عَلَيَّ﴾ أشار بهذا إلى أن ما مصدرية، والكلام على حذف مضاف، وأشار بقوله: (اعصمني) إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ﴾ جواب شرط قدره بقوله: (إن عصمتني) وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جماعته وتكثير سواده. قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي﴾ إذا فجائية، و﴿الَّذِي﴾ مبتدأ نعت لمحذوف أي فإذا الإسرائيلي الذي. و﴿اسْتَنْصَرَهُ﴾ صلته، و﴿يَسْتَصْرِخُهُ﴾ خبر المبتدإ. قوله: (على قبطي آخر) أي يريد أن يستخدمه، والاستصراخ الاستغاثة، وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث. قوله: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ﴾ قال ابن عباس: إن القبط قالوا لفرعون: إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا، فقال: اطلبوا قاتله ومن يشهد

آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ ۝١٥﴾ بيِّن الإضلال ﴿قَالَ﴾ نادماً ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦﴾ أي المتصف بهما أزلاً وأبداً ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾ بحق إنعامك ﴿عَلَيَّ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾ الكافرين بعد هذه إن عصمتني ﴿فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ بيِّن الغواية لما فعلته أمس واليوم ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ لموسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظاناً أنه يبطش به لما قال له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٩﴾ فسمع القبطي ذلك فعلم أن القاتل موسى، فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠﴾ في الأمر بالخروج ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوق طالب أو

عليه، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة، إذ مر موسى من الغد، فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً آخر، فاستغاثه على الفرعوني، وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي، فقال للإسرائيلي: **﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾**. قوله: **(لما فعلته أمس واليوم)** أي حيث قاتلت بالأمس رجلاً، فقتلته بسببك، وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه.

قوله: **﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾** الخ، وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الإسرائيلي، فمد يده ليبطش بالقبطي، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به هو، لما رأى من غضبه وسمع من قوله: **﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾** فقال **﴿يَا مُوسَى أَتُرِيدُ﴾** الخ. قوله: **﴿جَبَّاراً فِي الأَرْضِ﴾** الجبار هو الذي يقتل ويضرب ويتعاظم، ولا ينظر في العواقب. قوله: **﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾** أي بين الناس. قوله: **(هو مؤمن آل فرعون)** هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل، وقيل شمعون، وقيل سمعان، وهو الذي ذكر في قوله تعالى **﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾**. قوله: **﴿يَسْعَى﴾** صفة لرجل أو حال منه، لوجود المخصص قبله. قوله: **(يتشاورون فيك)** أي يأمر بعضهم بعضاً بقتلك. قوله: **(أو غوث الله إياه)** أو مانعة خلو تجوز الجمع.

قوله: **﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي﴾** الخ، أي خلصني منهم واحفظني من لحوقهم، قوله: **﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾** أي بإلهام من الله، لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها، وأن بينه وبين أهل مدين قرابة، لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك. قوله: **(ابن ابراهيم)** أي الخليل عليه السلام، وله ولد آخر اسمه مداين، فأولاده أربعة إسماعيل وإسحاق ومدين ومداين، وإنما لم يصرح في القرآن بمدين ومداين، لأنهما لم يكونا نبيين. قوله: **(ولم يكن يعرف طريقها)** وخرج بلا زاد ولا رفيق، ولم يكن له طعام إلا ورق

غوث الله إياه ﴿ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ قوم فرعون ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ ﴾ قصد بوجهه ﴿ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ ﴾ جهتها، وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بمدين بن إبراهيم، ولم يكن يعرف طريقها ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ﴿٢٢﴾ أي قصد الطريق، أي الطريق الوسط إليها، فأرسل الله له ملكاً بيده عنزة فانطلق به إليها ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ أي ما شأنكما لا تسقيان ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ﴾ جمع راع أي يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فنسقي، وفي قراءة يصدر من الرباعي أي يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ لا يقدر أن يسقي ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربهما رفع حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ ﴾ انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿ فَقِيرٌ ﴾ ﴿٢٤﴾ محتاج فرجعتا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، قال تعالى

الشجر ونبات الأرض، حتى ريئت خضرته في باطنه من خارج، وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه، وهو أول ابتلاء من الله لموسى.

قوله: ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة للموصوف، أي السبيل السوي. قوله: **(أي الطريق الوسط)** أي وكان لها ثلاث طرق، فأخذ موسى يمشي في الوسطى، وجاء الطلاب في أثره، فساروا في الأخريين ولم يعرفوا محله. قوله: **(ملكاً)** أي وكان راكباً على فرس قيل هو جبريل. قوله: **(بيده عنزة)** هي فوق العصا دون الرمح، في طرفها حربة كحربة الرمح. قوله: **(بئر فيها)** أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المحل، فأطلق الماء وأريد البئر. قوله: **(أي وصل إليها)** أشار بذلك إلى أن المراد بالورود هنا الوصول، لأن الورود يطلق على الدخول في الشيء، وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه، ومنه قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ على مشهور التفاسير. قوله: **(جماعة)** أي كثيرة. قوله: ﴿يَسْقُونَ﴾ الجملة حال من فاعل ﴿وَجَدَ﴾، لأنها بمعنى لقي، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: **(مواشيهم)** هو معمول ﴿يَسْقُونَ﴾ وقد حذف في هذه الآية معمول ﴿يَسْقُونَ﴾ و ﴿تَذُودَانِ﴾ و ﴿لَا نَسْقِي﴾ لأن المقصود الفعل لا المفعول. قوله: **(جمع راع)** أي على غير قياس، وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ أي فهذا وجه مباشرتنا للسقي بأنفسنا، قال الأجهوري في شرح خطبة الشيخ خليل. ـ تتمة ـ عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة، ذكره الشيخ زروق، وفي رواية وكان في غنمه اثنا عشر ألف كلب، وفي رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة اهـ ملخصاً من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهوري. قوله: **(لا يقدر أن يسقي)** أي فيرسلنا اضطراراً. قوله: ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي سقى أغنامهما لأجلهما. قوله: **(إلا عشرة أنفس)** وقيل سبعة وقيل ثلاثون وقيل أربعون وقيل مائة. قوله: **(لسمرة)** بضم الميم، وهي شجرة عظيمة من شجر الطلح، وهي التي أمر ﷺ ليلة الإسراء بالنزول والصلاة عندها. قوله: ﴿إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ﴾ إن

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي واضعة كمّ درعها على وجهها حياء منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني على الطريق ففعلت، إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عشاء، فقال له: اجلس فتعشّ، قال: أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطي، وقصدهم قتله وخوفه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أي بدلنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ أي استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنها فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر ومن قوله لها امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فرغب في إنكاحه ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ﴾ أي سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ

حرف توكيد والياء اسمها، و ﴿لِمَا أَنْزَلْتَ﴾ متعلق بفقير وهو خبر إن، و ﴿أَنْزَلْتَ﴾ بمعنى تنزل، والمعنى إني فقير ومحتاج لما تنزله إلي من أي شيء، كان قليلاً أو كثيراً. قوله: **(ادعيه لي)** أي اطلبيه ليحضر عندي. قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ﴾ الخ، عطف على ما قدره المفسر بقوله: **(فرجعتا)** الخ. قوله: ﴿تَمْشِي﴾ حال من فاعل جاء، وقوله: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ حال من الضمير في ﴿تَمْشِي﴾، والاستحياء هو الحياء بالمد، وهو حالة تعتري الشخص، تحمله على تجنب الرذائل. قوله: **(كمّ درعها)** أي قميصها. قوله: **(منكراً في نفسه أخذ الأجرة)** أي فلم يكن قصده بالإجابة أخذ الأجرة، بل للتبرك بأبيها. قوله: **(وهو شعيب)** هذا هو الصحيح، وقيل هو يثرون ابن أخي شعيب، وكان شعيب قد مات، وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب، وشعيب هو ابن متبعون بن عنفاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام. قوله: **(وهي المرسلة)** أي وهي التي تزوجها موسى عليه السلام.

قوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ﴾ تعليل للأمر بالاستئجار. قوله: **(فسألها عنها)** أي بأن قال لها: وما أعلمك قوته وأمانته. قوله: **(وزيادة)** أي على ما ذكرته من القوة والأمانة، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة. قوله: **(صوب رأسه)** أي خفضه. قوله: **(فرغب في إنكاحه)** أي رغب شعيب في إنكاحه ابنته. قوله: ﴿هَاتَيْنِ﴾ استفيد منه أنه كان له غيرهما، قيل كان له سبع بنات. قوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ حال من الفاعل أو المفعول، ومفعول ﴿تَأْجُرَنِي﴾ محذوف، والمعنى تأجرني نفسك، وقوله: ﴿ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ ظرف له. قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ **(التمام)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ خبر

﴿أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ للتبرك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ الوافين بالعهد ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ الثمان أو العشر وما زائدة أي رعيه ﴿قَضَيْتُ﴾ به أي فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾ ﴿٢٨﴾ حفيظ أو شهيد، فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصا الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى بعلم شعيب ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾

لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلاً، لا إلزاماً. قوله: (للتبرك) أي فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليق، لأن صلاحه محقق. قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، و ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ خبره، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه، ثابت بيننا جميعاً، لا يخرج عنه واحد منا، ويصح أن يكون ذلك مفعول لمحذوف أي قبلت ذلك، وقوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ الخ، حال من اسم الإشارة، والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائناً بيني وبينك، لم يكن علينا شهيد إلا الله.

قوله: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ أي شرطية، وجوابها فلا عدوان علي، وما زائدة كما قال المفسر. قوله: (الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لأي. قوله: (فتم العقد) أي عقد النكاح والإجارة. إن قلت: إن الذي وقع من شعيب وعد، والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام، وأيضاً لم يبين المنكوحة، وأيضاً الصداق ليست ثمرته عائدة عليها. وأجيب بجوابين: الأول أن هذا كان في شرعه جائز. الثاني أنه يمكن تنزيله على شرعنا، بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة، وقد وقع من موسى القبول بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ وبأنه يمكن أنه بيَّن المنكوحة بإشارة مثلاً، وأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكاً لها، فثمرة الرعي عائدة عليها. قوله: (فوقع في يدها عصا آدم) قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرات، فلم يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده، فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال ألقياها، فمن رفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، فرفعها موسى عليه السلام فكانت له. قوله: (من آس الجنة) أي وتوارثها الأنبياء بعد آدم، فصارت منه إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، حتى وصلت لشعيب، وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته. قوله: (وهو المظنون به) أي وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته، فالمعول عليه أنه وفى العشر. قوله: ﴿بِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي زوجته وولده وخادمه. قوله: (نحو مصر) أي لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه. ورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته: اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض الغنم، فطلبت من أبيها ذلك فقال: لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها، من كل أبلق وبلقاء، فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم، ففعل ذلك، فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء، فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه إلى موسى وابنته، فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام.

عن الطريق وكان قد أخطأها ﴿أَوۡ جَذۡوَةٍ﴾ بتثليث الجيم قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾ جانب ﴿ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ بدل من شاطىء بإعادة الجار لنباتها فيه، وهي شجرة عناب أو عليق أو عوسج ﴿أَن﴾ مفسرة لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ

قوله: ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي الأيمن بدليل ما يأتي. قوله: **(عن الطريق)** أي لنستدل عليها. قوله: **(بتثليث الجيم)** أي وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور، والضم قراءة حمزة، والفتح قراءة عاصم. قوله: **(قطعة وشعلة)** أي عود غليظ كأن في رأسه ناراً أو لا، قيل وهو ما رأسه نار، فقوله: ﴿مِنَ النَّارِ﴾ وصف مخصص على الأول وكاشف على الثاني. قوله: **(والطاء بدل من تاء الافتعال)** أي فأصله تصتلون، وقعت التاء بعد أحد حروف الإطباق فقلبت طاء. قوله: **(بكسر اللام)** أي من باب رضي، وقوله: **(وفتحها)**. أي من باب رمى.

قوله: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ الْوَادِي﴾ الخ، قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة في الشجرة الخضراء، علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله، فلما نودي علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء. قوله: ﴿الأَيْمَنِ﴾ صفة للشاطىء أو للوادي، من اليمن وهو البركة، أو اليمين مقابل اليسار، والمعنى الشاطىء الذي يلي يمين موسى. قوله: ﴿فِي الْبُقْعَةِ﴾ متعلق بنودي. قوله: ﴿الْمُبَارَكَةِ﴾ **(لموسى)** أي لأنه في ذلك المحل حصلت له البركة التامة، فتلك الليلة أسعد لياليه، كليلة الإسراء لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ حال من الضمير في نودي، والتقدير نودي موسى، والحال أنه كائن في وجهة الشجرة، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط، بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه، بلا حرف ولا صوت من جميع جهاته، كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته تعالى، بلا كيف ولا انحصار. قوله: **(بدل)** أي بدل اشتمال. قوله: **(أو عوسج)** أي شوك. قوله: **(مفسرة)** أي لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: **(لا مخففة)** أي لعدم إفادتها المعنى المقصود.

قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ هكذا قال هنا، وفي سورة طه: ﴿إني أنا ربك﴾. وقال في النمل: ﴿نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾ ولا تنافي بل الكل قال الله له. قوله: ﴿وَأَنْ أَلْقِ﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَى﴾. قوله: **(من سرعة حركتها)** أي فهو وجه شبهها بالجان، وقوله في الآية الأخرى ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي في عظم الجثة، فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم، وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة. قوله: ﴿وَلَّى مُدْبِراً﴾ أي باعتبار الطبع البشري حين رآها بهذه الصفة، ورد أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعتها، حتى إن موسى سمع صرير أسنانها، وقعقعة الشجر والصخر في جوفها، فحينئذ ولى مدبراً. قوله: **(من الأدمة)** أي الحمرة. قوله: **(تغشى البصر)** أي تغطيه.

﴿مُدْبِرًا﴾ هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي يرجع فنودي ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ ۝٣١﴾ ﴿ٱسْلُكْ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى بمعنى الكف ﴿فِى جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص وأخرجها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي برص فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ بفتح الحرفين وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه، أي الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى، وعبر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر ﴿فَذَٰنِكَ﴾ بالتشديد والتخفيف أي العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مرسلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ۝٣٢﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣﴾ به ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ أبين ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ معيناً وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع، وجملته صفة ردءاً ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٣٥﴾ لهم

قوله: ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ جعل الجناح هنا مضموماً، وفي آية طه مضموماً إليه حيث قال: ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى، وبالجناح المضموم إليه اليد اليسرى، وكل من اليدين جناح. قوله: ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ متعلق باضمم. قوله: (بفتح الحرفين) الخ، أي فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: (بأن تدخلها) أي تدخل اليد اليمنى التي حصل فيها البياض في جيبك، فتعود لحالتها الأولى، فيزول عنك الخوف والفزع الذي حصل لك. قوله: (كالجناح للطائر) أي لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه، وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه. قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد، والمخفف تثنية ذاك، فالتشديد عوض عن اللام في المفرد. قوله: (وإنما ذكر المشار به) الخ، جواب عما يقال: إن العصا واليد مؤنثتان، فكان اللائق الإشارة إليهما بتان، فأجاب بأنه روعي الخبر قوله: (مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ متعلق بمحذوف صفة لـ ﴿بُرْهَانَان﴾. قوله: ﴿وَمَلَئِهِ﴾ أي جماعته. قوله: ﴿لِسَاناً﴾ أي كلاماً. قوله: (ردءاً) حال من ضمير أرسله. قوله: (بفتح الدال) أي مع التنوين وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿يُصَدِّقْنِي﴾ أي يقويني في الصدق عند الخصم، بتوضيح الحجج والبراهين. قوله: (جواب الدعاء) أي الذي هو قوله: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِي﴾ لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء. قوله: ﴿أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ أي بسبب العقدة التي كانت في فيه، بسبب الجمرة التي وضعها وهو صغير في فيه. قوله: (نقويك) أي فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة المسبب، لأن شد العضد يستلزم شد اليد، وشد اليد مستلزم للقوة. قوله: (بسوء) متعلق بيصلون، وقوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلق بمحذوف قدره بقوله: (اذهبا) بدليل الآية الأخرى ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ وجمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضراً

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ واضحات حال ﴿ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى ﴾ مختلق ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا ﴾ كائناً ﴿ فِيٓ ﴾ أيام ﴿ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿ وَقَالَ ﴾ بواو وبدونها ﴿ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ ﴾ أي عالم ﴿ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ ﴾ الضمير للرب ﴿ وَمَن ﴾ عطف على من قبلها ﴿ تَكُونُ ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أي هو أنا في الشقين فأنا محق فيما جئت به ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ الكافرون ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ ﴾ فاطبخ لي الآجر ﴿ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا ﴾ قصراً عالياً ﴿ لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ ﴿٣٨﴾ في ادعائه

مجلس المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر، لأن الله أرسل جبريل إلى هارون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة، وهارون سمعه بواسطة جبريل.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المراد بها العصا واليد، وجمعها لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة، وتقدم ذلك في سورة طه. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي فرعون وقومه. قوله: (مختلق) أي مخترع من قبل نفسه. قوله: ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهٰذَا﴾ الخ، هذا محض عناد وكذب، إذ هم يعرفون أن قبله الرسل، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم. قوله: (بواو وبدونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو يكون تابعاً لما قبله، وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفاً في جواب سؤال. قوله: (أي عالم) أشار بذلك إلى أنه لا مفاضلة في أوصاف الله تعالى، لأن التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه، فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها، ولا مع صفات خلقه. قوله: (عطف على من قبلها) أي فهي في محل جر، والعلم مسلط عليها. قوله: (بالفوقانية والتحتانية) أي فهما قراءتان سبعيتان، فله خبر ﴿تَكُونُ﴾ مقدم، و ﴿عَاقِبَةُ﴾ اسمها مؤخر على كلا الوجهين، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل، ولأنه مجازي التأنيث. قوله: (أي العاقبة المحمودة) الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالدار، الدار الآخرة، وأن الإضافة على معنى في، ويصح أن المراد بالدار دار الدنيا، والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة، إذ العاقبة قسمان: مذمومة ومحمودة، فالجنة عاقبة محمودة، والنار عاقبة مذمومة. قوله: (وهو أنا في الشقين) تفسير للموصول كأنه قال: إن لم تشهدوا لي بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لي، فالله عالم بأني جئت بالهدى، وبأن العاقبة المحمودة لي. قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ تعليل لقوله: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ﴾ الخ.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ الخ، أي بعد أن شاهد إيمان السحرة وما وقع منهم. قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي﴾ أي ليس لي علم بوجود إله غيري، وليس مراده بإلهية نفسه، كونه خالقاً للسماوات والأرض وما فيهما، إذ لا يشك عاقل في أن الله هو الخالق لكل شيء، وكان اعتقاده أن العالم العلوي أثر في العالم السفلي، فلا حاجة للصانع. قوله: ﴿عَلَى الطِّينِ﴾ أي بعد اتخاذه لبناً، وقيل إنه أول من اتخذ الآجر وبنى به، وهو الذي علم صنعته لهامان، ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح، جمع هامان العمال والفعلة، حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء، سوى الأتباع والأجراء، فطبخ الآجر والجبس، ونشر الخشب، وسبك المسامير، فبنوه ورفعوه، حتى ارتفع ارتفاعاً، لم يبلغه بناء أحد من الخلق، فلما فرغوا،

إلهاً آخر وأنه رسوله ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر المالح فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ حين صاروا إلى الهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزياً ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ المبعدين ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد

ارتقى فرعون فوقه، وأمر بنشابة فضربها نحو السماء، فردت إليه وهي ملطخة دماً فقال: قد قتلت إله موسى، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين، فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس، فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع، قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف، وقطعة وقعت في البحر، وقطعة وقعت في المغرب، ولم يبق أحد عمل في الصرح عملاً إلا هلك. قوله: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ﴾ كأنه من قبحه توهم أن إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه. قوله: (وأنه رسوله) أي أن موسى رسول الإله.

قوله: ﴿وَاسْتَكْبَرَ﴾ أي تكبر. قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر. قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ أي عقب تكبره وعناده. قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ ليخبر به المشركين، فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم. قوله: (وإبدال الثانية ياء) أي فيهما قراءتان سبعيتان، لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية. قوله: (بدعائهم إلى الشرك) أي المؤدي للنار. قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ أي المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة، كزرقة العيون وسواد الوجه.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ إخبار من الله لقريش بامتنانه على بني إسرائيل، حين أهلك الأمم الماضية، لما عاندوا وكذبوا رسلهم، وساروا في زمن فترة بإنزال التوراة ليتعبدوا بها، والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية، والمعنى كما أنزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل، أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به. قوله: (وعاد وثمود) عطف على (قوم نوح) ولم ينونه لأنه علم على القبيلة، وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث. قوله: (وغيرهم) أي كفرعون. قوله: (حال من الكتاب) أي إما على حذف مضاف أي ذا بصائر، أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل، وكذا يقال في قوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾. قوله: (أي أنواراً للقلوب) أي تبصر به القلوب، كما أن إنسان العين تبصر به العين. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أي فالعاقل إذا علم أن كتاب الله، من

﴿ بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ لذلك فتعلمه فتخبر به ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ أمماً بعد موسى ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ يتعظون ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾

أوصافه أنه منور للقلوب، وهاد من الضلالة، ورحمة لمن صدق به، بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد.

قوله: ﴿وَمَا كُنتُ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ الخ، المقصود من ذلك إقامة الحجة على من كذبه ﷺ، يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم؟ والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضراً ذلك ولا مشاهداً له. قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ إن قلت: إن هذا معلوم نفيه من قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ فما ثمرة ذكره عقبه؟ أجيب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك، ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه. قوله: **(بعد موسى)** أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذا الكفل. كائنون بعد موسى. قوله: **(واندرست العلوم)** أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحي. قوله: **(وأوحينا إليك خبر موسى وغيره)** أي ليكون معجزة لك وتذكيراً لقومك.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ ثَاوِياً﴾ إن قلت: إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها. أجيب: بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب، إشارة إلى أن أي واحدة تكفي في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه. قوله: **(مقيماً)** أي إقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم. قوله: ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ متعلق بثاوياً. قوله: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ أي أنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم، ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي، إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور، إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الإرسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة، وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحجة على الخصم، وأما بالنظر للعالم الروحاني، فهو حاضر رسالة كل رسول، وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف، ولكن لا يخاطب به أهل العناد قوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستمائة سنة.

عقوبة﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾من الكفر وغيره ﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا ﴾ هلا ﴿ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ ﴾المرسل بها﴿ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلنا إليهم رسولاً ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ محمد ﴿ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَآ ﴾ هلا ﴿ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ حيث ﴿ قَالُوا ﴾ فيه وفي محمد ﴿ سِحْرَانِ ﴾ وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة ﴿ تَظَٰهَرَا ﴾ تعاونا ﴿ وَقَالُوٓا إِنَّا بِكُلٍّ ﴾ من النبيين والكتابين ﴿ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾ من الكتابين ﴿ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ في قولكم ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ في كفرهم ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ﴾ الخ، ﴿لَوْلَا﴾ حرف امتناع لوجود، و ﴿أَنْ﴾ وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ، وخبره محذوف وجوباً تقديره موجود كما قال المفسر. قوله: ﴿فَيَقُولُوا﴾ عطف على ﴿تُصِيبَهُمْ﴾ والفاء للسببية. قوله: **(وجواب لولا)** أي الأولى، وأما الثانية فهي تحضيضية. قوله: **(أو لولا قولهم)** الخ، أي فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب، وهو عدم الإرسال بثبوت ضده وهو الإرسال، لوجود السبب والمسبب معاً. والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشىء عن السبب فتدبر. قوله: **(لما أرسلناك إليهم رسولاً)** أي فالحامل على ذلك تعللهم بهذا القول، فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك، لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ﴾ الخ، إن قلت: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور، والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات، لم يصابوا ولم يقولوا. أجيب: بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم، واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير، لما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى:﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً﴾الآية. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي تعنتاً. قوله: **(أو الكتاب جملة)** أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل ظهورك.

قوله: ﴿سَاحِرَانِ﴾ خبر لمحذوف أي هما. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(تعاونا)** أي بتصديق كل منهما الآخر، وذلك أن كفار مكة، بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم، فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته، فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر. قوله: **(والكتابين)** الواو بمعنى أو. قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ﴾ الخ، أي إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين، فائتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق، فإن أتيتم به اتبعته، وهذا تنزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿أَتَّبِعْهُ﴾ مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ أي لم يفعلوا ما أمرتهم به. قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي

﴿مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي لا أضل منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ الكافرين ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ القرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ يتعظون فيؤمنون ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أيضاً نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ موحدين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾ يتصدقون ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام

ليس لهم مستند إلا اتباع هواهم الفاسد. قوله: **(لا أضل منه)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾** العامة على تشديد الصاد، وهو مأخوذ إما من وصل الشيء بالشيء، بمعنى جعله تابعاً له، لأن القرآن تابع بعضه بعضاً، قال تعالى: ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ أو من وصل الحبل جعله أوصالاً أي أنواعاً، لأن القرآن أنواع، كالوعد والوعيد، والقصص والعبر والمواعظ.

قوله: **﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ﴾** الاسم الموصول مبتدأ، و **﴿آتَيْنَاهُمْ﴾** صلته، وهم مبتدأ ثان وبه متعلق بيؤمنون، و **﴿يُؤْمِنُونَ﴾** خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول. قوله: **(أيضاً)** أي كما آمنوا بكتابهم. قوله: **(نزلت في جماعة أسلموا من اليهود)** الخ، قال ابن عباس: نزلت في ثمانين من أهل الكتاب، أربعون من نجران، واثنان وثلاثون من الحبشة، وثمانية من أهل الشام، وقيل إنها نزلت في أربعين رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة آمنوا بالنبي ﷺ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا: يا رسول الله إن لنا أموالاً، فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين، فأذن لهم فانصرفوا، فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا مِنَ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾** أي فإسلامنا ليس بمتجدد، بل هو موافق لما عندنا، لأن في كتبهم صفة النبي ونعته، فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله ﷺ، فنظروا في صفاته وأحواله، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم، أظهروا ما كان عندهم من الإسلام. قوله: **(بصبرهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، وقوله: **(على العمل بهما)** أي أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم.

قوله: **﴿وَيَـدَرأُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾** أي يدفعون الكلام القبيح، كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة، أي الكلمة الطيبة الجميلة، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة. قوله: **﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾** الخ، وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمني أهل الكتاب ويقولون: تباً لكم، أعرضتم عن دينكم وتركتموه، فيعرضون عنهم ويقولون **﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾** قوله:

متاركة أي سلمتم منا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ﴿٥٥﴾ لا نصحبهم. ونزل في حرصه ﷺ على إيمان عمه أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي ننتزع منها بسرعة قال تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كل أوب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ أن ما

(سلام متاركة) أي إعراض وفراق لا سلام تحية. قوله: **(لا نصحبهم)** الأوضح أن يقول: لا نطلب صحبتهم. قوله: (ونزل في حرصه) الخ، وذلك أنه لما احتضرته الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ وقال: «يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال: يا ابن أخي، قد علمت أنك لصادق، ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت، ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ثم أنشد:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحاً بذاك مبينا

ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ: عبد المطلب وهاشم وبني عبد مناف ثم مات، فأتى علي ابنه للنبي ﷺ وقال له: عمك الضال قد مات، فقال له: اذهب فواره» وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح، وقيل: إنه أحيي وأسلم ثم مات، ونقل هذا القول عن بعض الصوفية. قوله: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾** أي لا تقدر على هدايته. إن قلت: إن بين هذه الآية وآية **﴿إنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾** تناف. أجيب: بأن المنفي هنا خلق الاهتداء، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم. قوله: **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** أي فسلم أمرك لله، فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة، ولا يبالي بأحد. قوله: **(أي قومه)** أي وهم بعض أهل مكة، كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف، فإنه أتى النبي ﷺ فقال له: إنا نعلم أنك على الحق، ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب، أن يتخطفونا من أرضنا. قوله: **﴿الْهُدَى﴾** أي وهو دين الإسلام.

قوله: **﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً﴾** أي نجعل مكانهم حرماً ذا أمن، وعدي بنفسه لأنه بمعنى جعل، يدل عليه الآية الأخرى وهي: **﴿أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾**. قوله: **(يأمنون فيه)** أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً عقلياً. قوله: **﴿تُجْبَى﴾** أي تحمل وتساق. قوله: **(بالفوقانية والتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** مجاز عن الكثرة كقوله: **﴿وأوتيت من كل شيء﴾** قال بعض العارفين: من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى إليه، فهو من خيار الخلق، لقوله في الآية: **﴿تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾**. قوله: **(من كل أوب)** أي ناحية وطريق وجهة. قوله: **﴿رِزْقاً﴾** إما بمعنى مرزوقاً، فيكون منصوباً على الحال من ثمرات، أو باق على مصدريته، فيكون مفعولاً مطلقاً مؤكداً لمعنى يجبى، أي نرزقهم رزقاً. قوله: **(أن ما نقوله حق)** قدره إشارة إلى أن مفعول **﴿يَعْلَمُونَ﴾** محذوف.

نقوله حق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي عيشها وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارَّة يوماً أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أي أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ بتكذيب الرسل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالتاء والياء أن الباقي خير من الفاني ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ رد بذلك على الكفار، وبيَّن لهم أن العبارة بالعكس، وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان، وأنهم ما داموا مصرين على كفرهم، يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم. قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي كفرت نعمة ربها في زمن معيشتها أي حياتها. قوله: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ أي خربة بسبب ظلمهم، والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود، فإن السفار تمر على تلك المساكن، وتنزل بها في بعض الأوقات. قوله: (للمارة يوماً أو بعضه) أي لأن المار في الطريق، إذا نزل للاستراحة، إنما يستمر في الغالب يوماً أو بعضه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ الخ، بيان للحكمة الإلهية التي سبقت بها مشيئته تعالى، والمعنى ما ثبت في حكمه أن يهلك قرية قبل الإنذار. قوله: (أي أعظمها) أي وهي المدن بالنسبة لما حواليها، فجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن، لأنهم أعقل وأفطن، ويتبعهم غيرهم، ولما كان النبي ﷺ مبعوثاً لجميع الخلق، كانت بلده أفضل البلاد على الإطلاق، وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق. قوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ أي لقطع الحجج والمعاذير. قوله: ﴿إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ استثناء من عموم الأحوال، كأنه قال: ما كنا نهلكهم في حال من الأحوال، إلا في حال كونهم ظالمين. قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ الخ ﴿مَا﴾ اسم موصول مبتدأ، و ﴿أُوتِيتُمْ﴾ صلته، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خبره، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم، ويصح أن تكون ﴿مَا﴾ شرطية، وقوله: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف، والجملة جواب الشرط. قوله: (ثم يفنى) أي يذهب بفنائكم، فجميع ما في الدنيا عرض زائل، يذهب بذهاب أهله، ولا يبقى إلا جزاؤه، فحلال الدنيا حساب، وحرامها عقاب. قوله: (وهو ثوابه) أي ثواب الأعمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى. قوله: ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أي دائم بدوام الله. قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أتركتم التدبر في أحوالكم فلا تعقلون، فمن آثر الفاني على الباقي، فلا عقل عنده، لما في الحديث: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له»، ولله در الشافعي حيث قال:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مصيبه وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ النار، الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي لا تساوي بينهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ هم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم مبتدأ وصفة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره فغووا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ لم نكرههم على الغي ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم

وليس المراد من ذلك ترك الدنيا رأساً والخروج عنها بالمرة، بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه، وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه، لتكون مزرعة لآخرته، لما في الحديث: «نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح» فالمضر شغل القلب والنية السوء. قوله: (بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أن الباقي خير من الفاني) قدره إشارة إلى أن مفعول يفعلون محذوف، واستفيد منه أن عقل الناس المشتغلون بطاعة الله، الذين اختاروا الباقي على الفاني، ومن هنا قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس، صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى. قوله: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ﴾ الخ، من مبتدأ، وجملة ﴿وَعَدْنَاهُ﴾ صلتها، وقوله كمن وعدناه الخ، خبر المبتدأ، والمعنى أيستوي من وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه، بمن انهمك في طلب الفاني، حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب، فهو نظير قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾. قوله: (مصيبة) أي مدركه لا محالة، لأن وعده لا يتخلف. قوله: ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي المشوب بالأكدار. قوله: (الأول) أي وهو من ﴿وَعَدْنَاهُ﴾ والثاني وهو من ﴿مَتَّعْنَاهُ﴾. قوله: (أي لا تساوي بينهما) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب، أو النداء من الله لهم والمنفي في آية ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ كلام الرضا والرحمة، فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب وسخط. قوله: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ تفسير للنداء. قوله: ﴿تَزْعُمُونَهُمْ﴾ (شركائي) أشار بذلك إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان. قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا؟ وجواب هذا السؤال: أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع فقال الأتباع: إنهم أضلونا، وقال الرؤساء ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ﴾ الخ، فهو بمعنى قوله تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ الخ، وبمعنى ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ﴾ الخ. قوله: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي ثبت وتحقق وهو قوله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. قوله: (وهم رؤساء الضلال) أي الذين أطاعوهم في كل ما أمروهم به ونهوهم عنه.

قوله: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ الخ، اسم الإشارة مبتدأ، والموصول نعته، و ﴿أَغْوَيْنَا﴾ صلته، والعائد محذوف قدره المفسر، و ﴿أَغْوَيْنَاهُم﴾ خبره، وصح الإخبار به لتقييده بقوله: ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾ ففيه زيادة فائدة على الصلة، والمعنى تسببنا لهم في الغي، فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل

﴿ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ (٦٣) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ﴾ أي الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ ﴾ دعاءهم ﴿ وَرَأَوُاْ ﴾ هم ﴿ ٱلْعَذَابَ ﴾ أبصروه ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٦٤) في الدنيا لما رأوه في الآخرة ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٦٥) إليكم ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ أي لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (٦٦) عنه فيسكتون ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من الشرك ﴿ وَءَامَنَ ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ أدّى الفرائض ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ (٦٧) الناجين بوعد الله ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ ما يشاء ﴿ مَا كَانَ لَهُمُ ﴾ للمشركين ﴿ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ الاختيار في شيء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٦٨) عن إشراكهم

عليهم من الكتب التي فيها المواعظ والأوامر والنواهي، فلم نخيرهم عن أنفسنا، بل اخترنا لهم ما اخترناه لأنفسنا، فاتبعونا بهواهم. قوله: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ (منهم) هذا تقرير لما قبله. قوله: (وقدم المفعول) أي وهو قوله: ﴿إِيَّانَا﴾. قوله: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ أي استغيثوا بآلهتكم متى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم، وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم. قوله: ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي نازلاً بهم. قوله: (ما رأوه) هو جواب ﴿لَوْ﴾.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يسألون عن إشراكهم وجوابهم للرسل. قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ أي خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب، والأصل فعموا عن الأنباء، أي ضلوا وتحيروا في ذلك، فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (عنه) أي عن الخبر المنجي لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ. قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ الخ، أي رجع عن كفره في حال الحياة. قوله: ﴿فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم، ومن شأنه لا يخلف وعده.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة، استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله ﷺ وقال: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، فنزلت هذه الآية رداً عليه، واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة، فقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته، وقيل يخلق ما يشاء من خلقه، ويختار ما يشاء لنبوته، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار الأنصار لدينه، وقيل يخلق ما يشاء محمداً، ويختار ما يشاء أصحابه وأمته لما روي: «إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمتي على سائر الأمم، واختار لي من أمتي أربعة قرون» ا هـ. فقد اختار محمداً على سائر المخلوقات، واختار أمته على سائر الأمم، فكما هو أفضل الخلق على الإطلاق، أمته أفضل الأمم على الإطلاق.

قوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ بالتحريك والإسكان معناهما واحد وهو الاختيار، و ﴿مَا﴾ نافية،

﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ بألسنتهم من ذلك ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ ﴾ الدنيا ﴿ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ الجنة ﴿ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ القضاء

و ﴿كَانَ﴾ فعل ناقص، والجار والمجرور خبرها مقدم، و ﴿الْخِيَرَةُ﴾ اسمها مؤخر، والجملة مستأنفة، فالوقف على يختار، والمعنى ليس للخلق جميعاً الاختيار في شيء، لا ظاهراً ولا باطناً، بل الخيرة لله تعالى في أفعاله، لما في الحديث القدسي: «يا عبدي أنت تريد، وأنا أريد، ولا يكون إلا ما أريد، فإن سلمت لي ما أريد أعطيتك ما تريد، وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد، ولا يكون إلا ما أريد» وإنما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول، ويصح أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، وما بعدها مؤول بمصدر، والمعنى يختار اختيارهم فيه، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف، والتقدير ويختار الذي لهم فيه الاختيار، وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار، والأول أظهر، فالواجب على الإنسان، أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء أبداً، وإنما يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها.

قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ أي تنزيهاً له عما لا يليق به. قوله: (من الكفر وغيره) أي كالإيمان، فيجازي الكافر بالخلود في الجنة. قوله: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ أي هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة، لأنه لا معطي للنعم فيهما، إلا هو سبحانه تعالى، فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، كما حمدوه في الدنيا، لكن الحمد لله في الدنيا مكلفون به، وأما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت. قال العلماء: لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة، حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك، وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة، يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ الآية، وفي الثانية﴿ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾الآية، ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاقدره لي ويسره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال في عاجل أمري وآجله، فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، قال: ويسمي حاجته». وروي عن أنس أن النبي ﷺ قال له: «يا أنس إذا هممت بأمر، فاستخر ربك فيه سبع مرات، ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمله، فإن الخير فيه» انتهى، فإن لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ﴿قل يا أيها الكافرون﴾والإخلاص، فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ: اللهم خر لي، واختر لي، كما روي عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما. واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح، وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس وارداً عن النبي ﷺ، ولذا كرهه العلماء وقالوا: إنه نوع من الطيرة.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ﴾ الخ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾، و ﴿جَعَلَ﴾ تنازعا في الليل، أعمل الثاني

النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ بالنشور ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾ ذلك سماع تفهم فترجعون عن الإشراك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾ تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ تعالى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ النعمة فيهما ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ذكر ثانياً ليبنى عليه ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ ابن عمه وابن خالته وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ

وأضمر في الأول وحذف، وهو مفعوله الأول، ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده، و ﴿إِنْ﴾ حرف شرط، و ﴿جَعَلَ﴾ فعل الشرط، و ﴿اللَّهُ﴾ فاعله، و ﴿اللَّيْلَ﴾ مفعول أول، و ﴿سَرْمَداً﴾ مفعول ثان، وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون، وتقدم الكلام على نظيرتها في الأنعام. قوله: ﴿سَرْمَداً﴾ من السرد وهو المتابعة والاطراد. قوله: (دائماً) أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض. قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلق بجعل. قوله: ﴿مِنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (بزعمكم) دفع بذلك ما يقال: إن المقام لهل لأنها لطلب التصديق، لا من التي لطلب التعيين، لأنه يوهم وجود آلهة غيره تعالى، فأجاب: بأنه مجاراة للمشركين في زعمهم وجود آلهة معه. قوله: (سماع تفهم) أي تدبر واعتبار، لأن مجرد الإبصار لا يفيد. قوله: ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَداً﴾ أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء.

قوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي تفضله وإحسانه. قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ الخ، أي لأن المرء في الدنيا، لا بد وأن يحصل له التعب، ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه، فجعل الله له محل تكسب وهو النهار، ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل. قوله: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد: الكاسب حبيب الله. قوله: (ذكر ثانياً ليبنى عليه) ﴿وَنَزَعْنَا﴾ الخ، أي وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم، لا شيء أجلب منه لغضب الله، كما أن التوحيد عظيم، لا شيء أجلب منه لرضا الله. قوله: (يشهد عليهم بما قالوا) أي وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم بالتكذيب. قوله: ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي التوحيد لله خاصة لا لغيره. قوله: (من أن معه شريكاً) بيان لما.

قوله: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ هو اسم أعجمي ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

﴿ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُوْلِى﴾ أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي تثقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل سبعون وقيل أربعون وقيل عشرة وقيل غير ذلك، اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ بذلك ﴿وَٱبْتَغِ﴾ اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾ تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ

قوله: (ابن عمه) أي واسم ذلك العم يصهر، بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة، ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة، ويصهر أبو قارون، وعمران أبو موسى أخوان، ولدا قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وقيل إن قارون عم موسى. قوله: (وآمن به) أي وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة، فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته، وهارون على إمامته. قوله: (بالكبر) أي احتقار ما سواه، ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شبراً، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة، وكان يسمى المنور لحسن صورته.

قوله: ﴿مِنَ الْكُنُوزِ﴾ سميت كنوزاً لما قيل إنه وجد كنزاً من كنوز يوسف عليه السلام، وقيل لامتناعه من أداء الزكاة. قوله: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ﴾ الخ، ﴿مَا﴾ اسم موصول صفة لموصوف محذوف، و﴿إِنَّ﴾ حرف توكيد ونصب، و﴿مَفَاتِحَهُ﴾ اسمها، وجملة ﴿لَتَنُوءُ﴾ خبرها، والجملة صلة الموصول، والتقدير وآتيناه من الكنوز الشيء الذي مفاتحه تثقل العصبة أولي القوة، وكانت مفاتحه أولاً من حديد، فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر، وقيل من جلود الإبل، كل مفتاح على قدر الأصبع، وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلاً. قوله: ﴿لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ﴾ الباء للتعدية، والمعنى لتثقل المفاتح العصبة. قوله: (فرح بطر) أي لأنه هو المذموم، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة، كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به. قوله: (بأن تنفقه في طاعة الله) أي كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي بأن تصرف عمرك في مرضاة ربك، ولا تدع نفسك من غير خير، فتصير يوم القيامة مفلساً، لما في الحديث: «اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك». وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز، قال الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله ... رداءان تدرج فيهما وحنوط

قوله: ﴿وَأَحْسِنْ﴾ (للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم، ويكون تفسيراً لقوله: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ وقوله: ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ الكاف للتشبيه، وما مصدرية، والمعنى وأحسن إحساناً كإحسان الله إليك، أو للتعليل.

﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ بمعنى أنه يعاقبهم ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي في مقابلته، وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال أي وهو عالم بذلك ويهلكهم الله ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتباعه الكثيرين ركباناً، متحلين بملابس الذهب والحرير، على خيول وبغال متحلية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾ نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿٧٩﴾ وافٍ فيها ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة ﴿وَيْلَكُمْ﴾ كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ

قوله: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ جواب لما قالوه من الجمل الخمس، كأنه ينكر محض الفضل، والمعنى إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي، فأعطاني الله تلك الأموال لكوني مستحقاً لها لفضلي وعلمي. قوله: (**وكان أعلم بني إسرائيل بالتوراة**) وقيل العلم الذي فضل به هو علم الكيمياء، فإن موسى علمه ثلثه، ويوشع ثلثه، وكالب ثلثه، فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده، فكان يأخذ الرصاص فيجعله فضة، ومن النحاس فيجعله ذهباً، فكثر بذلك ماله وتكبر، وعلى هذا فقوله: ﴿**عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ المراد به علم الكيمياء، ويكون المعنى اكتسبته بعلمي الذي عندي، لا من فضل الله كما تقولون. قوله: ﴿**أَوَلَمْ يَعْلَمْ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أيدعي ولم يعلم أن الله الخ، والاستفهام للتوبيخ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك.

قوله: ﴿**وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ**﴾ أي لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم. إن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**﴾؟ أجيب: بأن السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفي سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والغفران، كسؤال المسلم العاصي، والمثبت سؤال التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار. قوله: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾ عطف على قوله: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾ وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت، وقوله: (**بأتباعه**) قيل كانوا أربعة آلاف، وقيل تسعين ألفاً عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رىء فيه المعصفرات، وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام، وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج، وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر، وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها، سرجها من ذهب، وكان على سرجها الأرجوان، بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء.

قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ أي وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون. قوله: (**كلمة زجر**) أي وهي منصوبة بمقدر، أي ألزمكم الله ويلكم، والأصل في الويل الدعاء بالهلاك، ثم استعمل في الزجر والردع. قوله: (**مما أوتي قارون في الدنيا**) أي لأن الثواب منافعه عظيمة. قوله: ﴿**وَلَا يُلْقَاهَا**﴾ أي يوفق للعمل بها. قوله: (**على الطاعة وعن المعصية**) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى.

صَٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ على

قوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهارون، وأقرأهم للتوراة، وأجملهم وأغناهم، وكان حسن الصوت، فبغى وطغى واعتزل بأتباعه، وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما، وهو يؤذيه في كل وقت، ولا يزيد إلا عتواً وتجبراً ومعاداة لموسى، حتى بنى داراً، وجعل بابها من الذهب، وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون إليه ويروحون، ويطعمهم الطعام، ويحدثونه ويضاحكونه، قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى، أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار واحد، وعن كل ألف درهم على درهم، وعن كل ألف شاة على شاة، وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه، فوجده شيئاً كثيراً فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بني إسرائيل وقال لهم: إن موسى قد أمركم بكل شيء، فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل: أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال: آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية، فنجعل لها جعلاً، على أن تقذف موسى بنفسها، فإذا فعلت ذلك، خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه، فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طشتاً من ذهب، وقيل قال لها قارون: أموِّلك وأخلطك بنسائي، على أن تقذفي موسى بنفسك غداً، إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد، جمع قارون بني إسرائيل، ثم أتى إلى موسى فقال له: إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى، وهم في براح من الأرض، فقام فيهم فقال: يا بني إسرائيل، من سرق قطعنا يده، ومن افترى جلدناه ثمانين، ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة، ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. قال قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: فإن بني إسرائيل، يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية، قال موسى: ادعوها، فلما جاءت قال لها موسى: يا فلانة، أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ وعظم عليها وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت، فتداركها الله بالتوفيق فقالت في نفسها: أحدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله، فقالت: لا والله، ولكن جعل لي قارون جعلاً، على أن أقذفك بنفسي، فخر موسى ساجداً يبكي، وقال: اللهم إن كنت رسولك فاغضب لي، فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك، فمرها بما شئت، فقال موسى: يا بني إسرائيل، إن الله بعثني إلى قارون، كما بعثني إلى فرعون، فمن كان معه فليثبت مكانه، ومن كان معي فليعتزل، فاعتزلوا، فلم يبق مع قارون إلا رجلان، قال موسى: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الركب، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال: يا أرض خذيهم، فأخذتهم إلى الأعناق، وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى، ويناشده قارون الله والرحم، حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة، وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه، ثم قال: يا أرض خذيهم، فانطبقت عليهم. قال قتادة: خسفت به، فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قامة رجل، لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة. وفي الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة، نفخ إسرافيل في الصور، وأصبحت بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم: إن موسى إنما دعا على قارون، ليستبد بداره وكنوزه وأمواله، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض، قال بعضهم: مقتضى هذا الحديث، أن الأرض لا تأكل جسمه، فيمكن أن يلغز ويقال لنا: كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون. قوله:

الطاعة وعن المعصية ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ ﴾ بقارون ﴿ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ أي غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ منه ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي من قريب ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ﴾ يوسع ﴿ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق على من يشاء، ووي اسم فعل بمعنى أعجب، أي أنا، والكاف بمعنى اللام ﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ لنعمة الله كقارون ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ الجنة ﴿ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ بالبغي ﴿ وَلَا فَسَادًا ﴾ بعمل المعاصي ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ المحمودة ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ عقاب الله بعمل الطاعات ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ ثواب بسببها وهو عشر أمثالها ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ

﴿مِنْ فِئَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، و ﴿فِئَةٍ﴾ اسم ﴿كَانَ﴾ إن كانت ناقصة، والجار والمجرور خبرها، أو فاعل بها إن كانت تامة. قوله: ﴿مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ أي الممتنعين بأنفسهم قوله: (أي من قريب) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك.

قوله: ﴿وَيكَأَنَّ اللَّهَ﴾ الخ، ﴿وَيكَأَنَّ﴾ فيها خمسة مذاهب، الأول: أن وي كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب، والكاف للتعليل، وأن وما دخلت عليه مجرور بها أي أعجب، لأن الله يبسط الرزق الخ، فالوقف على وي، وهو قراءة الكسائي. الثاني: إن كأن للتشبيه، غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين، وحينئذٍ فالوقف على وي كالذي قبله. الثالث: إن ويك كلمة برأسها، والكاف حرف خطاب، أن معمولة لمحذوف، أي أعلم أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على ويك، وهو قراءة أبي عمرو. الرابع: أن أصلها ويلك حذفت اللام، وحينئذ فالوقف على الكاف أيضاً. الخامس: أن ويكأن كلها كلمة بسيطة، ومعناها ألم تر أن الله يبسط الرزق الخ، وحينئذ فالوقف على النون.

قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي بالإيمان والرحمة. قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَيْكَأَنَّهُ﴾ تأكيد لما قبله، ويجري فيها ما يجري في التي قبلها. قوله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرض ولا فساداً﴾ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، فإن فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو، فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار، وموسى وهارون اختارا التواضع، فآل أمرهما للعز الدائم الذي لا يزول ولا يحول. قوله: (أي الجنة) أي وما فيها من النعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم، وسماع كلامه القديم. قوله: ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُواً﴾ التعبير بالإرادة أبلغ في النفي، لأنه نفي وزيادة. قوله: ﴿نَجْعَلُهَا﴾ أي نصيرها. قوله: (بالبغي) أي الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما. قوله: (بعمل المعاصي) أي كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التي تخالف أوامره تعالى. قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أظهر في مقام الإضمار، إظهاراً لشأنهم ومدحاً لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلاً على ضدهم.

قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ تقدم أنه إن أريد ﴿بِالْحَسَنَةِ﴾ لا إله إلا الله، فالمراد بالخير الجنة، و ﴿مِنْ﴾ للتعليل، وليس في الصيغة تفضيل، وإن أريد بها مطلق طاعة، فالمراد بالخير منها عشر أمثالها،

﴿عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي مثله ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أنزله ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى مكة وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال، وأعلم بمعنى عالم ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾ معيناً ﴿لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ على دينهم الذي دعوك

كما جاء مفسراً به في الآية الأخرى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ فقول المفسر (**ثواب بسببها**) الخ، إشارة للمعنى الثاني. قوله: (**وهو عشر أمثالها**) هذا أقل المضاعفة، وتضاعف لسبعين ولسبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء، وهذا في الحسنة التي فعلها بنفسه أو فعلت من أجله، كالقراءة والذكر، إذا فعل وأهدى ثوابه للميت مثلاً، وأما الحسنة التي تؤخذ في نظير الظلامة فلا تضاعف، بل تؤخذ الحسنة للمظلوم، وأما المضاعفة فتكتب للظالم، لأنها محض فضل من الله تعالى، ليس للعبد فيه فعل، والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة، وأما غيرهم فلا مضاعفة له.

قوله: ﴿**فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ**﴾ الخ، أظهر في مقام الإضمار تسجيلاً وتقبيحاً على فاعل السيئات، لينزجر عن فعلها. قوله: (**أي مثله**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (**أنزله**) أي أو فرضه، بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به. قوله: (**إلى مكة وكان قد اشتاقها**) تقدم أن سبب نزول هذه الآية، أنه ﷺ لما أذن له في الهجرة إلى المدينة، وخرج من الغار مع أبي بكر ليلاً، سار في غير الطريق، فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة، وعرف طريق مكة، اشتاق إليها، وذكر مولده ومولد أبيه، فنزل عليه جبريل وقال له: أتشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال عليه السلام: نعم، فقال جبريل: إن الله تعالى يقول: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى مكة ظاهراً عليهم، وسميت البلد معاداً، لأن شأن الإنسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها، وتقدم أن هذه الآية ينبغي قراءتها للمسافر، تفاؤلاً بعوده لوطنه، ولا يقال: إن الآية قيلت للنبي ﷺ فكيف تقال لغيره؟ لأنه لا يقال: إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به، فكأنه قال: كما صدقت وعد نبيك فاصدق وعدي. قوله: (**جواباً لقول كفار مكة**) الخ، أي كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وقال موسى ربي أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار﴾. قوله: (**وأعلم بمعنى عالم**) إنما احتيج إلى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه، وإلا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن. قوله: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَرْجُو**﴾ أي قبل مجيء الرسالة إليك. قوله: ﴿**أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ**﴾ أي فإنزاله عليك ليس عن ميعاد، ولا بطلب منك، ومن هنا قال العلماء: إن النبوة ليست مكتسبة لأحد، قال في الجوهرة:

ولم تكن نبوة مكتسبه ... ولو رقى في الخير أعلى عقبه. الخ

قوله: (**لكن ألقي إليك**) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع. قوله: ﴿**فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ**﴾ الخطاب له، والمراد غيره، لاستحالة ذلك عليه. قوله: (**حذفت نون الرفع للجازم**) أي وهو لا النافية. قوله: (**لالتقائها مع النون الساكنة**) أي ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة، وما مشى عليه المفسر في تصريف الفعل، وإنما يأتي على ندور، وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب، فالأولى أن يقول:

إليه ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل، لالتقائها مع النون الساكنة ﴿عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إياه ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٨٨) بالنشور من قبوركم.

وأصله يصدونك، دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان، حذفت الواو لالتقائهما، ووجود الضمة دليلاً عليها. قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي بعد وقت إنزالها عليك. قوله: (أي لا ترجع إليهم) أي لا تركن إلى أقوالهم.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الخطاب له والمراد غيره. قوله: (ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي لفظاً وإن كان مؤثراً محلاً. قوله: (لبنائه) أي بسبب مباشرة نون التوكيد له، بخلاف قوله: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ﴾ فتأثر بالجازم، وإن كان مؤكداً بالنون لعدم مباشرتها للفعل، فإنه فصل بينهما بواو الجماعة، قال ابن مالك: وأعربوا مضارعاً إن عريا. من نون توكيد مباشر. قوله: (تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة، وحينئذ فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج، من أن الطلب من الغير حياً أو ميتاً شرك، فإنه جهل مركب، لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجباً، لأنه من التمسك بالأسباب، ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول. قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي وكل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه، لأن وجوده ليس ذاتياً له، قال بعض العارفين:

الله قل وذر الوجود وما حوى ... إن كنت مرتاداً بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته ... عدم على التفصيل والإجمال
من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا ... شيئاً سوى المتكبر المتعال
ورأوا سواه على الحقيقة هالكاً ... في الحال والماضي والاستقبال

قيل: المراد بالهلاك الانعدام بالفعل، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله:

ثمانية حكم البقاء يعمها ... من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش والكرسي ونار وجنة ... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة:

وكل شيء هالك قد خصصوا ... عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لما عده السيوطي، بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحور والولدان. قوله: (إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى، فإن ثوابه باق. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي في جميع أحوالكم.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكيّة
وآياتها تسع وستون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ ①﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا﴾ أي بقولهم ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ②﴾ يختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل في جماعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت مكية

وهي تسع وستون آية

مبتدأ وخبر، وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية، ففيه الفصل بين المبتدإ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها، من باب تسمية الكل باسم الجزء، وتقدم أن أسماء السور توقيفي، وقوله: **(مكية)** أي كلها، وقيل مدنية كلها، وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً﴾ الخ، فإنها مدنية. قوله: **(الله أعلم بمراده)** تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم، لأنه من المتشابه الذي يفوض علمه لله تعالى. قوله: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ**﴾ الاستفهام يصح أن يكون للتقرير، وحينئذ فيكون المعنى: يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لا يتركون سدى، بل يمتحنون ويبتلون، لأن الدنيا دار بلاء وامتحان، أو التوبيخ، وعليه فالمعنى لا يليق منهم هذا الحسبان، أي الظن والتخمين، بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لا يتركون، وحسب فعل ماض، و ﴿**النَّاسُ**﴾ فاعله، و ﴿**أَنْ**﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي حسب، و ﴿**أَنْ يَقُولُوا**﴾ علة للحسبان، وقوله: ﴿**وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾ الجملة حالية مقيدة لقوله: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ**﴾ ويكون المعنى: أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين، أو من أجل نطقهم بالشهادتين، بل لا بد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين، ليتميز الراسخ من غيره. قوله: **(بما يتبين به حقيقة إيمانهم)** أي من المشاق كالهجرة والجهاد، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال. قوله: **(نزل في جماعة)** أي كعمار بن ياسر، وعياش بن أبي ربيعة،

آمنوا فآذاهم المشركون ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في إيمانهم مشاهدة ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ ③ فيه ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ يفوتونا فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا﴾ الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ ④ـه حكمهم هذا ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ ﴾ يخاف ﴿ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ ﴾ به ﴿ لَأَتٍ ﴾ فليستعد له ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾

والوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وكانوا يعذبون بمكة، والمقصود من الآية تسلية هؤلاء، وتعليم من يأتي بعدهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الخ، إما حال من الناس، وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك، والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ أو من فاعل يفتنون، والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم، ولا يسلكوا بهم مسالك الأمم السابقة، روى البخاري عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقال: ألا تستنصر، ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم كنتم تستعجلون». قوله: ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ الخ، عبر في جانب الصدق بالفعل الماضي، وفي جانب الكذب باسم الفاعل، إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر، لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم، وتجدد لهم الصدق، فناسبه التعبير بالفعل. قوله: (**علم مشاهدة**) جواب عما يقال: إن علم الله لا تجدد فيه، والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس ببيان الصادق من الكاذب.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾ الخ، انتقال من توبيخ إلى توبيخ، فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان، من غير مشقة ولا تعب، والثاني أشد منه، وهو توبيخهم على ظنه أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه، مع دوامهم على الكفر. قوله: (**الذي**) ﴿يَحْكُمُونَـ﴾ (**ـه**) الخ، أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ اسم موصول فاعل ﴿سَاءَ﴾ و ﴿يَحْكُمُونَ﴾ صلته، والعائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله: (**حكمهم**) وهذا يصح أن تكون ﴿مَا﴾ مميزاً، والفاعل ضمير مفسر بما قال ابن مالك:

وما مميز وقيل فاعل   في نحو نعم ما يقول الفاضل

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾ أي يعتقد ويجزم بأنه يلاقي الله، فيرجو رحمته، ويخاف عقابه، وهذا التفسير أتم مما قاله المفسر، لأن المؤمن المصدق بلقاء الله، لا بد له من الرجاء والخوف معاً، ويؤيد ما قلناه جواب الشرط الذي قدره بقوله: (**فليستعد له**) أي يتهيأ ويستحضر للرحمة والنجاة من العذاب. قوله: ﴿فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ ليس هذا هو جواب الشرط، وإلا لزم أن من لا يرجو لقاء الله، لا يكون أجل الله آتياً له، بل الجواب ما قدره المفسر. قوله: (**بأفعالهم**) أي وعقائدهم قوله: (**جهاد حرب**) أي وهو الجهاد الأصغر، وقوله: (**أو نفس**) أي وهو الجهاد الأكبر، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم

لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾ بأفعالهم ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ فإن منفعة جهاده له لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى حسن نصبه بنزع الخافض الباء ﴿ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٧﴾ وهو الصالحات ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي إيصاء ذا حسن بأن يبرهما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا

مجرى الدم والنفس أخته، ولا تغيب عن الإنسان أبداً، وهي خفية تظهر المحبة لصاحبها، بخلاف العدو من الكفار، وأيضاً إذا قتله الكافر كان شهيداً، وأما إذا قتلته نفسه، فإما عاص أو كافر، فلا شك أن جهاد النفس، أكبر من جهاد الكفار، ولذا ورد في الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله، وأي جهاد أكبر من هذا؟ قال: «جهاد النفس والشيطان».

قوله: ﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له في توفيقكم لعبادته، فالحصر إضافي فلا ينافي أنه ينتفع غيره بجهاده، كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد، فالمقصود نفي النفع عن الله لاستحالته عليه. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ أي فلا يصل منهم نفع ولا ضر لما في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً».

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، مبتدأ خبره الجملة القسمية، وهذا وعد حسن للمتصفين بالإيمان. قوله: ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أي لا نؤاخذهم بها، وهذا ظاهر في غير المعصومين، وأما المعصومون فلا سيئات لهم، فما معنى تكفيرها؟ أجيب: بأن الكلام على الفرض والتقدير، يعني لو وجدت منهم سيئات تكفر، أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم، ومن هنا قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (بمعنى حسن) أي فاسم التفضيل ليس على بابه، لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن لا على الحسن، وقد يقال: المراد بالأحسن الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة، فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب في نظير أعمالهم الصالحة فتأمل.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾ سبب نزولها هي وآية لقمان والأحقاف، أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أحد العشرة المبشرين بالجنة، والسابقين إلى الإسلام، لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبي سفيان، أن لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف، حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد، فأبى سعد أن يطيعها، فصبرت ثلاثة أيام، لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل، حتى غشي عليها، فأتاها وقال لها: والله لو كان لك مائة نفس، فخرجت نفساً نفساً، ما كفرت بمحمد ﷺ، فإن شئت فكلي، وإن شئت فلا تأكلي، فلما رأت ذلك أكلت، فنزلت الآية بالوصية عليها، وإنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس، لأن الأولاد جبلوا على القسوة وعدم طاعة الوالدين، فكلفهم الله بما يخالف طبعهم، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد، فوكلهم لما جبلوا عليه. قوله: (أي إيصاء ذا حسن) أشار بذلك إلى أن حسناً

لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في الإشراك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ فأجازيكم به ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أذاهم له ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الخوف منه فيطيعهم فينافق ﴿وَلَئِن﴾

صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف، ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة على حد: زيد عدل. قوله: **(بأن يبرهما)** أي يحسن إليهما، وأوجه البر كثيرة جداً منها: لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما في غير معاصي الله وغير ذلك.

قوله: **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾** أتى هنا باللام، وفي لقمان بعلى حيث قال: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي﴾** لأن ما هنا موافق لما قبله في قوله: **﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾** وما في لقمان ضمن **﴿جاهداك﴾** معنى حملاك. قوله: **﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** **﴿مَا﴾** مفعول تشرك، أي إلهاً لا علم لك به. قوله: **(موافقة للواقع)** علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع، أي أن الواقع أن الإله واحد، فليس إله لك به علم، وإله لا علم لك به، وأما الأصنام فإشراكها مع الله في العبادة هزؤ وسخافة عقل، إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل، ما علم إلهاً غير الله ولا ظنه ولا توهمه. قوله: **﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾** فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى، ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى. قوله: **﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي بالصالح والسيىء، فيترتب على كل جزاؤه.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾** الخ، **﴿الَّذِينَ﴾** اسم موصول مبتدأ، و **﴿آمَنُوا﴾** صلته، وقوله: **﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ﴾** الخ، خبره. قوله: **(بأن نحشرهم معهم)** أي يوم القيامة، بل ويجتمعون بهم في البرزخ، فإذا مات المؤمن الصالح، اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة، فحينئذ يكون مرافقاً لهم في الدرجات العالية، قال تعالى: (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾.

قوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** الخ، لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم، بيّن هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر، و **﴿مِنَ النَّاسِ﴾** خبر مقدم، و **﴿مَنْ يَقُولُ﴾** مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾** الخ، مقول القول. قوله: **﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ﴾** أي آذاه الكفار على إظهار الإيمان. قوله: **﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾** أي لم يصبر على الأذى، بل ترك الدين الحق، والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر، فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعاً من الإيمان، وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الإكراه، وتكون قلوبهم مطمئنة بالإيمان. قوله: **(فيطيعهم)** أي ظاهراً وباطناً، وأما المكره فقد أطاع ظاهراً لا باطناً، والمؤاخذة مرجعها للقلب. قوله: **(والواو)** الخ، عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله: **(حذف منه)**. قوله: **(لالتقاء الساكنين)** أي ولوجود الضمة دليلاً عليها. قوله: **﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾** **(في الإيمان)** أي وإن الذي وقع منا، إنما هو على سبيل الإكراه. قوله: **(أي بعالم)** أشار بذلك إلى أن التفضيل في صفات الله وأسمائه ليس مراداً.

لام قسم ﴿جَآءَ نَصۡرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة، قال تعالى ﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ﴾ أي بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخبر، قال تعالى ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢﴾ في ذلك ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ﴾ أوزارهم ﴿وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ﴾ بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا، وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ۝١٣﴾ يكذبون على

قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، أي ليظهر متعلق علمه للناس، فيفتضح المنافق، ويظهر شرف المؤمنين الخالص. قوله: **(إن كانت)** أي فرض حصولها، وإلا فهم ليسوا مسلمين أن في اتباعهم خطايا. قوله: **(والأمر بمعنى الخبر)** أي فالمعنى ليكن منكم الاتباع ومنا الحمل. قوله: ﴿وَأَثْقَالاً﴾ أي لأن الدال على الشركين كفاعله، من غير أن ينقص من وزر الاتباع شيء قوله: ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي يختلفون من الأباطيل التي من جملتها قولهم: **(اتبعوا سبيلنا)** الخ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً﴾ الخ، لما قدم سبحانه وتعالى تكاليف هذه الأمة، وبين أن من أطاع فله الجنة، ومن عصى فله النار، بين هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الأمة، بل من قبلهم كانوا كذلك، وتقدم أن نوحاً اسمه عبد الغفار، وقيل يشكر، وكان يسمى السكن، لأن الناس بعد آدم سكنوا اليه فهو أبوهم، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه، وقيل على خطيئته لما روي أنه مر بكلب فقال في نفسه ما أقبحه، فأوحى الله اليه أعبتني أم عبت الكلب؟ اخلق أنت أحسن منه، ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن إدريس بن برد بن أهاليل بن قينان بن نوش بن شيث بن آدم عليه السلام. قوله: **(وعمره أربعون سنة أو أكثر)** تقدم أنه اختلف في الأكثر، فقيل بعث على رأس خمسين، وقيل مائتين وخمسين، وقيل مائة سنة، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ الخ، الحكمة في ذكر لبثه هذه المدة، تسليته ﷺ على عدم دخول الكفار في الإسلام، فكأن الله يقول لنبيه: لا تحزن فإن نوحاً لبث هذا العدد الكثير، ولم يؤمن من قومه إلا القليل، فصبر وما ضجر، فأنت أولى بالصبر، لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك، والحكمة في المغايرة بين العام والسنة التفنن، وخص لفظ العام بالخمسين، إشارة إلى أن نوحاً لما غرقوا استراح وبقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة. قوله: **(طاف بهم وعلاهم)** أي أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعاً. قوله: **(الذين كانوا معه فيها)** قيل كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم وقيل غير ذلك. قوله: **(ستين أو أكثر)** قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة.

الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين لام قسم، وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾ أي الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٤﴾ مشركون ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي نوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٥﴾ لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر، حتى كثر الناس ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١٦﴾ الخير من غيره ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝١٧﴾ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ من قبلي ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝١٨﴾ الإبلاغ البين، في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ وقال تعالى في قومه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ بالياء والتاء ينظروا

قوله: ﴿وإِبْرَاهِيمَ﴾ قرأ العامة بالنصب عطف على ﴿نُوحاً﴾ أو معمول لمحذوف، كما درج عليه المفسر حيث قدر (اذكر) وقرىء شذوذاً بالرفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين ابراهيم. قوله: ﴿ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ﴾ أي امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم. قوله ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أي اجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من العبادة والتقوى. قوله: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ **(مما أنتم عليه)** الخ، أي في زعمكم أن فيه خيراً، والأحسن أن يقال: ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة. قوله: **(الخير)** أي وهو عبادة الله، وقوله: **(من غيره)** أي وهو عبادة غيره. قوله: ﴿أَوْثَاناً﴾ جمع وثن، وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً. قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ أي تختلقونه وتخترعونه. قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ أي لا يستطيعون ذلك، لعجزهم وعدم قدرتهم عليه. قوله: **(فاطلبوه منه)** أي ولا تطلبوه من غيره، لأنه تكفل لكل دابة برزقها، قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾.

قوله: ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا لَهُ﴾ أي لأن بالشكر تزداد النعم، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾. قوله: ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصي. قوله: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا﴾ شرط حذف جوابه تقديره: فلا يضرني تكذيبكم، وإنما تضرون أنفسكم، وقوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ دليل الجواب، ومن هنا قوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ جمل معترضة كلام إبراهيم، وجواب قومه له، إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد ﷺ. قوله: **(من قبلي)** ﴿مِنْ﴾ اسم موصول مفعول كذب، والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم. قوله: **(في هاتين القصتين)** أي قصة نوح وإبراهيم. قوله: **(وقد قال تعالى)** أي رداً على منكري البعث. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ هو بضم أوله، وقرىء بفتحه من بدأ وأبدأ، بمعنى أي يخلقهم ابتداء ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ الخلق كما بدأهم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾ فكيف ينكرون الثاني ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ مدّاً وقصراً مع سكون الشين ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ ومنه البدء والإعادة ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿٢١﴾ تردُّون ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ربكم عن إدراككم ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لو كنتم فيها أي لا تفوتونه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ينصركم من عذابه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ﴾ أي القرآن والبعث ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي جنتي ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٣﴾ مؤلم، قال تعالى في قصة إبراهيم ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قذفوه

قوله: ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها، ولا ينفك بعضها عن بعض. قوله: **(وقرىء بفتحه)** أي شذوذاً. قوله: **(من بدأ وأبدأ)** لف ونشر مشوش. قوله: ﴿ثُمَّ﴾ **(هو)** ﴿يُعِيدُهُ﴾ قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها، بل هي مستأنفة.

قوله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر من الله لمحمد ﷺ بأن يقول لمنكري البعث ما ذكر، ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات، ومن قدر على إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها. قوله: **(مع سكون الشين)** راجع للقصر، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي في الدنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي فيهما فلا يسأل عما يفعل. قوله: **(لو كنتم فيها)** أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهما، ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو. قوله: **(أي القرآن والبعث)** لف ونشر مرتب، فالأول راجع للآيات، والثاني للفاء. قوله: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ أي يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق وقوعه.

قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾ الخ، أي لم يكن جواب قوم إبراهيم له، حين أمرهم بعبادة الله، وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان، جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم، لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار، والذي يتولى ذلك الصغار، وإنما أجابوا بذلك عناداً بعد ظهور الحجة منه. قوله: ﴿أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ أتى هنا بالترديد، واقتصر في الأنبياء على أحد الأمرين، وهو الذي فعلوه، إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم، وما في الأنبياء عن عزمهم وتصميمهم على ما فعلوه. قوله: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ في الكلام حذف، والتقدير فقذفوه في النار فأنجاه الله الخ، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(التي قذفوه فيها)**. قوله: **(هي)** أي الآيات. قوله: **(وإخمادها)** أي سكون لهبها مع بقاء جمرها، وأما الإهماد فهو طفء النار بالمرة. قوله: **(في زمن يسير)** أي مقدار طرفة عين. قوله: **(لأنهم المتنفعون)** علة لمحذوف، والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ.

فيها، بأن جعلها برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي إنجائه منها ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي عدم تأثيرها فيه، مع عظمها وإخمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها وما مصدرية ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر إن، وعلى قراءة النصب مفعول له، وما كافة، المعنى تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَاكُمُ﴾ مصيركم جميعاً ﴿النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ مانعين منها ﴿فَآمَنَ لَهُ﴾ صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي إلى حيث أمرني ربي، وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ في صنعه ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ **(إبراهيم)** عطف على قوله: ﴿**فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ**﴾. قوله: ﴿**إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً**﴾ إن حرف توكيد ونصب، وما مصدرية، و ﴿**اتَّخَذْتُمْ**﴾ صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن، و ﴿**أَوْثَاناً**﴾ مفعول أول، والمفعول الثاني محذوف قدره المفسر بقوله: **(تعبدونها)**. و ﴿**مَوَدَّةَ**﴾ خبر إن، و ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ حال من ﴿**أَوْثَاناً**﴾ وهذا على قراءة الرفع، وقوله: **(وعلى قراءة النصب)** مفعول **(وما كافة)** أي سواء قرىء بتنوين ﴿**مَوَدَّةً**﴾ ونصب ﴿**بَيْنَكُمْ**﴾ أو بعدم التنوين، وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنين، والثاني هو قوله: ﴿**مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ ويصح أن تكون ما اسماً موصولاً، و ﴿**اتَّخَذْتُمْ**﴾ صلته والعائد محذوف، والتقدير إن الذي اتخذتموه من دون الله أوثاناً تعبدونها لأجل المودة بينكم، ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم، وخرجت على إضافة مودة للظرف، وبنى لاضافته لغير متمكن كقراءة: ﴿لقد تقطع بينكم﴾ بالفتح إذا جعل بينكم فاعلاً، فتحصل أن القراءات أربع: الرفع مع جر بين وفتحها، والنصب مع جر بين وفتحها، وكلها سبعي. قوله: **(المعنى)** أي الحاصل من تلك القراءات. قوله: **(يتبرأ القادة)** أي ينكرونهم ويقولون لهم لا نعرفكم. قوله: **(صدق بإبراهيم)** أي نبوته وإن كان مؤمناً قبل ذلك، ويجب الوقف على لوط لأن قوله: ﴿**وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ**﴾ من كلام إبراهيم، فلو وصل لتوهم أنه من كلام لوط. قوله: **(أي إلى حيث أمرني ربي)** دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى. قوله: **(وهاجر من سواد العراق)** أي فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم، وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمساً وسبعين سنة.

قوله: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ**﴾ أي بعد هجرته. قوله: **(بعد إسماعيل)** أي بأربع عشرة سنة. قوله: ﴿**فِي ذُرِّيَّتِهِ**﴾ أي إبراهيم. قوله: **(فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته)** أي لانحصار الأنبياء في إسماعيل وإسحاق ومدين جد شعيب. قوله: **(وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان)** أي فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير وينتمون إليه. قوله: ﴿**لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ أي الكاملين في الصلاح قوله: ﴿**وَلُوطاً**﴾

ذريته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب، أي التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ الذين لهم الدرجات العلا ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس الممرَّ بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي متحدثكم ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولك في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ العاصين بإتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ ﴿٣١﴾ كافرين ﴿قَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا۟﴾ أي الرسل ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ الباقين في العذاب ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم

معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر). قوله: ﴿لِقَوْمِهِ﴾ أي أهل سذوم وتوابعها. قوله: **(وإدخال ألف بينهما)** أي وعدمه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(الإنس والجن)** أي من عهد آدم إلى قوم لوط. قوله: **(بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم)** قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم، وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصاً، فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه، فأيهم أصابه كان أولى به، فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم، ولهم قاض بذلك. قوله: **(فعل الفاحشة)** أي والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح.

قوله: ﴿**إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا**﴾ الخ، أي على سبيل الاستهزاء. قوله: **(بإتيان الرجال)** أي وفعل بقية الفواحش. قوله: **(فاستجاب الله دعاءه)** أي فأمر الملائكة بإهلاكهم، وأرسلهم مبشرين ومنذرين، فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة، وانذروا قوم لوط بالعذاب. قوله: **(بإسحاق ويعقوب)** أي وبهلاك قوم لوط. قوله: ﴿**قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً**﴾ هذا بعد المجادلة التي تقدمت في قوله: ﴿**يجادلنا في قوم لوط**﴾ حيث قال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا: لا، إلى أن قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا: لا، ﴿**قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا**﴾. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(الباقين في العذاب)** أي لم يخلصوا منه، لأن الدال على الشر كفاعله، وهي قد دلت القوم على أضياف لوط، فصارت واحدة منهم بسبب ذلك.

قوله: ﴿**وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ**﴾ ﴿**أَنْ**﴾ زائدة للتوكيد. قوله: **(حزن بسببهم)** أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية. قوله: ﴿**ذَرْعاً**﴾ تمييز محول عن الفاعل أي ضاق ذرعه، وقوله: **(صدراً)** تفسير لحاصل المعنى، وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة. قوله: **(بالتشديد والتخفيف)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله:

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومه، فأعلموه أنهم رسل ربه ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾ ونصب أهلك عطف على محل الكاف ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾﴾ به أي بسبب فسقهم ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة هي آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يتدبرون ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ اخشوه هو يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ حال مؤكدة لعاملها من عثي بكسر المثلثة أفسد ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ باركين على الركب ميتين ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَ﴾ بالصرف وتركه بمعنى الحي

(على محل الكاف) أي وهو النصب على أنها مفعول منجو. قوله: (عذاباً) قيل هو حجارة، وقيل نار، وقيل خسف، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء. قوله: (هي آثار خرابها) وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها، أبقاها الله عز وجل حتى أدركتها أوائل هذه الأمة، وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ متعلق بتركنا أو ببينة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها.

قوله: ﴿إِلَى مَدْيَنَ﴾ متعلق بمحذوف معطوف على (أرسلنا) في قصة نوح. قوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾ أي لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذي هو أبو القبيلة، فكما هو منسوب لمدين هم كذلك. قوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي وحدوه. قوله: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ﴾ يصح أن يبقى الرجاء على معناه، ويكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر، ويصح أن يكون بمعنى خافوا، والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر، واليه يشير المفسر بقوله: (اخشوه). قوله: (من عثي بكسر المثلثة) أي من باب تعب، ويصح أن يكون من باب قال. قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾. إن قلت: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يمتثلوا أوامره، لأن التكذيب إنما يكون في الإخبار. أجيب: بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر، كأنه قيل: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فاجتنبوه، فالتكذيب راجع إلى الإخبار.

قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم، وتقدم في هود: ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ ولا منافاة بين الموضعين، فإن سبب الرجفة الصيحة، والرجفة سبب في هلاكهم، فتارة يضاف الأخذ للسبب، وتارة لسبب السبب. قوله: (بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط، وقوله: (بمعنى الحي والقبيلة) لف ونشر مرتب، لكونه بمعنى الحي يكون اسم جنس، لم توجد فيه العلمية التي هي إحدى علتي منع الصرف، وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبي القبيلة، فقد وجدت فيه العلتان. قوله: (إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين، ضمير عائد على الإهلاك. قوله: (بالحجر) راجع لثمود، وهو واد بين الشام والمدينة، وقوله: (واليمن) راجع لعاد. قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي بواسطة الرسل، فلم يكن لهم عذر في ذلك، لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة له. قوله: (ذوي بصائر) أي عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار، لكنهم لم يفعلوا تكبراً وعناداً.

والقبيلة ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ بالحجر واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ ذوي بصائر ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ فائتين عذابنا ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ بارتكاب الذنب ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي أصناماً يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حراً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟

قوله: ﴿وَقَارُونَ﴾ قدمه على ﴿فِرْعَوْنَ﴾ لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى. قوله: ﴿وَهَامَانَ﴾ هو وزير فرعون. قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ أي تكبروا عن عبادة الله. قوله: ﴿بِذَنْبِهِ﴾ الباء سببية أي بسبب ذنبه. قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته، وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالماً، لأنه الخالق المتصرف في ملكه على ما يريد. قوله: (يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه، أي فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً يعبدونها، في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعاً، كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً، لا يغني عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى، وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين في خدمة ربهم، فإن اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به، وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لا بهم، خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك. قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ هو حيوان معروف، له ثمانية أرجل وستة أعين، يقال إنه أقنع الحيوانات، جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق، ونونه أصلية، والواو والتاء زائدتان، بدليل قولهم في الجمع عناكب، وفي التصغير عنيكيب.

قوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ الجملة حالية. قوله: (كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أي فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء، ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف، ومن هنا وقاية رسول الله ﷺ من الكفار حين نزل الغار، بالعنكبوت وبيض الحمام، مع كونهما أضعف الأشياء. قوله: (ما عبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف. قوله: (بمعنى الذي) أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ اسم موصول، وجملة ﴿يَدْعُونَ﴾ صلتها، والموصول وصلته معمول ليعلم. قوله: (أي يفهمها) أي يفهم صحتها وفائدتها. قوله: ﴿إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بذلك، وأما الكافرون فيزدادون طغياناً وعتواً. قوله: (محقاً) أشار بذلك إلى أن الباء في ﴿بِالْحَقِّ﴾ للملابسة، والجار والمجرور حال. قوله: (خصوا بالذكر) جواب عما يقال إن في خلق السماوات والأرض آية لكل عاقل.

يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ ذلك ما عبدوها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ غيره ﴿مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ في صنعه ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ المتدبرون ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ أي محقاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ شرعاً أي من شأنها ذلك ما دام المرء فيها ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ من غيره من الطاعات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا

قوله: ﴿ٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي ما أوحاه الله اليك بنزول جبريل، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك، لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق. قوله: ﴿مِنَ ٱلْكِتَابِ﴾ بيان لما. قوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ﴾ أي دم على إقامتها، بأركانها وشروطها وآدابها، فإنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها هدم الدين، والخطاب للنبي والمراد هو وأمته، بدليل مدحهم في آية: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾ الآية.

قوله: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ﴾ أي المواظبة عليها، تكون سبباً في تطهيره عن الفحشاء والمنكر، إذا استوفيت شروطها وآدابها، لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة، التطهير من الحدث الحسي والمعنوي وتجديد التوبة، فإذا وقف بين يدي الله، وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه، وأنه مطلع عليه يراه، فحينئذ يظهر على جوارحه هيئتها، وقوله: **(ما دام المرء فيها)** هذا أحد قولين، والقول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات، لما روي أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله ﷺ، ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه، فوصف للنبي ﷺ حاله فقال: إن صلاته ستنهاه، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله. وروي عن بعض السلف، أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم في ذلك فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك، وأما من صلاته بخلاف ذلك، بأن كانت لا خشوع فيها ولا تذكر، فإنها لا تكون سبباً في نهيه عن الفحشاء والمنكر، بل يستمر على ما هو عليه من البعد، لما ورد: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، لم تزده من الله إلا بعداً.

قوله: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ أي بسائر أنواعه أكبر، أي أفضل الطاعات على الإطلاق، لما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله. وروي أن رسول الله ﷺ سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً، قالوا: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ فقال: لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دماً لكان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة. فالذكر أفضل الأعمال، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة، ولذا ورد عن الجنيد أنه

تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ فيجازيكم بـه ﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى ﴾ أي المجـادلة التي ﴿ هِىَ أَحْسَنُ ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية، فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿ وَقُولُوٓا۟ ﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم ﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ ﴾ ولا تُصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ مطيعون ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ بالقرآن ﴿ وَمِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي أهل مكة ﴿ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ ﴾ بعد ظهورها ﴿ إِلَّا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ أي اليهود، وظهر لهم أن القرآن حق، والجائي به محق، وجحدوا ذلك ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ ﴾ القرآن ﴿ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا ﴾ أي لو كنت قارئاً كاتباً

كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه، فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالإكثار منه فتنور قلوبهم. قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ أي من خير وشر فيجازيكم عليه.

قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي لا تدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين المعروف والإحسان لعلهم يهتدون، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي فادعوهم إلى دين الله بالإغلاظ والشدة، وقاتلوا حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، فهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وعلى هذا التقدير فالآية محكمة وهو التحقيق. قوله: **(بأن حاربوا)** الخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعاً فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار. قوله: **﴿أو يعطوا الجزية)** أي يلتزموا بإعطائها.

قوله: ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي لما روي أنه كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ الآية»، وفي رواية: «وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم». ومحل ذلك ما لم يتعرضوا لأمور توجب نقض عهدهم، كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ، وأن نبينا غير صادق فيما جاء به، وغير ذلك، فحينئذ نقاتلهم، ومحله أيضاً ما لم يخبرونا بخبر موافق لما في كتابنا، وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به.

قوله: ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ﴾ أي نفعناهم به، بأن أعطيناهم نوره، وظهرت ثمرته عليهم، وهم الذي يؤمنون به، وإلا فجميع علمائهم أوتوا الكتاب، ولم يسلم منهم إلا القليل، ويصح أن يكون المراد: ﴿ففريق من أهل الكتاب﴾ الخ. قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ أي ينكرها بعد معرفتها. قوله: **(أي اليهود)** لا مفهوم له بل النصارى والمشركون، كذلك فالمناسب أن يقول: إلا الكافرون كاليهود.

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ﴾ شروع في اثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنـه معجز

﴿ لَّٱرۡتَابَ ﴾ شكّ ﴿ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ﴿ بَلۡ هُوَ ﴾ أي القرآن الذي جئت به ﴿ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾ أي المؤمنون يحفظونه ﴿ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾ أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم ﴿ وَقَالُواْ ﴾ أي كفار مكة ﴿ لَوۡلَآ ﴾ هلا ﴿ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ﴾ أي محمد ﴿ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ ﴾ وفي قراءة آيات كناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿ قُلۡ ﴾ لهم ﴿ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ ﴾ فيما طلبوا ﴿ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ القرآن ﴿ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴾ الكتاب ﴿ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ ﴾ عظة ﴿ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ ﴾ بصدقي ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ وهو ما يعبد من دون الله ﴿ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ ﴾ منكم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴾ له ﴿ لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ ﴾ عاجلاً

للبشر، كأن الله يقول لأهل الكتاب: أنتم لا عذر لكم في إنكار القرآن، ولا في تكذيب النبي ﷺ، لأن من جملة صفاته في كتبهم، أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، ووجد بهذه الصفة، فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ، لحصل لكم الشك في نبوته، وفي القرآن، لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم. قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ مفعول ﴿تَتْلُو﴾ و ﴿مِنْ﴾ زائدة. قوله: **(أي لو كنت قارئاً كاتباً)** لف ونشر مرتب. قوله: **(اليهود)** لا مفهوم له. قوله: **﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾** إضراب عما تقدم من الارتياب. قوله: **(أي المؤمنين يحفظونه)** أي لفظاً ومعنى لما ورد: «وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم أي كالأناجيل»، والمعنى أن القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها، كما كان كتاب النصارى ثابتاً في أناجيلهم. قوله: **﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾** أي القرآن. قوله: **(اليهود)** تقدم ما فيه. قوله: **(وفي قراءة آيات)** أي وهما سبعيتان. قوله: **(ينزلها كيف يشاء)** أي على ما يريد، ولا دخل لأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بفضل الله.

قوله: **﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾** الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، التقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ، والاستفهام للتوبيخ. قوله: **﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا﴾** أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يكف، والتقدير أو لم يكفهم إنزالنا. قوله: **(مستمرة لا انقضاء لها)** أخذ ذلك من قوله: **﴿يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾**. قوله: **(بخلاف ما ذكر من الآيات)** أي فانقضت بموت الرسل. قوله: **﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك. قوله: **(ومنه حالي وحالكم)** أي من جملة ما في السماوات والأرض. قوله: **﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ﴾** أي خضعوا له وعبدوه. قوله: **(حيث اشتروا الكفر بالإيمان)** أي أخذوا الكفر وتركوا الإيمان. قوله: **﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ (له)** أي للعذاب. قوله: **﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾** أي كوقعة بدر، فإنها أتتهم على حين غفلة. قوله: **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** أي لا يظنون أن العذاب يأتيهم أصلاً.

﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿٥٣﴾ بوقت إتيانه ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ﴾ في الدنيا ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ﴾ فيه بالنون أي نأمر بالقول، وبالياء أي يقول الموكل بالعذاب ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ أي جزاءه فلا تفوتونا ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ في أي أرض تيسرت فيها العبادة، بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من أظهار الإسلام بها ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٥٧﴾ بالتاء والياء بعد البعث ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ ننزلهم وفي قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء

قوله) ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم، والمعنى: كيف يستعجلون العذاب، والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لا مفر لهم منها؟ قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ ظرف لقوله محيطة، والمعنى على الاستقبال، أي ستحيط بهم في ذلك اليوم. قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِم وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾. قوله: (أي نأمر بالقول) إنما أوله جمعاً بين ما هنا، وبين قوله في الأخرى ﴿لا يكلمهم الله يوم القيامة﴾. قوله: (أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام في مكة كما قال المفسر، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ إياي منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور. قوله: (كانوا في ضيق) الخ، أي فوسع الله لهم الأمر، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فمن تعسرت عليه العبادة في بلده، فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالمهم العبادة في أي مكان تيسر، ولا يعول على مكان في الدنيا، لأنها دار ممر لا مقر، والمار في طريق لا يعول على مسكن ولا قرار في طريقه.

قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوتِ﴾ أي لا تقيموا بدار الشرك خوفاً من الموت فإن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فالحكمة في تخويفهم من الموت، كون مفارقة الأوطان تهون عليهم، فإن من أيقن بالموت هان عليه كل شيء في الدنيا. قوله: ﴿وَالَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لما ذكر أحوال الكفار، وما آل اليه أمرهم، أتبعه بذكر أحوال المؤمنين، وما آل اليه أمرهم. قوله: (وفي قراءة بالمثلثة) أي الساكنة بعد النون، وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة، و (غرفاً) على هذه القراءة، إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر، أو مفعول به بتضمين مثوى معنى نزل فيتعدى لاثنين. قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ أي الغرف. قوله: (مقدرين الخلود) ﴿فِيهَا﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة، أي أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم في النعيم، لسماعهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: (هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف. قوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ نعت للعالمين، أو خبر لمحذوف كما قال المفسر. قوله: (لإظهار الدين) متعلق بالهجرة. قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ سبب نزولها: أنه ﷺ لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا: كيف نخرج إلى المدينة، وليس بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا. وقوله: ﴿لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ أي

الإقامة وتعديته إلى غرفاً بحذف في ﴿ مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ ﴿٥٨﴾ هذا الأجر هم ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ أي على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٥٩﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون ﴿ وَكَأَيِّن ﴾ كم ﴿ مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ لضعفها ﴿ ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ لأقوالكم ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٦٠﴾ بضمائركم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي الكفار ﴿ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿٦١﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيق ﴿ لَهُۥٓ ﴾ بعد البسط، أي لمن يشاء ابتلاء ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٦٢﴾ ومنه محل البسط والتضييق ﴿ وَلَئِن ﴾ لام القسم ﴿ سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ فكيف يشركون به ﴿ قُلِ ﴾ لهم ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٦٣﴾ تناقضهم في ذلك ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ بمعنى الحياة ﴿لَوْ

لا تدخره لغد كالبهائم والطير، قال سفيان بن عيينة: ليس شيء من الخلق يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة. قوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أي فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوي في أمر الرزق، بل ذلك بتقدير الله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ فينبغي للإنسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى، ولا ينافي هذا أخذه في الأسباب، لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها، فالأسباب لا تنكر، ومن أنكرها فقد ضل وخسر. قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي كفار مكة. قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ السَّماوات وَٱلْأَرْضَ﴾ الخ، أتى في جانب السماوات والأرض بالخلق، وفي جانب الشمس والقمر بالتسخير، إشارة إلى أن الحكمة في خلقهما التسخير الذي ينشأ عنه الليل والنهار، اللذان بهما قوام العالم بخلاف السماوات والأرض، فالنفع في مجرد خلقهما. قوله: ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الاستفهام للتوبيخ. قوله: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ أي فلا تركن لغيره، فليس مالكاً لضر ولا نفع. قوله: ﴿فَأَحْيَى بِهِ﴾ أي النبات الناشيء عن الماء. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أي جدبها وقحط أهلها. قوله: (فكيف يشركون به) أي بعد إقرارهم. قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي والأقل يعقل، ومن عقل منهم اهتدى وآمن. قوله: ﴿وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أشار بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة، فينبغي للعاقل التجافي عنها، ويأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة، قال بعض العارفين:

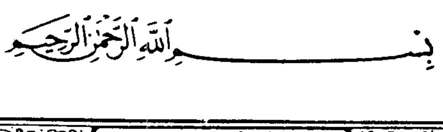
تأمل في الوجود بعين فكر ... ترى الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعاً سوف يفنى ... ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قوله: ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل، واللعب الاشتغال بما لا نفع فيه

كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٤﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ أي الدعاء، أي لا يدعون معه غيره لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٦٥﴾ به ﴿ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة بسكون اللام أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾ عاقبة ذلك ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿ حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ قتلاً وسبياً دونهم ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾ الصنم ﴿ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾ بإشراكهم ﴿ وَمَنْ ﴾ أي لا أحد ﴿ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ بأن أشرك به ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ النبي أو الكتاب ﴿ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ أي فيها ذلك وهو منهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾ في حقنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي طرق السير إلينا ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٦٩﴾ المؤمنين بالنصر والعون.

أصلاً. قوله: (وأما القرب) أي كالتوحيد والذكر والعبادة. قوله: (بمعنى الحياة) أي الدائمة الخالدة التي لا زوال فيها. قوله: (ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو، أي ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة. قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي ٱلْفُلْكِ﴾ الخ، أي وذلك لأن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدت الريح، ألقوها في البحر وقالوا: يا رب يا رب، ودعوا الله مخلصين حالة الكرب. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ جواب لما، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله، وتلذذهم بأعراض الدنيا، فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين. قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة، وقوله: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ عطف عليه. قوله: (وفي قراءة بسكون اللام) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أمر تهديد) أي في الفعلين، بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فالحاصل أنه إذا سكنت اللام في الثاني، تعين كونها للأمر في الفعلين، وإن لم تسكن كانت في الفعلين للعاقبة والصيرورة.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أعموا ولم يروا، الخ. قوله: ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ﴾ الجملة حالية على تقدير المبتدأ، أي وهم يتخطف، الخ. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ قال المفسرون: إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس، قال الحسن: الجهاد مخالفة الهوى، وقال الفضيل بن عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم، لنهدينهم سبل العمل به، وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقيل: الذين جاهدوا فيما علموا، لنهدينّهم إلى ما لم يعلموا، لما في الحديث: «من عمل بما علم علمه الله علم ما لم يعلم»، قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي طرق الوصول إلى مرضاتنا، فالطريق هي العمل بالأحكام الشرعية، وثمرتها الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار اليها بقوله تعالى: ﴿وإن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً﴾. قوله: ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر، لإظهار شرفهم بوصف الإحسان، والمعنى وإن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة، فهي معية خاصة، واليها الاشارة بقوله ﷺ في الحديث القدسي: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» الحديث.



مكيّة

وهي ستون أو تسع وخمسون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده بذلك ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ (٢) وهم أهل كتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كفار مكة بذلك وقالوا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم مكية

وهي ستون أو تسع وخمسون آية

مبتدأ، و (ستون) خبر أول، و (مكية) خبر ثان، وظاهر المفسر أن كلها مكي، وقيل إلا قوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الآية. قوله: (الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا أصح التفاسير. قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿الرُّومُ﴾ اسم قبيلة سميت باسم جدها، وهو روم بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وسمي عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن، فعند خروجهما تزاحما، وأراد كل منهما أن يخرج قبل الآخر، فقال عيصو ليعقوب: إن لم أخرج قبلك، وإلا خرجت من جنبها، فتأخر يعقوب شفقة منه، فلهذا كان أبا الأنبياء، وعيصو أبا الجبارين، وسبب نزول هذه الآية، أنه كان بين فارس والروم قتال، وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم، لأن فارس كانوا مجوساً أميين، والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب، فبعث كسرى جيشاً إلى الروم، واستعمل عليهم رجلاً يقال له شهر يزان، وبعث قيصر جيشاً، وأمر عليهم رجلاً يدعى بخنس، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك المسلمين بمكة، فشق عليهم، وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وفارس أميون، وقد

للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادىء بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي الروم ﴿مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول، أي غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ فارس ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء

ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من الروم، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فأنزل الله هذه الآيات، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال: فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا، فوالله لتظهرن الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أبي بن خلف الجمحي، وقال: كذبت، فقال له الصديق: أنت أكذب يا عدو الله، فقال: اجعل أجلاً أناحبك، أي أقامرك وأراهنك عليه، فراهنه على عشر قلائص منه، وعشر قلائص من الآخر فقال أبي: إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي، ففعلوا، وجعلوا الأجل ثلاث سنين، فجاء أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فأخبره بذلك، وكان ذلك قبل تحريم القمار، فقال النبي ﷺ: ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده في الخطر، وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أبياً فقال: لعلك ندمت؟ فقال: لا، قال: فتعال أزايدك في الخطر، وأماددك في الأجل، فأجعلها مائة قلوص، ومائة قلوص إلى تسع سنين، وقيل إلى سبع سنين، فقال: قد علمت، فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة، أتاه ولزمه وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد، أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال: لا والله، لا ادعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً ثم خرج إلى أحد، ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ إياها حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، وقيل يوم بدر، وربطت الروم خيولهم بالمدائن، وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية، فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي ﷺ، وذلك قبل أن يحرم القمار، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: تصدق به. قوله: **(وهم من أهل كتاب)** أي نصارى، فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه، وقوله: **(وليسوا أهل الكتاب)** أي بل هم مجوس، فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة، فكل حزب بما لديهم فرحون. قوله: **(بل يعبدون الأوثان)** أي التي من جملتها النار. قوله: **(وقالوا للمسلمين)** الخ، هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة. قوله: **(أقرب أرض الروم)** أي فأدنى أفعل تفضيل، وأل عوض عن المضاف اليه. قوله: **(بالجزيرة)** المراد بها ما بين دجلة والفرات، وليس المراد بها جزيرة العرب.

قوله: ﴿وَهُمْ﴾ مبتدأ، وجملة ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ خبره. قوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ متعلق بيغلبون وهو على حذف مضاف، أي في انتهاء بضع سنين، وأبهم البضع لإدخال الرعب والخوف عليهم في كل وقت. قوله: **(فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول)** أي يوم بدر، وإن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين، أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة، والمراد بالجيشين جيش كسرى

الأول، وغلبت الروم فارس ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من قبل غلب الروم ومن بعده، المعنى أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً، بأمر الله أي إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ بالمؤمنين ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله، والأصل وعدهم الله النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ وعده تعالى بنصرهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ إعادة هم تأكيد ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ

وجيش قيصر ملك الروم، فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم، ومات كسرى ملك الفرس. قوله: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي لا لغيره. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ القراءة المشهورة ببناء ﴿قَبْلُ﴾ و ﴿بَعْدُ﴾ على الضم لحذف المضاف اليه ونية معناه. قوله: (أي من قبل غلب الروم) أي من قبل كونهم غالبين، وقوله: (ومن بعده) أي من بعد كونهم مغلوبين. قوله: (المعنى أن غلبة فارس) الخ، جواب عما يقال: ما فائدة قوله: ﴿غَلَبِهِمْ﴾ بعد قوله: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾؟ وحاصل الجواب: أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله، لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوباً أن يكون ضعيفاً، فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولاً. قوله: (أي يوم تغلب الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ عوض عن جملة.

قوله: ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ أي فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس؛ وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة. قوله: (يوم بدر) هذا أحد قولين، وهو مبني على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين، وقيل يوم الحديبية، بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة. قوله: (مصدر) أي مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت، وعامله محذوف أي وعدهم الله وعداً. قوله: (به) أي النصر. قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم. قوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ أي الأكثر. قوله: ﴿ظَاهِراً مِنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي وإما باطناً منها، وهو كونها مجازاً إلى الآخرة، يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم. قوله: (إعادة) أي لفظ (هم).

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير اعموا ولم يتفكروا. قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي بالحكمة لا عبثاً. قوله: (تفنى عند انتهائه) أي تنعدم السماوات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل. قوله: ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ متعلق بكافرون، واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر ﴿إِنَّ﴾. قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: اقعدوا ولم يسيروا؟ والاستفهام للتوبيخ، والجملة معطوفة على جملة ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ عطف سبب على مسبب، لأن السير سبب للتفكر. قوله: ﴿وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ﴾

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك تفنى عند انتهائه وبعد البعث ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حرثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٩﴾ بتكذيبهم رسلهم ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ﴾ تأنيث الأسوأ الأقبح، خبر كان على رفع عاقبة، واسم كان على نصب عاقبة، والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ أي ينشيء خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ بالياء والتاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿١٢﴾ يسكت المشركون لانقطاع حجتهم ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ أي لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاءُ وَكَانُوا﴾ أي يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ أي متبرئين منهم ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾

بالقصر لعامة القراء وقرىء شذوذاً، وآثار بألف بعد الهمزة. قوله: ﴿**أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا**﴾ نعت لمصدر محذوف، أي عمارة أكثر من عمارتهم.

قوله: ﴿**وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ أي فلم يذعنوا لها، بل كذبوا بها. قوله: ﴿**فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ**﴾ أي يعاملهم معاملة ملك ظالم جبار، بل معاملة ملك عدل رحيم، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لا يكون ظالماً، إذ لا مشارك له في خلقه، ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه ما لا يلزمه قوله: ﴿**ثُمَّ كانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوآى**﴾ بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم في الدنيا. قوله: (**خبر كان على رفع عاقبة**) أي و ﴿**عَاقِبَةُ**﴾ اسمها، وهي مضافة للموصول، و ﴿**أَسَاءُوا**﴾ صلته، و ﴿**السُّوآى**﴾ صفة لموصوف محذوف، أي المجازاة السوآى وهي جهنم خبر ﴿**كَانَ**﴾، وقوله: (**واسم كان على نصب عاقبة**) أي فالسوآى اسم ﴿**كَانَ**﴾ مؤخر، و ﴿**عَاقِبَةَ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ مقدم، وعلى كل فقوله: ﴿**أَنْ كَذَّبُوا**﴾ خبر لمحذوف تقديره وإساءتهم أن كذبوا، فهي جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول، فيصح الوقف على السوآى، وهذا ما اختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها، وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازي التأنيث. قوله: (**والمراد بها**) أي السوآى قوله: (**أي بأن**) ﴿**كَذَّبُوا**﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهي للسببية.

قوله: ﴿**اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ**﴾ عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئاً فشيئاً ما دامت الدنيا. قوله: (**أي ينشيء خلق الناس**) أي يظهرهم من العدم. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**﴾ أي وهو يوم الإعادة. قوله: (**يسكت المشركون**) أي عن جواب يدفع عنهم العذاب. قوله: (**أي لا يكون**) أشار بذلك إلى أن الماضي بمعنى المضارع، لأن المنفي بلم ماضي المعنى.

تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ ⑭ أي المؤمنون والكافرون ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ ⑮ يسرُّون ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَآيِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ ⑯ ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي سبحوا الله بمعنى صلّوا ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ أي تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ⑰ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض ومعناه يحمده أهلها ﴿وَعَشِيًّا﴾ عطف على حين، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ⑱ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يبسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخْرَجُونَ﴾ ⑲ من القبور بالبناء للفاعل والمفعول ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالى الدالة على قدرته ﴿أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ أي أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم

قوله: ﴿بِشُرَكَائِهِمْ﴾ متعلق بكافرين. قوله: (تأكيد) أي لفظي. قوله: (أي المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولاً، ﴿ٱللَّهُ يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾. قوله: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة. قوله: ﴿يُحْبَرُونَ﴾أي يكرمون وينعمون بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. روي أن في الجنة أشجاراً عليها أجراس من فضة، فإذا أراد أهل الجنة السماع، بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طرباً. قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقابل قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا﴾ قوله: (وغيره) أي كالجنة والنار. قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أي حاضرون.

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ ٱللهِ﴾ الخ، وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر أولاً أنه يبدأ الخلق ويعيده، وأن الخلق يكونون فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، ذكر هنا أنه منزه عن النقائص، إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده، وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب. قوله: (بمعنى صلوا) إنما فسر التسبيح بالصلاة، لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان، ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة. قوله: (أي تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن ﴿تُمْسُونَ﴾ و ﴿تُصْبِحُونَ﴾ فعلان تامان. قوله: (وفيه صلاتان) الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس، وخصها بالذكر دون سائر العبادات، لأنها عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين. قوله: (اعتراض) أي بين المعطوف والمعطوف عليه. والحكمة في ذلك، الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها. قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي فالقادر على إخراج الحي من الميت وعكسه، وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، ففي ذلك ردّ على منكري البعث. قوله: (للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى، وذكر لفظ من آيات ست مرات تنتهي عند قوله ﴿إذا أنتم تخرجون﴾ وابتدأها بذكر خلق الإنسان، ثم بخلق العالم علوياً وسفلياً، إشارة إلى أن الإنسان هو المنتفع بها. والحكمة في ذكر تلك الآيات ليهتدي بها

﴿ تَنتَشِرُونَ ﴾ (٢٠) في الأرض ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فخلقت حوَّاء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿ لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ وتألفوها ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم ﴾ جميعاً ﴿ مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ المذكور ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) في صنع الله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ ﴾ أي لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (٢٢) بفتح اللام وكسرها أي ذوي العقول وأولي

من أراد الله هدايته، وتقوم الحجة على من لم يهتد. قوله: (أي أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره، لأن النطفة ناشئة من الغذاء، وهو ناشيء من التراب. قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ﴾ عبر بثم إشارة إلى تراخي أطواره، لكونه أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر أطواره، وأتى بعدها بإذا الفجائية، إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل، وإن كان الكثير الإتيان بها بعد الفاء. قوله: ﴿أَزْوَاجاً﴾ أي زوجات. قوله: (من ضلع آدم) أي الأيسر القصير وهو نائم، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: مه يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقيل له: أن تصلي على محمد ﷺ. قوله: (وسائر النساء) أي باقيهن. قوله: ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ قيل المراد بالمودة الجماع، والرحمة الولد، وقيل المودة المحبة، والرحمة الشفقة، فإذا تخلف هذا الأمر، بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة، فالمناسب المفارقة. قوله: ﴿أَنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي فيما ذكر من خلقهم من تراب، وخلق أزواجهم من أنفسهم، وإلقاء المودة والرحمة بينهم. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي يتأملون في تلك الأشياء، ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان، سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة، ثم جعله بشراً سوياً، ثم جعل له زوجة من جنسه، ولم تكن جنية ولا بهيمية، وأسكن بينهما المحبة والشفقة، فإذا أراد جماعها زينها له، وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه، جعلها راحة له، وخلق منها بشراً سوياً، وغير ذلك من أنواع التفكرات، فإذا تأمل الانسان في ذلك، كان سبباً في زيادة معارفه وأدبه مع ربه، ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى، ومنه ما روي: «حبب إلي من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة». قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي إنشاؤهما من العدم إلى الوجود. قوله: (أي لغاتكم) أي بأن خلق فيكم علماً ضروريا، تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها. قوله: ﴿وَأَلْوَانِكُمْ﴾ أي فجعلكم ألواناً مختلفة، منكم الأبيض والأسود والمتوسط، وغاير بين أشكالكم، حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك، وإن كانا في غاية التشابه، وإنما قرن هذا بخلق السماوات والأرض، وإن كان من جملة خلق الإنسان، إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع. قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (أي ذوي العقول وأولي العلم) أي وهم أهل المعرفة الذين لا تحجبهم المصنوعات عن صانعها، بل يشهدون الصانع في المصنوعات، قال العارف:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

العلم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ سماع تدبر واعتبار ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي إراءتكم ﴿ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ يتدبرون ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته من غير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيل في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾﴾ مطيعون ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثم يعيده﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

قوله: ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قيل في الآية تقديم وتأخير، والتقدير: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار، حذف حرف الجر لاتصاله بالليل، والأحسن أن يبقى على حاله، والنوم بالنهار من جملة النعم، لا سيما أوقات القيلولة في البلاد الحارة. قوله: (بإرادته) أي فلا قدرة لأحد على اجتلابه. قوله: (راحة لكم) أي من آثار التعب الحاصل لكم. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ غاير بين رؤوس الآي تفنناً، فإن أهل العقل هم أهل الفكر والسمع.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ الجار والمجرور خبر مقدم، و﴿يُرِيكُمُ﴾ مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر، وحذفت أن من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه، وهكذا يقال فيما تقدم وما يأتي. قوله: ﴿أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ أي تثبت وتستقر. قوله: (من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له، أو ضمتين جمع عمود كرسل ورسول. قوله: ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ متعلق بدعاكم. قوله: (في الصور) أي نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها، لأن فيه طاقات بعدد الأرواح، فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة، فلا تخطىء روح جسدها. قوله: ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عبر في ابتداء خلق الإنسان بثم حيث قال: ثم إذا أنتم بشر تنتشرون، وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخي، لكونه على أطوار مختلفة، بخلاف الإعادة فلا تدريج فيها، بل يحصل دفعة واحدة. قوله: (مطيعون) أي لأفعاله طاعة انقياد لا طاعة عبادة؛ وقيل المعنى قائمون للحساب، وقيل مقرون بالعبودية إما باللسان أو الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله: ﴿يُعِيدُهُ﴾ وذكر الضمير مراعاة للخبر. قوله: (بالنظر إلى ما عند المخاطبين) أي فهو مبني على ما يقتضيه عقولهم، لأن من أعاد منهم شيئاً، كان أهون عليه وأسهل من إنشائه، وهو جواب عما يقال: إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى، وأجيب أيضاً: بأن اسم التفضيل ليس على بابه، فأهون بمعنى هين. قوله: (أي الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة، والأعلى بمعنى العليا، أي المرتفعة المنزهة عن كل نقص.

والأرض﴾ أي الصفة العليا وهي أنه لا إله إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ في خلقه ﴿ضَرَبَ﴾ جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ وهو ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ أي من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمۡ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ أي أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ يتدبرون ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ بالإشراك ﴿أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ مانعين من عذاب الله ﴿فَأَقِمۡ﴾ يا محمد ﴿وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ﴾ مائلاً إليه، أي أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ خلقته ﴿ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾

قوله: (وهي أنه لا إله إلا الله) أي فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال، والتنزيه عن كل نقص. قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَثَلاً﴾ أي صفة وشكلاً تقيسون عليه. قوله: (كائناً) ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلاً.

قوله: ﴿هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِنْ شُرَكَاء﴾ الخ، ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام، و﴿لَكُمْ﴾ خبر مقدم، و﴿شُرَكَاءَ﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿مِنْ﴾ زائدة، و﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ حال من ﴿شُرَكَاءَ﴾ لكونه نعت نكرة قدم عليها، و﴿مِنْ﴾ تبعيضية فتحصل أن ﴿مِنْ﴾ الأولى ابتدائية، والثانية تبعيضية، والثالثة زائدة. قوله: ﴿فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي ملكناكم، وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا المثل أن يقال: إذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله، فلا يصح بالأولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة. قوله: ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ أي مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء.

قوله: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ من جملة المنفي، فهو مرتب عليه، فالمراد نفي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة، من أجل كونهم مماليك لكم، فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله؟ قوله: (بمعنى النفي) أي فهو استفهام إنكاري. قوله: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي فهذا المثل إنما ينفع العاقل الذي يتدبر الأمور. قوله: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الخ، إضراب عما ذكر أولاً، إشارة إلى أنهم لا حجة لهم في الإشراك، ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم. قوله: (هادي له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ شروع في تسليته ﷺ، والمراد بإقامة الوجه، بذل الهمة ظاهراً وباطناً في الدين. قوله: (أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته. قوله: ﴿فِطْرَتَ الله﴾ منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله: (الزموها) وهي ترسم بالتاء المجرورة، وليس في القرآن غيرها، وقوله: (وهي دينه) أي دين الإسلام، وعلى هذا فالخلق جميعاً مجبولون على توحيد يوم

وهي دينه أي الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لدينه أي لا تبدلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المستقيم توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ توحيد الله ﴿مُنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالى فيما أمر به ونهى عنه، حال من فاعل أقم وما أريد به أي أقيموا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خافوه ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ مسرورون، وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾ أي كفار مكة ﴿ضُرٌّ﴾ شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾ راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة

ألست بربكم، ولذا قال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه» وهذا غير ما سبق في علم الله، وأما هو فعلم أن قوماً يكفرون وقوماً يؤمنون، فمن سبق في علم الله إيمانه، فقد استمر على فطرته الأصلية، ومن سبق في علم الله كفره، فقد رجع عن فطرته، وإن كان سبق منه التوحيد، وحينئذ يكون معنى الآية: الزم أنت ومن اتبعك الفطرة التي فطرك ربك عليها وهي التوحيد، وهذا أحد أقوال ثلاثة في معنى الفطرة، وقيل المراد بها: الخلقة الأصلية التي ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة، وإلى ما يصيرون اليه عند البلوغ، فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى، ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الخلقة والطبيعة التي في نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه، ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب، كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات، فما دامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الإسلام، ولا يحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد البلوغ، ولذا كان كل من مات من بني آدم قبل بلوغه في الجنة، وإن كان من أولاد المشركين، وهذا القول قريب من معنى القول الأول. قوله: **(أي لا تبدلوه)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾** خبر، والمراد منه الأمر. قوله: **(توحيد الله)** تفسير لقوله: **﴿ذَٰلِكَ﴾**.

قوله: **﴿يَعْلَمُونَ﴾** **(توحيد الله)** أي بل جهلوا ذلك، فعبدوا غير الله. قوله: **(حال من فاعل أقم)** أي وما بينهما اعتراض. قوله: **(وما أريد به)** أي بالخطاب فإنه أريد به محمد ومن تبعه. قوله: **(أي أقيموا)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿وَاتَّقُوهُ﴾** عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله. قوله: **﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾** أي فأهل السعادة فرحون بسعادتهم، وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم أنهم على حق. قوله: **(وفي قراءة فارقوا)** أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: **﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ﴾** **﴿إِذَا﴾** شرطية وجوابها قوله: **﴿دَعَوْا رَبَّهُمْ﴾**، وقوله: **(أي كفار مكة)** خص ذلك بهم لأنه سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: **﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾** **﴿إِذَا﴾** فجائية قائمة مقام الفاء، فهي رابطة للشرط. قوله: **(أريد به التهديد)** أي فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقرير، على

الإنكار ﴿ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا ﴾ حجة وكتاباً ﴿ فَهُوَ يَتَكَلَّمُ ﴾ تكلم دلالة ﴿ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾ أي يأمرهم بالإشراك؟ لا ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ ﴾ كفار مكة وغيرهم ﴿ رَحْمَةً ﴾ نعمة ﴿ فَرِحُوا بِهَا ﴾ فرح بطر ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ شدة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدَّة ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ يعلموا ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ بها ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ القرابة ﴿ حَقَّهُ ﴾ من البر والصلة ﴿ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر من الصدقة، وأمَّة النبي تبع له في ذلك ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ﴾ أي ثوابه بما يعملون ﴿ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ الفائزون ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن

حد: ﴿اعملوا ما شئتم﴾. قوله: (عاقبة تمتعكم) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾ محذوف. قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي إلى الخطاب لأجل المبالغة في زجرهم. قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي فهي منقطعة، تفسر تارة بالهمزة وحدها، وتارة بالهمزة وبل. قوله: ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ داخل في حيز النفي. قوله: (أي يأمركم بالإشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، والأحسن أن يجعلها موصولة، أي بالأمر الذي كانوا يشركون بسببه. قوله: (فرح بطر) أي عجب وكبر، فيصرفونها فيما يغضبه تعالى، ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه. قوله: ﴿يَقْنَطُونَ﴾ بفتح النون وكسرها سبعيتان. قوله: (ومن شأن المؤمن) أي من خصلته وهيئته. قوله: (ويرجو ربه عند الشدة) أي لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه. قوله: (امتحاناً) أي اختباراً لينظر أيشكر أم يطغى. قوله: (ابتلاء) أي فينظر هل يصبر ويرضى، أم يضجر ويشكو.

قوله: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ هذه الآية في صدقة التطوع لا في الزكاة الواجبة، لأن السورة مكية، والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة. قوله: (القرابة) أخذ أبو حنيفة من الآية، أن النفقة على الأرحام عموماً واجبة على القادر، وعند مالك والشافعي النفقة على الأصول والفروع واجبة، وما عدا ذلك مندوب. قوله: (وأمة النبي) الخ، أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبي، فالمراد هو وأمته. قوله: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الظافرون بمقصودهم.

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ بالمد والقصر قراءتان سبعيتان. قوله: (بأن يعطى شيئاً) الخ، أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب، وهي أن يريد الرجل بهديته أكثر منها، وهي مكروهة في حقنا، وأما في حقه ﷺ فمحرمة لقوله تعالى: ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع، وإن لم يشترط عليه، فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له لأمر غني لفقير. قوله: (فسمي) أي المعطى وهو الهدية.

قوله: (باسم المطلوب) أي الذي يأخذ من المهدى اليه مقابلة ما أعطاه. قوله: ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ أي في تحصيلها. قوله: (المعطين) أي الآخذين للهبة والهدية. قوله: (أي لا ثواب فيه

﴿رِبًا﴾ بأن يعطى شيئاً هبة أو هدية ليطلب أكثر منه، فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة ﴿لِيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ المعطين أي يزيد ﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ يزكو ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي لا ثواب فيه للمعطين ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾؟ لا ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ به ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ﴾ أي القفار بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ أي البلاد التي على الأنهار بقلة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم﴾ بالياء والنون

للمعطين) أي الدافعين لما ذكر، فالأول اسم مفعول، والثاني اسم فاعل. قوله: (صدقة) أي صدقة تطوع، وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق. قوله: ﴿هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي الذين تضاعف لهم الحسنات. قوله: (فيه التفات عن الخطاب) أي تعظيماً لحالهم أو قصداً للعموم كأنه قيل: من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون.

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهي تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين قوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَائِكُم﴾ الخ، خبر مقدم، و﴿مِنْ﴾ للتبعيض، و﴿مَن يَفْعَلُ﴾ مبتدأ مؤخر، وقوله: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شيء، لكونه نعت نكرة تقدم عليها، و﴿مِن شَيْءٍ﴾ مفعول يفعل، و﴿مِنْ﴾ زائدة، والتقدير من الذي يفعل شيئاً من ذلكم من شركائكم، واسم الإشارة يعود على ما ذكر من الأمور الأربعة، وهي الخلق والرزق والأمانة والاحياء. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله، ولا شريك له في شيء عنها، فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص. قوله: (أي القفار) بكسر القاف جمع قفر وهي الأرض التي لا ماء بها ولا نبات، وأما القفار بفتح القاف فهو الخبز الذي لا أدم معه. قوله: (بقحط المطر) أي منعه من النزول. قوله: (أي البلاد التي على الأنهار) وقيل إن قلة المطر، كما تؤثر في البر تؤثر في البحر، فتخلو أجواف الأصداف وتعمو دوابه، فإذا أمطرت السماء تفتحت الأصداف في البحر، فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ، وتكثر دواب البحر.

قوله: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كسبهم. قوله: (من العاصي) أي ومبدؤها قتل قابيل هابيل، لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة، لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر، وكان البحر عذباً، وكان الأسد لا يصول على الغنم ونحوها، فلما قتله اقشعرت الأرض، ونبت الشوك في الأشجار، وصار ماء البحر ملحاً، وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض. قوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا﴾ اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ﴾ الخ، وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر، وإلا فالمصائب للصالحين رفع درجات، ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات. قوله: (أي عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن

﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ أي عقوبته ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ يتوبون ﴿ قُلْ ﴾ لكفار مكة ﴿ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ دين الإسلام ﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ ﴾ هو يوم القيامة ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ ﴾ وبال كفره وهو النار ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ يوطئون منازلهم في الجنة ﴿ لِيَجْزِىَ ﴾ متعلق بيصدعون ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ ﴾ يثيبهم ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ ﴿٤٥﴾ أي يعاقبهم ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ﴾ تعالى ﴿ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ بمعنى لتبشركم بالمطر ﴿ وَلِيُذِيقَكُم ﴾ بها ﴿ مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ المطر والخصب ﴿ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ ﴾ السفن بها ﴿ بِأَمْرِهِۦ ﴾ بإرادته ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ تطلبوا الرزق بالتجارة في البحر ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ﴾ أهلكنا الذين كذبوهم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ

قَبْلُ﴾ أي وهي الدمار والهلاك إن لم يتوبوا، وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا، قال تعالى: ﴿كذلك نجزي القوم الظالمين﴾.

قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وأمته، والمعنى ابذل همتك في دين الإسلام واشتغل به ولا تحزن عليهم. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ﴾ أي وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله، بل كل إنسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك، قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾. قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ متعلق بيأتي. قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ التنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يأتي هذا اليوم. قوله: (**فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد**) أي فأصله يتصدعون، أبدلت التاء صاداً وأدغمت في الصاد. قوله: (**يتفرقون بعد الحساب**) أي عند سماع قوله تعالى: ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾. قوله: (**وبال كفره**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (**يوطئون منازلهم**) أي فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تهيؤ المنازل في الجنة. قوله: (**متعلق بيصدعون**) أي والتقدير يتفرقون ليجزي الذين آمنوا من فضله، والذين كفروا بعدله. قوله: ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ أي الشمال والصبا والجنوب، فإنها رياح الرحمة، وأما الدبور فهي ريح العذاب، يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً». قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ عطف على ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ كأنه قال: لتبشركم وليذيقكم. قوله: ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ تبعيضية أي بعض رحمته. قوله: (**يا أهل مكة**) خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وأما فالعبرة بعموم اللفظ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً﴾ هذه الآيات معترضة بين الآيات المنفصلة والمفصلة، لأن قوله: ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾ تفصيل لقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ وحكمة ذلك

﴿ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ تزعجه ﴿ فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ من قلة وكثرة ﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾ بفتح السين وسكونها قطعاً متفرقة ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾ المطر ﴿ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ أي وسطه ﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ ﴾ بالودق ﴿ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ يفرحون بالمطر ﴿ وَإِن ﴾ وقد ﴿ كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ تأكيد ﴿ لَمُبْلِسِينَ ﴾ ﴿٤٩﴾ آيسين من إنزاله ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ ﴾ وفي قراءة آثار ﴿ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ أي نعمته بالمطر ﴿ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ أي يبسها بأن تنبت ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ المحيي الأرض ﴿ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿ وَلَئِنْ ﴾ لام قسم ﴿ أَرْسَلْنَا رِيحًا ﴾ مضرة على نبات ﴿ فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ ﴾ صاروا جواب القسم ﴿ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي بعد اصفراره ﴿ يَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ يجحدون النعمة بالمطر ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ﴿ وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن ﴾ ما

تسليته ﷺ وتأنيسه، حيث وعده بنصر المؤمنين عموماً. قوله: ﴿فَٱنْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ عطف على محذوف قدره بقوله: (فكذبوهم). قوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿كَانَ﴾ فعل ماض ناقص، و ﴿نَصْرُ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿حَقًّا﴾ خبرها مقدم، و ﴿عَلَيْنَا﴾ متعلق بحقاً أو بمحذوف صفة، وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين، بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف.

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾ مبتدأ وخبر، وهو تفصيل لما اجمل أولاً كما تقدم التنبيه عليه. قوله: (تزعجه) أي تهيجه وتحركه. قوله: ﴿فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَاءِ﴾ أي ينشره في جهتها متصلاً بعضه ببعض. قوله: (بفتح السين وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح، فقوله: (قطعاً) تفسير للوجهين. قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ فجائية، والمعنى فاجأهم الفرح. قوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ فسر ﴿إِنْ﴾ بقد تبعاً لغيره، فالواو للحال، و (قد) للتحقيق، وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والجملة خبرها بدليل اللام لمبلسين، فإنها اللام الفارقة، وكل صحيح. قوله: (تأكيد) أي إشارة إلى أنه أتاهم الفرج بعد تمادي يأسهم. قوله: ﴿فَٱنْظُرْ إِلَى أَثْرِ رَحْمَةِ ٱللهِ﴾ أي ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (مضرة) أي وهي ريح الدبور.

قوله: ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ أي بعد خضرته. قوله: (جواب القسم) أي وقد سد مسد جواب الشرط للقاعدة المعلومة، من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما. قوله: (يجحدون النعمة) أي فشأنهم يفرحون عند الخصب، فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم، جحدوا سابق نعمة الله عليهم. قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَى﴾ تعليل لمحذوف، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم، فهم موتى صم عمي، وأنت لا تسمع من كان كذلك. قوله: (بتحقيق الهمزتين) الخ، أي وهما قراءتان سبعيتان.

﴿تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾ مخلصون بتوحيد الله ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ على ما يشاء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾ يحلف ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ مكثوا في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال تعالى ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يصرفون عن الحق البعث، كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة اللبث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقوعه ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ لا يطلب منهم العتبى، أي الرجوع إلى ما يرضي الله ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِنَا﴾ أي يصدق بها. قوله: ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي أصل ضعيف. قوله: (ماء مهين) أي حقير ضعيف قليل. قوله: ﴿وَشَيْبَةً﴾ أي وهو بياض الشعر الأسود، ويحصل أوله غالباً في السنة الثالثة والأربعين، وهو أول سن الكهولة، والأخذ في النقص بعد الخمسين لثلاث وستين، فيزيد وهو أول سن الشيخوخة، فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر، وهذا في غير أهل التقوى والصلاح، وأما هم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم. قوله: (بضم أوله وفتحه) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ أي تحصل وتوجد. والمراد بها القيامة، سميت بذلك لحصولها في آخر ساعة من ساعات الدنيا. قوله: (الكافرون) أي المنكرون للبعث. قوله: (مكثوا في القبور) إنما استقلوا تلك المدة، لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار، وقيل المراد مكثوا في الدنيا، فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة. قوله: (يصرفون عن الحق) أي الإقرار والاعتراف به في الدنيا.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ أي رداً عليهم وتكذيباً لهم. قوله: (وغيرهم) أي كالأنبياء والمؤمنين. قوله: (أنكرتموه) أي في الدنيا. قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض عن جمل محذوفة، أي يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الملائكة وغيرهم وبينوا كذبهم لا تنفع، الخ. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ أي اعتذارهم. قوله: (العتبى) كالرجعى وزنى ومعنى، ولا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا. قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ للتبعيض أي بعض كل صفة لأجل إرشادهم.

قوله: ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أي مما اقترحوا. قوله: (حذف منه نون الرفع) الخ، هذا سبق قلم من

﴿بِئَايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مبطلون﴾ ٥٨ أصحاب أباطيل ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ بالبعث، أي لا يحملنك على الخفة والطيش بترك الصبر، أي لا تتركنه.

المفسر، فالصواب أن يقول: هو فعل مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، و ﴿الَّذِينَ﴾ فاعله، لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء. قوله: (منهم) حال من الكافرين. قوله: ﴿فَاصْبِرْ﴾ أي إذا علمت حالهم، وأنهم لا يؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر، الخ. قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَق﴾ تعليل للأمر بالصبر. قوله: (والطيش) عطف مرادف على (الخفة). قوله: (أي لا تتركنه) أي لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم وإيذائهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكيّة

إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان.

وهي أربع وثلاثون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ﴿٢﴾ ذي الحكمة والإضافة بمعنى من هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ﴿٣﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿٤﴾ هم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان مكية

إلا ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ الآيتان فمدنيتان.

وهي أربعة وثلاثون آية

مبتدأ وخبر، سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها. قوله: (إلا)﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلخ، هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل مكية كلها، وقيل إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿ولو أن ما في الأرض﴾ إلى ﴿خبير﴾ وهذا القول الثالث للبيضاوي. قوله: **(أي هذه الآيات)** أي آيات السورة، وأشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله، وإن كانت قريبة من الأذهان. قوله: **(ذي الحكمة)** أي المشتمل على الحكمة، وهي العلم النافع، ويصح أن يراد بالحكيم المحكم، أي المتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصح أن يراد ﴿الْحَكِيمِ﴾ قائله، حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه، وهو الضمير المجرور، فبانقلابه مرفوعاً استكن في الصفة المشبهة. قوله: **(بالرفع)** أي لحمزة على أنه خبر لمحذوف قدره بقوله: (هو). قوله: **(وفي قراءة العامة)** أي وهم السبعة ما عدا حمزة. قوله: **(حالاً من الآيات)** أي حال كون كل منها حالاً. قوله: **(من معنى الإشارة)** أي كأنه قال: أشير إلى تلك الآيات، حال كونها هدى ورحمة.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ أي يؤدونها بأركانها وآدابها. قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ أي

الثاني تأكيد ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ٥ الفائزون ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ أي ما يلهي منه عما يعني ﴿ لِيُضِلَّ ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ طريق الإسلام ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا ﴾ بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفاً على يشتري ﴿ هُزُوًاۚ ﴾ مهزوءاً بها ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ ٦ ذو إهانة ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا ﴾ أي القرآن ﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا ﴾ متكبراً ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًاۖ ﴾ صمماً، وجملتا التشبيه حالان من مضير ولي، أو الثانية بيان للأولى ﴿ فَبَشِّرْهُ ﴾ أعلمه ﴿ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ٧ مؤلم، وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحرث، كان يأتي الحيرة يتجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ ٨ ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ ﴾ حال مقدرة أي مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ ﴾ أي

يعطونها لمستحقيها. قوله: ﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أي يؤمنون بلقاء الله والبعث. قوله: **(الفائزون)** أي بما أعد لهم من النعيم المقيم.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي﴾ إلخ، شروع في ذكر مقابل الفريق الأول على حكم عادته تعالى في كتابه، والجار والمجرور خبر مقدم، والاسم الموصول مبتدأ مؤخر، واعلم أن من لفظها مفرد، ومعناها جمع، فروعي لفظها في جميع الضمائر الآتية، وروعي معناها في﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾. قوله: ﴿لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ إما من إضافة الصفة للموصوف، أي الحديث اللهو، أي المشتغل عما يعني، أو الإضافة على معنى من، وإليه يشير المفسر بقوله: **(أي ما يلهي عنه)**. قوله: **(بفتح الياء)** أي ليستمر على الضلال، وقوله: **(وضمها)** أي ليوقع غيره في الضلال، فهو ضال مضل، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(طريق الإسلام)** أي الأمور الموصلة للإسلام، فاللهو كل ما يشغل عن عبادة الله، وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغاني والمزامير، وغيرها من الأمور الباطلة.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من فاعل ﴿يَشْتَرِي﴾ أي حالة كونه جاهل القلب، وإن كان عليم اللسان. قوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا﴾ أي الآيات. قوله: **(بالنصب)** إلخ، أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(مهزوءاً بها)** أي لمحاكاته لها بالخرافات. قوله: **(أعلمه)** أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الإعلام بالخبر، وإن لم يكن فيه بشارة، ودفع بذلك ما يقال: إن الأخبار بالعذاب الأليم، ليس بشارة بل هو نذارة، وقوله: **(وذكر البشارة)** إلخ، جواب آخر، فكان المناسب أن يذكره بأو. قوله: **(النضر بن الحرث)** أي ابن كلدة كان صديقاً لقريش. قوله: **(فيستملحون حديثه)** أي يعدونه مليحاً فيصغون له.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بيان لحال المؤمنين وبالقرآن، بعد بيان حال الكافرين به. قوله: ﴿جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ المراد بها جميع الجنان، لا خصوص المسماة بهذا الاسم. قوله: **(أي مقدراً خلودهم)** أي فهم عند دخولهم يقدرون الخلود، لسماعهم النداء من قبل الله، يا أهل الجنة خلود بلا موت. قوله: ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى، والعامل مختلف، والتقدير وعد

وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٩﴾ الذي لا يضع شيئاً إلا في محله ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي العمد جمع عماد وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ جبالاً مرتفعة ﴿أَن﴾ لا ﴿ تَمِيدَ ﴾ تتحرك ﴿ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ صنف حسن ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي مخلوقه ﴿فَأَرُونِى﴾ أخبروني يا أهل مكة ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره أي آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي بصلته خبره، وأروني معلق عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١١﴾ بيِّن بإشراكهم وأنتم منهم ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها: العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة،

الله ذلك وعداً وحقه حقاً. قوله: (**الذي لا يغلبه شيء**) أي لا يقهره أحد.

قوله: ﴿**خَلَقَ السَّمٰوَاتِ**﴾ إلخ، هذا دليل على أنه عزيز حكيم، لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده. قوله: (**أي العمد**) أشار بذلك إلى أن جملة ﴿**تَرَوْنَهَا**﴾ صفة لعمد. قوله: (**جمع عماد**) أي كأهب جمع إهاب. قوله: (**الإسطوانة**) بضم الهمزة وهي السارية. قوله: (**وهو صادق**) إلخ، أي لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثاني، وهو أن يكون لها عمد لا ترى، وهي قدرة الله تعالى. قوله: ﴿**رَوَاسِيَ**﴾ أي ثوابت. قوله: (**جبالاً مرتفعة**) قال ابن عباس: هي سبعة عشر جبلاً منها: ق وأبو قبيس والجودي ولبنان وطور سينين. قوله: ﴿**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ قدر المفسر لام التعليل ولا النافية، إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال، عدم تحركها بأهلها. قوله: ﴿**وَبَثَّ فِيهَا**﴾ أي نشر، وقوله: ﴿**مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة. قوله: (**فيه التفات**) أي من الغيبة إلى التكلم، زيادة في التبكيت وإلزام الحجة.

قوله: ﴿**هٰذَا خَلْقُ اللهِ**﴾ أي ما ذكر من السماوات والأرض وما فيهما. قوله: (**استفهام إنكار**) وتوبيخ وتقريع. قوله: (**معلق على العمل**) أي في اللفظ، وأما في المحل فهو عامل النصب. قوله: (**سد مسد المفعولين**) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل، الياء وجملة الاستفهام التي سدت مسد الثاني والثالث، وهذا غير ما ذكروه من أن أرى إن كان بمعنى أخبر، فإنها تتعدى لمفعولين: الأول مفرد صريح، والثاني جملة الاستفهام، فالمناسب للمفسر أن يقول: سدت مسد الثاني. قوله: (**للانتقال**) أي من تبكيتهم إلى الإخبار بتقبيح الظالمين عموماً.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾ اختلف في لقمان، فقيل اسم عجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة، وقيل عربي ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون، واختلف فيه أيضاً، فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر، فعلى هذا هو ابن ابن أخي ابراهيم الخليل عليه السلام، وقيل كان ابن أخت أيوب، وقيل كان ابن خالته، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود، واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً، إلا عكرمة والشعبي فقالا بنبوته، وقيل خيِّر بين النبوة والحكمة فاختار

كان يفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كفيت؟ وقيل له: أي الناس شر؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً ﴿أَنِ﴾ أي وقلنا له أن ﴿اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ على ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ ۝١٢﴾ محمود في صنعه ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ﴾ تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾

الحكمة، وروي أنه كان نائماً في وسط النهار، فنودي يا لقمان، هل لك أن نجعلك خليفة في الأرض، فتحكم بين الناس بالحق؟ فأجاب الصوت فقال: إن خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء، وإن عزم علي فسمعاً وطاعة، فإني أعلم أن الله تعالى، إن فعل بي ذلك أعانني وعصمني، ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم: لم يا لقمان؟ قال: إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه المظلوم من كل مكان، إن عدل نجا، وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة، ومن يكن في الدنيا ذليلاً، خير من أن يكون شريفاً، ومن يختر الدنيا على الآخرة، تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة، فعجبت الملائكة من حسن منطقه، فنام نومه فأعطي الحكمة، فانتبه وهو يتكلم بها، ثم نودي بها داود بعده فقبلها، وكان لقمان يؤازر داود لحكمته، وقيل كان خياطاً، وقيل كان راعي غنم، فروي أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال: ألست فلاناً الراعي؟ قال: بلى، قال: فيم بلغت ما بلغت؟ قال: بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما يعنيني. قوله: **(منها العمل والديانة)** أي فالحكمة هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعها، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة، وقيل هي نور في القلب، يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر. قوله: **(وحكمه كثيرة)** قال وهب: تكلم لقمان باثني عشر ألف باب من الحكمة، أدخلها الناس في كلامهم. قوله: **(وقال في ذلك)** أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا. قوله: **(وقلنا له أن)** ﴿**اشْكُرْ**﴾ إلخ، أشار بذلك إلى أن أن زائدة، وجملة ﴿**أَنِ اشْكُرْ**﴾ مقول القول، والأنسب (أن) تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه. قوله: **(ما أعطاك من الحكمة)** أي فهي نعمة يجب الشكر عليها بصرفها في مصارفها. قوله: ﴿**وَمَنْ يَشْكُرْ**﴾ إلخ، تعليل للأمر بالشكر. قوله: **(محمود في صنعه)** أي فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات.

قوله: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ**﴾ أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنعم، قيل كان ابنه وامرأته كافرين، فما زال يعظهما حتى أسلما، قيل وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه، وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة، ويخرج خردلة خردلة، فنفد الخردل فقال: يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر، فتفطر ابنه ومات. قوله: ﴿**وَهُوَ يَعِظُهُ**﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿**يَا بُنَيَّ**﴾ بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان. قوله: **(اشفاق)** أي محبة. قوله: **(فرجع إليه)** أي إلى دين أبيه وهو الإسلام، وقال أيضاً: يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة، يأتك الربح من غير بضاعة، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس، فإن الجنائز تذكرك الآخرة، والعرس يشهيك الدنيا. يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار، وأنت نائم على فراشك. يا بني لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة. يا بني لا ترغب في ود الجاهل، فيرى أنك ترضى عمله. يا بني اتق الله ولا تـر الناس أنك تخشى، ليكرموك بذلك وقلبك فاجر، يا بني ما ندمت على الصمت قط، فإن الكلام إذا كان من فضة، كان السكوت من ذهب. يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق. يا بني عليك بمجالس العلماء، واستمع كلام الحكماء، فإن الله تعالى يحيي

فرجع إليه وأسلم ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرنا أن يبرهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفت للحمل، وضعفت للطلق، وضعفت للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي فطامه ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقلنا له ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ أي المرجع ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي

القلب الميت بنور الحكمة، كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر، فإن من كذب ذهب ماء وجه، ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم، يا بني لا ترسل رسولك جاهلاً، فإن لم تجد حكيماً فكن رسول نفسك. يا بني لا تنكح أمة غيرك، فتورث بنيك حزناً طويلاً. يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم. يا بني اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تـك غبياً يعلمـوك، وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصبك معهم. يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك غبياً يزيدوك غباوة، وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم. يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء. يا بني إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيه ناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان بها، وشراعها التوكل على الله، لعلك أن تنجو. يا بني إني حملت الجندل والحديد، فلم أحمل شيئاً أثقل من جار السوء، وذقت المرارة كلها، فلم أذق أشد من الفقر. يا بني إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك. يا بني لا تتعلم ما لا تعلم، حتى تعمل بما تعلم. يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه قبل ذلك، فإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره. يا بني إنك منذ نزلت إلى الـدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة، فدار أنت إليها تسير، أقرب من دار أنت عنها ترحل. يا بني عود لسانك أن يقول: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا ترد. يا بني إياك والدين، فإنه ذل النهار وهم الليل. يا بني أرج الله رجاء لا يجرئك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته. إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾ إلخ، هاتان الآيتان نزلتا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم، فهما معترضتان بين كلامي لقمان، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فأل في الإنسان للجنس. قوله: **(أن يبرهما)** أي يحسن إليهما. قوله: **(فوهنت)** قدر الفعل اشارة إلى أن ﴿وَهْناً﴾ مفعول مطلق، والأحسن جعله حالاً من أمة أي ذات وهن. قوله: ﴿عَلَى وَهْنٍ﴾ صفة لوهناً أي ضعفاً كائناً على ضعف، والمراد التوالي لا خصوص وهنين بدليل قول المفسر **(أي ضعفت للحمل)** إلخ. قوله: **(أي فطامه)** أي ترك رضاعه. قوله: ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ أي في انقضائهما.

قوله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي﴾ أن يحتمل أنها مفسرة لجملة ﴿وَصَّيْنَا﴾ أو مصدرية. قوله: **(أي المرجع)** أي فأجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. قوله: **(موافقة للواقع)** أي فلا مفهوم له، وهو جواب عما يقال: إن الشريك مستحيل على الله تعالى، فربما يتوهم وجود الشريك له به علم. قوله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا﴾ أي أمورها التي لا تتعلق بالدين. قوله: **(أي بالمعروف)** أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض.

بالمعروف البر والصلة ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾ رجع ﴿إِلَيَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٥﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ﴾ أي الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي في أخفى مكان من ذلك ﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ﴾ فيحاسب عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٞ ۝١٦﴾ بمكانها ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ ﴿وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝١٧﴾ أي معزوماتها التي

قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ قيل إن الخطاب للمكلفين عموماً، ويراد بمن أناب النبي وأصحابه ومن على قدمهم، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أنه حين أسلم، أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له: قد صدقت هذا الرجل وآمنت به؟ قال: نعم هو صادق فآمنوا، ثم جاء بهم النبي ﷺ حتى أسلموا، فهؤلاء سابقون للإسلام بإرشاد أبي بكر رضي الله عنه. قوله: **(فأجازيكم عليه)** أي على العمل الحسن والسيئ. قوله: **(وجملة الوصية)** أي وهي قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ﴾ إلخ. وقوله: **(وما بعدها)** أي وهو قوله: **(وإن جاهداك)** إلخ، وقوله: **(اعتراض)** أي بين كلامي لقمان.

قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ إلخ، رجوع لذكر وصايا لقمان لولده، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد، كيف يعلمها الله؟ فقال له تلك المقالة وهذا السؤال، ليس عن اعتقاد لمضمونه، إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية، وإنما مقصوده الإنتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة، ولذا مات من استيلاء الهيبة على قلبه. قوله: ﴿مِنْ خَرْدَلٍ﴾ هو حب الكبر وهو أصغر حب، والمراد أصغر شيء، بدليل ضرب المثل بالذرة في الآية. قوله: ﴿فِي صَخْرَةٍ﴾ قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع، وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار، وخضرة السماء منها لما قيل: خلق الأرض على حوت، والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة، وهي التي ذكرها لقمان، فليست في السماء ولا في الأرض. قوله: **(أي في أخفى مكان من ذلك)** أي من الصخرة والسماوات والأرض، فأخفى الصخرة باطنها، وأخفى السماوات أعلاها، وأخفى الأرض أسفلها. قوله: ﴿يَأْتِ بِهَا اللهُ﴾ جواب الشرط. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ أي عالم بخفيات الأمور. قوله: ﴿خَبِيرٌ﴾ أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان، فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها، فمات مسلماً شهيداً رضي الله عنه.

قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي بشروطها وأركانها وآدابها، لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى. قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي بكل ما عرف شرعاً، لأن الدال على الخير كفاعله. قوله: ﴿وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أي باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة، فإن لم يفد، فالهجر أولى بالمعروف. قوله: **(بسبب الأمر والنهي)** المناسب حمله على العموم، فالصبر على المصائب، سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم، لأن الكل في الحقيقة من الله، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه، قال تعالى:

يعزم عليها لوجوبها ﴿وَلَا تُصَعِّرْ﴾ وفي قراءة تصاعر ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ لا تمل وجهك عنهم تكبراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي خيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ ﴿١٨﴾ على الناس ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ توسط فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينة والوقار ﴿وَٱغْضُضْ﴾ اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أقبحها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ ﴿١٩﴾ أوله زفير، وآخره شهيق ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ تعلموا يا مخاطبين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾ أوسع وأتم ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً﴾ هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك

﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. قوله: **(التي يعزم عليها لوجوبها)** أي تحتمها على المكلفين، فلا ترخيص في تركها.

قوله: **﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** الصعر بفتحتين في الأصل، داء يصيب البعير يلوي عنقه، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين، لأجل الفخر على الناس، والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس، ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. قوله: **(وفي قراءة تصاعر)** أي وهما سبعيتان ومعناهما واحد. قوله: **(أي خيلاء)** أي عجباً وتكبراً، قال تعالى: ﴿إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾. قوله: **﴿فَخُورٍ﴾(على الناس)** أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها، فتكبر بها على الناس. قوله: **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾** لما أمره أولاً بحسن الباطن، أمره ثانياً بحسن الظاهر، ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن. قوله: **(بين الدبيب)** أي وهو ضعيف المشي جداً، قال الشاعر:

زعمتني شيخاً ولست بشيخ ... إنما الشيخ من يدب دبيبا

قوله: **(والإسراع)** أي وهي قوة المشي وهي مذمومة لما ورد: سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن. إن قلت: ورد في الحديث: كنا نجهد أنفسنا خلف رسول الله ﷺ، فيقتضي أنه كان يسرع في مشيه. أجيب بأنه ﷺ في نفسه مشية متوسطة، وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشياً منهم، لما في الحديث المقتدم: وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له. قوله: **﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾** يحتمل أن **﴿مِنْ﴾** تبعيضية، أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف، أي شيئاً من صوتك. قوله: **﴿لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾** أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك، والحمار يصيح لغير سبب، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى، إلا الحمار. إن قلت: إن دق النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير. أجيب: بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء، بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة، وهو صوت الحمار. قوله: **(أوله زفير)** أي صوت قوي، وقوله: **(وآخره شهيق)** أي صوت ضعيف، وهما صفة أهل النار.

قوله: **﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾** إلخ، رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم. قوله: **(يا مخاطبين)** القياس بالواو لأنه منادى مفرد، وهو مبني على ما يرفع به، إلا أن يقال: إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب. قوله: **﴿نِعَمَهُ﴾** إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان، أو الإفراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(هي حسن الصورة)** إلخ، وقيل الظاهرة نعمة الدنيا،

﴿وَبَاطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي أهل مكة ﴿مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ أنزله الله بل بالتقليد ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتبعونه ﴿وَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ أي موجباته؟ لا ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي يقبل على طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ مرجعها ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُۥٓ﴾ لا تهتم بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾﴾ أي بما فيها كغيره فمجاز عليه ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾ وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

والباطنة نعمة العقبى، وقيل الظاهرة ما ترى الأبصار، كالمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة ما يجده الإنسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى، وكل صحيح. قوله: (**وتسوية الأعضاء**) أي تناسبها.

قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ**﴾ نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف ومن حذا حذوهما، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وصفاته من غير علم. قوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ أي بل بالجهل وعدم المعرفة. قوله: ﴿**وَلَا هُدىً**﴾ أي مع رسول جاءهم به. قوله: ﴿**وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ أي نير واضح الدلالة.

قوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ**﴾ الجمع باعتبار المعنى. قوله: ﴿**أَ**﴾(**يتبعونه**) أشار بذلك إلى أن الشرط للحال والتقدير أيتبعونه، والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب، وحينئذ فلا جواب للو. قوله: ﴿**يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ أي يدعو آباءهم، لأن مدار إنكار الإتباع، كون الرؤساء تابعين للشيطان. قوله: (**لا**) أي لا يليق منهم ذلك. قوله: (**أي يقبل على طاعته**) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات، والمعنى من يبذل ذاته في طاعة ربه، والحال أنه موحد، فقد استمسك إلخ، وهذا هو حقيقة الشكر، فالإقبال على الله ظاهراً وباطناً، موجب للأمن من عذاب الله، ومن زوال تلك النعمة، وهذه الآية معنى قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾. قوله: (**موحد**) إنما فسره بذلك ليشمل الإسلام في حق العامة وهو التوحيد، وإلا فالإحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه. قوله: (**بالطرف الأوثق**) أي الموصل إلى الله بلا انقطاع، فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله، بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل، فتمسك بأوثق حبل، فهو تشبيه تمثيلي بذكر طرفي التشبيه. قوله: (**مرجعها**) أي فيجازي عليها.

قوله: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ**﴾ إلخ، هذا مقابل الفريق الأول. قوله: ﴿**فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ**﴾ بفتح الياء وضم الزاي، وبضم الياء وكسر الزاي قراءتان سبعيتان، أي فتسل ولا تغتم على ذلك. قوله: ﴿**فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا**﴾ أي نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا، كما أن المؤمن إذا نعم في الدنيا بأنواع النعم، فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة. قوله: (**لا يجدون عنها محيصاً**) أي ملجأ. قوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ الجملة جواب

على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ وجوبه عليهم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ المحمود في صنعه ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ﴾ عطف على اسم أن ﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مداد ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك، لأن معلوماته تعالى غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ لا يخرج شيء من علمه وحكمته ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقاً وبعثاً، لأنه بكلمة كن فيكون ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا مخاطباً ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾

القسم، وحذف جواب الشرط للقاعدة، ولفظ الجلالة مرفوع، إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله، بدليل آية ﴿خلقهن العزيز العليم﴾، أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن. قوله: **(وواو الضمير)** أي لالتقائها ساكنة مع نون التوكيد، وبقيت الضمة دليلاً عليها. قوله: **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(وجوبه عليهم)** أي بل يعتقدون أن الإشراك يقرب إلى الله، مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده.

قوله: **﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق لها، تحقق أنه المالك لها. **(المحمود في صنعه)** أي المتصف بالكمالات أزلاً وأبداً، لا يستحق الحمد غيره. قوله: **﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ﴾** **﴿أَنَّ﴾** حرف توكيد ونصب و **﴿مَا﴾** اسم موصول في محل نصب اسمها، وجمل الجار والمجرور مع متعلقة صلة الموصول، و **﴿مِنْ شَجَرَةٍ﴾** بيان لما، وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال: لو أن كل شجرة تجعل أقلاماً إلخ، وقوله: **﴿أَقْلَامٍ﴾** خبر **﴿أَنَّ﴾**. قوله: **﴿وَالْبَحْرُ﴾** أي المحيط، لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل. قوله: **(عطف على اسم أن)** أشار ذلك إلى توجيه قراءة النصب، وترك توجيه قراءة الرفع، وتوجيهها أن يقال: إما عطف على جملة **﴿أَنَّ﴾** واسمها وخبرها، لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف، والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض إلخ، أو مبتدأ خبره **﴿يَمُدُّهُ﴾** والجملة حالية. قوله: **(مداد)** خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد، وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبحر؟ فأجاب بقوله: **(مداد)** يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾** إلخ. قوله: **﴿كَلِمَاتُ اللهِ﴾** أي مدلولات كلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى، بدليل قوله المعبر بها، فإن مدلول الكلام القديم، هو ما أحاط به العلم القديم، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية، فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم، فلذلك كان له مبدأ وغاية.

قوله: **﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** سبب نزولها: أن أبي بن خلف وجماعة قالوا للنبي ﷺ: أن الله خلقنا أطواراً، نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة فنزلت، والمعنى أن الله لا يصعب عليه شيء، بل خلق العالم وبعثه برمته، كخلق نفس واحدة وبعثها. قوله: **(خلقاً وبعثاً)** لف ونشر مرتب. قوله: **(يا مخاطباً)** نصبه لكونه قصد أنه نكرة

يدخل ﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ﴾ منهما ﴿يَجۡرِيٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ﴾ بالياء والتاء يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ ﴿٣٠﴾ العظيم ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ﴾ السفن ﴿تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾ عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٖ﴾ ﴿٣١﴾ لنعمته ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي علا الكفار ﴿مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ﴾ كالجبال التي تظل من تحتها ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي الدعاء بأن ينجيهم، أي لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باق على كفره ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ﴾ غدار ﴿كَفُورٖ﴾ ﴿٣٢﴾ لنعم الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي﴾ يغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئاً ﴿وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه

غير مقصودة. قوله: (بما نقص) أي بالجزاء الذي نقص من الأجر، وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار، زائدة على الأثني عشر، فتارة يزيدها الليل، وتارة يزيدها النهار.

قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ عطف على ﴿يُولِجُ﴾ وعبر في الأولى بالمضارع، لأن الإيلاج متجدد بخلاف التسخير. قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ عبر هنا بإلى، وفي فاطر والزمر باللام تفنناً، لأن اللام وإلى للإنتهاء. قوله: ﴿ذَلِكَ﴾(المذكور) أي من الآيات الكريمة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ﴾. قوله: (الثابت) أي الذي لا يقبل الزوال ولا أبداً. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ﴾ إلخ، هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده. قوله: ﴿بِنِعْمَةِ اللهِ﴾ أي إحسانه. قوله: (أي علا الكفار) أي أحاط بهم، فعلا فعل ماض لا حرف جر. قوله: (أي لا يدعون معه غيره) أي كالأصنام لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول، فلا يجدون ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى. قوله: (متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفي، بما عاهد الله عليه من التوحيد، ليكون موافقاً لسبب النزول، فإنها نزلت في عكرمة بن أبي جهل، وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر، فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة: لئن أنجانا الله من هذا، لأرجعن إلى محمد ﷺ، ولأضعن يدي في يده فسكن الريح، فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن اسلامه. قوله: (ومنهم باق على كفره) أي وهو المشار إليه بقوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ إلخ. قوله: (غدار) أي لأنه نقض العهد، ورجع إلى ما كان عليه.

قوله: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه. قوله: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ إلخ، كل من الجملتين نعت ليوماً، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان، نفسي نفسي لا أملك غيرها، ولا يهتم بقريب ولا بعيد، وهذه الآية مخصوصة بالكفار، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم، فالأولاد تنفع

﴿شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ ﴿٣٣﴾ الشيطان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكر أم أنثى، ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالى ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌۢ﴾ ﴿٣٤﴾ بباطنه كظاهره، روى البخاري عن ابن عمر حديث مفاتح الغيب خمسة (إن الله عنده علم الساعة إلى آخر السورة.

الآباء، والآباء تنفع الأولاد، قال تعالى: ﴿والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته: «أنا لا أغني عنك من الله شيئاً» فهو تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب. قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ مبتدأ، وهو مبتدأ ثان، و ﴿جَازٍ﴾ خبر الثاني، وهو وخبره خبر الأول، أو معطوف على والد. قوله: **(في حلمه وإمهاله)** أشار بذلك أن الباء سببية، والكلام على حذف مضاف، والأصل لا يغرنكم بسبب حلم الله وامهاله الغرور.

قوله: ﴿إِنَّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلخ، نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبي ﷺ: متى الساعة؟ وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمتى السماء تمطر؟ وامرأتي حامل فهل حملها ذكر أم أنثى؟ وأي شيء أعمله غداً؟ ولقد علمت بأي أرض ولدت، فبأي أرض أموت؟ قوله: **(متى تقوم)** أي وقت قيامها. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(بوقت يعلمه)** أي وفي أي مكان ينزله.

قوله: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ أي من حيث ذاتها، وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه، كالأنبياء وبعض الأولياء، قال تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وقال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ قال العلماء: وكذا ولي، فلا مانع من كون يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات، فتكون معجزة للنبي وكرامة للولي، ولذلك قال العلماء: الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا، حتى أطلعه الله على تلك الخمس، ولكنه أمر بكتمها، والحكمة في كونه تعالى، أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول: ونفى العلم عن العباد في الأخيرتين منها، مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها، ونفي علم العباد بها، أن الثلاثة الأول أمرها عظيم، لا يتوهم في الخلق علمها، بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد، فربما يتوهمون علمها، فإذا انتفى عنهم علمهما، كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى. قوله: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ لم يقل بأي وقت تموت فيه، لأن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره، فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان، ففيه تنبيه على انتفاء علم الأقرب، ليفهم منه علم الأبعد بالأولى. قوله: ﴿إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أشار بذلك إلى أن علمه تعالى، ليس مختصاً بهذه الأشياء المتقدمة، بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكيّة

وآياتها ثلاثون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿الٓمٓ﴾ (١) الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (٢) خبر ثان ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمد؟ لا ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّآ﴾ نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة مكية

وهي ثلاثون آية

أي التي ذكر فيها السجدة. قوله: (مكية) ظاهره أن جميعها مكي، وقال غيره: إلا ثلاث آيات، وقيل إلا خمس آيات أولها قوله ﴿تتجافى جنوبهم﴾ وآخرها قوله: ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ وورد في فضلها أحاديث، منها ما في الصحيح عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ السجدة، و﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه، ولم يأخذ به مالك، لعدم استمرار العمل عليه، ومنها أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ تَنْزِيلُ﴾ السجدة و﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وتسمى أيضاً المنجية، لأنها إحدى المنجيات السبع وهي: هذه السورة، ويس، والدخان، والواقعة، وهل أتى، والملك، والبروج. ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال: اقرؤوا المنجية وهي ﴿الٓمٓ تَنْزِيلُ﴾ فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرؤها، ما يقرأ شيئاً غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: رب اغفر لي فإنه كان يكثر قراءتي، فشفعها الرب فيه، وقال: اكتبوا له بكل خطيئة حسنة، وارفعوا له درجة.

قوله: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ أي نزوله ومجيئه. قوله: ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لفظاً ومعنى. (خبر ثان) هذا أحسن الأعاريب في هذا الموضع، ويصح أن يكون حالاً من ضمير الخبر. قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أم: منقطعة تفسر ببل، والهمزة عند البصريين، والمفسر قدرها ببل فقط، وهو غير مناسب بدليل قوله: (لا) فإنه إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري، مع أنه لم يذكر الهمزة، ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة. قوله: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ اضراب انتقالي من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته، ويصح أن يكون

يهتدون ﴿٣﴾ بإنذارك ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد، وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك، استواء يليق به ﴿مَا لَكُم﴾ يا كفار مكة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ اسم ما بزيادة من أي ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ هذا فتؤمنون ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا

ابطالياً لقوله، كأنه قيل ليس هو كما قالوا، بل هو الحق، وقولهم كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي يحمل على غير هذا، والمعنى أن القرآن محصور في الحق، لا يخرج عنه لغيره، واستفيد الحصر من الجملة المعرفة الطرفين.

قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ هو فعل بنصب مفعولين، الأول قوماً، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله: (به) وقدره غيره العقاب. قوله: ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوماً، واختلف في القوم فقيل: المراد بهم العرب، لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ وقيل المراد بهم أهل الفترة، الذين كانوا قبل عيسى ومحمد عليهما السلام، فيشمل بني آدم برمتهم. قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الترجي بالنسبة له ﷺ، والمعنى لتنذر قوماً راجياً لاهتدائهم لا آيساً منه. قوله: ﴿الله الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ مبتدأ وخبر، وهو شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى. قوله: (أولها الأحد وآخرها الجمعة) أي على سبيل التوزيع، فخلق الأرض أولاً في الأحد والاثنين وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماوات في الخميس والجمعة، وفي ذلك إشكال، وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك، فضلاً عن تسميتها، لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام. وأجيب: بأن المراد في مقدار ستة أيام، كائنة في علمه تعالى، بحيث تكون عند ظهورها لنا، أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ومقتضى هذا، أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن، وقال ابن عباس والضحاك: اليوم منها مقداره ألف سنة. قوله: (سرير الملك) أي ومنه قال نكروا لها عرشها، والمراد به هنا الجسم النوراني المحيط بالعالم كله. قوله: (استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه، ويفوضون علمه لله تعالى، وهو أسلم، ولذا سلكه المفسر، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء والقهر، إذ هو أحد معنى الاستواء، ومنه قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتقدم الكلام في هذا غير مرة. قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه الخالق للسماوات والأرض وما بينهما، وهو المالك للعرش وما حوى، فلا ولي ولا شفيع غيره. قوله: (يا كفار مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ. قوله: (اسم ما) أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ حجازية، و﴿وَلِيٍّ﴾ اسمها مؤخر، و﴿مِنْ دُونِهِ﴾ خبرها مقدم، وفيه أن شرط أعمالها الترتيب وهو مفقود هنا، إلا أن يقال: إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها، والأحسن جعلها تميمية، و﴿مِنْ دُونِهِ﴾ خبر مقدم، و﴿وَلِيٍّ﴾ مبتدأ مؤخر، لأن القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف. قوله: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون. قوله: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾ أي الشأن، والحال والمعنى يتصرف على طبق علمه وإرادته، وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري:

إرادة الله مع التعلق ... في أزل قضاؤه فحقق

﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ في الدنيا، وفي سورة سأل خمسين ألف سنة، وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ بأهل طاعته ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة،

والقدر الإيجاد للأشياء على وجه معين أراده علا

وبعضهم قد قال معنى الأول:

العلم مع تعلق في الأزل

والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فالتصرف الذي يظهر في الخلق، من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدرٌ، ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء، فكل شيء بقضاء وقدر. قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: معناه ينزل القضاء والقدر، وقيل ينزل الوحي مع جبريل، وروي أنه يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين، فأما جبريل فموكل بالأرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم، وقد قيل: إن العرض موضع التدبير، كما أن ما دون العرش موضع التفصيل قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات﴾ وما دون السماوات موضع التصريف. قوله: **(مدة الدنيا)** أي وهي كما ورد سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السادس، ومدة أمته تزيد على الألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة، كما ذكره السيوطي في الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف، وهذا أحد أقوال تقدمت. قوله: **(يرجع الأمر والتدبير)** ﴿إِلَيْهِ﴾ أي ينتقل التصريف الظاهري من أيدي العبيد يوم القيامة، ويكون لله وحده ظاهراً وباطناً، قال تعالى: ﴿لمن الملك اليوم لله الواحد القهار﴾. قوله: **(لشدة أهواله)** إلخ، هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين، أي فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين، التنبيه على طوله والتخويف منه، لا العدد المذكور بخصوصه، وجمع أيضاً بأن موقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف فهذه الآية بينت أحد المواقف، وآية سأل بينت المواقف كلها، وهذا هو الأقرب، وجمع أيضاً بأن العذاب مختلف، فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة. قوله: **(من صلاة مكتوبة)** صادق بصلاة الصبح، فهو في حق المؤمنين قصير جداً.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿عَالِمُ﴾ خبر أول، و ﴿الْعَزِيزُ﴾ خبر ثان، و ﴿الرَّحِيمُ﴾ خبر ثالث، و ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ خبر رابع، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً برفع ﴿عَالِمُ﴾ وخفض ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ على أنهما بدلان من الهاء في إليه، وقرىء أيضاً بجر ﴿عَالِمُ﴾ وما بعده، وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلاً ليعرج، و ﴿عَالِمُ﴾ وما بعده بدل من الضمير في إليه. قوله: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي

وبسكونها بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم ﴿مِن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ علقة ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿٨﴾ ضعيف هو النطفة ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي جعله حياً حساساً، بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي لذريته ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ ما زائدة مؤكدة للقلة ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي منكرو البعث ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ غبنا فيها، بأن صرنا تراباً مختلطاً بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ﴾ استفهام إنكاري، بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانيـة، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين، قال تعالى: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١﴾ أحياء فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطئوها

أحكم وأتقن. قوله: (صفة) أي لكل أو لشيء. قوله: (وبسكونها) أي وهما قراءتان سبعيتان. قوله: (بدل اشتمال) أي من كل شيء. قوله: (ذريته) سميت نسلاً لأنها تنسل أي تنفصل. قوله: (أي خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿سَوَّاهُ﴾ عائد على (آدم) ويصح أن يكون عائداً على النسل، ويكون المعنى سوى أعضاءه في الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجماد، حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة. قوله: ﴿مِنْ رُوحِهِ﴾ الإضافة للتشريف. قوله: (أي لذريته) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحي، فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه.

قوله: ﴿قَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا﴾ حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم، وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا، وقرىء شذوذاً بكسر اللام وبضم الضاد وكسر اللام مشددة. قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي وتركه، فتكون القراءات أربعاً سبعيات. قوله: (في الموضعين) أي وهما ائذا ضللنا أئنا. قوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرة.

قوله: ﴿قُلْ﴾(لهم) أي للكفار، وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك. قوله: ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوتِ﴾ أسند التوفي في هذه الآية لملك الموت، وفي آية الانعام للرسل، وفي الزمر لله تعالى، ولا منافاة بينها، فما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم، وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن أمر بقبض روحه، فإن المباشر لإخراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه، وما في الزمر محمول على الحقيقة، فإن المتوفى حقيقة هو الله تعالى، روي أن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد، فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة، فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وروي أن خطوته ما بين المشرق والمغرب، وروي أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء، وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق، وهو يتصفح وجوه الناس، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنساناً قد انقضى أجله، ضرب رأسه بتلك الحربة وقال له: الآن ينزل بك عسكر الموت. قوله: (فيجازيكم بأعمالكم) أي عليها من خير وشر.

حياء يقولون ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعۡنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَارۡجِعۡنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢﴾ الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون، وجواب لو رأيت أمراً فظيعاً، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ وهو ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ﴾ الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١٣﴾ وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها ﴿فَذُوقُواْ﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ﴾ أي بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ الدائم ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٤﴾ من الكفر والتكذيب ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ﴾ وعظوا ﴿بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ﴾ متلبسين ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝١٥﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ﴾ ترتفع ﴿عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾

قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ الخطاب لكل أحد ممن يصلح. قوله: ﴿نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ﴾ أي خافضوها قوله: ﴿وَسَمِعْنَا﴾(منك تصديق الرسل) أي فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد. قوله: ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾(الآن) أي آمنا في الحال، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين. قوله: (لو رأيت أمراً فظيعاً) أي شنيعاً عجيباً. قوله: ﴿هُدَاهَا﴾ أي إيمانها. والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك. قوله: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ أي ثبت وتقرر وعيدي. قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ﴾ قدمهم لأن دخول الجن النار أكثر من الإنس. قوله: (أي بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك. قوله: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدُ﴾ كرره لبيان مفعول ذوقوا الأول. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي بسبب عملكم.

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ إلخ، هذا تسلية له ﷺ على بقاء من كفر على كفره، كأن الله يقول لنبيه ﷺ: لا تحزن فإن أهل الإيمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن، وأهل الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به، فالخلق فريقان في علم الله. قوله: (القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية، بأنه يقتضي مدح كل من سمع القرآن واتعظ به، ويسجد له وإن لم يكن له موضع سجود. وأجيب: بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن، فمدح المتعظين بالقرآن، في كل آية الساجدين في مواضع السجود. قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّداً﴾ أي على وجوههم تعظيماً لآياته وامتثالاً لأمره، وخص السجود بالذكر، لأنه غاية الذل والخضوع، وهو لا يكون إلا لله، وفعله لغيره كفر، لأنه روح الصلاة وأعظم أركانها، ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد». قوله: (متلبسين) ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي جمعوا في سجودهم، بين التنزيه والحمد، فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض، وبقولهم سبحان الله والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده، فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد، ويطلب فيه أيضاً الدعاء، وما ورد فيما يقال في سجدات القرآن: اللهم اكتب لي بها أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام. قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي لا يتكبرون ولا يأنفون.

قوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ أسند التجافي للجنوب، لأن الواعظ الذي يكون سبباً في القيام للصلاة

مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يتصدقون ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ خبىء ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ما تقرُّ به أعينهم، وفي قراءة بسكون الياء مضارع ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أي المؤمنون والفاسقون ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا﴾ هو ما يعدُّ للضيف ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا

ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب، فالإنسان إذا كان مشغولاً بربه، سلط عليه واعظ في قلبه يقلقه، فيكون قليل النوم والهجوع، قال تعالى: ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ فإذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة، وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب. قوله: **(لصلاتهم بالليل)** أي لما فيها من نور القلب ورضا الرب، لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل، حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون». قوله: **﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾** أي لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهم. والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلاً، وإلا فنحن نعلمه إجمالاً، كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك، لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول، ففي الحديث: «لموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها». قوله: **﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** أي سرورها وفرحها، فلا يلتفتون لغيره. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(مضارع)** أي والفاعل مستتر تقديره أنا، ففي الحديث: «أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قوله: **﴿جَزَاءً﴾** مفعول مطلق أو مفعول لأجله.

قوله: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً﴾** إلخ، سبب نزولها: أنه كان بين علي بن أبي طالب وعقبة بن أبي معيط تنازع، فقال الوليد بن عقبة لعلي: اسكت فإنك صبي، وأنا والله أبسط منك لساناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال علي: اسكت فإنك فاسق. وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. قوله: **﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً﴾** أي كافراً. قوله: **﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾** أي في المآل، وقد راعى المعنى فجمع، لأن المراد الفريق في كل، وروي أنه ﷺ كان يعتمد الوقف على قوله: **﴿فَاسِقاً﴾** ويبتدىء بقوله: **﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾**

قوله: **﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** تفصيل لما أجمل أولاً. قوله: **﴿نُزُلاً﴾** أي مهيأة ومعدة لاكرامهم، كما تهيأ التحف للضيف النازل بالكرام. قوله: **﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** أي بسبب كونهم يعملون الصالحات.

قوله: **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾** لم يقل وعملوا السيئات، إشارة إلى أن مجرد الكفر كاف في الخلود في النار، فلا التفات إلى الأعمال معه، وأما العمل الصالح، فله مع الإيمان تأثير، فلذا قرنه به. قوله: **﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾** أي مسكنهم ومنزلهم. قوله: **﴿كُلَّمَا أَرَادُوا﴾** إلخ، بيان لكون النار مأواهم. روي أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها، حتى إذا قربوا من بابها، وأرادوا أن يخرجوا منها، يضربهم لهبها

﴿عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض ﴿دُونَ﴾ قبل ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ إلى الإيمان ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي لا أحد أظلم منه ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي موسى أو الكتاب ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ياء، قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دينهم وعلى البلاء من عدوهم ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ من أمر الدين ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيراً ﴿مِّنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم بكفرهم

فيهوون إلى قعرها، وهكذا يفعل بهم أبداً. قوله: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ عطف على ﴿أُعِيدُوا﴾ والقائل لهم الخزنة. قوله: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ صفة لعذاب، وعبر هنا بالتذكير، نظراً للمضاف وهو العذاب، وفي سبأ بالتأنيث، نظراً إلى المضاف إليه وهو النار. قوله: **(والجدب سنين)** أي بمكة سبع سنين، حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب. قوله: **(أي من بقي منهم)** أي بعد القحط وبعد يوم بدر، والترجي في القرآن بمنزلة التحقيق، وقد تحقق ذلك عند الفتح.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلخ، هذا بيان إجمالي لحال المكذب أثر بيانه تفصيلاً. قوله: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي ترك الإيمان بها. قوله: **(أي لا أحد)** إلخ، أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ الحكمة في ذكر موسى، قربه من النبي ووجود من كان على دينه، لتقوم الحجة عليهم. قوله: **(وقد التقيا ليلة الإسراء)** أي في الأرض عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره، وفي السماء السادسة، كما ورد بذلك الحديث، وفي كلامه إشارة إلى أن الضمير في لقائه عائد على موسى، والمصدر مضاف لمفعوله، أي من لقائك موسى ليلة الإسراء، وهو أقوى الاحتمالات في هذا الموضع. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي وهم الأنبياء الذين كانوا في بني إسرائيل، أو اتباع الأنبياء. قوله: **(وابدال الثانية ياء)** تقدم أنها سبعية، لكن من طريق الطيبة، لا من طريق الشاطبية. قوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ أي تحملوا المشاق، فالصبر عواقبه خير كما قيل:

الصبر كالصبر مر في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حق صبرهم. قوله: ﴿وَكَانُوا﴾ عطف على ﴿صَبَرُوا﴾. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً، وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية، أي جعلناهم أئمة لأجل صبرهم. قوله: (بينهم) أي المؤمنين والمشركين، أو بين الأنبياء وأممهم. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم، إلخ. قوله: ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ ﴿مِن﴾ بيانية لكم، و ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حال من ﴿الْقُرُونِ﴾. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي المذكورة من كثرة

﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير لهم ﴿فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ سماع تدبر واتعاظ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين ﴿مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ يمهلون لتوبة أو معذرة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ﴾ أنزال العذاب بهم ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

إهلاك الأمم الخالية. قوله: (**اليابسة التي لا نبات فيها**) أي التي قطع وأزيل بالمرة، فالجزر معناه القطع، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها، وقيل المراد بالجزر موضع باليمن. قوله: ﴿**تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ**﴾ قدم الأنعام لأن أكلها مقدم، لكونها تأكله قبل أن يثمر.

قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْفَتْحُ**﴾ سبب نزولها: أن المسلمين كانوا يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين، ويفصل بيننا وبينهم، وكان أهل مكة إذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاءاً: متى الفتح؟ قوله: ﴿**قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ**﴾ المراد به يوم القيامة، لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين. قوله: ﴿**لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ**﴾ أي لأن الإيمان المقبول، هو الذي يكون في الدنيا، ولا يقبل بعد خروجهم منها. قوله: ﴿**وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ أي يؤخرون، وقوله: (**أو معذرة**) أي اعتذار. قوله: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ أي اتركهم ولا تتعرض لهم. قوله: (**وهذا قبل الأمر بقتالهم**) أي فهو منسوخ بآية الجهاد، ويحتمل أن الآية محكمة، ومعنى فأعرض عنهم، أي اقبل عذر من أسلم منهم، واترك ما هو عليه، وقد وقع منه ذلك، فقد، عفا عن وحشي حين أسلم بعد قتله حمزة عمه ﷺ، وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الأَحْزَابِ

مدنيّة
وآياتها ثلاث وسبعون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ دم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ ﴿١﴾ فيما يخلقه ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ﴿٢﴾ وفي قراءة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحزاب مدنية

وهي ثلاث وسبعون آية

أي التي ذكر فيها قصة الأحزاب، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم، وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة، وكانت فيها آية الرجم «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» فألقى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة، خلافاً للروافض حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلها الداجن. قوله: (مدنية) أي بإجماع.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال: يا موسى، يا عيسى، يا داود، لكونه ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق، فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والإجلال حيث قال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وإن ذكر اسمه صريحاً، أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال:﴿محمد رسول الله﴾ ﴿وما محمد إلا رسول﴾إلى غير ذلك. قوله: (أي دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال: إن في الآية تحصيل الحاصل، وسبب نزول هذه الآية، أن أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمي، قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبي رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة، وقل إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربك، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لنا في قتلهم، فقال: إني أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة.

قوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ تعليل للأمر والنهي. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾

بالفوقانية ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ حافظاً لك، وأمته تبع له في ذلك كله ﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ رداً على من قال من الكفار: إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي﴾ بهمزة وياء وبلا ياء ﴿تُظَاهِرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ بقول الواحد مثلاً لزوجته: أنت عليَّ كظهر أمي ﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ أي كالأمهات في تحريمها بذلك، لعد ذلك في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعيّ وهو من يدعي

الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية، وضمير النبي وأمته على قراءة الفوقانية، وهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي اعتمد عليه وفوض أمورك إليه. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ الباء زائدة في فاعل كفى و ﴿وَكِيلاً﴾ حال. قوله: (تبع له في ذلك) أي فيما ذكر من قوله: ﴿اتَّقِ اللهَ﴾ إلى هنا. قوله: ﴿مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ أي لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده،لأنـه يؤدي للتناقض، وهو أن يكون كل منهما أصلاً لكل قوى الجسد وغير أصل له. قوله: (رداً على من قال) إلخ، أي وهو أبو معمر، جميل بن معمر الفهري، كان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع، فقالت قريش: ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء، إلا من أجل أن له قلبين، وكان يقول: لي قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد. فلما هزم الله المشركين يوم بدر، انهزم أبو معمر، لقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله، فقال له: يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال: انهزموا، فقال: ما بال إحدى نعليك في يـدك، والأخرى في رجلك، فقال أبو معمر: ما شعرت إلا أنهما في رجلي، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان، لما نسي نعله في يده. قوله: (بهمزة وياء بلا ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التي، قال ابن مالك: باللات واللاء التي قد جمعا. قوله: (بلا ألف قبل الهاء) أي فأصله تتظهرون بتاءين، سكنت الثـانية وقلبت ظاء وأدغمت في الظاء. قوله: (وبها والتاء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء) أي فهما قراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين، حذفت احداهما وضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء أيضاً مضارع ظاهر، وهذه القراءات واردة في قد سمع أيضاً، غير فتح التاء والهاء وتخفيف الظاء، لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه، وفي الماضي ثلاث لغات: تظهر كتكلم، وتظاهر كتقاتل، وظاهر كقاتل. قوله: (بقول الواحد مثلاً لزوجته) إلخ، أي وضابطه أن يشبه زوجته كلاً أو بعضاً بظهر مؤبـدة التحريم. قوله:﴿أُمَّهَاتِكُمْ﴾ مفعول ثان لجعل. قوله: (بشرطه) أي وهو العزم على العود، فإن لم يعزم على العود، فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسها، وإلا تحتمت عليه، ولو طلقها بعد ذلك.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ نزلت في حق زيد بن حارثة، وهو كما روي كان من سبايا الشام، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه، فقال لهما النبي ﷺ: خيراه، فاختار الرق مع رسول الله ﷺ على حريته وقومه، فقال النبي ﷺ عند ذلك: يا معشر قريش، اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه، وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم على ذلك، فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا، فزوجة رسول

لغير أبيه ابناً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي ﷺ قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فأكذبهم الله تعالى في ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ﴿٤﴾ سبيل الحق لكن ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ بنو عمكم ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَٰكِن﴾ في ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه وهو بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٥﴾ بكم في ذلك ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ

الله ﷺ زينب بن جحش، فمكثت معه مدة، ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب، فلما طلقها زيد، تزوجها رسول الله، فتكلم المنافقون وقالوا: تزوج محمد حليلة ابنه وهو يحرمها، فنزلت هذه الآية رداً عليهم، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة. قوله: (جمع دعيّ) أي بمعنى مدعو وأصله دعيو، اجتمعت الواو والياء، وسبقت إحداهما بالسكون، قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء. قوله: (أي اليهود) تفسير للكاف في أفواهكم.

قوله: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾ روي عن عمر بن الخطاب قال: ما كنا ندعو زيد بن حارثة، إلا زيد ابن محمد، حتى نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾. قوله: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق. قوله: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي فادعوهم بمادة الأخوة، بأن تقولوا له يا أخي مثلاً. قوله: (بنو عمكم) تفسير للموالي، فإنه يطلق على معان من جملتها ابن العم، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص، وأردتم خطابه، فقولوا له: يا ابن عمي مثلاً. قوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أي إثم قوله: ﴿وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ﴾ أي ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم.

قوله: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي أنه ﷺ أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولاً، فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس، في كل شيء من أمور الدين والدنيا، لأنها طاعة الله، قال تعالى: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ وإذا كان أولى بهم من أنفسهم، فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى، فحقه ﷺ على أمته أعظم من حق السيد على عبده، وهذه الآية أعظم دليل على أنه ﷺ هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق. قوله: (فيما دعاهم إليه) أي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة، فإذا طلب النبي شيئاً من أمر الدنيا أو الدين، وطلبت النفس خلافه، فالحق في الطاعة للنبي، وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة، ولكن من كمال أخلاقه، أنه كان يتداين مع اليهود، ويشتري الشيء بالثمن، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين، لأنه ﷺ لا يفعل شيئاً عن هوى نفسه، بل عن وحي، فجميع أفعاله وأقواله عن ربه.

قوله: ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي من عقد عليهن، سواء دخل بهن أو لا، مات عنهن أو طلقهن، وسراريه اللاتي تمتع بهن كذلك. قوله: (في حرمة نكاحهن عليهم) أي والتعظيم والاحترام والبر، لا في

أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فنسخ ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَٰلِكَ﴾ أي نسخ الإرث بالإيمان والهجرة، بإرث ذوي الأرحام ﴿فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ وأريد بالكتاب في الموضعين اللوح المحفوظ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾ شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى، ثم أخذ الميثاق ﴿لِّيَسْـَٔلَ﴾ الله ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالى ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾

غير ذلك من النظر والخلوة، فإنهن في ذلك كالأجانب. قوله: ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ﴾ مبتدأ، و ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل أو مبتدأ ثان، و ﴿أَوْلَى﴾ خبر. قوله: **(في الإرث)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير الأقارب، أولى بإرث بعضهم، من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب. قوله: **(أي من الإرث بالإيمان والهجرة)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بأولى. يعني أن الأقارب أولى بإرث بعضهم، من الإرث بسبب الإيمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام، وذلك أن النبي ﷺ كان يؤاخي بين الرجلين، فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته، حتى نزلت ﴿وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾.

قوله: ﴿إِلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا﴾ استثناء منقطع، ولذا فسره بلكن. قوله: ﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ أي من توالونه من الأجانب. قوله: **(بوصية)** أي فلما نسخ الإرث بالإيمان والهجرة، توصل إلى نفع الأجانب بالوصية، وهي خارجة من ثلث المال. قوله: ﴿مَسْطُوراً﴾ أي مكتوباً. قوله: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا﴾ ظرف لمحذوف قدره بقوله: **(اذكر)**. قوله: **(وهي أصغر النمل)** أي فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة. قوله: **(بأن يعبدوا الله)** أي يوحدوه، وهو تفسير للميثاق. قوله: **(ويدعوا إلى عبادته)** أي يبلغوا شرائعه للخلق، فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق. قوله: **(من عطف الخاص على العام)** أي والنكتة كونهم أولي العزم ومشاهير الرسل، وقدمه ﷺ لمزيد شرفه وتعظيمه قوله: **(بما حملوه)** أي وهو عبادة الله والدعاء إليها. قوله: **(وهو اليمين)** أي الحلف بالله على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته، فالميثاق الثاني غير الأول، لأن الأول إيصاء على التوحيد، والدعوى إليه من غير يمين، والثاني مغلظ باليمين، والشيء مع غيره غيره في نفسه.

قوله: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بأخذنا، وفي الكلام التفات من التكلم للغيبة، كما أشار له المفسر بقوله: **(ثم أخذ الميثاق)** والمراد بالصادقين الرسل. قوله: **(تبكيتاً للكافرين)** أي تقبيحاً عليهم، أي فالحكمة في سؤال الرسل عن صدقهم، وهو تبليغهم ما أمروا به، مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة. قوله: **(هو عطف على أخذنا)** ويصح أن يكون في الكلام احتباك، وهو الحذف من الثاني، نظير ما أثبت الأول، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم، فأعد لهم نعيماً مقيماً، ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم، وأعد لهم عذاباً أليماً.

بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ مؤلماً هو عطف على أخذنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾ هذا شروع في ذكر قصة غزوة الأحزاب، وكانت في شوال سنة أربع وقيل خمس، وسببها أنه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم، سار منهم جمع أكابرهم، منهم حيي بن أخطب، وكنانة بن الربيع، وأبو عمار الوائلي، في نفر من بني النضير، إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر اليهود، إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق، فأنزل الله﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ إلى قوله: ﴿وكفى بجهنم سعيرا﴾ فلما قالوا ذلك لقريش، سرهم ونشطوا لحرب محمد، ثم خرج أولئك اليهود، حتى جاؤوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك، وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن، ولما تهيأ الكل للخروج، أتى ركب من خزاعة في أربع ليال، حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه، فشرع في حفر الخندق، بإشارة سلمان الفارسي فقال له: يا رسول الله، إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا، فعمل فيه النبي والمسلمون حتى احكموه، وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً، ومكثوا في حفره ستة أيام، وقيل خمسة عشر، وقيل أربعة وعشرين، وقيل شهراً. قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً، فحفرنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ وأخبره بخبر هذه الصخرة، فأتى سلمان إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق، فكسرت حديدنا وشقت علينا، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحب أن نجاوز خطتك، فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان إلى الخندق، وأخذ المعول مع سلمان، وضربها به ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، يعني المدينة، حتى كأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثانية، فبرق منها مثل الأول، فكبر رسول الله ﷺ وكبر المسلمون معه، ثم ضربها الثالثة فكسرها، فبرق منها برق مثل الأول، وأخذ بيد سلمان ورقي، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئاً ما رأيت مثله قط، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم وقال: «أرأيتم ما يقول سلمان»؟ قالوا: نعم، قال: ضربت ضربتي الأولى، فبرق البرق الذي رأيتم، فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثانية، فبرق لي الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت الثالثة، فبرق الذي رأيتم، أضاءت لي منها قصور صنعاء، كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا، فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صدق، وعدنا النصر بعد الحصر، فقال المنافقون: ألا تعجبون؟ يمنيكم ويعدكم الباطل، ويخبر أنه ينظر من يثرب، قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم، وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ وقوله تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ الآية فلما فرغوا من حفره، أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفاً، فنزلوا حول

المدينة، والخندق بينهم وبين المسلمين، فلما رأته قريش قالوا: هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون معه، حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم، وخرج عدو الله حيي بن أخطب رئيس بني النضير، حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فلما سمع كعب حيياً، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له وقال له: ويحك يا حيي إنك امرؤ ميشوم، إني عاهدت محمداً فلست بناقض، فإني لم أر منه إلا وفاء وصدقاً، فما زال حيي به ويقول له: جئتك بعز الدهر، حتى فتح له ونقض عهد رسول الله، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله، بعث لهم سعد بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعبد الله بن رواحة، فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، فشاتموهم وقالوا لهم: لا عهد بيننا وبينكم، ورجعوا وأخبروا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل، ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوماً، وقيل أربعة وعشرين يوماً فاشتد على المسلمين الخوف، ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي من غطفان، جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له: إني أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمرني بما شئت، قال له رسول الله ﷺ؟ «أخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم في الجاهلية، فقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان جاؤوا لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيئتكم، البلد بلدكم، به أموالكم وأولادكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغيره، وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا، وإن كان غير ذلك، لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين هذا الرجل، ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم، فلا تقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً، حتى لا يتأخروا، قالوا: لقد أشرت برأي ونصح، ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: قد عرفتم ودي إياكم وفراقي محمداً، فقد بلغني أمر، رأيت حقاً علي أن أبلغكم نصحاً لكم فاكتموا علي، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم، فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم، فأرسل إليهم أن نعم، فإن بعث إليكم يهود يلتمسون رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً، ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا علي، قالوا: نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم، فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان مما صنع الله لرسوله ﷺ، أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، لا وهو يوم نعمل فيه شيئاً، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً، فأصابهم ما لم يخف عليكم، ولسنا من الذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهناً من رجالكم، يكون بأيدينا ثقة لنا، حتى نناجز معكم محمداً، فإنا نخشى إن ضرمتكم الحرب، واشتد عليكم القتال، أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل

جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين

في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد، فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان، إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا عليهم، وخذل الله عز وجل بينهم، وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً، وهي ريح الصبا، في ليلة شديدة البرد والظلمة، فقلعت بيوتهم، وقطعت أطنابهم، وكفأت قدورهم، وصارت تلقي الرجل على الأرض، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل، بل نفثت في قلوبهم الرعب، ثم إن رسول الله ﷺ قال: «من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم»، أدخله الله الجنة، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً من الليل، ثم التفت الينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد، ثم صلى هوياً من الليل، ثم التفت الينا فقال مثله، فسكت القوم، وما قام منا أحد من شدة الخوف والجوع والبرد، ثم قال: يا حذيفة، فقلت: لبيك يا رسول الله وقمت حتى أتيته، فأخذ بيدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال: ائت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم، ولا تحدثن شيئاً حتى ترجع إلي، ثم قال: اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته، فأخذت سهمي ثم انطلقت أمشي نحوهم، كأنما أمشي في حمام، فذهبت فدخلت في القوم، وقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، وأبو سفيان قاعد يصطلي، فأخذت سهماً فوضعته في كبد قوسي، فأردت أن أرميه، ولو رميته لأصبته، فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن حدثاً حتى ترجع، فرددت سهمي في كنانتي، فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقال يا معشر قريش، ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو، فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ فقال: سبحان الله ما تعرفني؟ أنا فلان بن فلان رجل من هوزان، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، فقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث، فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فاستمروا راجعين إلى بلادهم، قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ كأني أمشي في حمام، فأتيته وهو قائم يصلي، فلما سلم أخبرته، فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفأ، فأتاني النبي ﷺ فأنامني عند رجليه، وألقى علي طرف ثوبه، وألصق صدري ببطن قدميه، فلم أزل نائماً حتى أصبحت، فلما أصبحت قال: قم يا نومان.

قوله: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ﴾ بدل من ﴿نِعْمَةَ﴾ والعامل ﴿اذْكُرُوا﴾. قوله: (متحزبون) أي مجتمعون، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفاً، وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف، والمنافقون من جملتهم. قوله: ﴿رِيحاً﴾ أي من الصبا التي تهب من المشرق ولم تتجاوزهم. قوله: (ملائكة) أي وكانوا ألفاً ولم يقاتلوا،

﴿بَصِيرًا ﴾ ﴿٩﴾ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أعلى الوادي وأسفله، من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت عن كل شيء إلى عدوها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ﴿١٠﴾ المختلفة بالنصر واليأس ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ اختبروا ليتبين المخلص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ حركوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ﴿١١﴾ من شدة الفزع ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٢﴾ باطلاً ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي المنافقين ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم وفتحها، أي لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلى سلع، جبل خارج المدينة للقتال ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة يخشى عليها، قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾ ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿١٣﴾ من القتال ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ نواحيها

وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم. قوله: (وبالياء) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ﴾ بدل من إذا جاءتكم. قوله: **(من أعلى الوادي)** أي وهم أسد وغطفان. قوله: **(وأسفله)** أي وهم قريش وكنانة. قوله: **(من المشرق والمغرب)** لف ونشر مرتب. قوله: **(من كل جانب)** أي المحيط من كل جانب. قوله: **(وهي منتهى الحلقوم)** أي من أسفله. قوله: ﴿الظُّنُونَا﴾ بألف بعد النون وصلاً ووقفاً، وبدونها في الحالين، وبإثباتها وقفاً، وحذفها وصلاً، ثلاث قراءات سبعيات، وتجري في قوله أيضاً ﴿السبيلا﴾ و ﴿الرسولا﴾ في آخر السورة. قوله: **(بالنصر)** أي من المؤمنين، وقوله: **(واليأس)** أي من المنافقين وبعض الضعفاء. قوله: ﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق. قوله: ﴿زِلْزَالاً﴾ بكسر الزاي في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بفتح الزاي، وهما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال، كصلصال وقلقال.

قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ إلخ، القائل معتب بن بشير، وقال أيضاً: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً، ما هذا إلا وعد غرور. قوله: ﴿وَإِذْ قَالَت طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ القائل وهو أوس بن قيظي، بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين. قوله: **(هي أرض المدينة)** أي فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديماً، وقد نهى النبي ﷺ عن تسميتها بذلك، وسماها طيبة وطابة وقبة الإسلام ودار الهجرة. قوله: **(ووزن الفعل)** أي فهي على وزن يضرب. قوله: **(بضم الميم وفتحها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(ولا مكانة)** أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة. قوله: **(جبل خارج المدينة)** أي بينها وبين الخندق، فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوهم للعدو.

قوله: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ﴾ عطف على ﴿قَالَتْ طَائِفَةٌ﴾ وعبر بالمضارع استحضاراً للصورة. قوله: **(يخشى عليها)** أي من السراق لكونها قصيرة البناء. قوله: **(قال تعالى)** أي تكذيباً لهم. قوله: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ

﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟﴾ أي سألهم الداخلون ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ الشرك ﴿لَءَاتَوْهَا﴾ بالمد والقصر، أي أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ ﴿١٥﴾ عن الوفاء به ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾ إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ بقية آجالكم ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾ يجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾ هلاكاً وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾ خيراً ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٧﴾ يدفع الضر عنهم ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾ تعالوا ﴿إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٨﴾ رياء وسمعة ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة جمع شحيح، وهو حال من ضمير يأتون ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ

عَلَيْهِمْ﴾ أي دخلها الأحزاب. قوله: (الشرك) أي ومقاتلة المسلمين. قوله: (بالمد والقصر) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي أعطوها وفعلوها) لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إلاَّ يَسِيراً﴾ أي أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا زمناً قليلاً ويهلكون، فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى لو دخل الكفار المدينة، وارتد هؤلاء المنافقون، وقاتلوكم مع الكفار، لأخذ الله بأيديكم سريعاً بقطع دابرهم، فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها. قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي قبل غزوة الخندق. قوله: ﴿لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾ أي بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء. قوله: ﴿مَسْؤُولاً﴾(عن الوفاء به) أي مسؤولاً صاحبه هل وفى به أم لا.

قوله: ﴿إنْ فَرَرْتُم مِنَ الْموتِ أَوْ الْقَتْلِ﴾ أي لأنه مصيبكم لا محالة. قوله: ﴿وَإذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ أي وإن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير، لم يكن ذلك التمتع إلا زمناً قليلاً. قوله: ﴿أو أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ قدر له المفسر عاملاً يناسبه وهو قوله: ﴿أوْ﴾(يصيبكم بسوء) لأنه لا يصلح لتساقط العامل السابق وهو ﴿يَعْصِمُكُمْ﴾ على حد: علفتها تبناً وماء بارداً. قوله: (المثبطين) أي المكسلين غيرهم من القتال في سبيل الله وهم المنافقون.

قوله: ﴿وَالْقَائِلِينَ﴾ عطف على ﴿الْمُعَوِّقِينَ﴾ وقوله: ﴿لإخْوَانِهِمْ﴾ أي في الكفر والعداوة لرسول الله ﷺ، والمراد بالقائلين اليهود من بني قريظة. قوله: ﴿هَلُمَّ إلَيْنَا﴾ اسم فعل، ويلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، وهذه لغة أهل الحجاز، وعند تميم هو فعل أمر، تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث، ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا، ويصح جعله متعدياً بمعنى قربوا، ومفعوله محذوف، والتقدير أنفسكم إلينا. قوله: (رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يفعله إلا قليلاً لغرض خبيث.

قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي مانعين للخير عنكم. قوله: (جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء، كخليل وأخلاء، والشح البخل. قوله: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ﴾ إلخ، هذا وصف لهم بالجبن،

﴿كَالَّذِي﴾ كنظر أو كدوران الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾ آذوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ أي الغنيمة يطلبونها ﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ حقيقة ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (١٩) بإرادته ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة لخوفهم منهم ﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كرة أخرى ﴿يَوَدُّوا﴾ يتمنوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي كائنون في البادية ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾ أخباركم مع الكفار ﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ هذه الكرة ﴿مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٠) رياء وخوفاً من التعيير ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ بكسر الهمزة وضمها ﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾ بدل من لكم ﴿كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) بخلاف من ليس كذلك ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من

لأن شأن الجبان الخائف ينظر يميناً وشمالاً، شاخصاً ببصره. قوله: (كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ نعت لمصدر محذوف من ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أو من ﴿تَدُورُ﴾. قوله: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله. قوله: ﴿سَلَقُوكُمْ﴾ السلق بسط العضو ومده للقهر، كان يداً أو لساناً، ففي الآية استعارة بالكناية، حيث شبه اللسان بالسيف، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب، فإثباته تخييل والحداد ترشيح. قوله: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيرِ﴾ أي مانعين له، فلا نفع في أنفسهم ولا في مالهم. قوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾(حقيقة) أي بقلوبهم وإن أسلموا ظاهراً.

قوله: ﴿فَأَحْبَطَ الله أَعْمَالَهُمْ﴾ أي أظهر بطلانها. قوله: ﴿يَحْسَبُونَ﴾ أي المنافقون لشدة جبنهم. قوله: ﴿الأَحْزَابَ﴾ أي قريشاً وغطفان واليهود. قوله: ﴿لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ﴾ أي ساكنون في البادية خارج المدينة، ليكونوا في بعد عن الأحزاب. قوله: ﴿يَسْئَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ يصح أن يكون حالاً من الواو في ﴿بَادُونَ﴾ أو جملة مستأنفة، والمعنى يسألون كل قادم من جانب المدينة، عما جرى بينكم وبين الكفار، وقائلين فيما بينهم: إن غلب المسلمون قاسمناهم في الغنيمة، وإن غلب الكفار فنحن معهم.

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ هذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ من تمام قصة الأحزاب، وفيها عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله ﷺ من المؤمنين والمنافقين. قوله: (بكسر الهمزة وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الائتساء، يقال ائتسى فلان بفلان أي اقتدى به. قوله: (في القتال) لا مفهوم له، بل الاقتداء برسول الله ﷺ واجب في الأقوال والأفعال والأحوال، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى، بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه، ولذا قال العارف:

وخصك بالهدى في كل أمر   فلست تشاء إلا ما يشاء

وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب. قوله: ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ أي فالمتصف بهذه الأوصاف، ثبتت له الأسوة الحسنة في رسول الله، وأما من لم يكن متصفاً بتلك الأوصاف،

الكفار ﴿قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾ تصديقاً بوعد الله ﴿وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ لأمره ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ من الثبات مع النبي ﷺ ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ مات أو قتل في سبيل الله ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ في العهد وهم بخلاف حال المنافقين ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٗا ٢٤﴾ به ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي الأحزاب ﴿بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ﴾ مرادهم من الظفر بالمؤمنين ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزٗا﴾ غالباً على أمره ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمۡ﴾ حصونهم جمع صيصية وهو ما يتحصن به

فليس كذلك. قوله: ﴿وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾ أي بلسانه أو جنانه أو ما هو أعم. قوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ﴾ أي أبصروهم محدقين حول المدينة. قوله: ﴿قَالُوا هٰذَا مَا وَعَدَنَا الله﴾ أي بقوله: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾. وقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ أي بقوله: إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر، والعاقبة لكم عليهم. قوله: ﴿وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ﴾ أي ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر، فاستبشروا بالنصر قبل حصوله، وأظهر في محل الإضمار، وزيادة في تعظيم اسم الله، ولأنه لو أضمر الجمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد، مع أن النبي ﷺ عاب على من قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، فقال له: بئس خطيب القوم أنت، قل: ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾. قوله: ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾(ذلك) أي والوعد أو الصدق.

قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا﴾ إلخ، هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا. قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أي وفى نذره بموته في القتال، يقال: نحب ينحب، من باب قتل نذر، ومن باب ضرب بكى. قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾(ذلك) أي قضاء النحب بالموت في سبيل الله. قوله: (بخلاف حال المنافقين) أي فقد بدلوا وغيروا، فكان الواحد منهم إذا أراد القتال، إنما يقاتل خوفاً على نفسه وماله، لا طمعاً في رضا الله. قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الله الصَّادِقِينَ﴾ متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزي الله، إلخ. قوله: (بأن يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، ودفع بذلك ما يقال: إن عذابهم متحتم، فكيف علق على المشيئة؟ فالتعليق بحسب علمنا، وأما في علم الله فالأمر محتم، إما بالسعادة أو الشقاوة، وسيظهر ذلك للعباد. قوله: ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ الجملة حالية أي ملتبسين بالغيظ. قوله: ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾ حال ثانية. قوله: ﴿وَكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ أي لم يحصل بينهم اختلاط في الحرب، وإنما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم. قوله: (بالريح) أي فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم. قوله: (والملائكة) أي بإلقاء الرعب في قلوبهم، وتقدم بسط ذلك في القصة.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ إلخ، شروع في ذكر قصة بني قريظة، وذكرت

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ٢٦﴾ منهم أي الذراري ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعد وهي خيبر أخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وهن تسع وطلبن

عقب الأحزاب، لكون بني قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه، قال العلماء بالسير: لما أصبح رسول الله ﷺ من الليلة التي انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم، انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر، أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق، راكباً على بغلة بيضاء، عليها قطيفة من ديباج، ورسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه، وقد غسلت شقه الأيمن، فقال: يا رسول الله قد وضعت السلاح؟ قال: نعم، قال جبريل: عفا الله عنك، وما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم، فقال: إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة فانهض اليهم، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال، وألقيت الرعب في قلوبهم، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي: إن من كان مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رسول الله ﷺ: أتنزلون على حكمي؟ فأبوا فقال: أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس؟ فرضوا به، فحكمه فيهم، فقال سعد: إني أحكم فيهم، أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري ـ النساء ـ فقال ﷺ: ﴿لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات﴾، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار بنت الحرث، من نساء بني النجار، ثم خرج إلى سوق المدينة الذي هو سوقها اليوم، فخندق فيه خندقاً، ثم بعث إليهم، فأتى بهم اليه وفيهم حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكعب بن أسد رئيس بني قريظة، وكانوا ستمائة أو سبعمائة، فأمر علياً والزبير بضرب أعناقهم، وطرحهم في ذلك الخندق، فلما فرغ من قتلهم وانقضى في شأنهم، توفي سعد المذكور بالجرح الذي أصابه في وقعة الأحزاب، وحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت عائشة: فوالذي نفس محمد بيده. إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي، قالت: وكانوا كما قال الله تعالى ﴿رحماء بينهم﴾. قوله: (وهو ما يتحصن به) أي سواء كان من الحصون أو لا، حتى الشوكة والقرن وباب الدار ونحو ذلك، تسمى صيصية.

قوله: ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ بيان لما فعل بهم. قوله: (وهم المقاتلة) أي وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة. قوله: (أي الذراري) أي وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين. قوله: (بعد) أي الآن وعبر بالماضي لتحقق الحصول. قوله: (وهي خيبر) أي وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة. قوله: (أخذت بعد قريظة) أي بسنتين أو ثلاث، على الخلاف المتقدم في قريظة، هل هي في الرابعة أو الخامسة، وخيبر كانت في السابعة في أول محرم، هي مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية، وذات مزارع ونخل كثير، بينها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل، فأقبل عليها صبيحة النهار، وفي تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا، وكان فيها عشرة آلاف مقاتل، فنزل رسول الله ﷺ عليها وحاصرها، وبنى هناك مسجداً صلى به طول مقامه عندها، وقطع من نخلها أربعمائة نخلة، وسبى أهلها، وأصاب من سبيها صفية بنت حيي بن أخطب رئيس بني النضير، وكانت وقعت في سهم دحية الكلبي، فتنازع بعض

منه من زينة الدنيا ما ليس عنده ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ ﴿٢٨﴾ أطلقكن من غير ضرار ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢٩﴾

الصحابة في شأن ذلك، فأخذها رسول الله وأرضاه، وكانت من سبط هارون أخي موسى، فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾** اختلف المفسرون في هذا التخيير، هل كان تفويضاً في الطلاق إليهن، فيقع بنفس الاختيار، أم لا؟ فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم، إلى أنه لم يكن تفويضاً في الطلاق، وإنما خيرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن، لقوله تعالى: **﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾** وذهب قوم إلى أنه كان تفويضاً، وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقاً، فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله ﷺ. قوله: **(وهن تسع)** أي وهن اللاتي مات عنهن، وقد جمعهن بعض العلماء بقوله:

توفي رسول الله عن تسع نسوة	إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية	وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة	ثلاث وست نظمهن مهذب

فعائشة هي بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، وهند هي أم سلمة بنت أبي أمية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية، ورملة هي أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرث، وسودة هي بنت زمعة.
قوله: **﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾** أي التنعم فيها. قوله: **﴿وَزِينَتَهَا﴾** أي زخارفها، روي أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي ﷺ جالساً واجماً ساكتاً وحوله نساؤه، قال عمر: فقلت: والله لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: تسألن رسول الله ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ما ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً، ثم نزلت هذه الآية **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ﴾** حتى بلغ **﴿لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾** قال: فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً، أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وكلهن قلن كما قالت عائشة، فشكر لهن ذلك، فأنزل الله **﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾** ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى: **﴿وما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾** وبقوله: **﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾**.

قوله: **﴿فَتَعَالَيْنَ﴾** فعل أمر مبني على السكون، ونون النسوة فاعل. قوله: **﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾** جواب الشرط وما بينهما اعتراض، ويصح أن يكون مجزوماً في جواب الأمر، والجواب **﴿فَتَعَالَيْنَ﴾** قوله:

أي الجنة فاخترن الآخرة على الدنيا ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة ﴿يُضَٰعَفْ﴾ وفي قراءة يضعف بالتشديد، وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب ﴿لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرهن أي مثليه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾ يطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة بالتحتية في تعمل ونؤتها ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ في الجنة زيادة ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ كجماعة ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله

(أطلقكن من غير ضرار) أي من غير تعب ومشقة. قوله: **(فاخترن الآخرة على الدنيا)** أي ودمن على ذلك، فكن زاهدات في الدنيا، حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال، فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئاً تفطر به وكانت صائمة، فلم تجد منها شيئاً.

قوله: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ﴾** إلخ، هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي ﷺ إظهاراً لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى، لأن العتاب والتشديد في الخطاب، مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله ﷺ، لأنهن ضجيعاته في الجنة، فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله، خلافاً لمن شذ وزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك. قوله: **﴿بِفَاحِشَةٍ﴾** قيل المراد بها الزنا، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل، لحدت حدين، لعظم قدرها، كالحر بالنسبة للأمة، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي، بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا، ولذا قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما خانت امرأة نوح ولوط في الإيمان والطاعة، وقيل المراد بها النشوز وسوء الخلق، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط، وإن وردت منكرة فهي سائر المعاصي، وإن وردت منعوتة كما هنا، فهي عقوق الزوج وسوء عشرته، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد: لئن أشركت ليحبطن عملك، وإلا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش. قوله: **(بفتح الباء وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي بينت)** إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: **(وفي قراءة يضعف)** أي والثلاث سبعيات: قوله: **(العذاب)** أي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة. قوله: **(أي مثليه)** أي فضعف الشيء مثله، وضعفاه مثلاه، وأضعافه أمثاله.

قوله: **﴿وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾** أي سهلاً، فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته، فليس أمر الله كأمر الخلق بترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا، لكثرة أوليائهم وأعوانهم، بل المكرم عند الله هو التقي. قوله: **﴿وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾** أي تدم عليه، وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء، ومراعاة لفظها على قراءة الياء. قوله: **﴿مَرَّتَيْنِ﴾** أي مرة على الطاعة والتقوى، ومرة أخرى على خدمة رسول الله ﷺ الخدمة الباطنية التي لا تتيسر من غيرهن.

قوله: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾** تقدم أن حكمة التشديد عليهن، شدة قربهن من رسول الله ﷺ، وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن، فلا يليق منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا، لأن رسول الله ﷺ قال: «لست من الدنيا وليست الدنيا مني». والمقربون منه كذلك، والمعنى

فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ نفاق ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٢﴾ من غير خضوع ﴿وَقَرْنَ﴾ بكسر القاف وفتحها ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ بترك إحدى التاءين من أصله ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ

ليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء، فالتفاضل في الأفراد. قوله: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه، كما يشير له المفسر بقوله: (فإنكن أعظم) والمعنى أن اتقيتن الله، فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء. قوله: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾ كلام مستأنف مفرع على التقوى. قوله: ﴿بِالْقَوْلِ﴾ أي بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكن، إذ لا يليق منكن ذلك، لكونكن أعظم النساء.

قوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ في ذلك احتراس عما يقال: إنهن أمهات المؤمنين، والإنسان لا يطمع في أمه، فأجاب: بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو النفاق، لأن شهوته حاصلة معه، وهو منزوع الخشية والخوف من الله، ولكن نهين عموماً سداً للذريعة. قوله: ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي حسناً، فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لا ريبة فيه. قوله: (بكسر القاف وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (من القرار) أي الثبات بيان لمعنى القراءتين. قوله: (وأصله اقررن بكسر الراء) أي من باب ضرب، وقوله: (وفتحها) أي من باب علم، فماضي الأول مفتوح، والأمر مكسور، والثاني بالعكس. قوله: (نقلت حركة الراء) أي الأولى، وحركتها إما كسرة على الأول، أو فتحة على الثاني. قوله: (مع همزة الوصل) أي الاستغناء عنها بتحريك القاف، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة.

قوله: ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأولى﴾ اختلف في زمنها، فقيل هي ما قبل بعثة إبراهيم، وقيل ما بين آدم ونوح، وقيل ما بين نوح وإدريس، وقيل ما بين نوح وابراهيم، وقيل ما بين موسى وعيسى، وقيل ما بين عيسى ومحمد ﷺ، وقيل هي ما قبل الإسلام مطلقاً، وعليه اقتصر المفسر، وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه، وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى. قوله: (من اظهار محاسنهن للرجال) أي فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين، وكانت النساء يظهرن ما يقبح اظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها، فينفرد خلها بما فوق الإزار، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل. قوله: (والإظهار بعد الإسلام) إلخ، جواب عما يقال: إن اظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الإسلام، فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى، فأجاب: بأنه تقدم النهي عنه في قوله: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾.

قوله: ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ أي بشروطها وآدابها. قوله: ﴿وَآتِينَ الزَّكَوةَ﴾ أي لمستحقيها. قوله: ﴿وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي في جميع الأوامر والنواهي، فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به.

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ الإثم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ السنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا ۝٣٤﴾ بجميع خلقه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ على الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين ﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ على الطاعات ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى

قوله: ﴿الرِّجْسَ﴾ أي الذنب المدنس لعرضكن. قوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ منصوب على أنه منادى، وحرف النداء محذوف قدره المفسر. قوله: (أي نساء النبي) قصره عليهن لمراعاة السياق، وإلا فقد قيل: الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه، وأهل بيت نسبه وهن ذريته. قوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ أكده اشارة إلى الزيادة في التطهير بسبب التكاليف، فالعبادة والتقوى سبب للطهارة، وهي الخلوص من دنس المعاصي، فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصي، فهو ضال كذاب. قوله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ أي لتذكرن به أنفسكن أو غيركن، وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة، حيث جعلن من أهل بيت النبوة، وشاهدن نزول الوحي، وكل ذلك موجب للزوم التقوى. قوله: ﴿مِنْ آيَاتِ اللهِ﴾ بيان لما. قوله: ﴿لَطِيفاً﴾ أي عالماً بخفيات الأمور. قوله: ﴿خَبِيراً﴾ أي مطلعاً على كل شيء.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلخ، سبب نزولها: أن أزواج النبي ﷺ جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن: إن الله ذكر الرجال في القرآن، ولم يذكر النساء بخير، فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة، فسألت أم سلمة رسول الله ﷺ وكانت كثيرة السؤال له فقالت: يا رسول الله، ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء؟ فنخشى أن لا يكون فيهن خير، فنزلت جبراً لخاطرهن. قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إنما عطف وصفهم بالإيمان على وصفهم بالإسلام، وإن كانا متحدين شرعاً، نظراً إلى أنهما مختلفان مفهوماً، إذ الإسلام التلفظ بالشهادتين، بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي ﷺ، والإيمان الإذعان القلبي بشرط النطق باللسان، ويكفي في العطف أدنى تغاير.

قوله: ﴿وَالْحَافِظَاتِ﴾ حذف المفعول لدلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن. قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً﴾ أي بأي ذكر كان، من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي ﷺ، والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص، فالكثرة في حق العامة أقلها ثلاثمائة، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفاً، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم، ومنه قول العارف ابن الفارض:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوماً حكمت بردتي

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ﴾ أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق، وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا، وتارة في الامتناع عقلاً كما في قوله تعالى: ﴿وما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ وتارة

﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ﴾ أي الاختيار ﴿مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ خلاف أمر الله ورسوله؛ نزلت في عبدالله بن جحش وأخته زينب، خطبها النبي ﷺ وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما بظنهما قبل، أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ٣٦﴾ بيناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ﴾ منصوب باذكر ﴿تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ بالإعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه ﴿أَمۡسِكۡ

في الامتناع شرعاً كقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾. قوله: ﴿**إِذَا قَضَى الله وَرَسُولُهُ أَمْراً**﴾ ذكر اسم الله للتعظيم، وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله، لكونه لا ينطق عن الهوى، وإذا يصح أن تكون ظرفاً معمولاً لما تعلق به خبر كان، والتقدير وما كان مستقراً لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمراً كون الخيرة لهم، ويصح أن تكون شرطية، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله. قوله: ﴿**أَنْ تَكُونَ**﴾ اسم كان مؤخر، والجار والمجرور خبر مقدم. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان، فالتاء ظاهرة والياء نظراً إلى أن الخيرة مجازي التأنيث، أو للفصل بين العامل والمعمول. قوله: ﴿**الْخِيَرَةُ**﴾ بفتح الياء وقرىء شذوذاً بإسكانها، ومعناهما واحد وهو الاختيار. قوله: (**أي الاختيار**) أشار بذلك إلى أن الخيرة مصدر.

قوله: ﴿**مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ حال من الخيرة. قوله: (**وأخته زينب**) أي بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. قوله: (**خطبها النبي وعنى لزيد**) أي بعد أن كان زوجه أولاً أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن، كان لعبد الله أبي النبي ﷺ فأعتقها، وقيل أعتقها النبي ﷺ، وعاشت بعده ﷺ خمسة أشهر وقيل سنة، وولدت لزيد أسامة، وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس. قوله: (**فكرها ذلك**) أي كون الخطبة لزيد، وقالت لرسول الله ﷺ: أنا بنت عمتك، فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة، وزيد أسود. قوله: (**ثم رضيا للآية**) أي حين نزلت الآية توبيخاً لهما.

قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ**﴾ إلخ، هذا من تمام ما نزل في شأنها، فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية. قوله: ﴿**فَقَدْ ضَلَّ**﴾ أي أخطأ طريق الصواب. قوله: (**فزوجها النبي لزيد**) أي وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً ودرعاً وملحفة وخمسين مداً من طعام وثلاثين صاعاً من تمر. قوله: (**ثم وقع بصره عليها**) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا الله مُبْدِيهِ**﴾ هو حبها الذي درج عليه المفسر تبعاً لغيره، وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لا سيما بجنابه الشريف، وأيضاً يبعد أن النبي يخفى عليه حالها، مع كونها بنت عمته وفي حجره. قوله: (**فقال: ﴿أمسك عليك زوجك﴾**) أي لا تفارقها. قوله: (**منصوب باذكر**) أي فهو معمول لمحذوف. قوله: (**اشتراه رسول الله**) فيه تسمح، بل الذي في السير، أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم، ثم وهبته لرسول الله ﷺ، وهذا الشراء صوري، وإلا فهو كان حراً، لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعاً، لكونهم

عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ مظهره من محبتها، وأن لو فارقها زيد تزوجتها ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد، وانقضت عدتها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا

أهل فترة، وهم ناجون ليس فيهم حربي، والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكمي سببه الكفر، روي أن عمه لقيه يوماً بمكة، فعرفه وضمه إلى صدره وقال له: لمن أنت؟ قال: لمحمد بن عبد الله، فأتوه وقالوا: هذا ابننا فرده علينا، فقال اعرضوا عليه، فإن اختاركم فخذوه، فبعث إلى زيد وخيره فقال: يا رسول الله ما أختار عليك أحداً، فجذبه عمه وقال: يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك؟ قال: نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم، فتبناه رسول الله ﷺ. قوله: **(من محبتها)** بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه تنزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: إن الذي أخفاه في نفسه، هو ما أخبره الله به، من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روي عن علي بن الحسين رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا للنبي خلق زينب وأنها لا تطيعه، وأعلمه بأنها تريد طلاقها، قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه، فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر، والحكمة في تزوج رسول الله بزينب، إبطال حكم التبني، والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبني، من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته، وولد التبني لا يحرم. قوله: **(وتزوجها)** هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر، وفي نسخة ويزوجكها فعل مضارع.

قوله: **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً﴾** أي بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها، وفي ذكراسمه صريحاً دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له، وعوض من الفخر بأبوة محمد ﷺ، فكان اسمه قرآناً يتلى في الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة، وزاد في الآية أن قال: **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾** أي بالإيمان، فدل على أنه من أهل الجنة، فعلم ذلك قبل موته، فهذ فضيلة أخرى. قوله: **(فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن)** أي ولا عقد ولا صداق، وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها أحد بالإجماع، وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة ثلاث، وهي أول من مات بعده من زوجاته، ماتت بعده بعشر سنين، ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة، وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات، وكانت تقول للنبي: جدي وجدك واحد، وليس من نسائك من هي كذلك غيري، وقد أنكحنيك الله، والسفير في ذلك جبريل. قوله: **(وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً)** أي فذبح شاة وأطعم الناس خبزاً ولحماً حتى تركوه، ولم يولم النبي على أحد من نسائه، كما أولم على زينب.

قوله: **﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾** إلخ، أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصاً

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ مقضيه ﴿مَفْعُولًا﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾ أحل ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ فعله ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ﴿٣٨﴾ مقضياً ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٣٩﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد أي والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً، وفي قراءة بفتح التاء كآلة الختم أي به ختموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ منه بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً

به ﷺ. قوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ الله مَفْعُولاً﴾ أي موجوداً لا محالة. قوله: ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي إثم. قوله: (فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية، وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي ﷺ كثرة النساء. قوله: (توسعة لهم في النكاح) أي فقد كان لداود مائة امرأة، ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية. قوله: ﴿قَدَراً مَقْدُوراً﴾ هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل.

قوله: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أي أبوة حقيقية، فلا ينافي أنه أبوهم من حيث إنه شفيق عليهم وناصح لهم، يجب عليهم تعظيمه وتوقيره. قوله: ﴿وَلَكِنْ رَسولَ الله﴾ العامة على تخفيف لكن، ونصب رسول على أنه خبر لكان المحذوفة، وقرىء شذوذاً بتشديد ﴿لَكِنْ﴾، و ﴿رَسُولَ﴾ اسمها، وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة، إذ لم يعش له ولد ذكر، وقرىء أيضاً بتخفيفها، ورفع رسول على الابتداء، والخبر مقدر أي هو أو بالعكس، ، ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفي الأبوة عنه، أن حقه ليس أكيداً، فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة. قوله: (فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبياً) النفي في الحقيقة متوجه للوصف، أي كون ابنه رجلاً، وكونه نبياً بعده، وإلا فقد كان له من الذكر أولاد، ثلاث، إبراهيم والقاسم والطيب، ولكنهم ماتوا قبل البلوغ، لم يبلغوا مبلغ الرجال، فكونه خاتم النبيين، يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له، وأورد عليه بمنع الملازمة، إذ كثير من الأنبياء، وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء، وأجيب: بأن الملازمة، ليست عقلية، بل على مقتضى الحكمة الإلهية، وهي أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل، ونبينا أكرمهم وأفضلهم، فلو عاش أولاده، اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء، لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر. قوله: (وإذا نزل السيد عيسى) إلخ، جواب عما يقال: كيف قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وعيسى ينزل بعده وهو نبي؟ ولا يرد على هذا، وضع الجزية، وعدم قبول غير الإسلام، ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا، لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً﴾ في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموماً، حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه، وصلى عليهم هو وملائكته، وأفاض عليهم الأنوار وحياهم،

﴿وَأَصِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ أول النهار وآخره ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ أي يرحمكم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ أي يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ ليديم إخراجه إياكم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي الإيمان ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالى ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ بلسان الملائكة ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾

والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم، قال تعالى: ﴿اذكروني أذكركم﴾ وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك، تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر، قال تعالى: ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ فذكرنا لأنفسنا، لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفة عين، وإذا كان كذلك، فلا تليق الغفلة عنه أبداً، بل المطلوب ذكره دائماً وأبداً، واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده، إلا جعل لها حداً معلوماً، وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فلم يجعل له حداً، ولم يعذر أحداً في تركه، إلا من كان مغلوباً على عقله، ولذا أمرهم به في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم. قوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ خص التسبيح بالذكر وإن كان داخلاً فيه، لكونه أعلى مراتبه، وحكمة تخصيص التسبيح بهذين الوقتين، لكونهما أشرف الأوقات، بسبب تنزل الملائكة فيهما.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح. قوله: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ عطف على الضمير المستتر في ﴿يُصَلِّي﴾ والفاصل موجود. قوله: (أي يستغفرون لكم) أي يطلبون لكم من الله المغفرة، قال تعالى: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾ الآيات. قوله: (ليديم إخراجه إياكم) جواب عما يقال: إن إخراجه إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان، وإيضاح الجواب: أن المراد دوام هذا الإخراج، لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت، ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله. قوله: ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ جمع الأول لتعداد أنواع الكفر، وأفرد الثاني لأن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه، فمن ادعى الإيمان، وأثبت التعدد والمخالفة، فهو ضال مضل، خارج عن السنة والجماعة.

قوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ أي يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم، حيث أخلصوا في إيمانهم. قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾(منه تعالى) أي التحية الصادرة منه تعالى، زيادة في الاعتناء بهم، وتعظيماً لقدرهم. قوله: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ اختلف في وقت اللقى، فقيل: عند الموت، وقيل: عند الخروج من القبور، وقيل: عند دخول الجنة. قوله: (بلسان الملائكة) أي لما ورد: إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له: ربك يقرئك السلام، وفي الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم، قال تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾. وقال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾. قوله: (هو الجنة) أي وما فيها من النعيم المقيم. قوله: (على من أرسلت إليهم) أي لترتقب أحوالهم، وتكون مشاهداً لما صدر منهم من الأعمال الحسنة والقبيحة، فالأعمال تعرض عليه حياً وميتاً، ويصح أن يكون المراد شاهداً يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين، فهو مقبول الدعوى، لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد، فيشهد للأنبياء بالتبليغ، وعلى الأمم إما بالتصديق أو بالتكذيب. قوله: (بأمره) دفع بذلك

أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ ﴿٤٤﴾ هو الجنة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ على من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرٗا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا﴾ ﴿٤٥﴾ منذراً من كذبك بالنار ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ ﴿٤٦﴾ أي مثله في الاهتداء به ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا﴾ ﴿٤٧﴾ هو الجنة ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعۡ﴾ اترك ﴿أَذَىٰهُمۡ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ ﴿٤٨﴾ مفوَّضاً إليه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ﴾ تحصونها بالأقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به، أي إن لم يسم لهنَّ أصدقة، وإلا فلهنَّ نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ ﴿٤٩﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا

ما يقال: الأذن حاصل بقوله: ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾، فأجاب: بأن المراد بالإذن الأمر والحكمة في الأذن تسهيل الأمر وتيسيره، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة للمريدين، فمن أجاز أشياخه بشيء من العلم والإرشاد، فقد سهلت له الطريق وتيسرت، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه، فقد عطل نفسه وغيره، وانسدت عليه الطرق. قوله: ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر، ويحتمل أن المراد به المصباح، وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج، ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم، لأن السراج يسهل اقتباس الأنوار منه، وهو ﷺ تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حيث كنت متصفاً بالصفات الخمسة فبشر المؤمنين. قوله: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تدار الكفار، ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين، بل اثبت على ما أوحي إليك وبلغه، ولا تكتم منه شيئاً. قوله: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ إما من إضافة المصدر لفاعله، أي أذيتهم إياك، فلا تقاتلهم جزاء على ما صدر منهم، أو لمفعوله أي اترك اذيتك لهم في نظير كفرهم، واصفح عنهم واصبر، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وهذا منسوخ بآية القتال. قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ أي ثق به في أمورك واعتمد عليه، يكفك أمور الدين والدنيا. قوله: ﴿وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ الباء زائدة في الفاعل، أي إن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة، وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم، فإذا عجز الإنسان عن أمر، فعليه بالتوكل على الله والتفويض إليه، فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فَإِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المراد بالنكاح العقد بدليل قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب، إذ الكتابيات كذلك، وإنما خص المؤمنات بالذكر، إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات، وأما نكاح الكتابيات فمكروه، أو خلاف الأولى. قوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي ولو طال زمن العقد. قوله: (وفي قراءة) أي وهما سبعيتان. قوله: (أي تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين. قوله: ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ إما من العدد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم: عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها. قوله: (وعليه الشافعي) أي

لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ

ومالك، فالمطلقة قبل الدخول إن سمي لها صداق، فلا متعة لها ولا عدة عليها، وإن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضاً، فلا عدة عليها ولها المتعة، إما وجوباً كما هو عند الشافعي، أو ندباً كما هو عند مالك. قوله: **(خلوا سبيلهن)** أي اتركوهن. قوله: **(من غير ضرار)** أي بأن تمسكوهن تعنتاً حتى يفتدين منكم، أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن.

قوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾** إلخ، اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل: المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها إلخ، فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله: **﴿لا تحل لك النساء من بعد﴾**فهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة، فهي متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة بها، كآية الوفاة في البقرة، وقيل المراد **﴿أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾** الكائنات عندك، لأنهن اخترنك على الدنيا، ويؤيده قول ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يتزوج من أي النساء شاء، وكان يشق على نسائه، فلما نزلت هذه الآية، وحرم عليه بها النساء إلا من سمى، سر نساؤه بذلك، والقول الأول أصح. قوله: **﴿اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾** بيان لما كان يفعله من مكارم الأخلاق، وإلا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر.

قوله: **﴿مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾** بيان لما ملكت يمينك، وهذا القيد خرج مخرج الغالب، بل الملك بالشراء كذلك. قوله: **(كصفية)** هي بنت حيي بن أخطب من نسل هارون أخي موسى، وتقدم أنها كانت من سبي خيبر، أذن النبي ﷺ لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها، فقيل للنبي ﷺ أعطيته سيدة بني قريظة والنضير، وهي لا تصلح إلا لك، فخشي عليها الفتنة، فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة، وفي رواية: أنه ﷺ قال لها: هل لك فيَّ؟ قالت: نعم يا رسول الله، إني كنت أتمنى ذلك في الشرك، وكان بعينها خضرة، فسألها عنها فقالت: إنها كانت نائمة، ورأس زوجها ملكهم في حجرها، فرأت قمراً وقع في حجرها، فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال: تتمنين ملك يثرب، ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع. قوله: **(وجويرية)** أي وهي بنت الحرث الخزاعية، وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، فكاتبها فجاءت تسأل النبي ﷺ وعرفته بنفسها فقال: هل لك إلى ما هو خير من ذلك، أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم، فسمع الناس بذلك، فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ، قالت عائشة: فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها، أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقسم لها النبي ﷺ، وكانت بنت عشرين سنة، وتوفيت سنة خمسين.

قوله: **﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾** أي نساء قريش المنسوبات لأبيك، وقوله: **﴿وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾** أي نساء بني زهرة المنسوبات لأمك، وحكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة، أن العم والخال يعمان إذا أضيفا، لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة، والعمة والخالة لا يعمان لوجود

مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممن نحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رَّحِيمًا ۝٥٠﴾ بالتوسعة في ذلك ﴿تُرْجِى﴾ بالهمزة والياء بدله تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أيّ أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُـْٔوِىٓ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتأتيها ﴿وَمَنِ

التاء. قوله: (بخلاف من لم يهاجرن) أي فلا يحللن له، وهذا الحكم كان قبل الفتح، حين كانت الهجرة شرطاً في الإسلام، فلما نسخ حكم الهجرة، نسخ هذا الحكم.

قوله: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾ معطوف على مفعول ﴿أَحْلَلْنَا﴾ أي وأما غير المؤمنة فلا تحل له، وظاهر الآية أن النكاح ينعقد في حقه ﷺ بالهبة، وحينئذ فيكون من خصوصياته، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع: ميمونة بنت الحرث، وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم. واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث: «سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان معي في الجنة فأعطاني». ولقوله تعالى: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ ولا يليق أن تكون المشركة أم المؤمنين، ويحرم عليه أيضاً نكاح الأمة ولو مسلمة، لأن نكاحها مشروط بأمرين: خوف العنت، وعدم وجود مهر الحرة، وكلا الأمرين مفقود منه ﷺ، وأما تسريه بالأمة الكتابية ففيه خلاف. قوله: ﴿إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ أظهر في محل الإضمار، تشريفاً لهذا الوصف، وإظهاراً لعظمة قدره عليه.

قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ هذا الشرط في الشرط الأول، فإن هبتها نفسها لا توجب حلها، إلا إذا أراد نكاحها، بأن يحصل منه القبول بعد الهبة، أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر. قوله: ﴿خَالِصَةً﴾ مصدر معمول لمحذوف، أي خلصت لك خالصة، ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير، كالعاقبة والعافية والكاذبة. قوله: (من غير صداق) أي ومن غير ولي وشهود. قوله: (وغيره) أي كهبة. قوله: (بخلاف المجوسية) إلخ، فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها، وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب، لأنهن يجبرن على الإسلام، ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه. قوله: (وأن تستبرأ قبل الوطء) أي كتابية كانت أو مجوسية. قوله: (متعلق بما قبل ذلك) أي وهو قوله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ والمعنى: أحللنا لك أزواجك، وما ملكت يمينك، والموهوبة لك، لئلا يكون عليك ضيق. قوله: (لما يعسر التحرز عنه) أي لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع.

قوله: ﴿تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ إلخ، اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية، التوسعة على رسول الله ﷺ في معاشرته لنسائه، واختلفوا في تأويله، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على رسول الله ﷺ في ترك القسم، فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت

﴿ٱبۡتَغَيۡتَ﴾ طلبت ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ﴾ في طلبها وضمها إليك، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه ﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ أقرب إلى ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ ما ذكر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّۚ﴾ تأكيد للفاعل في يرضين ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهن، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمٗا ۝٥١﴾ عن عقابهم ﴿لَّا يَحِلُّ﴾ بالتاء والياء ﴿لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعد التسع اللاتي اخترنك ﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾ بترك إحدى التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ بأن

أغار على النبي ﷺ على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أوتهب المرأة نفسها لرجل، فلما أنزل الله عز وجل ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾ قالت: قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك، وقيل: إن ذلك في الواهبات أنفسهن، وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن، وتترك من شئت، وقيل: إن ذلك في الطلاق فالمعنى لك طلاق من شئت منهن، وإمساك من شئت، وعلى كل حال، فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء. قوله: (**والياء بدله**) أي بدل الهمزة، وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل. قوله: (**عن نوبتها**) أي من القسم.

قوله: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ**﴾ إلخ أي التي طلبت ردها إلى فراشك، بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة، فلا جناح عليك. قوله: (**بعد أن كان القسم واجباً عليه**) هذا أحد قولين، وقيل: كان مخيراً من أول الأمر، ولم يكن واجباً عليه ابتداء. قوله: ﴿**ذٰلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ**﴾ هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل، لأن التخيير، أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن، وأقرب إلى رضاهن بما حصل لهن، لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئاً من القسم، وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به. قوله: (**تأكيد للفاعل**) أي فهو بالرفع، وهذه قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالنصب توكيد للمفعول.

قوله: ﴿**وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ خطاب للنبي على جهة التعظيم، ويحتمل أن يراد العموم. قوله: (**والميل إلى بعضهن**) أي بالطبع، فكان يميل إلى بعضهن أكثر، وكان يقول: اللهم إن هذا حظي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك، واتفق العلماء على أنه ﷺ كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات، غير سوده رضي الله عنها، فإنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها. قوله: ﴿**حَلِيماً**﴾(**على عقابهم**) أي يعلم العيب ويستره، فينبغي للإنسان أن لا يفرط في حقوقه، لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث: «اتقوا غيظ الحليم». ففي الآية ترغيب وترهيب. قوله: (**بالتاء والياء**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (**بعد التسع**) أي بعد اجتماعهن في عصمتك، فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة، فقد قصر الله نبيه عليهن، جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله، وهن التسع اللاتي توفي عنهن وهن: عائشة بنت أبي بكر الصديق، وحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي، وميمونة بنت الحرث الهلالية، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحرث المصطلقية، وقيل المراد بعد التخيير. قوله: ﴿**وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ**﴾ البدل في

تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ من الإماء فتحل لك وقد ملك ﷺ بعدهن مارية وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ ﴿٥٢﴾ حفيظاً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ في الدخول

الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لي عن امرأتك، وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والإبدال بأي وجه. قوله: ﴿مِنۡ أَزۡوَاجٖ﴾ ﴿مِنۡ﴾ زائدة في المفعول.

قوله: ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ حال من فاعل ﴿تَبَدَّلَ﴾. قوله: ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ استثناء متصل من النساء، لأنه يتناول الأزواج والإماء، وقيل منقطع لإخراجه من الأزواج. قوله: (**وقد ملك بعدهن مارية**) أي القبطية، أهداها له المقوقس ملك القبط، وهم أهل مصر والاسكندرية، وذلك أنه ﷺ بعث له حاطب بن أبي بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت، فإنما عليك إثم القبط، و﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، الآية. فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس، وجده في الإسكندرية، فدفعه إليه فقرأه، ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية، ثم كتب جوابه في كتاب صورته: بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد، فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وعلمت أن نبياً قد بقي، وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك، أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، أي وهما مارية وسيرين، وعشرين ثوباً من قباطي مصر، وطيباً وعوداً وندا ومسكاً، مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وبغلة للركوب، وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين، وخصياً يقال له مابور، والبغلة هي دلدل وكانت شهباء، وفرساً وهو اللزاز، فإنه سأل حاطباً: ما الذي يحب صاحبك من الخيل؟ فقال له: الأشقر، وقد تركت عنده فرساً يقال لها المرتجز، فانتخب له فرساً من خيل مصر الموصوفة، فأسرج وألجم، وهو فرسه الميمون، وأهدى إليه عسلاً من عسل بنها، قرية من قرى مصر، فأعجب به ﷺ وقال: إن كان هذا عسلكم، فهذا أحلى، ثم دعا فيه بالبركة. قوله: (**وولدت له إبراهيم**) أي في ذي الحجة سنة ثمان، وعاش سبعين يوماً، وقيل: سنة وعشرة أشهر، وقوله: (**ومات في حياته**) أي ولم يصلِّ عليه بنفسه، بل أمرهم فصلوا عليه.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ إلخ، هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش، حين بنى بها رسول الله ﷺ، عن أنس بن مالك قال: كنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، حين أصبح النبي ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط عند النبي ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ فخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي ﷺ ومشيت، حتى جاء عتبة حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع النبي ﷺ ورجعت، حتى إذا بلغ حجرة عائشة، وظن أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضرب النبي ﷺ بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب. قوله: ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ

بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ﴾ منتظرين ﴿إِنَاهُ﴾ نضجه مصدرأنى يأني ﴿وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ﴾ أن يخرجكم ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ أن يخرجكم أي لا يترك بيانه، وقرىء يستحي بياء واحدة ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ أي أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ ستر ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ

لَكُمْ﴾ أي إلا بسبب الإذن لكم. قوله: ﴿إِلَى طَعَامٍ﴾ متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر. قوله: (فتدخلوا) ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ هذا التقدير غير مناسب، لأنه يقتضي أن الدخول مع الإذن، لا يجوز معه انتظار نضج الطعام، مع أنه يجوز، فالمناسب حذف هذا التقدير، إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير إذن، وينتظرون نضج الطعام، فنهاهم الله عن كل من الأمرين. والحاصل: أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت، منها: أن قوماً كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوى وينتظرون نضج الطعام، ومنها: أن قوماً كانوا يدخلون بإذن ويتخلفون بعدما طعموا مستأنسين لحديث، ومنها: مؤاكلة الأجانب مع رسول الله ﷺ بحضور زوجاته، فنزلت آية الحجاب، ونهى عن ذلك كله، وهذه آيات الحجاب لخصوص أمهات المؤمنين، وأما لعموم الأمة، فقد تقدم في سورة النور تأمل. قوله: (مصدر أنى يأني) أي من باب رمى، وقياس مصدر أنى، لكن لم يسمع، وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر.

قوله: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ﴾ أي أكلتم الطعام. قوله: ﴿فَانْتَشِرُوا﴾ أي اذهبوا حيث شئتم في الحال، ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب. قوله: ﴿وَلَا﴾(تمكثوا) ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مُسْتَأْنِسِينَ﴾ حال من محذوف، وذلك المحذوف معطوف على انتشروا. قوله: ﴿كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ أي لتضيقه عليه. قوله: ﴿فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾ أي من إخراجكم. قوله: ﴿واللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ المراد بالحق إخراجكم من منزله، وأطلق الاستحياء في حق الله، وأريد لازمه وهو ترك البيان. قوله: (بياء واحدة) أي قراءة شاذة في الثاني. قوله: ﴿فَاسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ روي أن عمر قال: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فنزلت، وروي أن رسول الله ﷺ كان يأكل ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم عائشة، وهي تأكل معهم، فكره النبي ذلك، فنزلت هذه الآية. قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وارء الحجاب. قوله: (من الخواطر المريبة) أي أنفى وأبعد لدفع الريبة والتهمة، وهو يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة، مع من لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي ما صح وما استقام لكم، وقوله: ﴿أَنْ تُؤذُوا﴾ وهو اسم ﴿كَانَ﴾، و ﴿لَكُمْ﴾ خبرها، و ﴿أَنْ تَنْكِحُوا﴾ عطف على اسم ﴿كَانَ﴾ نزلت هذه الآية في رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله، قال في سره: إذا قبض رسول الله ﷺ نكحت عائشة، ثم ندم هذا الرجل، ومشى على رجليه، وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله، وأعتق رقبة، فكفر الله عنه. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿٥٤﴾ فيجازيكم عليه ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أمرتن به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ ﴿٥٥﴾ لا يخفى عليه شيء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾ أي قولوا: اللهم صل على محمد وسلم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

بعد وفاته أو فراقه، ولو قبل الدخول بها، لأن كل من عقد عليها رسول الله ﷺ يتأبد تحريمها على أمته، وأما إماؤه فلا يحرمن على غيره إلا بمسه لهن. قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ﴾ أي ما ذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده. قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً﴾ أي تظهروه على ألسنتكم، وقوله: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ أي في صدوركم، وقوله: (فيجازيكم عليه) جواب الشرط، وقوله: ﴿فَإِنَّ الله كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾.

قوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ إلخ، هذا في المعنى مستثنى من قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً﴾ الآية، روي أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن: يا رسول الله أو نكلمهن أيضاً من وراء حجاب، فنزلت هذه الآية. وقوله: ﴿فِي آبَائِهِنَّ﴾ أي أصولهن وإن علوا، وقوله: ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ المراد فروعهن وإن سفلوا. قوله: ﴿وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ الإضافة من حيث المشاركة في الوصف وهو الإسلام، فقول المفسر (أي المؤمنات) تفسير للمضاف، ومفهومه أن النساء الكافرات، لا يجوز لهن النظر لأزواج النبي ﷺ وهو كذلك، ولا مفهوم لأزواج النبي، بل جميع النساء المسلمات كذلك، فلا يحل للمسلمة أن تبدي شيئاً منها للكافرة، لئلا تصفها لزوجها الكافر. قوله: ﴿وَاتَّقِينَ الله﴾ عطف على محذوف، والتقدير امتثلن ما أمرتن به، واتقين الله، وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين، وإن تقدم في سورة النور عموماً دفع توهم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه، فأفاد هنا أنهن كالأمهات في التعظيم والتوقير، لا في الخلوة والنظر، فإنهن كالأجانب بل هن أشد، فذكر لهن حجاباً مخصوصاً، فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم في النور. قوله: (لا يخفى عليه شيء) أي من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية.

قوله: ﴿إِنَّ الله وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إلخ، هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه ﷺ مهبط الرحمات، وأفضل الخلق على الإطلاق، إذ الصلاة من الله على نبيه، ورحمته المقرونة بالتعظيم، ومن الله على غير النبي مطلق الرحمة، لقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ فانظر الفرق بين الصلاتين، والفصل بين المقامين. قوله: ﴿وَمَلَائِكَتَهُ﴾ بالنصب معطوف على اسم ﴿إِنَّ﴾، وقوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾ خبر عن الملائكة، وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره: إن الله يصلي وملائكته يصلون، وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين، والمراد بالملائكة جميعهم، والصلاة من الملائكة الدعاء للنبي بما يليق به، وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم، وحينئذ فقد وسعت رحمة النبي كل شيء، تبعاً لرحمة الله، فصار بذلك مهبط الرحمات، ومنبع التجليات.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ أي ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين

﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك، ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧﴾ ذا إهانة وهو النار ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾ تحملوا

على النبي تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه ﷺ، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه، مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه. إن قلت: إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه، وهو مصل عليه مطلقاً طلبوا أو لا؟ أجيب: بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته ﷺ؛ طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي ﷺ من الله لا تقف عند حد، فكلما طلبت من الله، زادت على نبيه، فهي دائمة بدوام الله.

قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ إن قلت: خص السلام بالمؤمنين، دون الله والملائكة. أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر، فناسب للتخصيص بهم، لأن في السلام سلامة من الآفات، وأكد السلام دون الصلاة، لأنها لما أسندت لله وملائكته، كانت غنية عن التأكيد. واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات، وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ، لأن الشيخ والسند فيها صاحبها، لأن تعرض عليه، ويصلى على المصلي بخلاف غيرها من الأذكار، فلا بد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها. قوله: (أي قولوا اللهم صلِّ على محمد وسلم) أي اجمعوا بين الصلاة والسلام، وصيغ الصلاة على النبي ﷺ كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكره فيه لفظ الآل والصحب، فمن تمسك بأي صيغة منها، حصل له الخير العظيم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ الإيذاء في حق الله معناه تعدي حدوده، وفي حق الرسول ظاهر. قوله: (وهم الكفار) أي اليهود والنصارى والمشركون. قوله: ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا﴾ أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد. قوله: ﴿وَالآخِرَةِ﴾ أي بتخليدهم في العذاب الدائم. قوله: (أبعدهم) أي عن رحمته. قوله: (ذا إهانة) أي هوان واستخفاف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلخ، قيل: نزلت في علي بن أبي طالب، كانوا يؤذونه ويسمعونه، وقيل: نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها، وقيل: نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن، فإن سكتت المرأة اتبعوها، وإن زجرتهم انتهوا عنها، وفي هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات، ويتكلم فيهم من غير علم، وهي بمعنى قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾.

كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ ﴿٥٨﴾ بيناً ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ جمع جلباب وهي الملاءة التي تشتمل بها المرأة، أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عيناً واحدة ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٥٩﴾ بهن إذ سترهن ﴿لَّئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بالزنا ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم قتلوا أو هزموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ يساكنونك ﴿فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٦٠﴾ ثم يخرجون ﴿مَّلْعُونِينَ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا﴾ وجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ ﴿٦١﴾ أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي سن الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٦٢﴾ منه ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾ متى تكون ﴿قُلْ

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ**﴾ إلخ، سبب نزولها: أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية، يريدون منهن الزنا، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء، ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الأمة، لأن زي الكل واحد، تخرج الحرة والأمة في درع وخمار، فتكون ذلك لأزواجهن، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت. قوله: ﴿**يُدْنِينَ**﴾ أي يرخين ويغطين. قوله: (**التي تشتمل بها**) أي تتغطى وتتستر بها المرأة من فوق الدرع والخمار. قوله: (**فلا يغطين وجوههن**) أي فكن لا يغطين وجوههن، وهذا فيما مضى، وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة. قوله: (**لما سلف منهن من ترك الستر**) ورد أن عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة، فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يا لكاع، ألقي القناع.

قوله: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ**﴾ أي كعبد الله بن أبي وأصحابه. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ أي فجور وهم الزناة، وهم من جملة المنافقين. قوله: ﴿**وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ أي بالكذب، وذلك أن ناساً منهم كانوا إذا خرجت سراياه ﷺ يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون: قد أتاكم العدو. قوله: (**لنسلطنك عليهم**) أي فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم، وقد فعل بهم ﷺ ذلك، فإنه لما نزلت في سورة براءة، جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي ﷺ: يا فلان قم فاخرج فإنك منافق، ويا فلان قم، فقام إخوانهم من المسلمين، وتولوا إخراجهم من المسجد. قوله: ﴿**مَلْعُونِينَ**﴾ حال من محذوف قدره المفسر بقوله: (**ثم يخرجون**). قوله: (**أي الحكم فيهم هذا**) أي الأخذ والقتل. قوله: (**على جهة الأمر به**) أي أن الآية خبر بمعنى الأمر. (**أي سن الله ذلك**) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد، وفيه تسلية للنبي ﷺ، أي فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك، فإنه سنة قديمة، كما كان في قوم موسى، منهم موسى السامري وأتباعه، وقارون وأتباعه. قوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**﴾ **أي تغييراً** ونسخاً، لكونها بنيت على أساس متين، فليست مثل الأحكام التي تتبدل وتتنسخ.

قوله: ﴿**يَسْئَلُكَ النَّاسُ**﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية، لأنهم ينكرونها. واعلم أن السائل للنبي

إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ﴾ يعلمك بها أي أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ﴿٦٤﴾ ناراً شديدة يدخلونها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٦٥﴾ يدفعها عنهم ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ﴾ للتنبيه ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع ﴿وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ ﴿٦٧﴾ طريق الهدى ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾ عذبهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ ﴿٦٨﴾ عدده وفي قراءة بالموحدة أي عظيماً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ

عن الساعة أهل مكة واليهود، فسؤال أهل مكة استهزاء، وسؤال اليهود امتحان، لأن الله أخفى علمها في التوراة، فإن أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه، وإن أجابهم بقوله: علمها عند ربي مثلاً، ثبتت نبوته وصدقه، فقول المفسر **(أي أهل مكة)** أي واليهود. قوله: ﴿**عَنِ السَّاعَةِ**﴾ أي عن أصل ثبوتها، وعن وقت قيامها. قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ**﴾ أي لم يطلع عليها أحد، وهذا إنما هو وقت السؤال، وإلا فلم يخرج نبينا ﷺ من الدنيا، حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة، لكن أمر بكتم ذلك.

قوله: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ**﴾ ﴿**مَا**﴾ استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿**يُدْرِيكَ**﴾ خبره، والاستفهام إنكاري. قوله: ﴿**لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**﴾ ﴿**لَعَلَّ**﴾ حرف ترج ونصب، و ﴿**السَّاعَةَ**﴾ اسمها، وجملة ﴿**تَكُونُ**﴾ خبرها، و ﴿**قَرِيباً**﴾ حال وتكون تامة، ولذا فسرها بتوجد، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب، فكل منها جملة مستقلة لما ورد: أن الدنيا سبعة آلاف سنة، بعث رسول الله ﷺ في الألف السابع، فلم يبق من الدنيا إلا القليل. قوله: **(أبعدهم)** أي عن رحمته. قوله: **(مقدراً خلودهم)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**خَالِدِينَ**﴾ حال مقدرة. قوله: ﴿**فِيهَا**﴾ أي من السعير، وأنثه مراعاة لمعناه. قوله: ﴿**أَبَداً**﴾ تأكيد لما استفيد من قوله: ﴿**خَالِدِينَ**﴾.

قوله: ﴿**يَوْمَ تُقَلَّبُ**﴾ إما ظرف لخالدين، أو ليقولون مقدم عليه، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة، كاللحم يشوى بالنار. قوله: ﴿**يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا**﴾ كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا صنعوا عند ذلك؟ فقيل: يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿**يَا لَيْتَنَا**﴾ إلخ. قوله: ﴿**وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**﴾ بألف بعد اللام، وبدونها هنا، وفي قوله: ﴿**السَّبِيلَا**﴾ قراءتان سبعيتان، وتقدم التنبيه على ذلك. قوله: ﴿**سَادَتَنَا**﴾ جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(جمع الجمع)** أي جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة، الذي مفرده إما سيد أو سائد. قوله: **(أي مثلي عذابنا)** أي لأنهم ضلوا وأضلوا. قوله: **(وفي قراءة بالموحدة)** أي وهما سبعيتان. قوله: **(ما يمنعه أن يغتسل معنا)** إلخ، أي لما روي أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة، ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا، إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجلع موسى عليه السلام يعدو إثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى

مِمَّا قَالُواْ﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرَّ الحجر به حتى وقف بين ملإ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه لا أدرة به وهي نفخة في الخصية ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩﴾ ذا جاه. ومما أوذي به نبينا ﷺ أنه قسم قسماً، فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فغضب النبي ﷺ من ذلك وقال: يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر، رواه البخاري. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ صواباً ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يتقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ نال غاية مطلوبه ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾

نظرت بنو إسرائيل سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه، فأخذ ثوبه فاستتر به، وطفق بالحجر ضرباً، قال أبو هريرة: والله إن به ندباً، أي اثراً، ستة أو سبعة من ضرب موسى.

قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ الله﴾ أي أظهر له براءته لهم. قوله: (وهي نفخة في الخصية) أي بسبب انصباب مادة أو ريح غليظ فيها. قوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيهاً﴾ المراد عندية مكانه وقدر لا مكان. قوله: (فغضب النبي من ذلك) أي وقال كما في رواية: «إن لم أعدل من يعدل، خسرت وندمت إن لم أعدل». قوله: ﴿قَوْلاً سَدِيداً﴾ المراد قولاً فيه رضا الله، بأن يكون ما يعني الإنسان، فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية، وهذا التفسير أتم من غيره. قوله: (يتقبلها) أي يثبكم عليها. قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أي يمحها من الصحف، أو يسترها عن الملائكة.

قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ اختلف في المراد بالأمانة، فأحسن ما قيل فيها: إنها التكاليف الشرعية، وقيل: إنها قواعد الدين الخمس، وقيل: هي الودائع، وقيل: الفرج، وقيل: غير ذلك، روي أن الله تعالى قال للسماوات والأرض والجبال: أتحملن هذه الأمانة بما فيها؟ قلن: وما فيها؟ قال: إن أحسنتن جوزيتن، وإن عصيتن عوقبتن، قلن: لا يا رب نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله لئلا يقمن بها، لا معصية ولا مخالفة لأمره، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها. قوله: (من الثواب) بيان لما، أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات إلخ. قوله: (بأن خلق فيها فهماً) أي حتى عقلت الخطاب، وقوله: (ونطقاً) أي حتى ردت الجواب.

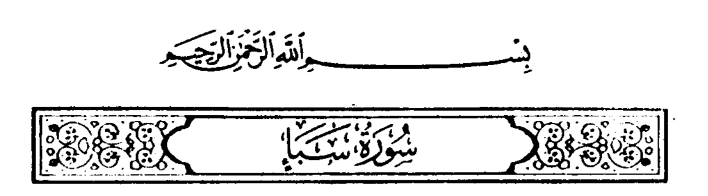
قوله: ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ أي استصغاراً أو خوفاً من عدم الوفاء بها، فليس إباؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم، لأن السجود كان فرضاً، والأمانة كانت عرضاً، وإباؤه استكباراً، وإباؤهن استصغاراً. قوله: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها. قوله: ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان فحملها. قوله: (بعد عرضها عليه) روي أن الله عز وجل قال

لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ به ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾ اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾ بهم.

لآدم: إن عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم تطقها. فهل أنت آخذها بما فيها؟ قال: يا رب وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت، وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال: بين أذني وعاتقي، قال الله تعالى: أما إذا تحملت فسأعينك، وأجعل لبصرك حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل، فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك لحيين وغلاقاً، فإذا خشيت فأغلق عليه، وأجعل لفرجك لباساً، فلا تكشفه على ما حرمت عليك، قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها، وبين أن أخرج من الجنة، إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً﴾ (لنفسه) أي حيث حملها ما لا تطيقه، وقوله: ﴿جَهُولاً﴾ (به) أي بما حمله، وقيل جهولاً بقدر ربه، لأنه لا يعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم، وعود الضمير عليه، وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده، فيكون في الكلام استخدام، فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك، وفي غيرهم الظلم والجهل، من حيث خيانته في الأمانة ومجاوزته حد الشرع.

قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ الله الْمُنَافِقِينَ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة على حد ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. قوله: ﴿وَكَانَ الله غَفُوراً﴾ (للمؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم. قوله: ﴿رَحِيماً﴾ (بهم) أي حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات، وحكمة اخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة، ويعرفوا أنهم متحملون أمراً عظيماً لم تقدر على حمله الأرض والسموات والجبال، وقيل في حق المعصوم: إنه كان ظلوماً جهولاً.



مكيّة

إلا ﴿ويرى الذين اوتوا العلم﴾ الآية. وهي أربع أو خمس وخمسون آية

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالى نفسه بذلك، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالى ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ مكية

إلا ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ الآية. وهي أربع أو خمس وخمسون آية

بالصرف وتركه كما سيأتي، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه.
قوله: (**حمد تعالى**) من باب فهم. قوله: (**المراد به**) بالجر نعت لاسم الإشارة. قوله: (**الثناء بمضمونه**) أي انشاء الثناء بمضمونه، وهو الوصف بالجميل، وليس المراد انشاء المضمون، لأن اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى، وإنما تعبدنا الله تعالى، بتجديد حمد موافق للحمد الأزلي، وهذا يؤيد قول بعض العلماء: إن أل في الحمد عهدية، لأن الله لما علم عجز خلقه في كنهه، حمد نفسه بنفسه أزلاً، وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده، فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلاً، وإنشاء الثناء به حادث، فقول الله تعالى ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم، وهو اتصاف الله بالجميل. إن قلت: الحمد مدح، ومدح النفس مذموم بين الخلق، فما وجه ذلك؟ أجيب: بأن أوصاف الرب لا تقاس على أوصاف العبيد، ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء، فإنها نقص في الخلق، كمال في الخالق، وبهذا انهدم قول المعتزلة: إن كل ما حسنه العقل يوصف به الرب، وكل ما قبحه العقل ينزه عنه، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة منها: وجوب الصلاح والأصلح، وغير ذلك. قوله: (**ملكاً وخلقاً**) أي إن كل ما في السماوات وما في الأرض، مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿**وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ**﴾ أي في نظير النعم التي تعطى لأهل الإيمان، فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن، وأما الكفار فليسوا من أهله. قوله: (**كالدنيا**) أشار بذلك أن في الآية اكتفاء. قوله: (**يحمده أولياؤه**) المراد بهم المؤمنون. قوله: (**إذا دخلوا الجنة**) أي فيقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ بخلقه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ ﴿٢﴾ لهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ بالجر صفة، والرفع خبر مبتدإ، وعلام بالجر ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ أصغر نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٣﴾ بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ حسن في

الحزن، الحمد لله الذي صدقنا وعده. قوله: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا. قوله: **(كماء وغيره)** أي كالكنوز والأموات. قوله: **(كنبات وغيره)** أي كالكنوز والأموات إذا اخرجت من القبور. قوله: **(من رزق وغيره)** أي كالبركات والملائكة والصواعق. قوله: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ضمن العروج معنى الاستقرار، فعداه بفي دون إلى. قوله: **(من عمل وغيره)** أي كالملائكة، فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك. قوله: ﴿الْغَفُورُ﴾**(لهم)** أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه، وفي ذلكُ إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه، مختصان بمن يدخل الجنة، وهذا في الآخرة، وأما في الدنيا، فرحمته وسعت كل شيء. قوله: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لا خصوص أنفسهم، وأرادوا أيضاً بنفي اتيانها، نفي وجودها لا عدم حضورها، مع كونها في نفس الأمر.

قوله: ﴿قُلْ بَلَى﴾ رد لكلامهم، لأن كلامهم نفي. فأجيب بالنفي، ونفي النفي اثبات. قوله: ﴿وَرَبِّي﴾ أتى بالقسم تأكيداً للرد، وقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ تقوية للتأكيد، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف، الإهتمام بشأن المقسم عليه. قوله: **(بالجر)** إلخ، أي فالقراءات الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل، ووجه واحد في صيغة المبالغة. قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ بضم الزاي في قراءة الجمهور، وكسرها في قراءة الكسائي. قوله: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ إلخ، قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ، وخبره قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ وقرىء بفتح الراء، على أن لا نافية للجنس، و ﴿أَصْغَرُ﴾ اسمها، وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ خبرها، والمعنى على كل من القراءتين واحد، وهو أن كل ما كان، وما يكون، وما هو كائن من سائر المخلوقات، ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها في اللوح، لا لاحتياج تنزه الله عنه. إن قلت: أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر، إذ هو مفهوم بالأولى؟ أجيب: بأنه لرفع توهم أن اثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى، فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد أن كلًا مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلخ، علة لقوله: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ كأنه قال: لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين، واللام للعاقبة والصيرورة. قوله: **(حسن في الجنة)** أي محمود العاقبة، وأعظمه رؤية

الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين، أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ سيىء العذاب ﴿أَلِيمٌ ۝٥﴾ مؤلم بالجر والرفع، صفة لرجز وعذاب ﴿وَيَرَى﴾ يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾ طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٦﴾ أي الله ذي العزة المحمود ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي قال بعضهم على وجهة التعجيب لبعض ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغنى بها عن

الله تعالى. قوله: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا﴾ عطف على قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين، وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ إلخ. قوله: (في ابطال) ﴿آيَاتِنَا﴾ أي بالطعن فيها ونسبتها إلى الأكاذيب. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (مقدرين عجزنا) إلخ، لف ونشر مرتب، والمعنى مؤملين أنهم يعجزون رسولنا، بسبب سعيهم في إبطال القرآن. قوله: (أو مسابقين لنا) أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن، ظانين أن مغالبتم تمنع عنهم العذاب، وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر، فيطعنون فيه ويريدون ابطاله، لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم، فيفروا من البعث والعذاب، لاعتقادهم بطلانه. قوله: (لظنهم أن لا بعث) إلخ، علة لقوله: ﴿سَعَوا﴾. قوله: (بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَيَرَى﴾ إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف، أو بالنصب على أنه معطوف على يجزي، فقول المفسر (يعلم) يصح قراءته بالوجهين، و ﴿الَّذِينَ﴾ فاعل، و ﴿الَّذِي أُنْزِلَ﴾ مفعول أول وهو ضمير فصل، و ﴿الْحَقَّ﴾ معفول ثان، وقوله: ﴿وَيَهْدِي﴾ إما عطف على ﴿الْحَقَّ﴾ من باب عطف الفعل على الاسم الخالص، كأنه قيل: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَّبِّكَ﴾ الحق وهادياً، أو مستأنف، أو حال بتقدير وهو يهدي. قوله: (مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال، وقيل: المراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ، وقيل: جميع المسلمين. قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ أي عديم النظير والشبيه والمثيل، أو من عز بمعنى قهر وغلب. قوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾ فعيل بمعنى مفعول، أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله. قوله: (هو محمد) نكروه تجاهلاً وسخرية، كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل، مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رائعة النهار.

قوله: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾ يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون وتحشرون إذا مزقتم إلخ، يدل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ولا يصح أن يكون عامله ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ لأن الإخبار لم يقع في ذلك الوقت، ولا قوله: ﴿مُزِّقْتُمْ﴾ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها، وعبارة المفسر غير وافية بالمراد، فلو قال: يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفى بالمقصود. قوله: (بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر، لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء بالميم، مصدره وزمانه ومكانه، على زنة اسم مفعول. قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي تنشؤون

همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ جنون تخيل به ذلك، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ ﴿٨﴾ من الحق في الدنيا ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ بسكون السين وفتحها قطعة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ ﴿٩﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ﴾ نبوة وكتاباً وقلنا ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾ ارجعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال، أي ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ ﴿١٠﴾ فكان في يده كالعجين

خلقاً جديداً بعد تمزيق أجسامكم.

قوله: ﴿أَفْتَرَى عَلَى الله كَذِباً﴾ يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين ﴿هَل نَدُلُّكُمْ﴾ إلخ، ويحتمل أن يكون من كلام السامع جواباً للقائل. قوله: (واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام، لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن. قوله: (في ذلك) أي الإخبار بالبعث. قوله: (جنون) أي خبل في عقله. قوله: (قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه هذا إنشاء كلام من الله رداً عليهم، وما تقدم وإن كان كلامه، إلا أنه حكاية عنهم. قوله: ﴿الْعَذَابِ﴾ أي في الآخرة، وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع، فنزل المتوقع منزلة الواقع، وقدمه على ﴿الضَّلَالِ﴾ وإن كان الضلال حاصلاً لهم بالفعل، لأن التسلية بحصول العذاب لهم، أتم من الأخبار بكونهم في الضلال.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعموا فلم يروا، إلخ. قوله: ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ المراد به ما ينظر له من غير التفات، وقوله: ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ المراد به ما ينظر له بالتفات، فالمراد جميع الجهات. قوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ بيان لما، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض، فيستدلوا على باهر قدرته تعالى؟ وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ الآية. قوله: ﴿إِنَّ نَشَأْ﴾ هذا تحذير للكفار كأنه قيل: لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم، إلا تعلق مشيئتنا به. قوله: ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ﴾ أي كما خسفناها بقارون. قوله: ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً﴾ أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة. قوله: (بسكون السين وفتحها) أي فيها قراءتان سبعيتان، وكل منها جمع كسفة، فقول المفسر (قطعة) المناسب قطعاً. قوله: (في الأفعال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ (المرئي) أي من السماء والأرض.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا. قوله: (وكتاباً) أي وهو الزبور. قوله: (وقلنا) قدره اشارة إلى أن قوله: ﴿يَا جِبَالُ﴾ مقول لقول محذوف معطوف على قوله: ﴿آتَيْنَا﴾ فهو زيادة على الفضل. قوله: ﴿أَوِّبِي﴾ بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع، وهو قراءة العامة، وقرىء شذوذاً أوبي بضم الهمزة وسكون الواو، أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح، فكان داود إذا سبح اجابته الجبال وعطفت عليه ﴿الطَّيْرَ﴾ من فوقه،

وقلنا ﴿ أَنِ اعْمَلْ ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾ دروعاً كوامل يجرها لابسها على الأرض ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ أي نسج الدروع، قيل لصانعها سرَّاد، أي اجعله بحيث تتناسب حلقه ﴿وَاعْمَلُوا﴾ أي آل داود معه ﴿ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ⑪ فأجازيكم به ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿ لِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ ﴾ وقراءة الرفع بتقدير تسخير ﴿غُدُوُّهَا﴾ مسيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾ أذبنا ﴿ لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾ أي

وقيل: كان إذا أدركه فتور، أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له. قوله: (**عطفاً على محل الجبال**) أي لأن محله نصب، لكونه منادى مفرداً، أو مفعولاً معه، وقرىء بالرفع عطف على لفظ الجبال، تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية، قال ابن مالك:

وإن يكن مصحوب أل ما نسقا ففيه وجهان ورفع ينتقى

قوله: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ سبب ذلك: أن الله تعالى أرسل ملكاً في صورة رجل، فسأله داود عن حال نفسه فقال له: ما تقول في دواد؟ فقال: نعم هو لولا خصلة فيه، فقال داود: ما هي؟ قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، فسأل داود ربه أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال، فألان الله له الحديد، وعلمه صنعة الدروع، فهو أول من اتخذها، وكانت قبل ذلك صفائح، قيل: كان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بأربعة آلاف درهم، وينفق ويتصدق منها، فلذا قال ﷺ: «كان داود لا يأكل إلا من عمل يده». قوله: (**فكان في يده كالعجين**) أي من غير نار ولا آلة. قوله: (**دروعاً كوامل**) أشار بذلك إلى أن ﴿**سَابِغَاتٍ**﴾ صفة لموصوف محذوف.

قوله: ﴿**وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ**﴾ اختلف في معنى الآية فقيل: اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه، بل اشتغل بعبادة ربك، وقيل: قدر المسامير في حلق الدروع، لا غلاظاً ولا دقاقاً، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد، وحينئذ فالأظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع، والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة، لا ينفذ منها السهم في الغلظ، لا تقبل الكسر، ولا تثقل حاملها، والكل نسبة واحدة. قوله: (**بحيث تتناسب حلقه**) بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين. قوله: (**أي آل داود**) تفسير للواو في ﴿**اعْمَلُوا**﴾. قوله: ﴿**صَالِحاً**﴾ أي عملاً صالحاً، ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه. قوله:(**فأجازيكم عليه**) أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

قوله: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ**﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله: (**سخرنا**) بدليل التصريح به في قوله تعالى: ﴿**وسخرنا له الريح تجري بأمره**﴾. قوله: (**بتقدير تسخير**) أي فالجار والمجرور خبر مقدم، و ﴿**الرِّيحَ**﴾ مبتدأ مؤخر على حذف مضاف، والأصل وتسخير الريح كائن لسليمان، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. قوله: ﴿**غُدُوُّهَا شَهْرٌ**﴾ مبتدأ وخبر، والمعنى سيرها من الغداة إلى الزوال، مسيرة شهر للسائر المجد، ومن الزوال للغروب مسيرة شهر، عن الحسن: **كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في اصطخر، وبينهما مسيرة شهر، ثم يروح من اصطخر فيبيت ببابل، وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع**، وتقدم أن الريح تحمل البساط بجيوشه لأي جهة توجه إليها، **فالعاصف تقلع البساط، والرخاء تسيره**.

النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ النار في الآخرة، وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تحرقه ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال، وهو كل شيء مثلته بشيء، أي صور من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن، يصعد إليها بالسلالم، وقلنا ﴿ٱعْمَلُوٓاْ﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ العامل بطاعتي شكراً لنعمتي

قوله: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ أي جعلنا النحاس في معدنه جارياً كالعين النابعة من الأرض، وكانت تلك العين باليمن. قوله: (فأجريت له ثلاثة أيام) قيل: مرة واحدة، وقيل: كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام. قوله: (وعمل الناس) إلخ، مبتدأ خبره قوله: (مما أعطي سليمان) أي صنع الناس النحاس، وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان، لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها. قوله: ﴿مَنْ يَعْملُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله، ويصح أن يكون مفعولاً لمحذوف تقديره: وسخرنا من الجن من يعمل، ومن على كل حال واقعة على فريق. قوله: (بطاعته) أي بطاعة سليمان. قوله: (بأن يضربه ملك) إلخ، أي فقد وكل الله ملكاً بالجن المسخرين لسليمان، وجعل في يده سوطاً من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان، ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته. قوله: (أبنية مرتفعة) أي مساجد وغيرها، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها، وقيل: المراد بالمحاريب خصوص المساجد، والأقرب ما قاله المفسر، وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد، إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي ﷺ، وسميت بالمحاريب تشبيهاً لها بالأبنية المرتفعة، لأنها رفيعة القدر، ولذا خصوها بالأئمة.

قوله: ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ قال بعضهم: إنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس، فيزدادوا عبادة واجتهاداً، يدل على ذلك قوله ﷺ: «إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح، بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصورة» أي ليذكروا عبادتهم، فيجتهدوا في العبادة. قوله: (ولم يكن اتخاذ الصور حراماً) إلخ، جواب عما يقال: إن اتخاذ الصور حرام، فكيف يليق اتخاذها من سليمان؟ واعلم أن اتخاذ الصور أولاً، كان لمقصد حسن، فلما ساء المقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله، حرم الله اتخاذها على العباد. قوله: (وهي حوض كبير) أي وسمي جابية، لأن الماء يجبى فيه أي يجمع. قوله: ﴿آلَ دَاوُدَ﴾ المراد سليمان وأهل بيته. قوله: ﴿شُكْراً﴾ مفعول لأجله، أي اعملوا لأجل الشكر لله، على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تضاهى، وهذا أعظم المقاصد، وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه، فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم، وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية، وغير ذلك من أنواع النعم التي لا

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي مات ومكث قائماً على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها، لا تشعر بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه،

تحصى. قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ أي لكون هذا المقصد عزيزاً، لم يوفق له إلا القليل من الناس، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم، إما لأجل طلب الدنيا، أو خوفاً من النار وطمعاً في الجنة.

فائدة ـ من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس، وذلك أن داود ابتدأ بناءه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها، فرفعه قدر قامة، فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك، بل على يد ابن لك اسمه سليمان، فلما قضى على داود، واستخلف سليمان وأحب إتمامه، جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال، فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام، وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه، وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح، فلما فرغ منها، ابتدأ في بناء المسجد، فوجه الشياطين فرقاً منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي في أماكنها، ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه، فأتي من ذلك بشيء كثير، ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار، واصلاح تلك الجواهر، وثقب تلك اليواقيت واللآلىء، فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر، وجعل عمده من البلور الصافي، وسقفه بأنواع الجواهر، وبسط أرضه بالعنبر، فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه، فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة وهدمه، وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر، وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنوا إسرائيل النعم، وقتلوا زكريا ويحيى، وكان ابتداء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان، وكان عمره سبعاً وستين سنة، وملك وهو ابن سبع عشرة، وكان ملكه خمسين سنة، وقرب بعد فراغه منه، اثني عشر ألف ثور، ومائة وعشرين ألف شاة، واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً، وقام على الصخرة رافعاً يديه إلى الله تعالى بالدعاء وقال: اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان، وقويتني على بناء هذا المسجد، اللهم فاوزعني شكرك على ما أنعمت علي، وتوفني على ملتك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم إني اسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال: لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه، ولا خائف إلا أمنته، ولا سقيم إلا شفيته، ولا فقير إلا أغنيته والخامسة أن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه، إلا من أراد إلحاداً، أو ظلماً يا رب العالمين، وروي أن سليمان لما بنى بيت المقدس، سأل الله تعالى خلالاً ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله تعالى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله حين فرغ من بنائه، أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه، إذا علمت ذلك، فبيت المقدس تم بناؤه وهو حي، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ إلخ، روي أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فلما أعلمه الله بوقت موته قال: اللهم أخف على الجن موتي، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، وكانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون في الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي، واتكأ على عصاه على كرسيه فمات، فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي، ولا ينكرون احتباسه على الخروج إلى الناس، لتكرره منه قبل ذلك، فالحكمة في إخفاء موته، ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب، لا

فخرّ ميتاً ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول، أكلتها الأرضة ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ بالهمز وتركه بألف، عصاه، لأنها ينسأ ويطرد ويزجر بها ﴿ فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾ انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة أي أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ﴿١٤﴾ العمل الشاق لهم، لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة، بحساب ما أكلته الأرضية من العصا بعد موته يوماً وليلة مثلاً ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه، قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿ فِى مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم ﴿ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ على ما رزقكم من النعمة

تتميم بناء بيت المقدس كما قيل، فإن الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل. قوله: (**حتى أكلت الأرضة عصاه**) فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها، فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وقالوا: لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما. قوله: (**مصدر أرضت الخشبة**) أي أكلت، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل، وهذا أحد وجهين، والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعروفة، ونسبت لها لخروجها منها. قوله: (**بالهمز**) أي الساكن أو المفتوح، فتكون القراءات ثلاثاً سبعيات. قوله: (**الشاق لهم**) اللام بمعنى على، وفي نسخة له أي لسليمان. قوله: (**لظنهم حياته**) علة لقوله: ﴿مَا لَبِثُوا﴾. قوله: (**وعلم كونه**) إلخ، إما بالبناء للمفعول، أو مصدر مبتدأ خبره قوله: (**بحساب**) إلخ، فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقداراً؛ فحسبوا على ذلك، فوجدوه قد مات منذ سنة.

قوله: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ**﴾ اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد كان إلخ. و ﴿**لِسَبَإٍ**﴾ خبر ﴿**كَانَ**﴾ مقدم، و ﴿**آيَةٌ**﴾ اسمها مؤخر، و ﴿**مَسْكَنِهِمْ**﴾ حال. قوله: (**بالصرف وعدمه**) أي وفي عدم الصرف قراءتان، فتح الهمز وسكونها، فالقراءات ثلاث. قوله: (**سميت باسم جد لهم**) أي وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان، روي أن رجلاً قال: يا رسول الله، وما سبأ، أرض أو امرأة قال: ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد عشراً من العرب، فتيامن منهم ستة، أي سكنوا اليمن، وتشاءم منهم أربعة أي سكنوا الشام، فأما الذين تشاءموا، فلخم وجذام وغسان وعاملة، وأما الذين تيامنوا: فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار، فقال رجل: يا رسول الله، وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، والمقصود من تلك القصة، اتعاظ هذه الأمة المحمدية، ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم، وإلا يحل بهم ما حل بمن قبلهم. قوله: ﴿**فِي مَسْكَنِهِمْ**﴾ بالجمع كمساجد، والإفراد إما بكسر الكاف أو فتحها، ففيه ثلاث قراءات سبعيات. قوله: (**باليمن**) أي وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام. قوله: (**دالة على قدرة الله**) أي فإذا تأمل العاقل فيها، استدل على باهر قدرته، وأنه الخالق لجميع المخلوقات. قوله: (**بدل**) أي من آية التي هي اسم كان، وصح إبدال المثنى من المفرد، لأنه في قوة المتعدد، وذلك أن الجنتين لما كانتا متماثلتين، وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله، من غير انضمام غيرها لها، صح جعلهما أي واحدة، نظير قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾. قوله:

في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس بها سباخ، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥﴾ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي سيل واديهم الممسوك بما ذكر، فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ مرّ بشع، بإضافة أكل بمعنى مأكول وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَزِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾ بالياء والنون مع كسر

(عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين، وقيل: عن يمين الذاهب وشماله. قوله: (وقيل لهم) أي على لسان أنبيائهم، لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه، وهذا الأمر للإذن والإباحة. قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أي اصرفوا نعمه في مصارفها. قوله: (أرض سبأ) إلخ، أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ خبر لمحذوف، فهو كلام مستأنف. قوله: (ليس بها سباخ) جمع سبخة وهي الأرض ذات الملح. قوله: (ولا بعوضة) البعوض البق، وقوله: (ولا برغوث) بضم الباء. قوله: (فيموت) أي القمل ومثله باقي الهوام. قوله: ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ أي يستر ذنبوكم. قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾(عن شكره) أي عن أمره واتباع رسله، لما روي أنه أرسل الرسل لهم ثلاثة عشر نبياً، فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه، فكذبوهم وقالوا: ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا له، فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار، وكان له ولد فمات، فرفعه رأسه إلى السماء فبزق وكفر، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر، فإن أجابه وإلا قتله. قوله: (وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره) أي فكان واديهم أرضاً متسعة بين جبال شامخة، فبنت بلقيس سداً حول ذلك الوادي بالصخر والقار، وجعلت له أبواباً ثلاثة، بعضها فوق بعض، وصار ماء يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة، فكانوا يسقون من الأعلى، ثم من الأوسط، ثم من الأدنى؛ على حسب علو الماء وهبوطه، فالعرم هو هذا السد، وقيل: العرم اسم للفأر الذي نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون في كهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين، إلا ربطوا إلى جانبها هرة، فلما جاء ما أراده بهم، أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهررة، فثاورتها حتى استأخرت على الحجر، ثم وثبت ودخلت في الفرجة التي عندها، ونقبت السد حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل، دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد، وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم.

قوله: ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ تسميتها بذلك تهكم بهم لمشاكله الأول. قوله: (مفرد في الأصل) أي لأن أصلها ذوية، تحركت الياء وانفتح ما قبلها، قلبت ألفاً فصار ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفاً، ففي تثنيته وجهان: اعتبار الأصل، واعتبار العارض، فالأول ذواتان، والثاني ذاتان. قوله: (مر بشع) قيل: هو شجر الأراك. وقيل: كل شجر له شوك. قوله: (بإضافة أكل) أي بضم الكاف لا غير، وقوله: (وتركها) أي بضم الكاف وسكونها، فالقراءات ثلاث سبعيات. قوله: (ويعطف عليه) أي على أكل. قوله: ﴿مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان: نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه، وهو له ثمر غض، لا

الزاي ونصب الكفور، أي ما يناقش إلا هو ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يقيلون في واحدة، ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، أي وقلنا ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ ﴿١٨﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ وفي قراءة باعد ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبراً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ ﴿١٩﴾ على النعم ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي الكفار منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ فصدق بالتخفيف في ظنه، أو صدق بالتشديد ظنه، أي وجده صادقاً ﴿إِلَّا﴾ بمعنى لكن ﴿فَرِيقًا مِنَ

يؤكل أصلاً، ولا ينتفع بورقه، وهو المسمى بالضال، وهو المراد هنا. قوله: ﴿ذلِكَ﴾ مفعول ثان لجزينا مقدم عليه. قوله: (بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية. قوله: (بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق في الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب، وإلا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر، لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ عطف على ما تقدم، عطف قصة على قصة. قوله: ﴿قُرىً ظَاهِرَةً﴾ قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية، متصلة من سبأ إلى الشام. قوله: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ أي جعلنا السير بين قراهم، وبين القرى المباركة، سيراً مقدراً، من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية. قوله: (ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أي فكانوا يسيرون غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين، مسيرة أربعة أشهر في أماكن لا يحرك بعضهم بعضاً، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لا يحركه.

قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أي لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة، تمنوا طول السفر والتعب في المعايش، نظير قول بني إسرائيل ﴿ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض﴾ الآية، وكتمني أهل مكة العذاب بقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ الآية. قوله: (مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع المهلك، مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات، وقيل: من فاز إذا نجا وسلم، سمي بذلك تفاؤلاً بالسلامة. قوله: ﴿أَحَادِيثَ﴾ أي يتحدث بأخبارهم. قوله: (فرقناهم في البلاد) أي لضيق عيشهم وخراب أماكنهم، وهي سنة باقية في كل من بطر النعمة وظلم، فقد أفادنا الله في تلك الآيات، أنه أصابهم بنعمتين، وابتلاهم بنقمتين. قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿ظَنَّهُ﴾ أي وسبب ظنه، إما رؤيته إنهماكهم في الشهوات، أو قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها، فظن ضعف أولاده بالنسبة له، وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم. قوله:

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ للبيان أي وهم المؤمنون لم يتبعوه ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ تسليطاً منا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ رقيب ﴿قُلِ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالى فيهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُۥ﴾ تعالى ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ معين ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالى رداً لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ بفتح الهمزة وضمها ﴿لَهُۥ﴾ فيها

(فصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله: **(ظنه)** على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض، والمعنى صار فيما ظنه أولاً من إغوائهم على يقين، وقوله: **(أو صدق)** بالتشديد إلخ. أي فظنه مفعول لصدق، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقاً. قوله: **(بمعنى لكن)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار، ويصح أن يكون متصلاً، لأن بعض المؤمنين يذنب ويتبع ابليس في بعض المعاصي، ويكون قوله: ﴿إِلَّا فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المراد بهم من لم يتبعه أصلاً، والأقرب الأول، لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله: ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾. قوله: **(تسليطاً منا)** أي فالشيطان سبب في الإغواء، لا خالق الإغواء، فمن أراد الله حفظه، منع الشيطان عنه، ومن أراد الله إغواءه، سلط عليه الشيطان، والكل فعل الله تعالى. قوله: **(علم ظهور)** أي فالمعنى ليظهر متعلق علمنا، فاللام للعاقبة لا للتعليل، ومعنى الآية: ما كان له عليهم ايجاد اضلال، بل خالق الهدى والضلال هو نحن، وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه، ليتميز بين عبادنا، من خلقنا فيه الكفر، ومن خلقنا فيه الإيمان، فاتباعه وعدمه، علامة على ما تعلق به علمه تعالى فتدبر. قوله: **(رقيب)** أي فهو تعالى قادر على منع ابليس منهم، عالم بما سيقع.

قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا﴾ بكسر اللام على أصل التخلص، وبالضم اتباعاً، قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي زعمتموهم آلهة)** أي فالمفعولان محذوفان، الأول لطوله بصلته، والثاني لقيام صفته ـ أعني قوله من دون الله ـ مقامه. قوله: **(لينفعوكم)** متعلق بادعوا، أي ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ويجلبوا لكم سعة العيش. قوله: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي لا يملكون أمراً من الأمور في العالم، وذكر السماوات والأرض للتعميم عرفاً. قوله: **(معين)** أي على خلق شيء. بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والإعدام.

قوله: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ﴾ أي إن الشفاعة لا يكون من هؤلاء المعبودين من دون الله، من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغير الكفار، وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾. قوله: **(رداً لقولهم)** إلخ، أي حيث قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾، وايضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالإذن والرضا، وهم قد ارتكبوا ما يقتضي للغضب وهو

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول ﴿عَن قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها

الكفر، فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضي للغضب، وعدم الإذن في الشافعة؟ إن هذا الزعم باطل. قوله: ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ يصح وقوع من على الشافعين، والمعنى إلا لشافع أذن له في الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمشفوع أذن أن يشفع له، فاللام على كل حال متعلقة بأذن، والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان. قوله: **(بفتح الهمزة)** أي والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولاً، وقوله: **(وضمها)** أي بالبناء للمفعول، والآذن هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إذا فُزِّعَ﴾ غاية في محذوف تقديره يتربصون ويتوقعون مدة من الزمان، فزعين حتى إذا فزع إلى آخره، والتضعيف للسلب كالهمزة، كما أشار له بقوله: **(كشف عنها الفزع)** والمعنى: حتى إذا أزيل الفزع من قلوب الشافعين والمشفوع لهم، بكلمة يتكلم بها رب العزة في الإذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضاً. قوله: **(بالبناء للفاعل)** أي والفاعل ضمير يعود على الله، وقوله: **(والمفعول)** أي والجار والمجرور نائب الفاعل، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(استبشاراً)** أي لزوال الكرب والحزن عن القلوب، واختلف هل هذا الأمر في الآخرة أو الدنيا؟ فقيل في الآخرة، ويؤيده ما في سورة النبأ ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً**﴾ وعلى هذا فيكون في الكلام حذف، والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة، إلا لمن أذن له، ففزع ما ورد على القلوب من المهابة، حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم، سأل بعضهم بعضاً، وقيل: في الدنيا، ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ «إن الله تعالى إذا أراد أن يوحي بأمر وتكلم بالوحي، أخذت السماوات والأرض منه رجفة أو رعدة شديدة خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع أهل السماوات بذلك، صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ما أراد، ثم يمر جبريل بالملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال: فيقول كلهم كما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله تعالى». وعن ابن عباس قال: كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي، وكان إذا نزل الوحي، سمع له صوت كإمرار السلسلة على الصفوان، فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، ثم يقول: يكون في هذا العام كذا ويكون كذا، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة، والكهنة تخبر الناس، فيجدونه كذلك، فلما بعث الله سيدنا محمداً ﷺ، دحروا ومنعوا بالشهب، فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك؟ هلك من في السماء، فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً، وصاحب البقر ينحر كل يوم بقرة، وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة، حتى أسرعوا في أموالهم، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب: أيها الناس أمسكوا على أموالكم، فإنه لم يمت من في السماء، أما ترون معالمكم من النجوم كما هي، والشمس والقمر والليل والنهار؟ فقال إبليس: لقد حدث في الأرض اليوم حدث، فائتوني من كل تربة أرض فأتوه بها، فلما شم تربة مكة قال: من ههنا جاء الحدث، فانصتوا فإذا رسول الله ﷺ قد بعث، فتحصل أن الفزع على القول بأنه في الآخرة يكون من جميع الخلق، وعلى القول بأنه في الدنيا يكون من الملائكة خاصة، والآية محتملة للأمرين، والعموم أولى، لأن الكفار زعموا أن

﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها ﴿قَالُواْ﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ أي قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ العظيم ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ النبات ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ أي أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيِّن الإبهام، تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا﴾ أذنبنا ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لأنا بريئون منكم ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ بما يحكم به ﴿قُلْ أَرُونِيَ﴾ أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً﴾ حال من الناس قدم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشراً

آلهتهم تنفعهم في الدنيا والآخرة، فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر. قوله: (القول) ﴿الْحَقَّ﴾ أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول. قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ هذا من تمام كلام الشفعاء، اعترافاً بعظمة الله وكبريائه.

قوله: ﴿قُلِ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾ إلخ، هذا السؤال تبكيت للمشركين، وإشارة إلى أن آلهتهم لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمْوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللهُ﴾. قوله: ﴿لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ غاير بين الحرفين، إشارة إلى أن المؤمنين مستعلون على الهدى، كراكب الجواد يسير به حيث يشاء، والكفار محبوسون في الضلال، كالمنغمس في الظلمات الذي لا يبصر شيئاً. قوله: (في الإبهام) خبر مقدم، و (تلطف) مبتدأ مؤخر، و (داع) صفة لتلطف.

قوله: ﴿لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا﴾ إلخ، فيه تلطف بهم وتواضع، حيث أسند الإجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين. قوله: (يوم القيامة) أي في الموقف. قوله: (أعلموني) أشار بذلك إلى أن أرى علمية، فتتعدى إلى ثلاثة مفاعيل: أولها ياء المتكلم، وثانيها الموصول، وثالثها شركاء، ويصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين: الأول المتكلم، والثاني الموصول، وشركاء حال من عائد الموصول، والقصد من ذلك تبكيتهم وإظهار خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم. قوله: ﴿بَلْ هُوَ﴾ الضمير إما عائد على الله، أو ضمير الشأن، وما بعده مبتدأ وخبره، والجملة خبره.

قوله: ﴿إِلَّا كَافَّةً﴾ الحصر إضافي، جيء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم. قوله: (حال من الناس) تبع فيه ابن عطية، واعترضه الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ، بمنزلة تقدم المجرور على الجار، ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها، فتقديمها على صاحبها وحده أجوز، لتقدم عاملها وهو أرسلنا، وهذا أحد وجهين في الآية، ويصح جعل ﴿كَافَّةً﴾ حالاً من الكاف في ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ والتاء للمبالغة كهي في علامة وراوية، والمعنى إلا جامعاً للناس في التبليغ، يخرج عن تبليغك أحد، فكافة

للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ذلك ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ فيه ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ عليه وهو يوم القيامة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له، قال تعالى فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء ﴿لَوْلَا أَنتُمْ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣١﴾ بالنبي ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

اسم فاعل من كف بمعنى جمع، أو مصدر كالعاقبة، والعاقبة إما مبالغة أو على حذف مضاف، أي ذا كافة للناس، أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا ارساله كافة، أي محيطه بهم وشاملة لهم، فلا يخرج منها، أحد والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهي متقاربة، فتحصل أن هذه الآيات دلت على أنه مرسل لجميع الإنس بشيراً ونذيراً، وأما ارساله لغيرهم، فمأخوذ من آيات أخر منها ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ لكن ارساله للإنس والجن، ارسال تكليف وللملائكة: قيل، ارسال تكليف، وقيل تشريف، وللحيوانات الغير العاقلة والجمادات ارسال تشريف. قوله: ﴿**لَا يَعْلَمُونَ**﴾(**ذلك**) أي ما ذكر من عموم رسالته، وكونه بشيراً ونذيراً.

قوله: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ أي على سبيل الاستهزاء والسخرية. قوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ**﴾ الخطاب للنبي والمؤمنين. قوله: ﴿**لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ**﴾ أي إن أردتم التأخر. قوله: ﴿**وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾ أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم. إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال، لأن السؤال عن طلب تعيين الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله. وأجيب: بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم، لأن سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت، إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم.

قوله: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ**﴾ إلخ، سبب ذلك أنّ أهل الكتاب قالوا لهم: إن صفة محمد في كتبنا، فلما سألوهم ووافق ما قال أهل الكتاب، قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن، ولا بالذي بين يديه. قوله: (**الدالين على البعث**) أي وعلى صفة محمد ﷺ، فإنهم يكفرون بها أيضاً. قوله: (**قال تعالى فيهم**) أي في بيان أحوالهم في الآخرة.

قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى**﴾ مفعول ﴿**تَرَى**﴾ وجواب ﴿**لَوْ**﴾ محذوف، والتقدير: ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم، حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمراً فظيعاً. قوله: ﴿**إِذِ الظَّالِمُونَ**﴾ ﴿**إِذِ**﴾ ظرف لترى بمعنى وقت. قوله: ﴿**مَوْقُوفُونَ**﴾ أي محبوسون في الموقف للحساب. قوله: ﴿**عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ العندية للمكانة والعظمة لا المكان. قوله: ﴿**يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ**﴾ حال من ضمير ﴿**مَوْقُوفُونَ**﴾ والقول منصوب بيرجع. قوله: ﴿**يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا**﴾ تفسير لقوله: ﴿**يَرْجِعُ**﴾ فالجملة لا محل لها من الإعراب. قوله: ﴿**لَوْلَا أَنْتُمْ**﴾ ما بعد ﴿**لَوْلَا**﴾ مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: (**صددتمونا**) إلخ، وقوله: ﴿**لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾ جواب ﴿**لَوْلَا**﴾. قوله: ﴿**قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا**﴾ أي جواباً

لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾؟ لا ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾﴾ في أنفسكم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿وَأَسَرُّوا﴾ أي الفريقان ﴿النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ أي أخفاها كل عن رفيقة مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ في الدنيا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ ذلك ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ قربى أي تقريباً ﴿إِلَّا﴾

للمستضعفين. قوله: ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ﴾ أي منعناكم. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ ترك العاطف فيما سبق لأنه مر أولاً كلامهم، فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عاطف، ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفاً على كلامهم الأول. قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ردٌّ وإبطال لكلام المستكبرين، ومكر فاعل بفعل محذوف، أي صددنا مكركم بنا في الليل والنهار، فحذف المضاف إليه، وأقيم الظرف مقامه على الاتساع، والإسناد مجازي. قوله: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾ ظرف للمكر، أي مكركم وقت أمركم لنا، إلخ. قوله: ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ جملة حالية، أو مستأنفة. قوله: (أي أخفاها كل عن رفيقه) أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي زيادة على تعذيبهم بالنار.

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ إلخ، هذا تسليه له ﷺ. قوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ حال من قرية وإن كانت نكرة، لوقوعها في سياق النفي، فنعم فقد وجد المسوغ. قوله: ﴿بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ متعلق بكافرون، قدم للاهتمام ورعاية للفواصل. قوله: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ أي فلو لم يكن راضياً بما نحن عليه، لما أعطانا الأموال والأولاد، في الدنيا، وإذا كان كذلك، فلا يعذبنا في الآخرة. قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي لأنه لما أكرمنا في الدنيا، فلا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ إلخ أي فبسط الرزق وضيقه في الدنيا، ليس دليلاً على رضا الله، فقد يبسط الرزق للكافر، ويضيقه على المؤمن الخالص، وقد يكون بالعكس، وإنما هو تابع للقسمة الأزلية، قال تعالى: ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾(ذلك) أي فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه، تابع لرضا الله وغضبه.

قوله: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ﴾ إلخ، كلام مستأنف سيق لتقرير ما سبق تحقيقه. قوله: ﴿بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ﴾ صفة للأموال والأولاد، لأن جمع التكسير للعاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، ويصح أن تكون التي صفة لموصف محذوف تقديره بالأحوال التي. قوله: (قربى) أشار بذلك إلى ﴿زُلْفَى﴾ مصدر من معنى

لكن ﴿ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ﴾ أي جزاء العمل: الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ﴾ من الجنة ﴿ ءَامِنُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع ﴿ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ القرآن بالإبطال ﴿ مُعَٰجِزِينَ ﴾ لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتونا ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ ﴾ يوسعه ﴿ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ امتحاناً ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يضيقه ﴿ لَهُۥ ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ في الخير ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ﴿٣٩﴾ يقال كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله ﴿ وَ ﴾ اذكر ﴿ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ﴾ أي المشركين ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال

الفعل. قوله: **(لكن)** ﴿**مَنْ آمَنَ**﴾ أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع، وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار، ويصح أن يكون متصلاً، والخطاب الأول عام، كأنه قيل: وما الأموال والأولاد تقرب أحداً، إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله، وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح، ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ إلخ. قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ**﴾ مبتدأ، و ﴿**لَهُمْ**﴾ خبر مقدم، و ﴿**جَزَاءُ**﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر أولئك، وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم. قوله: ﴿**جَزَاءُ الضِّعْفِ**﴾ من إضافة الموصوف لصفته، أي الجزاء المضاعف. قوله: **(مثلاً)** أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر. قوله: **(وغيره)** أي من سائر المكاره، فلا يفنى شبابهم. ولا تبلى ثيابهم. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(مقدرين عجزنا)** أي معتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم. قوله: ﴿**إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ إلخ، اختلف في هذه الآية، فقيل: مكررة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل: مغايرة لها، فالأولى محمولة على أشخاص متعددين، وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين، فوقت البسط غير وقت القبض، وهو الاحتمال الأول في قول المفسر، أو الأولى محمولة على الكفار، وهذه في حق المؤمنين، وكل صحيح. قوله: **(ابتلاء)** علة لقوله: ﴿**وَيَقْدِرُ لَهُ**﴾ أي يختبر هل يصبر أو لا.

قوله: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ أي على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به. قوله: ﴿**فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ أي بالمال أو بالقناعة التي هي كنز لا ينفد، أو بالثواب في الآخرة، وفي الحديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً». ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآيات، وأتى بهذه الآية عقب التي قبلها، إشارة إلى أن الإنفاق لا يضيق الرزق، بل ربما كان سبباً في توسعته، فالحيلة في توسعة الرزق، الإنفاق في وجوه الخير، والثقة بالله والتوكل عليه.

قوله: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ أي أحسنهم وأجلهم، لكونه خالق السبب والمسبب. قوله: **(يقال كل إنسان)** إلخ، أي لغة، ودفع بذلك ما قيل: إن الرزاق في الحقيقة واحد وهو الله. فأجاب: بأن الجمع باعتبار الصورة، فالله خالق الرزق، والعبيد متسببون فيه. إن قلت: أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه؟ أجيب: بأن الرزاق يطلق على الموصل للرزق والخالق له، والرب يوصف بالأمرين، والعبد يوصف بالإيصال فقط، فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل، فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا، ولا يقال له رزاق، لأنه من الأسماء المختصة به تعالى. قوله: **(يرزق عائلته)** أي عياله، وعيال

الأولى ياء وإسقاطها ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿قَالُواْ سُبْحَانَكَ﴾ تنزيهاً عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين أي يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ ﴿٤١﴾ مصدقون فيما يقولون لهم، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾ شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُواْ مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُواْ مَا هَذَا﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٤٣﴾ بيِّن، قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن

الرجل من يعولهم، واحده عيل كجيد. قوله: (وابدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر، إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء، وأما تحقيقها وإسقاط الأولى فقراءتان سبعيتان، وبقي ثلاث قراءات سبعيات: تحقيق الأولى، وتسهيل الثانية وعكسه، وابدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى، فتكون الجملة خمساً.

قوله: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وذلك كقوله تعالى لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس أتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ مع كون الله تعالى عالماً بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك. قوله: ﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دِونِهِمْ﴾ أي أنت الذي نواليك ونتقرب اليك بالعبادة، فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا. قوله: (أي يطيعونهم) أي فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم، وقيل كانوا يتمثلون لهم، ويخيلون إليهم أنهم الملائكة، كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن، ويزعمون أن الجن تتراءى لهم، وأنهم ملائكة، وأنهم بنات الله. قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ إن قلت: حيث أثبت أولاً أنهم كانوا يعبدون الجن، لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال أكثرهم؟ أجيب: بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزاً عن ادعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن، ولعل في الوجود من يطلع عليه من الكفار وأجيب أيضاً: بأن العبادة عمل ظاهر، والإيمان عمل باطن، والظاهر عنوان الباطل غالباً، فقالوا: بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم، وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون، لعدم اطلاعهم على ما في القلوب. قوله: (أي بعض المعبودين) أي وهم الملائكة، وقوله: (لبعض العابدين) أي وهم الكفار.

قوله: ﴿وَنَقُولُ﴾ عطف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾. قوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ أي دلائل توحيدنا. قوله: ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ أي كذب غير مطابق للواقع، ومع كونه كذلك هو ﴿مُفْتَرًى﴾ أي مختلق من حيث نسبته إلى الله، فقوله: ﴿مُفْتَرًى﴾ تأسيس لا تأكيد. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ التصريح بالفاعل انكار عظيم وتعجيب بليغ. قوله: (قال تعالى) أي رداً عليهم. قوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ أي فالمعنى لا عذر لهم في عدم تصديقك، بخلاف أهل الكتاب، فإن لهم كتاباً وديناً، ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه، وإن كان عذراً باطلاً وحجة واهية.

نَّذِيرٍ﴾ ﴿٤٤﴾ فمن أين كذبوك ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوَّة وطول العمر، وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٤٥﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ هي ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾ اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ محمد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ﴾ أي قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ﴿٤٦﴾ في الآخرة إن عصيتموه ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي

قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ أي نبي يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله. قوله: ﴿مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ قيل: المعشار لغة في العشر، وقيل: المعشار هو عشر العشير، والعشير هو عشر العشر، فيكون جزءاً من ألف وهو الأظهر، لأن المراد به المبالغة في القليل. قوله: (من القوة) إلخ، أي ومع ذلك، فلم ينفعهم شيء من ذلك في دفع الهلاك. قوله: ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ عطف على قوله: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطف مسبب على سبب. قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ عطف على محذوف تقديره: فحين كذبوا رسلي، جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم؟ قوله: (واقع موقعه) أي فهو غاية العدل، وعدم الجور والظلم.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ﴾ أي آمركم وأوصيكم، وقوله: ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة. قوله: ﴿أَنْ تَقُومُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (هي) وليس المراد بالقيام حقيقة، وهو الانتصاب على القدمين، بل المراد صرف الهمة، والاشتغال والتفكر في أمر محمد وما جاء به، لأن أول واجب على المكلف، النظر المؤدي للمعرفة. قوله: ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾ حالان من فاعل ﴿تَقُومُوا﴾ وإنما أمرهم بذلك لأن الجماعة ربما يكون في اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر، بسبب الأغراض والتعصب، وأما الاثنان فيتفكران، ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته، وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول: هل رأينا من هذا الرجل جنوناً، أو جربنا عليه كذباً قط، وقد علمتم أن محمداً ما به جنون، بل علمتوه أرجح قريش عقلاً، وأوزنهم حلماً، وأحدهم ذهناً، وأرضاهم رأياً، وأصدقهم قولاً، وأزكاهم نفساً، وإذا علمتم ذلك، كفاكم أن تطلبوا منه آية على صدقه، وإذا جاء بها، تبين أنه صادق فيما جاء به، وإذا كان كذلك، فالواجب اتباعه وتصديقه. قوله: (فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر والعلم، ومعمول التفكر محذوف، والتقدير فتفكروا في أحوال محمد، فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنون ولا نقص.

قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ أضافه لهم اشارة إلى أنه كان مشهوراً بينهم، وحاله معروف عندهم، فكانوا يدعونه بالصادق الأمين، فإذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة، على حاله قبلها، فيفيدهم العلم بكمال أوصافه. قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي المحدث عنه وهو محمد ﷺ. قوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة، إن لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه. قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ يحتمل أن ﴿مَا﴾ شرطية مفعول لسألتكم، و ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ بيان، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب للشرط، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ خبرها، وقرن الخبر بالفاء لما في

لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ مطلع يعلم صدقي ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ﴿٤٨﴾ ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ ﴿٤٩﴾ أي لم يبق له أثر ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ أي إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ الدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فَزِعُواْ﴾ عند البعث لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ لهم منا، أي لا يفوتونا

الموصول من العموم، وعلى كل فيحتمل أن المعنى: ما أسألكم أجراً البتة، فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئاً أصلاً: إن أعطيتني شيئاً فخذه، ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾، وقول المفسر: **(أي لا أسألكم عليه أجراً)** ويحتمل أن المعنى: لم أسألكم شيئاً يعود نفعه علي، فهو كقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾، وقوله: ﴿ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾.

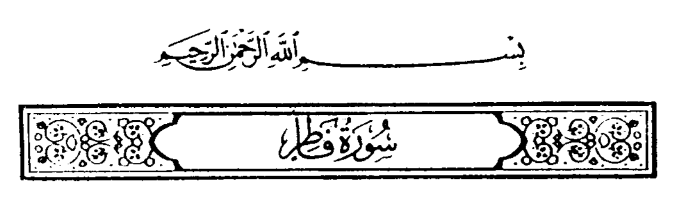
قوله: ﴿قُلْ إنَّ رَبِّي﴾ أي مالكي وسيدي. قوله: ﴿يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ مفعول ﴿يَقْذِفُ﴾ محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق، ويؤيده قوله تعالى: ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ أي ندفع الباطل بالحق ونصرفه به، ويصح أن تكون الباء للملابسة، والمفعول محذوف أيضاً، والتقدير: يقذف الوحي إلى أنبيائه ملتبساً بالحق، أو ضمن يقذف معنى يقضي ويحكم، والأقرب الأول، لأن خير ما فسرته بالوارد. قوله: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ خبر ثان لأن، أو خبر مبتدأ محذوف. قوله: **(ما غاب عن خلقه)** أي فتسميته غيباً بالنسبة للخلق، وإلا فالكل شهادة عنده تعالى.

قوله: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل، فليس مجرد وعد. قوله: ﴿وَمَا يُبْدِىءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي لم يبق له بداية ولا إعادة ولا نهاية، فهو كناية عن ذهابه بالمرة، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿قل جاء الحق وزهق بالباطل﴾ إن قلت: إن السورة مكية، والكفر في ذلك الوقت، كان له شوكة قوية، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ إلخ؟ أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع، فعبر عنه بالماضي كقوله: ﴿أتى أمر الله﴾.

قوله: ﴿قُلْ إنْ ضَلَلْتُ فإنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ سبب نزولها: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: تركت دين آبائك فضللت، والمعنى: فقل لهم يا محمد: إن حصل لي ضلال كما زعمتم، فإن وبال ضلالي على نفسي، لا يضر غيري، وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب، وقرىء شذوذاً بكسر اللام من باب علم. قوله: ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ﴾ إلخ، أي لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه. قوله: ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ أي بسبب إيحاء ربي إلي، أو بسبب الذي يوحيه إلي، فما مصدرية أو موصولة، والمعنى فهداي بفضل الله تعالى، فحاصل المعنى المراد، أنه إن كان بي ضلال، فمن نفسي لنفسي، وإن كان بي هدى، فمن فضل الله بالوحي إلي، على حد قوله تعالى: ﴿وما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾. قوله: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ أي يسمع كل ما خفي وما ظهر، وقوله: ﴿قَرِيبٌ﴾ أي قرب مكانة لا مكان. قوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ يحتمل أن مفعول ﴿تَرَى﴾ محذوف تقديره: ولو ترى حالهم وقت فزعهم، ويحتمل أن ﴿إِذْ﴾ مفعول ﴿تَرَى﴾ أي ولو ترى وقت فزعهم؛ واسناد الرؤية للوقت

﴿ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٥١) أي القبور ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بمحمد أو القرآن ﴿ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ بالواو وبالهمزة بدلها أي تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ (٥٢) عن محله إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا ﴿ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ يرمون ﴿ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ (٥٣) أي بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا في النبي ساحر شاعر كاهن، وفي القرآن سحر شعر كهانة ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ من الإيمان أي قبوله ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبْلُ﴾ أي قبلهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ﴾ (٥٤) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

مجاز، وحقه أن يسند لهم، وقوله: **(عند البعث)** أحد أقوال في وقت الفزع، وقيل: في الدنيا يوم بدر، حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة، فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة، وقيل: نزلت في ثمانين ألفاً، يأتون في آخر الزمان، يغزون الكعبة ليخربوها، فلما يدخلون البيداء يخسف بهم، فهو الأخذ من مكان قريب. قوله: (**لرأيت أمراً عظيماً**) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف. قوله: **﴿فَلَا فَوْتَ﴾** أي لا مخلص ولا مهرب. قوله: **(أي القبور)** أي وهي قريبة من مساكنها في الدنيا، أو المعنى قبضت أرواحهم في أماكنها فلم يمكنهم الفرار، وقيل: أخذوا من مكان قريب، وهي القبور لجهنم، فيخرجون من قبورهم لها. قوله: **﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** أي قالوا ذلك وقت حصول الفزع، وهو وقت نزول العذاب بهم. قوله: **﴿وأنى لهم﴾** أي كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم في الآخرة، مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا في الدنيا، وهي بعيدة في الآخرة؟ فالماضي بعيد إذ لا يعود، والمستقبل قريب لأنه آت، وكل آت قريب. قوله: **﴿التَّنَاوُشُ﴾** أي الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة قوله: **(بالواو وبالهمزة)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾** إلخ، الجملة حالية، أي يستبعد تناولهم الإيمان في الآخرة، والحال أنهم كفروا في الدنيا. قوله: **﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾** أي يتكلمون في الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره، وهو الشبه التي اقترحوها في جانب الرسول، ويتكلمون في العذاب، ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم، من حيث إنهم لم يعلموا ذلك، فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد، فهو بعيد عن رتبة العلم. قوله: **(غيبة بعيدة)** أي عن الصدق. قوله: **﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ﴾** أي في الآخرة. قوله: **(أي قبوله)** أي بحيث يخلصهم في الآخرة. قوله: **﴿بِأَشْيَاعِهِمْ﴾** جمع شيع، وشيع جمع شيعة، فالأشياع جمع الجمع، وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه، المراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر. قوله: **﴿مِنْ قَبْلُ﴾** صفة للأشياع. قوله: **(أي قبلهم)** أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لا في العذاب، فإن زمن عذابهم في القيامة متحد. قوله: **(موقع في الريبة لهم)** أي فهو من أراد به إذا أوقعه في الريبة وهي الشك، فهو كقولهم: عجب عجيب، وشعر شاعر، من باب التأكيد. قوله: **(ولم يعتدوا بدلائله)** حال من الواو في **(آمنوا)** أي آمنوا به في الآخرة، والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله.



مكيّة

وهي خمس أو ست وأربعون آية

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد الله تعالى نفسه بذلك، كما بين في أول سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر مكية

وهي خمس أو ست وأربعون آية

أي تسمى سورة الملائكة أيضاً. قوله: (حمد الله تعالى نفسه) أي تعظيماً لنفسه، وتعليماً لخلقه كيفية الثناء عليه، فأل في الحمد الصادر منه تعالى، يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس، ولا يصح أن تكون عهدية، لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة، وأما في كلام العباد، فالأولى أن تكون عهدية، والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه. قوله: (كما بين في أول سورة سبأ) أي حيث قال هناك: حمد تعالى نفسه بذلك، المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف الجميل، وعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع: الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وحكمة افتتاحها بذلك، أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة. قوله: (على غير مثال ذلك) أي وإن كان لهما مادة، وهو النور المحمدي، فالمنفي المثال السابق فقط.

قوله: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ﴾ نعت ثاني للفظ الجلالة، و ﴿جَاعِلَ﴾ وإن كان بمعنى المضي، إلا أنه للاستمرار، فباعتبار دلالته على المضي، تكون إضافته محضة، فيصلح لوصف المعرفة به، وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال، يصلح للعمل في ﴿رُسُلًا﴾. قوله: (إلى الأنبياء) أي بالوحي، وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم، وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى، ونصها: جاعل الملائكة رسلاً وسائط بين الله تعالى، وبين أنبيائه والصالحين من عباده، يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه.

﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ ۝١﴾ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٖ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ إي بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ في فعله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات

قوله: ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ يصح أي يكون صفة لـرسلًا، وهـو إن كان صحيحـاً من جهة اللفظ لتوافقهما تنكير، إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل، مع أنها لكل الملائكة، فالأحسن جعله صفة أو حالاً من الملائكة، نظراً لأل الجنسية. قوله: ﴿مَثْنَى﴾ بدل من ﴿أَجْنِحَةٍ﴾ مجرور بفتح مقدرة، نيابة عن الكسرة المقدرة، لأنه اسم لا ينصرف، والمانع له من الصرف الوصفية والعدل، لكونه معدولاً عن اثنين اثنين. قوله: ﴿وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ إن قلت: في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟ قلت: لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة.

قوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى. قوله: (في الملائكة) أي في صورهم، فقد قـال الزمخشري: رأيت في بعض الكتب، أن صنفـاً من الملائكـة لهم ستة أجنحـة، فجنـاحـان يلفون بهما أجسادهم، وجناحان للطير يسيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى، وفي الحديث: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح، يتناثر من رأسه الدر والياقوت». وروى أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال: إنك لن تطيق ذلك. فقال: إني أحب أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على رسول الله ﷺ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده، وإحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: سبحان الله ما كنت أرى شيئاً من الخلق هكذا، فقال جبريل: فكيف لو رأيت اسرافيل، له اثنا عشر ألف جناح، جناح منها بالمشرق، وجناح بالمغرب، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين، أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله، حتى يعود مثل الوصع، وهو العصفور الصغير. قوله: (وغيرها) أي من جميع الخلق، كطول القامة، واعتدال الصورة، وتمام الأعضاء، وقوة البطش، وحسن الصوت، والشعر، والخط، وغير ذلك من الكمالات التي أعطاها الله لخلقه. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كالتعليل لما قبله.

قوله: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ﴾ ﴿مَا﴾ إما شرطية، و ﴿يَفْتَحِ﴾ فعل الشرط، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿يَفْتَحِ﴾ صلتها، وقوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ خبر المبتدأ، وقرن بالفاء لما في المبتدأ من العموم، وقوله: ﴿مِنْ رَحْمَةٍ﴾ بيان لما. قولـه: (كرزق) أي دنيـوي أو أخروي، وعبر في جانب الرحمة بالفتح، إشارة إلى أنها شيء عزيز نفيس، شأنه أن يوضع في خزائن، وأتى بها منكرة، لتعم كل رحمة دنيوية أو أخروية. قوله: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أنث مراعاة لمعنى ﴿مَا﴾ وهو الرحمة. قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ﴾ يصح أن يبقى على عمومه، فالتذكير في قوله ظاهر، ويصح أن يكون قد حذف من الثاني، لدلالة الأول عليه، والتذكير مراعاة اللفظ، وقد أشار المفسر لهذا الثاني بقوله: (من ذلك) يعني من الرحمة. قوله: (أي أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول، وإلا فالعبرة بعموم اللفظ.

عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ﴾ من زائدة وخالق مبتدأ ﴿غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بالرفع والجر، نعت لخالق لفظاً ومحلاً وخبر المبتدأ ﴿يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطر ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ النبات والاستفهام للتقرير، أي لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣﴾ من أين تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ ﴿٤﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسلين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ ﴿٥﴾ الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ أتباعه في الكفر

قوله: **﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾** أي اشكروه على تلك النعم التي اسداها إليكم. قوله: **(بإسكانكم)** إلخ، أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الإنعام، ويصح أن تكون بمعنى المنعم به. قوله: **(وخالق مبتدأ)** أي مرفوع بضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. قوله: **(بالجر والرفع)** أي فيهما قراءتان سبعيتان، وقوله: **(لفظاً أو محلاً)** لف ونشر مرتب، وفي بعض النسخ بتقديم الرفع، فيكون لفاً ونشراً مشوشاً، وقرىء شذوذاً بالنصب على الاستثناء. قوله: **(والاستفهام للتقرير)** أي والتوبيخ. قوله: **(أي لا خالق رازق غيره)** هذا حل معنى لا حل إعراب، وإلا لقال: لا خالق غيره رازق لكم. قوله: **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم. قوله: **﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** من الإفك بالفتح وهو الصرف، وبابه ضرب، ومنه قوله تعالى: **﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا﴾** وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: **(من أين تصرفون عن توحيده)** أي كيف تعبدون غيره. مع أنه ليس في ذلك الغير وصف يقتضي عبادته من دون الله.

قوله: **﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾** أي يدوموا على تكذيبك، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: **(فاصبر كما صبروا)** قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والمعنى فتأسى بمن قبلك ولا تحزن. قوله: **(فيجازي المكذبين)** أي بإدخالهم النار، وقوله: **(وينصر المرسلين)** أي بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة. قوله: **(وغيره)** أي كالحساب والعقاب. قوله: **﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾** المراد نهيهم عن الاغترار بها، والمعنى فلا تغتروا بالدنيا، فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعي لها. قوله: **(في حلمه)** أي بسببه، والمعنى لا تجعلوا حلمه وامهاله سبباً في اتباعكم الشيطان. قوله: **﴿الْغَرُورُ﴾** هو بالفتح في قراءة العامة كالصبور والشكور، وقرىء شذوذاً بضمها، إما جمع غار كقاعد وقعود، أو مصدر كالجلوس. قوله: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾** أي عظيم، فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم، قوله: **﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً﴾** أي فكونوا منه على حذر في جميع أحوالكم، ولا تأمنوا له في السر والعلانية، ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً، قال البوصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصماً ولا حكما	فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ النار الشديد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ هذا بيان ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه. ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بالتمويه ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا، دل عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ على المزين لهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ فيجازيهم عليه ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ وفي قراءة الريح ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي تزعجه ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ

قوله: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ إلخ بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته. قوله: (هذا) أي قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى آخره، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره، فله العذاب الشديد، ومن آمن من أول الزمان إلى آخره، فله المغفرة والأجر الكبير. قوله: (ونزل في أبي جهل وغيره) أي من مشركي مكة، كالعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها: ﴿ليس عليك هداهم﴾. ومنها: ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾. ومنها: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾وغير ذلك. ففي هذه الآيات تسلية له ﷺ على كفر قومه، وقيل: هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة، ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم، استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهم ذكر الله، أولئك حزب الشيطان، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون، نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم. وقيل: نزلت في اليهود والنصارى. وقيل: نزلت في الشيطان، حيث زين له أنه العابد التقي، وآدم العاصي، فخالف ربه لاعتقاده أنه على كل شيء.

قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ أي زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السيىء، فهو من اضافة الصفة للموصوف. قوله: (بالتمويه) أي التحسين ظاهراً بأن غلب وهمه على عقله، فرأى الحق باطلاً، والباطل حقاً، وأما من هداه الله، فقد رأى الحق حقاً فاتبعه، ورأى الباطل باطلاً فاجتنبه. قوله: (لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري. قوله: (دل عليه) أي على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله: ﴿فَإِنَّ الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إلخ عليه، وفي هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه، فلو كان كذلك، ما أسند الاضلال والهدى لله تعالى.

قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ عامة القراء على فتح التاء والهاء، ورفع نفس على الفاعلية، ويكون المعنى: لا تتعاط أسباب ذلك، وقرىء شذوذاً بضم التاء وكسر الهاء، و ﴿نَفْسُكَ﴾ مفعول به، ويكون المعنى: لا تهلكها على عدم إيمانهم. قوله: ﴿حَسَرَاتٍ﴾ مفعول لأجله، جمع حسرة، وهي شدة التلهف على الشيء الفائت. قوله: (فيجازيهم عليه) أي إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قوله: (وفي قراءة الريح) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: (لحكاية الحال الماضية) أي استحضاراً لتلك الصورة العجيبة التي تدل على كمال قدرته تعالى. قوله: (أي تزعجه) أي تحركه وتثيره. قوله: (فيه التفات عن الغيبة) أي

﴿ٱلْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَاۚ﴾ يبسها أي أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝٩﴾ أي البعث والإحياء ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ أي في الدنيا والآخرة، فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعلمه وهو: لا إله إلا الله، ونحوها ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ يقبله ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠﴾ يهلك ﴿وَٱللَّهُ

الكائنة في قوله: ﴿وَالله الَّذِي أَرْسَلَ﴾. قوله: ﴿إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ البلد يذكر ويؤنث، يطلق على القطعة من الأرض، عامرة أو خالية. قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (لا نبات بها) أي فالمراد بالموت وعدم النبات والمرعى، وبالحياة وجودهما. قوله: (من البلد) (من) بيانية. قوله: ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي كمثل احياء الأرض بالنبات احياء الأموات، ووجه الشبه، أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها، كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها، فإن البلد الميت تساق إليها المياه فتحيا بها، والأجساد تساق إليها الأرواح فتحيا بها.

قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ ﴿مَنْ﴾ شرطية مبتدأ، وجوابها محذوف، قدره المفسر بقوله: (فليطعه) وقوله: ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ تعليل للجواب، واختلف في هذه الآية فقيل: المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هي؟ فقل له: لله العزة جميعاً. وقيل: المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله، فإن له لا لغيره، وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه، والوقوف على بابه، لما ورد في الحديث: «من أراد عز الدارين فليطع العزيز، ومن طلب العزة من غيره تعالى كسي من وصفه» وهو الذل، لأن وصف العبد الذل، ووصف الله العز، فمن التجأ إلى الله، كساه الله من وصفه، ومن التجأ إلى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد، لما ورد: من استعز بقوم أورثه الله ذلهم، وقال الشاعر:

وإذا تذللت الرقاب تواضعاً منا إليك فعزها في ذلها

قوله: (يعلمه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازاً، فالصعود مجاز عن العلم، كما يقال: ارتفع الأمر إلى القاضي، يعني علمه، وعبر عنه بالصعود، إشارة لقبوله؛ لأن موضع الثواب فوق، وموضع العذاب أسفل، وقيل: المعنى يصعد إلى سمائه، وقيل: يحتمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء. قوله: (ونحوها) أي من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن. قوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ أي كالصلاة والصوم، وغير ذلك من الطاعات. قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيىء، بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح. قوله: (المكرات) قدره اشارة إلى أن السيئات، صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون، لأن مكر لازم لا ينصب المفعول، والمكر: الحيلة والخديعة. قوله: (في دار الندوة) أي وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحدث والمشاورة. قوله: (كما ذكر في الأنفال) أي في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ الآيات، ، وقد فصلت هناك. قوله: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ﴾ أتى باسم الاشارة البعيد، اشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغي والفساد. قوله: ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ ﴿هُوَ﴾ مبتدأ ثان، و ﴿يَبُورُ﴾ خبره، والجملة خبر الأول، ويصح أن يكون ضمير فصل لا محل

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي مني بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ حال أي معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي ذلك المعمر أو معمر آخر ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ هين ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ شربه ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الملح وقيل منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿الْفُلْكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾

له من الاعراب، وقولهم: إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان فعلاً مردود بجواز ذلك. قوله: (**بخلق أبيكم آدم منه**) ويصح أن يراد ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب. قوله: ﴿**أَزْوَاجاً**﴾ أي أصنافاً. قوله: ﴿**مِنْ أُنْثَى**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة في الفاعل. قوله: (**حال**) أي من أنثى.

قوله: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ**﴾ بفتح الميم في قراءة العامة. قال ابن عباس: ما يعمر من معمر، إلا كتب عمره، كم هو سنة؟ وكم هو شهراً؟ وكم هو يوماً؟ وكم هو ساعة؟ ثم يكتب في كتاب آخر: نقص من عمره يوم، نقص شهر، نقص سنة، حتى يستوفي أجله، فما مضى من أجله فهو النقصان، وما يستقبله فهو الذي يعمره، وهذا هو الأحسن، وقيل: إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع، وتسعين إن عصى، فأيهما بلغ فهو كتاب، وهذا مثل قوله عليه السلام: «من أحب أن يبسط الله له في رزقه، وينسأ له في أثره، أي يؤخر في عمره، فليصل رحمه» أي إنه يكتب في اللوح المحفوظ: عمر فلان كذا سنة، فإن وصل رحمه يزيد في عمره كذا سنة، فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ، أنه سيصل رحمه، فمن أطلع على الأول دون الثاني، ظن أنه زيادة أو نقصان. قوله: (**أو معمر آخر**) أي على حد: عندي درهم ونصفه، أي فالمعنى: ما يزاد في عمر شخص بأن يكون أجله طويلاً، ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيراً إلا في كتاب. قوله: ﴿**إِنَّ ذٰلِكَ**﴾ أي كتابة الأعمار والآجال، قوله: ﴿**عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ أي سهل غير متعذر.

قوله: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ**﴾ هذا مثل المؤمن والكافر، وقوله: (**شديد العذوبة**) أي يكسر وهج العطش، وقوله: ﴿**سَائِغٌ**﴾ أي يسهل الحرارة. قوله: (**شربه**) إنما فسر الشراب بالشرب، لأن الشراب هو المشروب، فيلزم إضافة الشيء لنفسه. قوله: ﴿**أُجَاجٌ**﴾ أي يحرق الحلق بملوحته. قوله: ﴿**وَمَنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ**﴾ إلخ، يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيهما من المنافع، والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر، وقيل: هو من تمام التمثيل، يعني أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف، لا يستويان في جميعها كالبحرين، فإنهما وإن اشتركا في بعض المنافع، لا يستويان في جميعها. قوله: (**هو السمك**) المراد به حيوانات البحر كلها، فيجوز أكلها. قوله: (**وقيل منهما**) أي ووجهه أن في البحر الملح عيوناً عذبة تمتزج بالملح، فيخرج اللؤلؤ منها عند الامتزاج. قوله: (**والمرجان**) هو عروق حمر، تطلع من البحر كأصابع الكف، وقيل: هو صغار اللؤلؤ.

تمخر الماء أي تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لِتَبۡتَغُواْ﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝١٢﴾ الله على ذلك ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي ٱلَّيۡلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ﴾ منهما ﴿يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ يوم القيامة ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي غيره وهم الأصنام ﴿مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣﴾ لفافة النواة ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ﴾ فرضاً ﴿مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ﴾ ما أجابوكم ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ﴾ بإشراككم إياهم مع الله، أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ عالم وهو الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بكل حال ﴿وَٱللَّهُ هُوَ

قوله: ﴿لِتَبْتَغُوا﴾ متعلق بمواخر. قوله: **(بالتجارة)** أي وغيرها كالغزو والحج. قوله: **(على ذلك)** أي على ما أسداه إليك من تلك النعم. قوله: ﴿**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**﴾ أي فيطول النهار، حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها، أربع عشرة ساعة كأيام الصيف، وقوله: ﴿**وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ**﴾ أي فيطول الليل، حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات، تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار.

قوله: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ**﴾ معطوف على ﴿**يُولِجُ**﴾ وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار، لأن إيلاج أحدهما في الآخر يتجدد كل عام، وأما الشمس والقمر، فتسخيرهما من يوم خلقهما الله، فلا تجدد فيه، وإنما التجدد في آثارهما، فلذا عبر في جانبهما بالماضي. قوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ**﴾ إلخ، هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية. قوله: **(لفافة النواة)** بكسر اللام، وهي القشرة الرقيقة الملتفة على النواة. واعلم أن النواة أربعة أشياء، ويضرب بها المثل في القلة: الفتيل: وهو ما في شق النواة، والقطمير: وهو اللفافة، والنقير: وهو ما في ظهرها، والثفروق: وهو ما بين القمع والنواة. قوله: **(ما أجابوكم)** أي بجلب نفع، ولا دفع ضر. قوله: **(بإشراككم إياهم)** أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل قوله: **(أي يتبرؤون منكم)** أي بقولهم: ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾. قوله: ﴿**وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ أي لا يخبرك أحد مثلي، لأني عالم بالأشياء وغيري لا يعلمها، وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاماً غير مختص بأحد، ويحتمل أن يكون خطاباً له ﷺ.

قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ**﴾ إنما خاطب الناس بذلك، وإن كان كل ما سوى الله فقيراً، لأن الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لأنفسهم. والمعنى: يا أيها الناس، أنتم أشد الخلق افتقاراً واحتياجاً إلى الله، في أنفسكم وعيالكم وأموالكم، وفيما يعرض لكم من سائر الأمور، فلا غنى لكم عنه طرفة عين، ولا أقل من ذلك، ومن هنا قول الصديق رضي الله عنه: من عرف نفسه عرف ربه، أي من عرف نفسه، بالفقر والذل والعجز والمسكنة، عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال. قوله: **(بكل حال)** أي في حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز، فالعبد مفتقر لربه في أي حاله كان بها

﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ المحمود في صنعه بهم ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿١٦﴾ بدلكم ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ﴿١٧﴾ شديد ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة أي لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحد ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ قرابة كالأب والابن وعدم الحمل في الشقين حكم من الله تعالى ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي يخافونه وما رأوه لأنهم

ذلك العبد. قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ إنما ذكره بعد الغنى، لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا، فأفاد أنه كما أنه غني، وهو منعم جواد محمود على إنعامه، لكونه يعطي النوال قبل السؤال، للبر والفاجر.

قوله: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ هذا بيان لغناه المطلق، يعني أن إذهابكم ليس متوقفاً على شيء، إلا على مشيئته، فإبقاؤكم من محض فضله. قوله: ﴿بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي بعالم آخر غير ما تعرفونه. قوله: **(شديد)** أي متعذر ومتعسر. قوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ فاعل ﴿تَزِرُ﴾ وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله: **(نفس)** والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى، وأما غير الوازرة، فتحصل وزر الوازرة، بمعنى تشفع لها في غفرانه، لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها. إن قلت: ما الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم﴾ الآية؟ أجيب: بأن تلك الآية محمولة على من ضل، وتسبب في الضلال لغيره، فعليه وزر ضلاله، ووزر تسببه، لأن تسببه من فعله، فلم يحمل إلا أثقال نفسه، فرجع الأمر إلى أن الإنسان لا يحمل وزر غيره أصلاً، بل كل نفس بما كسبت رهينة.

قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾ أي وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفساً إلى حملها، وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس، وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة. قوله: ﴿لَا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ﴾ العامة على قراءة يحمل مبنياً للمفعول، و ﴿شَيْءٌ﴾ نائب الفاعل، وقرىء شذوذاً تحمل، بفتح التاء وكسر الميم، مسنداً إلى ضمير النفس المحذوفة، وشيئاً مفعول تحمل. قوله: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ العامة على قراءة ﴿ذَا﴾ بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾ واسمها ضمير يعود على **(المدعو)** كما قدره المفسر، وقرىء شذوذاً بالرفع على أن ﴿كَانَ﴾ تامة، والمعنى وإن تدع نفس مذنبة نفساً أخرى، إلى حمل شيء من ذنبها، لا يحمل منه شيء، ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية، كابنها أو أبيها، لما ورد: يلقى الأب والأم الابن فيقولان له: يا بني احمل عنا بعض، فيقول: لا أستطيع حسبي ما علي. قوله: **(وفي الشقين)** أي الحمل القهري والاختياري. قوله: **(حكم من الله تعالى)** أي وهو لا يخلو عن حكمة عظيمة.

قوله: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا﴾ أداة حصر، والمعنى إن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم، وقوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال من فاعل قوله: ﴿يَخْشَوْنَ﴾ أي يخشونه، حال كونهم غائبين عنه، فالغيبة وصف العبيد لا وصف الرب، فإن وصف الرب القرب، قال تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ووصف العبيد الغيبة والحجاب، فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله، ويصح أن يكون حالاً من المفعول، أي يخشونه، والحال أنه غائب عنهم، أي محتجب بجلاله فلا يرونه، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: **(وما رأوه)** فعدم رؤية الله تعالى، إنما هو من تحجبه بصفات الجلال، فإذا

المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ المرجع فيجزي بالعمل في الآخرة ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ الكافر والمؤمن ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر ﴿وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾﴾ الإيمان ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ الجنة والنار ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة لا في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايته فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ أي الكفار، شبههم بالموتى فيجيبون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ منذر لهم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ نبي ينذرها ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ

تجلى بالجمال رأته الأبصار، وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان، وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق، وقد يتجلى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه، وهي الجنة المعجلة لأهل الله المقربين. قوله: **(لأنهم المنتفعون بالإنذار)** جواب عما يقال: كيف قصر الإنذار على أهل الخشية، مع أنه لجميع المكلفين. فأجاب: بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به، فكأنه قال: إنما ينفع إنذارك أهل الخشية. قوله: **(أداموها)** أي واظبوا عليها، بأركانها وشروطها وآدابها، وفي نسخة أدوها. قوله: **(وغيره)** أي كالمعاصي. قوله: **(فصلاحه مختص به)** أي فهو قاصر عليه لا يتعداه، فيجزى بالعمل في الآخرة، أي الخير والشر.

قوله: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾** إلخ، مثل ضربه الله المؤمن والكافر، وأفاد أولاً الفرق بين ذاتيهما، وثانياً بين وصفيهما، وثالثاً بين داريهما في الآخرة، وأما قوله: **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ﴾** إلخ، فهو مثل آخر على أبلغ وجه، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع، بخلاف الميت. قوله: **﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾** جمع **﴿الظُّلُمَاتُ﴾** باعتبار أنواع الكفر، فإن أنواعه كثيرة، بخلاف الإيمان، فهو نوع واحد. قوله: **﴿وَلاَ الْحَرُورُ﴾** هي الريح الحارة، خلاف السموم، فالحرور تكون بالنهار، والسموم بالليل، وقيل: الحرور والسموم: الليل والنهار. قوله: **(وزيادة لا في الثلاثة)** أي في الجمل الثلاث التي أولها **﴿وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ﴾** وثانيها **﴿وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ﴾** وثالثها **﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ﴾** وإنما زيدت للتأكيد في الجميع، لأن نفي المساواة معلوم من ما النافية. قوله: **﴿إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾** من هنا إلى قوله: **﴿نَكِيرُ﴾** تسليه له. قوله: **(شبههم بالموتى)** أي في عدم التأثر بدعوته.

قوله: **﴿إِنْ أَنْتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾** أي فليس عليك إلا التبليغ، والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء. قوله: **﴿بِالْحَقِّ﴾** حال من الكاف، بدليل قول المفسر **(بالهدى)** كأنه قال: أرسلناك حال كونك هادياً. **﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾** أي تعلمها، وقوله: **(نبي ينذرها)** أي يخوفها من عقاب الله، وتنقضي شريعته بموته، فما بين الرسولين من أهل الفترة، وهم ناجون من أهل الجنة، وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله، بنص قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾ وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة، كعمرو بن لحي، وامرىء القيس، وحاتم الطائي، فقيل: إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم، والتحقيق أنه خبر آحاد، وهو لا يعارض النص القطعي، وتقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ ﴿٢٥﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٢٦﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي هو واقع موقعه ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ﴾ جمع جدة طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٞ وَحُمۡرٞ﴾ وصفر ﴿مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا﴾ بالشدّة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ ﴿٢٧﴾ عطف على جدد، أي صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسود غربيب، وقليلاً، غربيب أسود ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ لذنوب عباده المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ﴾ يقرؤون

نبعث رسولاً﴾. قوله: ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾ اسم لكل ما يكتب. قوله: (كصحف إبراهيم) أي وهي ثلاثون، وكصحف موسى قبل التوراة وهي عشرة، وكصحف شيث وهي ستون، فجملة الصحف مائة، تضم لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة. قوله: (فاصبروا كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف. قوله: (أي هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية، وهو كلام مستأنف، سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته. قوله: (فيه التفات) أي وحكمته أن المنة في الإخراج، أبلغ من إنزال الماء، ولما في الإخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية. قوله: ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها﴾ أي في أصل اللون، كالأخضر والأصفر والأحمر، وفي شدة اللون الواحد وضعفه. قوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ قرأ العام بضم الجيم وفتح الدال، جمع جدة وهي الطريق، وقرىء شذوذاً بضم الجيم والدال جمع جديدة، وبفتحهما. قوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها﴾ مختلف صفة لجدود، و ﴿أَلْوانُها﴾ فاعل به، و ﴿مُخْتَلِفٌ﴾ خبر مقدم، و ﴿أَلْوانُها﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لجدد. قوله: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ الغربيب تأكيد للأسود، كالقاني تأكيد للأحمر، وإنما قدمه عليه للمبالغة. قوله: (يقال كثيراً) أي بتقديم الموصوف على الصفة، وهذا هو الأصل، وقوله: (وقليلاً) أي بتقديم الصفة على الموصوف، وهذا خلاف الأصل، ويرتكب للمبالغة.

قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ﴾ صفة لموصوف محذوف هو المتبدأ، أي صنف مختلف ألوانه من الناس، وقوله: ﴿كَذٰلِكَ﴾ صفة لمصدر محذوف، أي اختلافاً كذلك. قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي أن خشية الله، شرطها العلم والمعرفة به، فمن اشتدت معرفته لربه، كان أخشاهم له، ولذا ورد في الحديث: «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له». وقرىء شذوذاً برفع الجلالة ونصب العلماء، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء، وإنما كان كذلك، لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له، فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم، اقتداء بالله تعالى، فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم. قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية كأن قيل: يجب على كل انسان، أن يخشى الله تعالى، لأنه عزيز قاهر لما سواه، غفور للمذنبين.

﴿كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة أو غيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ ﴿٢٩﴾ تهلك ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ ﴿٣٠﴾ لطاعتهم ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣١﴾ عالم بالبواطن والظواهر ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثان ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ﴾ أي يقرؤونه على طهارة أو لا، على ظهر قلب أو في المصحف، وفضل الله واسع. قوله: (زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش، وهو تحضيض على الإنفاق كيفما تيسر. قوله: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً﴾ خبر ﴿إِنَّ﴾ أي يرجون ثواب تجارة. قوله: ﴿لِيُوَفِّيَهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: ﴿شَكُورٌ﴾ أي يثيبهم على طاعتهم. قوله: ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض. قوله: ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ هو إما ضمير فصل أو مبتدأ، و ﴿الْحَقُّ﴾ خبر، والجملة خبر ﴿الَّذِي﴾ و ﴿مُصَدِّقاً﴾ حال مؤكدة. قوله: (عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أتى بثم إشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الأمة. قوله: (أعطينا) أشار بذلك إلى أن المراد بالتوريث الإعطاء، ووجه تسميته ميراثاً، أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب، وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب، قوله: ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ بيان للمصطفين. قوله: (وهم أمتك) أي أمة الإجابة، سواء حفظوه كلاً أو بعضاً، أو لا، وإلا فليس المراد بإعطاء الكتاب حفظه، بل الاهتداء بهديه والإقتداء به. قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إلخ، أي من غلبت سيئاته على حسناته، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته، والسابق من لا تقع منه سيئة أصلاً، ولذا ورد في الحديث في تفسير هذه الآية: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». وقيل: الظالم هو راجح السيئات، والمقتصد هو الذي تساوت سيئاته وحسناته، والسابق هو الذي رجحت حسناته، وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه، والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه، والسابق من باطنه خير من ظاهره، وقدم الظالم على من بعده، ليقوى رجاؤه في ربه، ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك، وهذا على حد ما قيل في قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.

قوله: ﴿بِإِذْنِ اللهِ﴾ متعلق بقوله سابق، وإنما خص مع أن الكل بإذن الله، تنبيهاً على عزة هذه المرتبة، فأضيفت لله. قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ إلخ، أتى بضمير جماعة الذكور في تلك الآيات، تغليباً للمذكر على المؤنث، وإلا فلا خصوصية للذكور. قوله: (بالبناء للفاعل وللمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان.

مرصع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ۝٣٣﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ ۝٣٤﴾ للطاعات ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي الإقامة ﴿مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾ إعياء من التعب لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾ كافر بالياء والنون والمفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل يقولون ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال

قوله: **(مرصع بالذهب)** تقدم أنه أحد قولين، وقيل: إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب، وأسورة من فضة، وأسورة من لؤلؤ. قوله: **﴿وَقَالُوا﴾** عبر بالماضي لتحقق وقوعه. قوله: **(جميعه)** أي كخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم، وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها. قوله: **﴿الَّذِي أَحَلَّنَا﴾** أي أدخلنا وأسكننا. قوله: **﴿دَار الْمُقَامَةِ﴾** مفعول ثان لأحلنا، والمراد بها الجنة التي تقدم ذكرها. قوله: **﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾** حال من ضمير أحلنا البارز. قوله: **(تعب)** أي فلا نوم في الجنة لعدم التعب بها. قوله: **(إعياء من التعب)** أي فإذا اشتهى الشخص من أهل الجنة، أين يسير وينظر ويتمتع بجميع ما أعطاه الله، من الحور والغرف والقصور، في أقل زمن فعل، ولا يحصل له إعياء ولا مشقة، وبالجملة فأحوال الجنة، لا تقاس على أحوال الدنيا، وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية. قوله: **(وذكر الثاني)** جواب عما يقال: ما الفائدة في نفي اللغوب، مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب، لأن انتفاء السبب، يستلزم انتفاء المسبب.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾** إلخ، هذا مقابل قوله: **﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾** على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أوصاف المؤمنين، أعقبه بذكر أوصاف الكفار. قوله: **﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾** أي لا يحكم عليهم بالموت، وقوله: **﴿فَيَمُوتُوا﴾** مسبب على قوله: **﴿لَا يُقْضَى﴾** وهو منفي أيضاً، لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب. **إن قلت:** إن في هذه الآية دليلاً على أن أهل النار لا يموتون، وفي آية أخرى **﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾** فيقتضي أن أهل النار حالة بين الحالتين، مع أنه لا واسطة. وأجيب: بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب، ولا يحيون حياة طيبة.

قوله: **﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾** أي بحيث ينقطع عنهم زمناً ما، وبهذا اندفع ما قيل: إن بعض أهل النار يخفف عنه، كأبي طالب، وأبي لهب، لما ورد: أن رسول الله ﷺ تشفع في أبي طالب، فنقل من ضحضاح من نار، ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، وورد: أن أبا لهب يسقى في نقرة إبهامه ماء، كل ليلة اثنين، لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته ﷺ، فتحصل أن المراد بعدم التخفيف، عدم انقطاعه عنهم، وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه. قوله: **(بالياء)** أي المضمومة مع فتح الزاي ورفع **﴿كِلّ﴾**، وقوله: **(والنون المفتوحة)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **﴿يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾**. أي يصيحون فيها. قوله: **(وعويل)** العويل رفع الصوت بالبكاء. قوله: **(يقولون)** قدره إشارة إلى أن قوله: **﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾** إلخ. مقول لقول محذوف معطوف على قوله: **﴿يَصْطَرِخُونَ﴾**. قوله: **(منها)** قدره هنا

لهم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا﴾ وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ الرسول فما أجبتم ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ ﴿٣٧﴾ يدفع العذاب عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٣٨﴾ بما في القلوب، فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة، أي يخلف بعضكم بعضاً ﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٣٩﴾ للآخرة ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى ﴿أَرُونِى﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ

لدلالة الآية الأخرى عليه. قوله: ﴿صَالِحاً﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره عملاً صالحاً. قوله: **(فيقال لهم)** أي على سبيل التوبيخ والتبكيت.

قوله: ﴿**أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف تقديره: أتعتذرون وتقولون ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا**﴾ إلخ، ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمراً، يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر قوله: ﴿**مَا يَتَذَكَّرُ**﴾ ﴿**مَا**﴾ نكرة موصوفة بمعنى وقت، ولذا قدره المفسر. قوله: ﴿**وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ عطف على معنى الجملة الاستفهامية، كأنه قال: قروا بأننا عمرناكم وجاءكم النذير. قوله: **(الرسول)** أي رسول كان، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار، من أول الزمان لآخره.

قوله: ﴿**فَذُوقُوا**﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فما أجبتم)** فاندفع ما يقال: إن ظاهر الآية، ربما يوهم أن إذاقتهم العذاب، مرتبة على مجيء الرسول، مع أنه ليس كذلك. قوله: ﴿**مِنْ نَصِيرٍ**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ زائدة و ﴿**نَصِيرٍ**﴾ مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله. قوله: ﴿**غَيْبِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي ما غاب عنا فيهما. قوله: ﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ تعليل لما قبله، كأنه قيل: إذا علم ما خفي في الصدور، كان أعلم بغيرها، من باب أولى، وقوله: **(بالنظر إلى حال الناس)** جواب عما يقال: علم الله لا تفاوت فيه، بل جميع الأشياء مستوية في علمه، لا فرق بين ما خفي منها على الخالق، وما ظهر لهم، فأجاب بما ذكر، أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية، أن من علم الخفي، يعلم الظاهر بالأولى.

قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ**﴾ أي رعاة مسؤولين عن رعاياكم، من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم، فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع، وكل راع مسؤول عن رعيته. قوله: **(جمع خليفة)** كذا في بعض النسخ بالتاء، وفي بعض النسخ بلا تاء، والأولى أولى، لأن خليفاً جمعه خلفاء، وأما خليفة فجمعه خلائف. قوله: **(أي وبال كفره)** أي فلا يضر إلا نفسه. قوله: ﴿**وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ**﴾، بيان لوبال كفرهم وعاقبته.

قوله: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ**﴾ إلخ، رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلا همز، وبالهمز كما هنا تتعدى لمفعولين: الأول قوله: ﴿**شُرَكَاءَكُمْ**﴾ والثاني قوله: ﴿**مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ**﴾ على سبيل التنازع، لأن كلاً من أرأيتم وأروني، طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له قوله: ﴿**شُرَكَاءَكُمْ**﴾ أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء، أو من حيث إنهم أشركوهم في أموالهم فإنهم كانوا يعينون

﴿ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شركة مع الله ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَٰتٍ﴾ حجة ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِن﴾ ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿٤٠﴾ باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي يمنعها من الزوال ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾ ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾ يمسكها ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ في تأخير عقاب الكفار ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم، أي أيٍّ واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، إذ قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست

شيئاً من أموالهم لآلهتهم، وينفقونه على خدمتها، ويذبحون عندها. قوله: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾ أي أي شيء خلقه من الأمور التي في الأرض، كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك. قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ ﴿أَمْ﴾ في الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة. قوله: ﴿آتَيْنَاهُمْ﴾ أي الشركاء. قوله: ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ بالإفراد والجمع، قراءتان سبعيتان. قوله: (لا شيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكاري.

قوله: ﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ﴾ لما ذكر نفي الحجج، أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع، وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله. قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ بدل من ﴿الظَّالِمُونَ﴾ قوله: (بقولهم) أي الرؤساء للأتباع. قوله: (أي يمنعها من الزوال) أشار بذلك إلى أن الإمساك بمعنى المنع، وقوله: ﴿أَنْ تَزُولا﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من. قوله: ﴿وَلَئِنْ زَالَتَا﴾ اجتمع قسم وشرط، فقوله: ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ جواب الأول، وحذف جواب الثاني على القاعدة المعروفة. قوله: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ ﴿مَنْ﴾ زائدة في الفاعل، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ ابتدائية، والتقدير: ما أمسكها أحد مبتدأ وناشئاً من غيره.

قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ تعليل لقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ أي فإمساكها حاصل بحلمه وغفرانه، وإلا فكانتا جديرتين بأن تزولا، كما قال تعالى ﴿تكاد السموات يتفطرن منه﴾ الآية، فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد، إذ لولاه لما بقي شيء من العالم، فقول العامة: حلم الله يفتت الكبود، إساءة أدب. قوله: (أي كفار مكة) أي قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فلعنوا من كذب نبيه منهم، وأقسموا بالله تعالى، لئن جاءهم نبي ينذرهم، ﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾. قوله: ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد، وأما بالضم فهو الطاقة، وإنما كان الحلف بالله غاية أيمانهم، لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم، فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله.

قوله: ﴿لَيَكُونُنَّ﴾ هذه حكاية لكلامهم بالمعنى، وإلا فلفظه لنكونن إلخ. قوله: ﴿مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ﴾ المراد من احدى الأحد الدائرة، فالمعنى من كل الأمم، فقول المفسر (أي أي واحدة منها) الأوضح أن

اليهود على شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ تباعداً عن الهدى ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسيىء أصل، وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ أي لا يبدل بالعذاب غيره، ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا

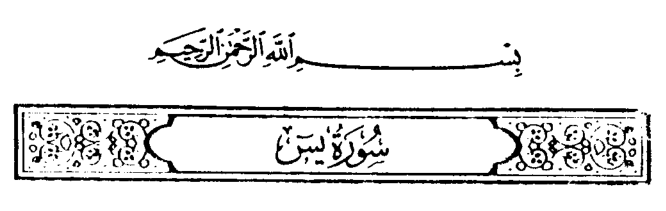
يقول: أي كل واحدة منها. قوله: ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾ جواب لما، وفيه اشعار بأن فيهم أصل النفور، لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل. قوله: (مفعول له) أي لأجل الاستكبار، وصح أن يكون بدلاً من نفوراً، أو حالاً من ضمير زادهم، أي حال كونهم مستكبرين. قوله: **(ووصف المكر بالسيىء)** أي في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ﴾ وقوله: (أصل) أي جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف. قوله: (**وإضافته إليه قبل**) أي في قوله: ﴿وَمَكْرَ السَّيِّىءِ﴾. قوله: (**استعمال آخر**) أي جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة. قوله: (**قدر فيه مضاف**) أي مضاف إليه، وقوله: (**حذراً من الإضافة إلى الصفة**) أي من اضافة المكر، الذي هو الموصوف إلى السيىء، الذي هو الصفة، فيجعل المكر مضافاً لمحذوف، والسيىء صفة لذلك المحذوف، وتلك الإضافة من اضافة العام للخاص، لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل، فإضافته للعمل تخصيص له.

قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ إلا فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلها. قوله: (**سنة الله فيهم**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾ مصدر مضاف لمفعوله، وسيأتي اضافته لفاعله في قوله: ﴿لِسُنَّةِ اللهِ﴾. قوله: ﴿فَلَنْ تَجِدَ﴾ الفاء للتعليل كأنه قيل: لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم، لأنك أيها العاقل لن تجد إلخ. قوله: (**أي لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه**) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل، تغيير العذاب بغيره، والتحويل نقله لغير مستحقه، وجمع بينهما للتهديد والتقريع. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا، وهو استشهاد على أن سنة الله لا تبديل لها ولا تحويل، والاستفهام انكاري بمعنى النفي، ونفي النفي إثبات. والمعنى: بل ساروا في الأرض، ومروا على ديار قوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب وغيرهم، فنظروا آثار ديارهم. قوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي على أي حالة كانت، ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم، فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك. قوله: ﴿وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ أي أطول أعماراً، والجملة حالية أو معطوفة على قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ﴾ إلخ، تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة. قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً

كَسَبُواْ﴾ من المعاصي ﴿مَاتَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ ﴿٤٥﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

قَدِيراً﴾ تعليل لما قبله قوله: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ الباء سببية، وما مصدرية أو موصولة، أي بسبب كسبهم أو الذي كسبوه. قوله: **(من المعاصي)** بيان لما. قوله: **﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾** أي من جميع ما دب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها، وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلاً، فينقطع عنهم النبات، فيموتون جوعاً، فالظالم لظلمه، وغيره لشؤم الظالم، وعبر بالظهر تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها، ويعبر تارة بوجه الأرض، من حيث أن ظاهرها كالوجه للحيوان، وغيره كالبطن، وهو الباطن منها، **فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض، وظهرها، فهو من قبيل اطلاق الضدين عل شيء** واحد. قوله: **(نسمة)** من التنسم وهو التنفس، أي ذوي روح. قوله: **(فيجازيهم بأعمالهم)** أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف، وقوله: **﴿فَإِنَّ اللهَ﴾** إلخ، تعليل له.



مكيّة

أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم انفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة يٓس مكية

أو إلا قوله ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ الآية أو مدنية وهي اثنتان وثمانون آية

أي كلها، وقوله: أو إلا قوله ﴿وإذا قيل﴾ إلخ، قول ثان، وقوله: (أو مدنية) أي كلها، وهو قول ثالث، وورد في فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ اقرؤوا يس على موتاكم ومنها: ما من ميت يقرأ عليه يس إلا هوَّن الله عليه. ومنها: من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله، غفر الله له في تلك الليلة. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس، كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات، ومنها: إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها، ألا وهي سورة يس، تدعى في التورة المعمة، قيل: يا رسول الله وما المعمة؟ قال: تعم صاحبها بخير الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية، قيل: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال: تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة. ومنها: من قرأ يس حين يصبح، أعطي يسر يومه حتى يمسي، ومن قرأها في صدر ليلته، أعطي يسر ليلته حتى يصبح. ومنها عن أبي جعفر: من وجد في قلبه قسوة، فليكتب سورة يس في جام أي إناء بزعفران ثم يشربه. ومنها: من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له. ومنها: من دخل المقبرة فقرأ سورة يس، خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم، وكان له بعدد من فيها حسنات، ومنها عن يحيى بن أبي كثير: بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً، لم يزل في فرح حتى يصبح، ومن قرأها حين يصبح، لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها. ومنها: إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد بها وجه الله، غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات، وأيما مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً، يصلون عليه، ويستغفرون له، ويشهدون غسله، ويتبعون جنازته، ويصلون عليه، ويشهدون دفنه. وأيما مسلم قرأ سورة يس، وهو في سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه، حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه، فيقبض روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء، حتى يدخل الجنة وهو ريان. ومنها: يس لما قرئت له. وحكمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ يسٓ ﴾ ﴿١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ ﴿٢﴾ المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ إِنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٣﴾ ﴿ عَلَىٰ ﴾ متعلق بما قبله ﴿ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ أي طريق الأنبياء قبلك، التوحيد والهدى والتأكيد بالقسم وغيره، رد لقول الكفار له: لست مرسلاً ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ﴾ في ملكه ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿٥﴾ بخلقه خبر مبتدأ مقدر، أي القرآن ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ به ﴿ قَوْمًا ﴾ متعلق بتنزيل ﴿ مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ أي لم ينذروا في زمن الفترة ﴿ فَهُمْ ﴾ أي القوم ﴿ غَٰفِلُونَ ﴾ ﴿٦﴾ عن الإيمان والرشد ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ ﴾ وجب ﴿ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ ﴾ بالعذاب

اختيار الصالحين في استعمالها التكرار، كأربع أو سبع أو إحدى وأربعين وغير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب، فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته، وإن كان الفضل المذكور لا يتوقف على تكرار، كما يشهد له هذه الأحاديث.

قوله: ﴿يسٓ﴾ القراء السبعة على تسكين النون، بإدغامها في الواو بعدها، أو بإظهارها، وقرىء شذوذاً بضم النون وفتحها وكسرها، فالأول خبر لمبتدأ محذوف أي هـذه، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفاً، كأين وكيف، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل، أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف، والثالث مبني على الكسر، على أصل التخلص من التقاء الساكنين. قوله: (الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة، كحم وطس، وتقدم أن هذا القول أسلم، وقيل: معناه يا إنسان، وأصله يا أنيسين، فاقتصر على شطره لكثرة النداء به: وقيل هو اسم لرسول الله ﷺ، وقيل: اسم القرآن.

قوله: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، وهو قسم، وجوابه قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. قوله: (المحكم) أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة. قوله: (متعلق بما قبله) أي بالمرسلين، ويصح أن يكون خبراً ثانياً لأن، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم. قوله: (أي طريق الأنبياء قبلك) أي وقولهم: إن شرع رسول الله ﷺ ناسخ لجميع الشرائع، فهو باعتبار الفروع، وأما الأصول فالكل مستوون فيها، ولا يتعلق بها نسخ. قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾. قوله: (وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية. قوله: (خبر مبتدأ مقدر) هذا أحد وجهين في الآية، والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف أي امدح، أو مفعول مطلق لنزل، القراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾ أي العرب وغيرهم. قوله: (في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب، ما بين اسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وبالنسبة لغيرهم، ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. قوله: ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ مرتب على نفي الإنذار، وقوله: (أي القوم) تفسير للضمير، ويصح أن يكون الضمير راجعاً للفريقين هم وآباؤهم.

قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ أي وهو قوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾. قوله: ﴿عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ أي أكثر المكلفين من كل زمن، فالأقل متحتم إيمانه، والأكثر متحتم كفره، وتقدم لنا في سورة

﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٧﴾ أي الأكثر ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا﴾ بأن تضم إليها الأيدي، لأن الغل يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهِيَ﴾ أي الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ﴾ جمع ذقن وهي مجتمع اللحيين ﴿فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾ تمثيل أيضاً لسدّ طرق الإيمان

الأنعام، أن الأقل واحد من ألف. قوله: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ تفريع على ما قبله، وأشار بذلك إلى أن الإيمان والكفر بتقدير الله، فمن طبعه على أحدهما، فلا يستطيع التحول عنه، وإنما الأمر بالإيمان، باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري، ومن هنا قول بعض العارفين:

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساوسه ... إبليس لما طغى من كان إبليسه

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾ قيل: نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل حلف، لئن رأى محمداً يصلي، ليرضخن رأسه بحجر، فلما رآه ذهب فرفع حجراً ليرميه، فلما أومأ إليه، رجعت يداه إلى عنقه، والتصق الحجر بيديه، فلما عاد إلى أصحابه، أخبرهم بما رأى، فقال الرجل الثاني، وهو الوليد بن المغيرة: أنا أرضخ رأسه، فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر، فأعمى الله بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه، فقال الثالث: والله لأشدخن رأسه، ثم أخذ الحجر وانطلق، فرجع القهقرى ينكص على عقبيه، حتى خر على قفاه مغشياً عليه، فقيل له: ما شأنك؟ قال شأني عظيم، رأيت الرجل فلما دنوت منه، فإذا فحل يخطر بذنبيه، ما رأيت قط فحلاً أعظم منه حال بيني وبينه، فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى تلك الآية، وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل والأغلال وعمى أبصارهم، وفيها أيضاً استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في امتناعهم من الهدى والإيمان، بحال من غلت يده في عنقه وعمي بصره، بجامع أن كلاً ممنوع من الوصول إلى المقصود، فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة: سبب النزول، وما يحصل لهم في الآخرة، وتمثيل لمنعهم من الهدى. قوله: **(بأن تضم إليها الأيدي)** جعل المفسر هذا، توطئة لإرجاع الضمير للأيدي في قوله: ﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾ كأنه قال: الأيدي، وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة، فهي مذكورة ضمناً في قوله الأغلال، لأن الغل يدل عليها. قوله: **(مجموعة)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿إِلَى الأَذْقَانِ﴾ متعلق بمحذوف، ولو قدره مرفوعة لكان أظهر، وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن، ويلبس الغل في العنق، فتضم اليد إليها تحت الذقن، فحينئذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتاً. قوله: **(وهذا تمثيل)** أي استعارة تمثيلية للمعنى المذكور، وفيه إشارة إلى سبب النزول، وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت. قوله: **(بفتح السين وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ هو بالغين المعجمة في قراءة العامة، أي غطينا أبصارهم، وقرىء شذوذاً بالعين المهملة من العشا، وهو عدم الإبصار ليلاً. والمعنى: أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى. قوله: **(تمثيل)** أي استعارة تمثيلية، بحيث شبه حالهم في سد طرق الإيمان عليهم ومنعهم منه، بحال من

عليهم ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ﴿أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ﴾ القرآن ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾ خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ۝١١﴾ هو الجنة ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكۡتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ ما استنَّ به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيۡءٍ﴾ نصبه بفعل يفسره ﴿أَحۡصَيۡنَٰهُ﴾ ضبطناه ﴿فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ۝١٢﴾ كتاب بيِّن هو اللوح المحفوظ ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾ مفعول أول ﴿أَصۡحَٰبَ﴾ مفعول ثان ﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ﴿إِذۡ جَآءَهَا﴾ إلى آخره، بدل

سدت عليه الطرق، وأخذ بصره بجامع أن كلًا لا يهتدي لمقصوده. قوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهِمْ﴾ إلخ، هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بيان للاستواء، والمعنى إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم، وهو تسلية له ﷺ، وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها. قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيات. قوله: (ينفع إنذارك) جواب عما يقال: إن ظاهر الآية يقتضي إن رسالته ﷺ غير عامة، بل هي لقوم مخصوصين، وهم ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ﴾ ويخالف قوله سابقاً ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً﴾، إلخ فأجاب المفسر عن ذلك، بأن محط الحصر الإنذار النافع، فلا ينافي وجود غيره لمن لم ينتفع به. قوله: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ يصح أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول، وتقدم نظيره. قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ إلخ، تفريع على ما قبله، إشارة لبيان عاقبة أمرهم.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي نبعثهم في الآخرة للمجازاة على أعمالهم. قوله: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾. إن قلت: إن الكتابة متقدمة قبل الإحياء، إذ هي في الدنيا والإحياء يكون في الآخرة. أجيب بأنه قدم الإحياء اعتناء بشأنه، إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة. قوله: (في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول في صحف الملائكة، لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد، إنما هي في صحف الملائكة، وأما اللوح، فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق. قوله: (ما استن به بعدهم) أي من خير: كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو نخل غرسوه، أو وقف حبسوه، أو غير ذلك، أو شر: كمكس رتبوه، أو ضلالة أحدثوها، أو غير ذلك، لما في الحديث: «من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده، كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من وزرهم شيء». قوله: (نصبه بفعل يفسره) إلخ، أي فهو من باب الاشتغال.

قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾ هذا خطاب النبي ﷺ أن يضرب لقومه مثلاً، لعلهم يتعظون فيؤمنوا. قوله: ﴿أَصْحَابَ﴾(مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعول أولا. قوله: (أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم، ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال، دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة. أن عيسى عليه السلام، بعث رسولين من الحواريين إلى أهل انطاكية، اسم أحدهما صادق، والثاني مصدوق، فلما قربا من

المدينة، رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب يس، فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى صلى الله عليه وآله وسلم، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نشفي المريض، ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما، ومعجزة لنبيهما، لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى به، فمسحا ابنه، فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه انطيخا، فدعا بهما وقال: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى عليه السلام، قال: وفيم جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر، إلا عبادة من يسمع ويبصر، قال: وهل لنا إله دون آلهتنا؟ قالا: نعم، الذي أوجدك وآلهتك، قال لهما: قوما حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس، فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ووضعوهما في السجن، فلما كذبا وضربا، بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما ليبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه وأنس به وأكرمه ورضي عشرته، قال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن، وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإني أرى أيها الملك، أن تدعوهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون: فصفاه وأوجزا، قالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين، وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما، حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين، فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا، كان لك الشرف ولآلهتك، فقال له الملك: ليس لي عنك سر مكتوم، فإن آلهنا الذي نعبده، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم، ويصلي ويتضرع، حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما الذي تعبدانه، على احياء ميت آمنا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً قد مات منذ سبعة أيام، وهو ابن دهقان، وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً وقد تغير، فجعلا يدعوان ربهما علانية، وشمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت وقال: إني ميت منذ سبعة أيام، وكنت مشركاً، فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم عليه، فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت أبواب السماء، فنظرت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة: شمعون وهذين، وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك، أخبره بالحال وأنه رسول عيسى، ودعاه فآمن الملك، وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.
قوله: (إلى آخره) أي آخر القصة وهو قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

قوله: ﴿لَمُرْسَلُونَ﴾ جمع باعتبار الثالث. قوله: (أي رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل: إنهم

اشتمال من أصحاب القرية ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ⑬ أي رسل عيسى ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلى آخره بدل من إذ الأولى ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ ⑭ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ ⑮ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم، وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار في ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ⑯ ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ ⑰ التبليغ البينِّ الظاهر بالأدلة الواضحة، وهي: إبراء الأكمه والأبرص والمريض، وإحياء الميت ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾ تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ⑱ مؤلم ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم﴾ شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾ همزة استفهام دخلت على إن الشرطية، وفي همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى ﴿ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم وخوفتم، وجواب الشرط محذوف، أي تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ⑲ متجاوزون الحد بشرككم ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ

رسل من الله من غير واسطة عيسى؛ أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية. قوله: (**بدل من إذ الأولى**) أي بدل مفصل من مجمل. قوله: (**بالتخفيف والتشديد**) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾ أكدوا كلامهم بأن التقدم انكارهم بتكذيب الأثنين، وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم. قوله: قالوا: ﴿**مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا**﴾ أي فلا مزية لكم علينا. قوله: (**جار ومجرى القسم**) أي فيؤكد به كالقسم، ويجاب كما يجاب به القسم. قوله: لزيادة الإنكار أي حيث تعددت ثلاث مرات. قوله: (**وهي إبراء الأكمه**) أي الأعمى.

قوله: ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**﴾ التطير التفاؤل، سمي بذلك لأنهم كانوا يتفاءلون بالطير، إذا أرادوا سفراً أو غيره، فإن ذهب ميمنة قالوا خير، وإن ذهب ميسرة قالوا شر. قوله: (**لانقطاع المطر عنا بسببكم**) قيل: حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا: هذا بشؤمكم. قوله: (**لام قسم**) أي وقد حنثوا فيه، لأن الله أهلكهم، قبل أن يفعلوا بهم ما حلفوا عليه. قوله: (**بكفركم**) الباء سببية أي طائركم حاصل معكم، بسبب كفركم وعنادكم. قوله: (**وإدخال ألف**) أي وتركه، فالقراءات أربع سبعيات. قوله: (**وجواب الشرط محذوف**) أي على القاعدة، وهي أنه إذا اجتمع استفهام وشرط، أتى بجواب الاستفهام، وحذف جواب الشرط، وهو مذهب سيبويه، وعند يونس بالعكس. قوله: (**وهو محل الاستفهام**) أي وهو المستفهم عنه، والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم، بل آمنوا وانقادوا.

قوله: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ اضراب عما تقتضيه الشرطية، من كون التذكير سبباً للشؤم، أي ليس الأمر كذلك، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فشؤمكم لذلك. قوله: (**متجاوزون الحد بشرككم**) أي بعد ظهور المعجزات، وهذا الخطاب لمن بقي على الكفر منهم، وهم الذين رجموا حبيباً النجار، وأهلكهم الله كما يأتي.

رَجُلٌ﴾ هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصى البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾ يشتد عدواً لما سمع بتكذيب القوم الرسل ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾ تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ على رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٢١﴾ فقيل له: أنت على دينهم فقال ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني، أي لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ بعد الموت فيجازيكم بكفركم ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾ في الهمزتين منه ما تقدم في (﴿ءأنذرتهم﴾) وهو استفهام بمعنى النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾

قوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ هي انطاكية المعبر عنها أولاً بالقرية، وعبر عنها بالمدينة، إشارة إلى عظمها وكبرها. قوله: (**هو حبيب النجار**) أي ابن اسرائيل، كان يصنع لهم الأصنام، وهو ممن آمن بالنبي ﷺ قبل وجوده، كما آمن به تبع الأكبر، وورقة بن نوفل وغيرهما، وفي الحقيقة: كل نبي آمن بالنبي ﷺ قبل ظهوره، بمصداق قوله تعالى: ﴿وإذا أخذ الله ميثاق النبيين﴾ الآية، وهذا من خصوصياته ﷺ، وأما غيره من الأنبياء، فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره. قوله: (**كان قد آمن بالرسل**) أي رسل عيسى، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض، وقيل: إنه هو كان مجذوماً، وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم: هل من آية؟ قالوا له: ندعو ربنا القادر، يفرج عنك ما بك، فقال: إن هذا عجيب، قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة، فلم تستطع تفريجه، فهل يستطيع ربكم تفريجه في غداة واحدة؟ قالوا: نعم، ربنا على كل شيء قدير، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن. قوله: (**يشتد عدواً**) أي يسرع في مشيته، حرصاً على نصح قومه، والدفع على الرسل. قوله: (**تأكيد للأول**) أي تأكيد لفظي، فلفظ اتبعوا، تأكيد للفظ اتبعوا الأول، من توكيد الفعل بالفعل.

قوله: ﴿مَن لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً﴾ بدل من المرسلين، والمعنى: اتبعوا الصادقين المخلصين، الذين لم يريدوا منكم العرض الفاني، إذا لو كانوا غير مخلصين، لطلبوا منكم المال، ونازعوكم على الرياسة. قوله: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الجملة حالية، وهو تعريض لهم بالإتباع، أي فاهتدوا أنتم تبعاً لهم. قوله: (**أنت على دينهم**) فيه حذف همزة الاستفهام.

قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ تلطف في ارشادهم، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن أن في الآية احتباكاً، حيث حذف من الأول، نظير ما أثبته في الآخر، والأصل: ومالي لا أعبد الذي فطرني وفطركم، واليه ترجعون وأرجع. قوله: (**الموجود مقتضيها**) أي وهو كون الله فطره وخلقه. قوله: (**في الهمزتين منه ما تقدم**) أي من القراءات الأربع، وتقدم أنها خمسة: التحقيق، وتسهيل الثانية بألف، ودونها، وإبدال الثانية ألفاً، وهي سبعيات. قوله: (**هو استفهام بمعنى النفي**) أي وهو انكاري. قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ يصح أن يكون مفعولاً ثانياً مقدماً لاتخذوا، على أنها متعدية لاثنين، و ﴿آلِهَةً﴾ مفعول أول مؤخر، ويصح أن يكون حالاً من آلهة، أو متعلقاً باتخذوا، على أنها متعدية لواحد. قوله: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ﴾ أي لا تنفعني شفاعتهم، فهو من الغناء بالفتح وهو النفع، ومنه قول البوصيري: فلن ما في اليتيم عنا غناء. قوله: (**صفة آلهة**) أي جملة ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمٰنُ﴾ إلخ، فهو في

التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ ﴿٢٣﴾ صفة آلهة ﴿إِنِّيٓ إِذًا﴾ أي إن عبدت غير الله ﴿لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ بيِّن ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ ﴿٢٥﴾ أي اسمعوا قولي، فرجموه فمات ﴿قِيلَ﴾ له عند موته ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وقيل دخلها حياً ﴿قَالَ﴾ حرف تنبيه ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَمَآ﴾ نافية ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ أي حبيب ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد موته ﴿مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ﴿٢٨﴾ ملائكة لإهلاك أحد ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ساكنون ميتون ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي

محل نصب، والأوضح أن تكون مستأنفة، سيقت لتعليل النفي المذكور، لأن جعلها صفة، يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك. قوله: **(إن عبدت غير الله)** أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة.

قوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي لثبوت الأدلة على بطلان ذلك. قوله: ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ بكسر النون في قراءة العامة وهي نون الوقاية، حذفت بعدها ياء الإضافة، وقرىء شذوذاً بفتحها، ولا وجه له في العربية، لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون. قوله: **(أي اسمعوا قولي)** أي ما قلته لكم وهو ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ إلخ. قوله: **(فرجموه فمات)** أي وهو يقول: اللهم اهد قومي، وقيل: حرقوه وجعلوه في سور المدينة، وقبره في سورة انطاكية، وقيل: نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه، فوالله ما خرجت روحه إلا في الجنة، وفي رواية: أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة، ووضعوهم في بئر وهو الرس. قوله: ﴿وَقِيلَ﴾**(له عند موته)** هذا أحد أقوال ثلاثة، اقتصر المفسر على اثنين منها، والثالث: إن هذا القول، كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة. قوله: **(وقيل دخلها حياً)** أي فحين هموا بقتله، رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حياً إكراماً له، كما وقع لعيسى أنه رفع إلى السماء.

قوله: ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾ أي وهم الذين نصحهم أولا، وقد نصحهم حياً وميتاً، قوله: **(بغفرانه)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي بالذي غفره لي، ويصح أن تكون استفهامية، أي بأي شيء غفر لي، أي بأمر عظيم، وهو توحيدي وصدعي بالحق. قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ إلخ، هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم، والمعنى: لم يحتج في إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أي لم يكن شأننا وعادتنا، ارسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عاماً، يكون بغير الملائكة، كصيحة أو رجفة أو غير ذلك. إن قلت: إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي ﷺ وأصحابه. أجيب: بأن انزالهم تكرمة للنبي وأصحابه لا للإهلاك العام، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته ﷺ. قوله: **(بعد موته)** أي أو بعد رفعه حياً على القول الآخر. قوله: **(لإهلاك أحد)** أي من الأمم السابقة. قوله: **(صاح بهم جبريل)** أي صاح عليهم. قوله: **(ميتون)** أي فشبهوا بالنار الخامدة، لانقطاع النفع في كل.

قوله: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الله، أو الملائكة، أو المؤمنين، والمراد بالعباد جميع الكفار، فأل للجنس، وقيل: المراد بالعباد نفس الرسل، و ﴿عَلَى﴾ بمعنى من، والقائل ذلك

شدة التألم ونداؤها مجاز أي هذا أو إنك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ مسوق لبيان سببها، لاشتماله على استهزائهم المؤدي إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي أهل مكة القائلون للنبي: لست مرسلاً، والاستفهام للتقرير أي علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى أنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنَّهُمْ﴾ أي المهلكين ﴿إِلَيْهِمْ﴾ أي المكذبين ﴿لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ وأنهم الخ، بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور ﴿وَإِن﴾ نافية أو مخففة ﴿كُلٌّ﴾ أي كل الخلائق مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد بمعنى إلا، أو بالتخفيف، فاللام فارقة، وما زائدة ﴿جَمِيعٌ﴾ خبر المبتدأ، أي مجموعون ﴿لَّدَيْنَا﴾ عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الكفار، والتقدير: يا حسرة علينا من مخالفة العباد، والأوجه الأول الذي مشى عليه المفسر. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ﴾ الجملة حالية من مفعول ﴿يَأْتِيهِمْ﴾. قوله: (مسوق) إلخ. أي فهو استئناف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ما وجه التحسر عليهم؟ قيل: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ إلخ. قوله: **(لبيان سببها)** أي بواسطة، فإن الاستهزاء سبب لأهلاكهم، وهو سبب للحسرة. قوله: **(لاشتماله)** أي دلالته.

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إلخ، رأى علمية، و ﴿كَمْ﴾ خبرية مفعول لأهلكنا مقدم، و ﴿قَبْلَهُمْ﴾ ظرف لأهلكنا، و ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ بيان لكم. قوله: **(والاستفهام للتقرير)** أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بما بعد النفي. قوله: **(معمولة لما بعدها)** أي وليست معمولة ليروا، لأن ﴿كَمْ﴾ الخبرية لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها فيها. قوله: **(معلقة ما قبلها عن العمل)**. إن قلت: إن ﴿كَمْ﴾ الخبرية لا تعلق، وإنما التعلق للإستفهامية، قال ابن مالك:

وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذا له انحتم

أجيب: بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق. قوله: **(والمعنى أنا)** ﴿أَهْلَكْنَا﴾ أي وقد علموا ذلك. قوله: **(بدل مما قبله)** أي بدل اشتمال، لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم، أو بدل كل من كل، بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل، كأن إهلاكهم غير رجوعهم. قوله: **(برعاية المعنى المذكور)** أي وهو قوله: **(أنا)** ﴿أَهْلَكْنَا﴾ إلخ، والمعنى: قد علموا إهلاكنا كثيراً من القرون السابقة، المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة، فينبغي أن يعتبروا بهم. قوله: **(نافية)** أي و ﴿لِمَا﴾ بالتشديد بمعنى إلا، وقوله: **(أو مخففة)** أي مهملة، ولما بالتخفيف واللام فارقة. قوله: **(وما زائدة)** للتأكيد، فقد أغنت عن الحصر المستفاد من قراءة التشديد، فتحصل أن من شدد ﴿لِمَا﴾ جعلها بمعنى إلا، و ﴿إِنَّ﴾ نافية، وهذا باتفاق البصريين والكوفيين، ومن خفف ﴿لِمَا﴾ فالبصريون على أن ﴿إِنَّ﴾ مخففة، واللام فارقة، وما زائدة، وجوز الكوفيون جعل ﴿لمَّا﴾ بمعنى إلا، و ﴿إِنَّ﴾ نافية، والقراءتان سبعيتان. قوله: **(أي كل الخلائق)** أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه. قوله: **(أي مجموعون)** دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع، فأجاب: بأن ﴿كُلًّ﴾ أشير بها لاستغراق الأفراد، و ﴿جَمِيعٌ﴾ أشير بها لاجتماع الكل في مكان واحد للحشر.

للحساب خبر ثان ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على البعث خبر مقدم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بالماء مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾ أي بعضها ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ﴾ بفتحتين وبضمتين، أي ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ أنعمه تعالى عليهم؟ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ﴾ على القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ﴾ نفصل ﴿مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ داخلون في الظلام ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى﴾ إلى آخره من جملة الآية

قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ أي علامة ظاهرة ودالة على الإحياء بعد الموت. قوله: (**بالتشديد والتخفيف**) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (مبتدأ) أخره بعد قوله: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ اشارة إلى أنه صفة للأرض، والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد. قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ عطف على ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ قوله: ﴿مِنْ نَخِيلٍ﴾ هو النخل بمعنى واحد، لكل النخل اسم جمع واحدة نخلة يؤنث عند أهل الحجاز، ويذكر عن تميم ونجد، والنخيل مؤنث بلا خلاف، وإذا علمت ذلك، فقول المفسر فيما يأتي (**من النخيل وغيره**) ليس بجيد، بل المناسب وغيرها.

قوله: ﴿وَفَجَرْنَا﴾ بالتشديد في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بالتخفيف. قوله: (**أي بعضها**) أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ﴾ تبعيضية، ويصح أن تكون زائدة. قوله: (**بفتحتين وبضمتين**) أي فيها قراءتان سبعيتان. قوله: (**أي ثمر المذكور**) دفع بذلك ما يقال: إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية، فأجاب: بأنه أفرد باعتبار ما ذكر. قوله: (**أي لم تعمل الثمر**) أشار بذلك إلى أنه ﴿مَا﴾ نافية، والمعنى: أنه ليس لهم ايجاد شيء، بل الفاعل والمثبت هو الله تعالى، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ ويصح أن تكون موصولة، أي ومن الذي عملته أيديهم، أو نكرة موصوفة، أو مصدرية، أي ومن عمل أيديهم، وإثبات العمل للأيدي من حيث الكسب. قوله: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير: أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها؟ أي بحيث لا يصرفونها في مصارفها. قوله: (**أنعمه**) جمع نعمة بالكسر، ونعماء بالمد والفتح.

قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ﴾ أي تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به. قوله: (**الأصناف**) ﴿كُلَّهَا﴾ أي فكل زوج صنف، لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال، والصغر والكبر، فاختلافها هو ازدواجها. قوله: ﴿مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ بيان للأزواج، وكذا ما بعده، فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة، لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات. قوله: (**الغريبة**) أي كالتي في السماوات والتي تحت الأرضين، وكل ما لم يكن مشاهداً لنا عادة.

قوله: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ ذكر الله تعالى في هذه الآية، ما يتضمن علم الميقات الذي تجب معرفته، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضي الله عنه، مقدمة لطيفة في هذا الشأن، كافية من

اقتصر عليها فيها فرض الله تعالى. وحاصلها بحروفها: **فائدة**: أسماء الشهور القبطية: توت، بابه، هاتور، كيهك، طوبه، أمشير، برمهات، برموده، بشنس، بؤنه، أبيب، مسرى. أسماء البروج: ميزان؛ عقرب، قوس، جدي، دلو، حوت، حمل، ثور، جوزاء، سرطان، أسد، سنبلة. ولا يدخل توت، الذي هو أول السنة القبطية، إلا بعد خمسة أيام أو ستة، بعد مسرى، وتسمى أيام النسيء. وفصول السنة أربعة: فصل الخريف، وفصل الشتاء، وفصل الربيع، وفصل الصيف. وأول فصل الخريف: انتقال الشمس إلى برج الميزان، وذلك في نصف توت، وفي تلك الليلة يستوي الليل والنهار، ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة، ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة، إلى نصف بابه، تنتقل الشمس إلى برج العقرب، فنزيد الليل كل ليلة ثلث درجة إلى نصف هاتور، تنتقل الشمس إلى برج القوس، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج، فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين، فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها، أربع عشرة ساعة، فيصلى الفجر على اثنتي عشرة ساعة وست درج، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة، وذلك في آخر يوم من فصل الخريف، منتصف كيهك، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدي، وهو أول فصل الشتاء، فيأخذ الليل في النقص، والنهار في الزيادة، فيزيد النهار كل يوم سدس درجة، ثلاثين يوماً بخمس درج إلى نصف طوبه، فتنتقل الشمس إلى برج الدلو، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف أمشير، فتنتقل إلى برج الحوت، فتسميها العامة بالشمس الصغيرة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمهات، فتنتقل الشمس إلى برج الحمل، ويسميها العامة بالشمس الكبيرة، وهو أول فصل الربيع، وفيه الاعتدال الربيعي، يستوي الليل في تلك الليلة والنهار، يزيد كل يوم نصف درجة، كما في برج الحوت الذي قبله إلى منتصف برموده، فتنتقل الشمس إلى برج الثور، فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس، فتنتقل الشمس للجوزاء، ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤنة، فتنتقل إلى برج السرطان، وهو أول فصل الصيف، وبه ينتهي طول النهار، فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة، وينتهي قصر الليل، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة، وحصة المغرب للعشاء، اثنتان وعشرون درجة، ومن المغرب للفجر، ثمان ساعات وخمس درج، ومنه للشمس خمس وعشرون درجة، ثم ينقص النهار، ويأخذ الليل في الزيادة، فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أبيب، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد، فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى، فتنتقل إلى السنبلة، فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة، فقد علمت أن الدرج الذي يأخذها النهار من الليل، والليل من النهار، ستون درجة بأربع ساعات، وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين، مرة في نصف توت، الذي هو أول السنة القبطية، وهو فصل الخريف، والمرة الثانية في نصف برمهات، أو فصل الربيع، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذي قبله، وهو فصل الشتاء، ثلاثين يوماً بالأسداس، ثم ثلاثين بالأثلاث، ثم ثلاثين بالأنصاف، لأول فصل الربيع، فيحصل الاعتدال، ثم ثلاثين بالأنصاف أيضاً إلى نصف برمودة، ودخول الشمس في الثور، فمدة زيادة الأنصاف ستون من نصف أمشير، ودخول الشمس في الحوت إلى نصف برموده، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف بشنس، ودخول الشمس في الجوزاء، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤنة، ودخول الشمس في السرطان، فيأخذ

لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ إليه أي لا تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي جريها ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ بخلقه ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما

الليل في الزيادة بالأسداس، ثلاثين ليلة إلى نصف أبيب ودخولها في الأسد، ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف مسرى، ثم بالأصناف إلى نصف توت، ثم بالأصناف أيضاً إلى نصف بابه، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور، ثم بالأسداس إلى نصف كهيك، ثم يعدو النهار على الليل، فسبحان الله المقدر للأمور، القادر على كل شيء، العليم الحكيم.

قوله: ﴿وَآيَةٌ﴾ خبر مقدم، و ﴿اللَّيْلُ﴾ مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره. قوله: ﴿نَسْلَخُ﴾ إلخ، بيان لكيفية كونه آية. قوله: **(نفصل)** ﴿مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نزيله عنه لكونه كالساتر له، فإذا زال الساتر ظهر الأصل، فالليل أصل، فالليل أصل متقدم في الوجود، والنهار طارىء عليه بدليل قوله: ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ هذا لا ينافي ما يأتي في قوله: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ لأن معناه لا يأتي الليل قبل وقته المقدر له، بأن يأتي في وقت الظهر مثلاً، وهذا غير ما هنا، فتحصل أن معنى السلخ الفصل والإزالة، وليس المراد به الكشف، وإلا لقال فإذا هم مبصرون، لأنه يصير المعنى: وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار. قوله: **(داخلون في الظلام)** أي فيقال: أظلم القوم إذا دخلوا في الظلام، وأصبحوا إذا دخلوا في الصباح. قوله: **(من جملة الآية)** أي فهو عطف مفردات على قوله: ﴿الأَرْضُ﴾، وقوله: **(أو آية أخرى)** أي فيكون عطف جمل.

قوله: ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ أي مكان تستقر فيه، وهو مكانها تحت العرش، فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها، فتستمر ساجدة فيه طول الليل، فعند ظهور النهار، يؤذن لها في أن تطلع من مطلعها، فإذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق، بل يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من المغرب، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة، ويؤيده قوله ﷺ لأبي ذر غربت الشمس أتدري أين ذهبت الشمس؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وقيل: إن الشمس في الليل، تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض، وإن كنا لا نعرفه، وهذا قول الحكماء، ويؤيده ما قاله الفقهاء: إن الأوقات الخمسة، تختلف باختلاف الجهات والنواحي، فقد يكون المغرب عندنا، عصراً عند آخرين، وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط، واختلف في العشاء حينئذ، فقالت الحنفية بسقوطها، وقالت الشافعية ووافقهم المالكية: يقدر لهم بأقرب البلاد إليهم، ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم، وتسمى أداء، ولا حرمة عليهم، في ذلك، وعلى ما قالته الحكماء، فاختلف في مستقر الشمس، فقيل: هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل: مستقرها هو سيرها في منازلها، حتى تنتهي إلى مستقرها التي لا تجاوزه، ثم ترجع إلى أول منازلها، وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء.

قوله: ﴿وَالْقَمَرَ﴾ اختلف فيه، هل لكل شهر قمر جديد؟ أو هو قمر واحد لكل شهر؟ فقال الرملي من أئمة الشافعية: إن لكل شهر قمراً جديداً، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه

بعده ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وليلة وإن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ ﴿٣٩﴾ أي كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصغر ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾ يسهل ويصح ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ مستدير ﴿يَسۡبَحُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ يسيرون نزلوا منزلة العقلاء ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ وفي قراءة ذرياتهم أي آباءهم الأصول ﴿فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ أي سفينة نوح ﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ المملوء ﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على

متحد. قوله: **(بالرفع)** أي على مبتدأ خبره ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾. قوله: **(والنصب يفسره ما بعده)** أي فهو من باب الاشتغال. قوله: **(من حيث سيره)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مَنَازِلَ﴾ ظرف لقوله: ﴿قَدَّرْنَاهُ﴾ والتقدير قدرنا سيره في منازل، ويصح جعله حالاً على حذف مضاف، والتقدير ذا منازل. قوله: **(أي كعود الشماريخ)** جمع شمراخ، وهو عيدان العنقود الذي عليه الرطب. قوله: **(إذا عتق)** من باب ظرف وقعد. قوله: **(فإنه يدق ويتقوس ويصغر)** أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء.

قوله: ﴿**لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ**﴾ أي بحيث تأتي في وسط الليل، لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان، ويفسد النظام، ولم يقل سبحانه وتعالى: ولا القمر يدرك الشمس، لأن سير القمر أسرع، لأنه يقطع الفلك في شهر، والشمس لا تقطع فلكها في سنة، فالشمس قطعاً لا تدرك القمر، والقمر قد يدرك الشمس في سيرها، ولكن لا سلطنة له. قوله: ﴿**وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ**﴾ أي لا يأتي الليل في أثناء النهار قبل أن ينقضي، كأن يأتي في وقت الظهر مثلاً. قوله: ﴿**وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ قال ابن عباس: يدورون في فلكة كفلكة المغزل. قوله: **(والنجوم)** أي المدلول عليها بذكر الشمس والقمر. قوله: **(نزلوا منزلة العقلاء)** أي حيث عبر عنهم بضمير جمع الذكور، والذي سوغ ذلك، وصفهم بالسباحة التي هي من أوصاف العقلاء.

قوله: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمْ**﴾ خبر مقدم ﴿**وَأَنَّا حَمَلْنَا**﴾ في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي حملنا ذريتهم في الفلك، آية دالة على باهر قدرتنا. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أي آباءهم الأصول)** أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية، كما يطلق على الفروع، يطلق على الأصول، لأنه من الذرء وهو الخلق، فاندفع ما يقال: إن الذي حمل في سفينة نوح، أصول أهل مكة لا فروعهم، وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية. قوله: **(المملوء)** أي لأن نوحاً جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير.

قوله: ﴿**وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ**﴾ هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله، والمعنى: جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا، ونعمة للخلق، وعلمناهم صنعة السفينة، فعملوا سفناً كباراً وصغاراً لينتفعوا بها.

شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فيه ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ينجون ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ أي لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ أعرضوا ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدكم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ بينٍ، وللتصريح بكفرهم

قوله: ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ إما زائدة أو تبعيضية، وعلى كل فمدخولها حال من قوله: ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾.
قوله: (وهو ما عملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة في تفسير المثل، الثاني: إنه خصوص الإبل، والثالث: إنه مطلق الدواب التي تركب. قوله: (بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال: عادة الله تعالى اضافة صفة العبيد لأنفسهم، وإن كان هو الخالق لها حقيقة، فلم أضافها لنفسه؟ فأجاب: بأن التعليم والهداية لما كانتا منه، أضاف الخلق له، لأن سفينة نوح التي هي أصل السفن، كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له. قوله: (مع ايجاد السفن) أي ومع ركوبهم لها. قوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ الصريخ بمعنى الصاوخ، يطلق على المستغيث وعلى المغيث، فهو من تسمية الأضداد، والمراد الثاني.

قوله: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة استثناء، و ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله، وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى: لا ننجيهم لشيء من الأشياء، إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمد الذي سبق في علمنا. قوله: (كغيركم) أي وهم المؤمنون. قوله: (من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخلف، كما يطلق على ما مضى، يطلق على ما يأتي، فهو من تسمية الأضداد، وسمى ما يأتي خلفاً لغيبته عنا.
قوله: (أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، دل عليه قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ﴾ إلخ.
قوله: ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة، وقوله: ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ تبعيضية. قوله: ﴿إِلَّا كَانُوا﴾ إلخ، الجملة حالية.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ إلخ. أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة، كالعاص بن وائل السهمي وغيره، كان إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى مني بك، قد منعك الله، أفاطعمك أنا؟وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون: لا نعطي من حرمه الله، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء ما انتفع الغني بغناه.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي بالصانع، أن ينكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة. قوله: ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ مفعول ﴿أَنُطْعِمُ﴾ وقوله: ﴿أَطْعَمَهُ﴾ جواب ﴿لَوْ﴾. قوله: (في معتقدكم) أي أيها الفقراء المؤمنون، لا في معتقد الكفار الأغنياء، فإنهم ينكرون الصانع كما علمت. قوله: (في قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين. ويؤيده ما روي: أن أبا بكرالصديق رضي

موقع عظيم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾ فيه، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك، وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضاً ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ هو قرن النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ ﴿٥١﴾ يخرجون بسرعة ﴿قَالُوا۟﴾ أي الكفار منهم ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر

الله عنه، كان يطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل فقال: يا أبا بكر، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصوم، والأغنياء بالإعطاء، فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر، إن أنت إلا في ضلال، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم، ثم تطعمهم أنت؟ وقيل: إنه من كلام المؤمنين للكفار، وقيل: من كلام الله تعالى رداً عليهم. قوله: **(موقع عظيم)** أي وهو التبكيت والتقبيح عليهم.

قوله: **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ﴾** رجوع للكلام مع الكفار المعترفين بوجوده تعالى قوله: **(أي ما ينتظرون)** هذا مجاراة لأول كلامهم، لأن شأن من يسأل عن الشيء، أن يكون معترفاً بوجوده، وإلا فهم جازمون بعدمها. قوله: **(الأولى)** أي وهي التي يموت عندها من كان موجوداً على وجه الأرض. قوله: **(نقلت حركة التاء إلى الخاء)** أي بتمامها أو بعضها، فهما قراءتان. قوله: **(وأدغمت)** أي بعد قلبها صاداً، وحذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بتحريك الخاء، وقوله: **(وفي قرءاة)** إلخ، تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث، وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة، وعلى هذه القراءة، فحركة الخاء ليست حركة نقل، وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة، فالتقت ساكنة مع الخاء، فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين، وكل تلك القراءات سبعية. قوله: **(أي وهم في غفلة عنها)** أشار بهذا، إلى أن المراد من الاختصام لازمه، وهو الغفلة التي ينشأ عنها الاختصام وغيره، وفي الحديث: «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوباً بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمها، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخاري. قوله: **(أي يخصم بعضهم بعضاً)** بيان لحاصل المعنى، والمفعول محذوف على القراءة الأخيرة. قوله: **(أن يوصوا)** أي على أولادهم وأموالهم. قوله: **﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾** معطوف على **﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾**. قوله: **(وبين النفختين أربعون سنة)** هذا هو الصحيح، وقيل: أربعون يوماً، وقيل: غير ذلك. قوله: **(أي المقبورون)** أي من شأنه أن يقبر، وقبر كل ميت بحسبه، فيشمل من أكلته السباع ونحوه. قوله: **﴿مِنَ الأَجْدَاثِ﴾** جمع جدث كفرس وأفراس، وقرىء شذوذاً الأجواف بالفاء، وهي لغة في الأجداث. قوله: **(يخرجون بسرعة)** أي يسرعون في مشيهم قهراً ولا اختياراً. قوله: **(أي الكفار)** أي لا كل الخلائق، إذ المؤمنون يفرحون

لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَٰذَا﴾ أي البعث ﴿مَا﴾ أي الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢﴾ أقروا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل يقال لهم ذلك ﴿إِن﴾ ما ﴿كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا﴾ عندنا ﴿مُحۡضَرُونَ ۝٥٣﴾ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤﴾ ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٍ﴾ بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به، كافتضاض الأبكار، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نصب فيها ﴿فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾ ناعمون خبر

بالقيامة، ليذهبوا للنعيم الدائم، ورؤية وجه الله الكريم. قوله: (للتنبيه) دفع بذلك ما يقال: إن النداء مختص بالعقلاء، فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل فأجاب: بأن ﴿يا﴾ للتنبيه، والمعنى: تنبهوا فإن الويل قد حضر.

قوله: ﴿وَيْلَنَا﴾ قرأ العامة بإضافته إلى ضمير المتكلم، ومعه غيره دون تأنيث، وقرىء شذوذاً يا ويلتنا بتاء التأنيث، ويا ويلتي بإبدال الياء ألفاً، وعلى قراءة الإفراد، يكون حكاية عن مقالة كل واحد. قوله: (لا فعل له من لفظه) أي بل معناه وهو هلك. قوله: ﴿مَنْ بَعَثَنَا﴾ قرأ العامة بفتح ميم ﴿مِنْ﴾ على أنها استفهامية مبتدأ، وجملة ﴿بَعَثَنَا﴾ خبره؛ وقرىء شذوذاً بكسر الميم على أنها حرف جر، و ﴿بَعْثنَا﴾ مصدر مجرور بمن؛ والجار والمجرور متعلق بويلنا، وقوله: ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ متعلق بالبعث، والمرقد يصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان، أي من رقادنا أو من مكان رقادنا. قوله: (لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) أي حين يرفع الله عنهم العذاب، فيرقدون قبيل النفخة الثانية، فيذوقون طعم النوم، فإذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة، دعوا بالويل. قوله: ﴿مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ﴾ إلخ، مفعول ﴿وَعَدَ﴾ و ﴿صَدَقَ﴾ محذوف والتقدير: ما وعدنا به الرحمن وصدقنا فيه المرسلون. قوله: (أقروا) إلخ، أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار، فهي في محل نصب مقول القول، كأنهم لما سألوا فلم يجابوا، أجابوا أنفسهم. قوله: (وقيل يقال لهم ذلك) أي من جانب المؤمنين، أو الملائكة، أو الله تعالى، وإنما عدلوا عن جواب سؤالهم، لأن الباعث لهم معلوم، وإنما لهم السؤال عن البعث.

قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي النفخة الثانية. قوله: ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي وهو قول إسرافيل أيتها العظام النخرة، والأوصال المتقطعة، والعظام المتفرقة، والشعور المتمزقة، وإن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. قوله: ﴿فإِذَا هُمْ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي مجموعون في موقف الحساب. قوله: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً﴾ هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب. قوله: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ إلخ، جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه، إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة. قوله: ﴿فِي شُغْلٍ﴾ أبهمه ونكره، إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه، والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية، كالتفكه بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور، وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته. قوله: (بسكون الغين وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (كافتضاض الأبكار) أي لما روي: أن أهل الجنة، كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكاراً، فيفتضون من غير قذر ولا ألم. قوله: ﴿فاكِهُونَ﴾ من الفكاهة بفتح الفاء، وهي التنعم والتلذذ.

ثان لـ «إن»، والأول في شغل ﴿هُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ﴾ جمع ظلة أو ظل خبر، أي لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة وهو السرير في الحجلة أو الفرش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ ﴿٥٦﴾ خبر ثان متعلق على ﴿لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يتمنون ﴿سَلَـٰمٌ﴾ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي بالقول خبره ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿٥٨﴾ بهم أي يقول لهم سلام عليكم ﴿وَ﴾ يقول ﴿ٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم ﴿أَلَمْ

قوله: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم. قوله: (جمع ظلة) أي كقباب جمع قبة، وزناً ومعنى. قوله: (أو ظل) أي كشعاب جمع شعب. قوله: (أي لا تصيبهم الشمس) أي لعدم وجودها. قوله: (في الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس. قوله: (أو الفرش فيها) أي في الحجلة، فالأريكة فيها قولان: قيل هي السرير الكائن في الحجلة، أو الفرش الكائن فيها. قوله: (متعلق على) أي قوله: ﴿عَلَى الأرَائِكِ﴾ فتحصل أن ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿أَزْوَاجُهُمْ﴾ عطف عليه، و ﴿فِي ظِلَالٍ﴾ خبر أول، و ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ خبر ثان، و ﴿عَلَى الأرَائِكِ﴾ متعلق بمتكئون، قدم عليه رعاية للفاصلة.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ أي من كل نوع من أنواع الفواكه، لا مقطوع ولا ممنوع، قال تعالى: ﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾. قوله: ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾ أصله يدتعيون بوزن يفتعلون، استثقلت الضمة على الياء، فنقلت إلى ما قبلها، فالتقى ساكنان، حذفت الياء لالتقائهما، ثم أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، والمعنى: يعطى أهل الجنة، جميع ما يتمنونه ويشتهونه حالاً من غير بطء.

قوله: ﴿سَلَامٌ﴾(مبتدأ) إلخ، هذا أحسن الأعاريب؛ وقيل: إنه بدل من قوله: ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾، أو صفة لما، أو خبر لمبتدأ محذوف. قوله: (أي بالقول) أشار بذلك إلى أن ﴿قَوْلاً﴾ منصوب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة، وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر. قوله: (أي يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف، والمعنى أن الله يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما في الحديث: «بينما أهل الجنة في نعيم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم، السلام عليكم يا أهل الجنة، فلذلك قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم؛ فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم». قوله: ﴿وَ﴾(يقول) ﴿امْتَازُوا﴾ إلخ، أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضاً. قوله: (عند اختلاطهم بهم) أي حين يسار بهم إلى الجنة؛ لما ورد في الحديث ما معناه: «إذا كان يوم القيامة، ينادي مناد: كل أمة تتبع معبودها؛ فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون: لا نذهب حتى ننظر معبودنا؛ فيظهر لهم عن يمين العرش ملك؛ لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في نقرة إبهامه لوسعهم؛ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك؛ فيقولون: نعوذ بالله منك لست ربنا، ثمَّ يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجداً، فيريد المنافقون أن يسجدوا؛ فيصير ظهرهم طبقاً، فلا يستطيعون السجود، فعند ذلك يقال: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾».

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ آمركم ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٠﴾ بيِّن العدواة ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِي﴾ وحدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقاً جمع جبيل كقديم، وفي قراءة بضم الباء ﴿كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ عدواته وإضلاله، أو ما حل بهم من العذاب فتؤمنون، ويقال لهم في الآخرة ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ بها ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي الكفار لقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٦٥﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ لأعميناها طمساً ﴿فَٱسْتَبَقُواْ﴾ ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾ فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ حينئذ أي لا يبصرون ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة مكاناتهم جمع مكانة بمعنى مكان، أي في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا

قوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾ الاستفهام للتوبيخ والتقريع، والمراد بالعهد، ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهي. قوله: (آمركم) أي وأنهاكم؛ ففيه اكتفاء. قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ﴿أَنْ﴾ تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه، و ﴿لَا﴾ ناهية؛ والفعل مجزوم بها. قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ تعليل لوجوب الانتهاء. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ﴾ تأكيد للتعليل. قوله: ﴿جِبِلًّا﴾ بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام. قوله: (وفي قراءة بضم الباء) أي مع ضم الجيم، وبقي قراءة ثالثة سبعية أيضاً، وهي بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل. قوله: ﴿هٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع. قوله: ﴿اصْلَوْهَا﴾ أي ذوقوا حرارتها. قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بسبب كفركم.

قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي ختماً يمنعها عن الكلام النافع، فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم﴾ وهذا مرتبط بقوله: ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ روي أنهم حين يقال لهم ذلك، يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون: لا نجيز علينا شاهداً إلا من أنفسنا؛ فيختم على أفواههم، ويقال لأركانهم: انطقوا فتنطق بما صدر منهم، وحكمة إسناد الختم لنفسه، والشهادة للأيدي والأرجل، دفع توهم أن نطقها جبر، والمجبور غير مقبول الشهادة، فأفاد أن نطقها اختياري. قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ إلخ مفعول المشيئة محذوف، أي لو نشاء طمسها لفعلنا، وقوله: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ أي أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم، وهو عطف على قوله: ﴿طَمَسْنَا﴾، وقوله: ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ استفهام إنكاري مرتب على ما قبله، أي فلا يبصرونه.

قوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ إلخ، يقال فيها ما قيل فيما قبلها، والمسخ تغيير الصور، و ﴿عَلَى﴾ بمعنى في، والمقصود من هاتين الآيتين، تسليته ﷺ، وتوبيخ الكفار واعلامهم بأن الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا، وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى: ﴿قل

﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة بالتشديد من التنكيس ﴿فِي ٱلْخَلْقِ﴾ أي خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون، وفي قراءة بالتاء ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾ يسهل ﴿لَهُۥٓ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٩﴾ مظهر للأحكام وغيرها ﴿لِّيُنذِرَ﴾ بالياء والتاء به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب بـه وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾

أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ الآية. قوله: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ أي من يكون في سابق علمنا طويل العمر. قوله: (وفي قراءة بالتشديد) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد، والمعنى نقلبه، فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه؛ عكس ما كان عليه أول أمره. قوله: (أي خلقه) أي خلق جسده وقواه. قوله: (ضعفاً) مقابل قوته؛ وقوله: (وهرماً) مقابل شبابه، فهو لف ونشر مرتب، وهذا في غير الأنبياء عليهم السلام، وأما هم فلا يعتريهم الضعف في العقل والبدن، وإن طال عمرهم جداً، واستعاذته ﷺ من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون، فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر، بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه. قوله: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً.

قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه ﷺ عن آلهتهم فيما أوحاه الله إليه، إذ لو كان للعقل فيه بعض اتهام، لبطل الاحتجاج به. قوله: (رد لقولهم أن ما أتى به من القرآن شعر) أي وحينئذ فيصير المعنى: ليس القرآن بشعر، لأن الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصداً مبني على خيالات وأوهام واهية، وأين ذلك من القرآن العزيز، الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر. قوله: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أي لا يصح ولا يليق منه، لأن الشعر شأنه الأكاذيب، وهي عليه مستحيلة، ولذا قيل: أعذبه أكذبه، فتحصل أن النبي لا ينبغي له الشعر، ولا يليق منه. إن قلت: إنه تمثل بقول ابن رواحة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ... ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله:

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا أصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

قلت: أحسن ما أجيب به: أن انشاده بيت ابن رواحة، وإنشاء البيتين المقدمين، لم يكن عن قصد، وإنما وافق وزن الشعر، كما في بعض الآيات القرآنية، فليس كل من قال قولاً موزوناً، لا يقصد به الشعر شاعراً، وإنما وافق وزن الشعر. قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله قوله: (بالياء والتاء) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: (وهم المؤمنون) أي وخصوا بالذكر، لأنهم هم المنتفعون به.

بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٠﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أي عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَٰمًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١﴾ ضابطون ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا﴾ سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون، أي ما فعلوا ذلك ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ أصناماً يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي آلهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿مُّحْضَرُونَ ۝٧٥﴾ في النار معهم ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك لست مرسلاً وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦﴾

قوله: (وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة في قوله: ﴿مَنْ كَانَ حَيّاً﴾. قوله: (والاستفهام للتقرير) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم. قوله: (والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية، وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير، لأن لها الصدارة، والواو عاطفة على قوله فيما تقدم ﴿أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أو داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: ألم يتفكروا ولم يروا.

قوله: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ اللام للحكمة، أي حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم. قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم، بل لهم ولغيرهم. قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى، وهذا كقول الإنسان: كتبته بيدي مثلاً، بمعنى أني انفردت به ولم يشاركني فيه غيري، فهو كناية عرفية. قوله: ﴿أَنْعَاماً﴾ خصها بالذكر، لأن منافعها أكثر من غيرها. قوله: (ضابطون) أي قاهرون مذللون، والأحسن أن يفسر قوله: ﴿مَالِكُونَ﴾ بالملك الشرعي، أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ تأسيساً لنعمة أخرى، لا تتميماً لما قبله. قوله: (كأصوافها) أي وجلودها ونسلها وغير ذلك. قوله: (أو موضعه) أي وهو الضروع. قوله: (أي ما فعلوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري، وأن قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ إلخ، عطف على محذوف قوله: (يعبدونها) تفسير للاتخاذ.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ الجملة حالية، والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم. قوله: (نزلوا منزلة العقلاء) أي لمشاكلة عبادتهم، فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور. قوله: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ﴾ إلخ، ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿جُنْدٌ﴾ خبر أول، و ﴿لَهُمْ﴾ متعلق بجند، و ﴿مُحْضَرُونَ﴾ خبر ثان. قوله: (أي آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين، والآخر أنه عائد على الكفار، والمعنى: يقومون بمصالحها، فهم لها بمنزلة الجند، وهي لا تستطيع أن تنصرهم. قوله: ﴿مُحْضَرُونَ﴾(في النار) أي ليعذبوا بها. قوله: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن من قولهم، بل اتركه ولا تلتفت له. قوله: ﴿إِنَّا

من ذلك وغيره فنجازيهم عليه ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾ يعلم وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني إلى أن صيرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٧﴾ بينها في نفي البعث ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المني وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿٧٨﴾ أي بالية، ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظماً رميماً ففتته وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعدما بلي ورمَّ؟ فقال ﷺ: «ويدخلك النار» ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٩﴾ مجملاً ومفصلاً، قبل خلقه وبعد خلقه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث،

نَعْلَمُ﴾ إلخ، تعليل للنهي قبله. قوله: (فيجازيهم عليه) أي على ما صدر منهم سراً وعلانية، خيراً أو شراً.

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإنْسَانُ﴾ في الهمزة التقريران السابقان، وهما كونها مقدمة من تأخير، أو عاطفة على محذوف؛ والتقدير: أعمي ولم ير؟ قوله: (وهو العاصي بن وائل) وقيل: نزلت في أبي بن خلف الجمحي، ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي قذرة خسيسة؛ والمقصود التعجب من جهله، حيث تصدى لمخاصمة العزيز الجبار، ولم يتفكر في بدء خلقه، وانه من نطفة. قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ عطف على جملة النفي. قوله: (في نفي البعث) متعلق بخصيم.

قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً﴾ أي أورد كلاماً عجيباً في الغرابة كالمثل، حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق. قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي ذهل عنه، وهذا عطف على ﴿ضَرَبَ﴾ داخل حيز الإنكار، وإضافة خلق للضمير، من إضافة المصدر لمفعوله، أي خلق الله إياه. قوله: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ﴾ إلخ بيان لضرب المثل. قوله: (ولم يقل بالتاء) إلخ، أشار بذلك إلى سؤال حاصله أن فعيلاً بمعنى فاعل، يفرق بين المذكر والمؤنث بالتاء، فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة، فأجاب المفسر: بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية، فإذا صار اسماً بالغلبة لما بلي من العظام، فلا تلحقه التاء في مؤنثه. قوله: (فقال ﷺ: نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا، أنه مقطوع بكفره وخلوده في النار، وزيادة ذلك في الجواب، لأنه متعنت لا متفهم، وجزاء المتعنت المنكر، أن يجاب بما يكره، وبضد ما يترقب، ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم. قوله: ﴿الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ أي أوجدها من العدم. قوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي بكيفية خلقها، وبأجزاء الأشخاص تفصيلاً.

قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ إلخ، بدل من الموصول قبله. قوله: (في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه مخصصاً بالكفار، بل لجميع الخلق. قوله: (المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة، شجر سريع القدح، وقوله: (والعفار) بفتح العين المهملة، بعدها فاء مفتوحة فألف فراء، وكيفية إيقاد النار منهما،أن يجعل العفار كالزند،يضرب به على المرخ،وقيل: يؤخذ منهما غصنان خضراوان، ويسحق المرخ على العفار، فتخرج منهما النار بإذن الله. قوله: (أو كل شجر) أي وقد شوهد في بعضه كالبرسيم، إذا وضع

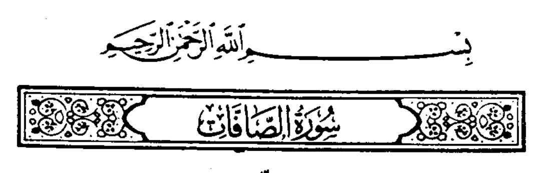
فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفىء النار، ولا النار تحرق الخشب ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ مع عظمهما ﴿ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾ أي الأناسي في الصغر؟ ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي هو القادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ﴾ الكثير الخلق ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ ﴿٨١﴾ بكل شيء ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ ﴾ شأنه ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ﴾ أي خلق شيء ﴿ أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ﴿٨٢﴾ أي فهو يكون، وفي قراءة بالنصب عطفاً على يقول ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ ﴾ ملك، زيدت الواو والتاء للمبالغة أي القدرة على ﴿ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٨٣﴾ تردون في الآخرة.

بعضه على بعض وهو أخضر مدة، فإنه يحرق نفسه وما حوله. قوله: (إلا العناب) أي ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين. قوله: (والخشب) بفتحتين وضمتين أو ضم فسكون.

قوله: ﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، تقديره: أليس الذي أنشأها أول مرة، وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر؟ قوله: (أي الأناسي) تفسير للضمير. قوله: ﴿بَلَى﴾ جواب تقرير النفي، وهو صادر منه تعالى، إشارة إلى تعيينه قالوا أولاً. قوله: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم. قوله: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ في الكلام استعارة تمثيلية، وتقريرها أن يقال: شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده، بأمر المطاع للمطيع، في حصول المأمور به، من غير امتناع ولا توقف، وحينئذ فمعنى أن يقول له كن، أن تتعلق به قدرته تعلقاً تنجيزياً.

قوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي﴾ إلخ، أي تنزيه عما يليق به. قوله: (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قرأ العامة ببنائه للمفعول، وقرىء شذوذاً ببنائه للفاعل.

تتمة: تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن، ووجه ذلك: أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر، والإيمان بذلك متعلق بالقلب، فلذلك سميت قلباً، ومن هنا امر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت، ليكون القلب قد اقبل على الله تعالى، ورجع عما سواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة ويقيناً.



مكيّة

وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ ﴿١﴾ الملائكة تصف نفوسها في العبادة أو أجنحتها في الهواء، تنتظر ما تؤمر به ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ ﴿٢﴾ الملائكة تزجر السحاب أي تسوقه ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ أي قراءة القرآن يتلونه ﴿ذِكْرًا﴾ ﴿٣﴾ مصدر من معنى التاليات ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ﴾ يا أهل

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات مكية

وهي مائة واثنتان وثمانون آية

أي بالإجماع، وسميت باسم اول كلمة منها، من باب تسمية الشيء باسم بعضه، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ إلخ، والواو حرف قسم وجر، و ﴿الصَّافَّاتِ﴾ مقسم به مجرور، وما بعده عطف عليه، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جواب القسم، وهو المقسم عليه، والمعنى: وحق الصافات، وحق الزاجرات، وحق التاليات، وإنما خص ما ذكر، لعظم قدرها عنده، ولا يعكر عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله، لأن النهي للمخلوق، حذراً من تعظيم غير الله، وأما هو سبحانه وتعالى، فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم، كقوله: والشمس، والليل، والضحى، والنجم وغير ذلك. قوله: **(الملائكة تصف نفوسها)** إلخ، اشار بذلك إلى أن المفعول محذوف، إن قلت: إن التاء في الصافات وما بعدها للتأنيث، والملائكة منزهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة. أجيب: بأنها للتأنيث اللفظي، والمنزهون عنه التأنيث المعنوي، وقوله: **(الملائكة)** هو أحد أقوال في تفسير الصافات، وقيل: المراد المجاهدون، أو المصلون، أو الطير تصف أجنحتها. قوله: **(في العبادة)** أي في مقاماتها المعلومة. قوله: **(وأجنحتها في الهواء)** أي ومعنى صفها بسطها. قوله: **(تنتظر ما تؤمر به)** أي من صعود وهبوط.

قوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾ الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجي، لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف، ثم يعقبه زجر النفس، ثم يعقبه التلاوة، وهكذا ويحتمل أنها للترتيب في المزايا، ثم هو إما باعتبار الترقي: فالصافات ذوات فضل، فالزاجرات أفضل، فالتاليات أكثر فضلاً. أو باعتبار التدلي: فالصافات أعلى، ثم الزاجرات، ثم التاليات، وكل صحيح. قوله: **(الملائكة تزجر السحاب)** وقيل: المراد بهم العلماء تزجر العصاة. قوله: **(مصدر من معنى التاليات)** ويصح أن يكون مفعولاً للتاليات،

مكة ﴿لَوَٰحِدٌ ۝٤﴾ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ۝٥﴾ أي والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦﴾ أي بضوئها أو بها، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب ﴿وَحِفۡظٗا﴾ منصوب بفعل مقدر، أي حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾ متعلق بالمقدر ﴿شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧﴾ عاتٍ خارج عن الطاعة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي الشياطين مستأنف، وسماعهم هو في المعنى المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ الملائكة في السماء،

والمراد بالذكر: القرآن وغيره من تسبيح وتحميد، والمراد بهم هنا، كل ذاكر من ملائكة وغيرهم.

قوله: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٌ﴾ إن قلت: ما حكمة ذكر القسم هنا، لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له، لأنهم مصدقون ولو من غير قسم، وإن كان المقصود الكفار، فلا حاجة له أيضاً، لأنهم غير مصدقين على كل حال؟ أجيب: بأن المقصود منه، تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويزداد الكافر طرداً وبعداً.

قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إما بدل من واحد، أو خبر ثان، أو خبر لمحذوف. قوله: **(أي والمغارب)** أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد: سرابيل تقيكم الحر، وإنما اقتصر على المشارق، لأن نفعه أعم من الغروب، إن قلت: إنه تعالى جمع المشارق هنا، وحذف مقابله، وجمعهما في سأل، وثناهما في الرحمن، وأفردهما في المزمل، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟ أجيب: بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقاً، وثلاثمائة وستون مغرباً، فتشرق كل يوم من مشرق منها، وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغارب، والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربهما، والإفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها، وخص الجمع بهذه السور، لمناسبة جموع أولها.

قوله: ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي القربى من الأرض. قوله: ﴿بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ اختلف العلماء، هل الكواكب في سماء الدنيا، أو ثوابت في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا، لأن السماوات شفافة لا تحجب ما وراءها؟ قوله: **(بضوئها)** أي نورها، ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس، وقوله: **(أو بها)** أي أن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا، فإن الإنسان إذا نظر إلى الليلة المظالمة إلى السماء، ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق، وجدها في غاية الزينة. قوله: **(المبينة بالكواكب)** أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب، تكون الكواكب عطفاً عليها، وبقي قراءة ثالثة سبعية وهي تنوين، ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعني الكواكب. قوله: **(بفعل مقدر)** أي معطوف على ﴿زَيَّنَّا﴾.

قوله: ﴿مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ وكانوا لا يحجبون عن السماوات، وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها، فيلقونها على الكهنة، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام، منعوا من ثلاث سماوات، فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام، منعوا من السموات كلها، فما منهم أحد يريد استراق السمع، إلا رمي بشهاب، وهو الشعلة من النار، فلا يخطئه أبداً، فمنهم من يقتله، ومنهم من يحرق وجهه، ومنهم من يخبله فيصير غولاً يضل الناس في البراري. قوله: **(مستأنف)** أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما

وعدى السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة بتشديد الميم والسين، أصله يتسمعون، أدغمت التاء في السين ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ من آفاق السماء ﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره أي طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ مصدر أي المرَّة والاستثناء من ضمير يسمعون، أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ﴾ كوكب مضيء ﴿ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما، وفي الإتيان بمن تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾ أي أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ لازم يلصق باليد، المعنى

يعتريهم من العذاب. قوله: **(وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضاً. قوله: **(أدغمت التاء في السين)** أي بعد قلبها سيناً وإسكانها. قوله: **(من آفاق السماء)** أي نواحيها وجهاتها. قوله: **(والاستثناء من ضمير يسمعون)** أي و (من) في محل رفع بدل من الواو، أو في محل نصب على الاستثناء، والاستثناء على كل متصل، ويجوز أن تكون (من) شرطية، وجوابها **﴿فَأَتْبَعَهُ﴾** أو موصولة مبتدأ، وخبرها **﴿فَأَتْبَعَهُ﴾** وهو استثناء منقطع كقوله تعالى: ﴿لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر﴾.

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ إن قلت: تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين، أنها تنفصل وتزول، فكيف الجمع بين ذلك؟ أجيب: بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين، والكواكب باقية بحالها. إن قلت: إن الشياطين خلقوا من النار، فكيف يحترقون؟ أجيب: بأن الأقوى يحرق الأضعف، كالحديد يقطع بعضه بعضاً. إن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب، فكيف يعود مرة أخرى؟ أجيب: بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته، كراكب البحر، فإنه يشاهد الغرق، المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة. قوله: **(يثقبه)** أي بحيث يموت من ثقبه، وقوله: **(أو يحرقه)** أي ويموت أيضاً، وأو في كلام المفسر للتنويع، وهو لا ينافي وصف الشهاب بالثاقب، لأن معنى الثاقب المضيء، أي الذي يثقب الظلام، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: **(أو يخبله)** الخبل بسكون الباء وفتحها، الجنون والبله، ويطلق أيضاً على من فسدت أعضاؤه.

قوله: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾** إلخ، المقصود من هذا الكلام، الرد على منكري البعث، حيث ادعوا أنه مستحيل، وحاصل الرد، أن يقال لهم: إن استحالته التي تدعونها، إما لعدم المادة، وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء تراباً، وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طيناً، وقد خلق آباهم آدم من طين، أو لعدم القدرة وهو مردود، بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات الأرض وغيرهما، قادر على اعادتهم ثانياً، وقدرته ذاتية لا تتغير، فهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلخ. قوله: **﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً﴾** أي أقوى خلقاً، أو أصعب أو أشق إيجاداً. قوله: **﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾** قرأ العامة بتشديد الميم، وقرئ شذوذاً بفتحها، وهو استفهام ثان، و **﴿مِنْ﴾** مبتدأ خبر محذوف دل عليه ما قبله أي **﴿أَشَدُّ خَلْقاً﴾**. قوله: **﴿لَازِبٍ﴾** من باب دخل، وقوله: **(يلصق باليد)** أي أنه لضعفه لا قوام له

أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا، بإنكار النبي والقرآن المؤدِّي إلى هلاكهم اليسير ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾ بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ، أي من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ ﴾ ⑫ من تعجبك ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ ﴾ ⑬ لا يتعظون ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ ⑭ يستهزئون بها ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فيها ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ ⑮ بيِّن، وقالوا منكرين البعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ⑯ في الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ ⑰ بسكون الواو عطفاً بأو، وبفتحها والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في لمبعوثون، والفاصل همزة الاستفهام ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ⑱ صاغرون ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ ضميره مبهم

بنفسه. قوله: **(المعنى أن خلقهم)** إلخ، التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذي منه إنكار البعث.

قوله: **﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾** إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال: لا تستفتهم فإنهم جاهلون معاندون، لا منفعة في استفتائهم، بل انظر إلى حالك وحالهم، والمقصود منه تسليته ﷺ قوله: **(بفتح التاء)** أي وبضمها، قراءتان سبعيتان، وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى، ومعناه في حقه الغضب والمؤاخذة على حد **﴿ومكروا ومكر الله﴾** والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك، وقد يطلق التعجب في حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما في الحديث: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة». قوله: **﴿وَ﴾(هُمْ) ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾(من تعجبك)** أي أو من تعجبي، أي غضبي عليهم ومجازاتي لهم على كفرهم. قوله: **(لا يتعظون)** أي لقيام الغفلة بهم.

قوله: **﴿أئِذَا مِتْنَا﴾** إلخ، أصل الكلام: أنبعث إذا متنا، وكنا تراباً وعظاماً؟ قدموا الظرف، وكرروا الهمزة، وأخروا العامل، وعدلوا به إلى الجملة الاسمية، لقصد الدوام والاستمرار، إشعاراً بأنهم مبالغون في الإنكار. قوله: **(وادخال ألف بينهما)** أي وتركه، فالقراءات أربع في كل موضع، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً: الأولى بألفين، والثانية بواحدة، والعكس، وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها. قوله: **(وبفتحها)** أي والقراءتان سبعيتان هنا، وفي الواقعة، وتقدم في الأعراف **﴿أو أمن أهل القرى﴾**. قوله: **(للاستفهام)** أي الإنكاري. قوله: **(أو الضمير في لمبعوثون)** أي على القراءة الثانية، فيكون مبعوثون عاملاً فيه أيضاً، إن قلت: إن ما بعد همزة الاستفهام، لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون. أجيب: بأنها مؤكدة للأولى، لا مقصودة بالاستقبال، فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد. قوله: **(والفاصل)** أي بين المعطوف عليه، وهو ضمير الرفع المستتر، وبين المعطوف وهو **﴿آبَاؤُنَا﴾**، فتحصل أنه على قراءة سكون الواو، ويتعين العطف على محل إن واسمها لا غير، وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه، ويجوز كونه معطوفاً على الضمير المستتر في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾** ويكفي الفصل بهمزة الاستفهام، على حد قول ابن مالك، أو فاصل ما. قوله: **﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾** الجملة

يفسره ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ ما يفعل بهم ﴿وَقَالُواْ﴾ أي الكفار ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾ هلاكنا وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾﴾ أي الحساب والجزاء ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ ويقال للملائكة ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره من الأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾ دلوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ طريق النار ﴿وَقِفُوهُمْ﴾ احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ويقال لهم توبيخاً ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا، ويقال عنهم ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ منقادون أذلاء ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ يتلاومون ويتخاصمون ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الأتباع منهم للمتبوعين ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ عن الجهة

حالية، والعامل فيها معنى ﴿نَعَمْ﴾ كأنه قيل (تبعثون) والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم، حاملين أوزارهم على ظهورهم.

قوله: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ﴾ إلخ، هذه الجملة جواب شرط مقدر، أو تعليل لنهي مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فإنما هي إلخ، أو لا تستصعبوه فإنما هي إلخ. قوله: **(أي صيحة)** ﴿**وَاحِدَةٌ**﴾ أي وهي النفخة الثانية. قوله: ﴿**فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ أي ينتظرون. قوله: **(لا فعل له من لفظه)** أي بل من معناه وهو هلك. قوله: **(وتقول لهم الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله: ﴿**يَا وَيْلَنَا**﴾ وما بعده كلام مستقبل، وهذا أحد احتمالات، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتاً لهم، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم.

قوله: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ أي من مقامهم إلى الموقف، أو من الموقف إلى النار. قوله: **(قرناءهم من الشياطين)** هذا أحد أقوال، وقيل: المراد أزواجهم نساؤهم اللاتي على دينهم، وقيل: أشباههم وأخلاؤهم من الإنس، لأن زوج الشيء على مقاربه ومجانسه، فيقال لمجموع فردتي الخف، ولإحداهما زوج. قوله: **(من الأوثان)** أي كالأصنام والشمس والقمر. قوله: ﴿**إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ**﴾ بكسر الهمزة في قراءة العام على الاستئناف، وفي معنى التعليل، وقرىء بفتحها على حذف لام العلة، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم. قوله: **(عن جميع أقوالهم وأفعالهم)** أي لما في الحديث: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن شبابه فيما أبلاه، وعن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به». قوله: **(ويقال لهم)** أي والقائل خزنة جهنم. قوله: **(كحالكم في الدنيا)** تشبيه في المنفي. قوله: **(ويقال عنهم)** أي في شأنهم على سبيل التوبيخ.

قوله: ﴿**وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ**﴾ أي بعض الكفار يوم القيامة؛ وهذا بمعنى ما تقدم في سورة سبأ في قوله: ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾. قوله: **(يتلاومون ويتخاصمون)** أي يلوم بعضهم بعضاً، ويخاصم بعضهم بعضاً، كما قال تعالى في شأنهم ﴿كلما دخلت أمة

التي كنا نأمنكم منها، لحلفكم أنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم، المعنى إنكم أضللتمونا ﴿قَالُوا﴾ أي المتبوعون لهم ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ وإنما يصدق الأضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ قوّة وقدرة نقهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾ ﴿٣٠﴾ ضالين مثلنا ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب أي قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَذَائِقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المعلل بقولهم ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ أي لاشتراكهم في الغواية ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ غير هؤلاء، أي نعذبهم التابع منهم والمتبوع ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي هؤلاء بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ ﴿٣٦﴾ أي لأجل قول محمد، قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ

لعنت أختها﴾ بخلاف تساؤل المؤمنين في الجنة، فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم. قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير، والآية محتملة لتلك المعاني، والمفسر اختار الأول، وعليه فعن بمعنى من، والمعنى: كنتم تأتوننا من الجهة التي كنا نأمنكم منها؛ فتلك الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق؛ إلخ. قوله: (المعنى أنكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات، لا على ما قاله المفسر فقط.

قوله: ﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ إلخ، أجابوا بأجوبة خمسة آخرها ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ والمعنى إنكم لم تتصفوا بالإيمان في حال من الأحوال. قوله: (إن لو كنتم مؤمنين) أي إن لو اتصفتم بالإيمان. قوله: (فرجعتم عن الإيمان إلينا) أي بإضلالنا وإغوائنا، كأنهم قالوا لهم: إن من آمن لا يطيعنا لثبات الإيمان في قلبه، فلو حصل منكم الإيمان لما أطعتمونا. قوله: ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ أي وعيده، ومفعول القول محذوف قدره بقوله: ﴿لأملأن جهنم﴾ إلخ. قوله: ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب.

قوله: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ أي تسببنا لكم في الغواية من غير إكراه، فلا ينافي ما قبله. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ أي فأحببنا لكم ما قام بأنفسنا، لأن من كان متصفاً بصفة شنيعة، يجب أن يتصف بها غيره، لتهون المصيبة عليه. قوله: (يوم القيامة) أي حين التحاور والتخاصم. قوله: (كما يفعل بهؤلاء) أي عبدة الأصنام، وقوله: (غير هؤلاء) أي كالنصارى واليهود. قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ إلخ، أي عبدة الأصنام، وسبب ذلك: أن النبي ﷺ دخل على أبي طالب عند موته، وقريش مجتمعون عنده فقال: قولوا لا إله إلا الله، تملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم، فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾ إلخ. قوله: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي يتكبرون عن قولها، وعن من يدعوهم إليها. قوله: (في همزتيه ما تقدم) أي من التحقيق فيهما، وتسهيل الثانية، بألف ودونها، فالقراءات أربع. قوله: ﴿لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾ من اضافة اسم الفاعل لمفعوله، أي لتاركون آلهتنا، والمعنى لتاركون عبادتها. قوله: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ إلخ،

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٣٧﴾ الجائين به وهو أن لا إله إلا الله ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ ﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٤٠﴾ أي المؤمنين استثناء منقطع أي ذكر جزاؤهم في قوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الخ ﴿لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿٤١﴾ بكرة وعشياً ﴿فَوَٰكِهُ﴾ بدل أو بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ بثواب الله سبحانه وتعالى ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ ﴿٤٤﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ ﴿٤٥﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء ﴿بَيْضَآءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾ لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ بفتح الزاي وكسرها

رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق، موافق فيه المرسلين قبله. قوله: **(فيه التفات)** أي من الغيبة إلى الخطاب، زيادة في التقبيح عليهم. قوله: **﴿إلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾** أي فالشر يكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير، فجزاؤه بأضعاف مضاعفة. قوله: **(استثناء منقطع)** أي من الواو في **﴿تُجْزَوْنَ﴾**.

قوله: **﴿أولئكَ﴾** أي عباد الله المخلصين. قوله: **(إلى آخره)** أي وهو قوله: **﴿كَأَنَّهن بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾**. قوله: **﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾** أي أوقاته وصفاته، فلا ينافي آية **﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾** فإن المراد غير معلوم المقدار. قوله: **(بدل)** أي كل من كل، لأن جميع ما يؤكل في الجنة، إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ، فلا فرق بين الرزق والفواكه. قوله: **(لا لحفظ صحة)** المناسب أن يقول: لا لحفظ بنية. قوله: **(بخلق أجسادهم للأبد)** أي فهم يدومون بدوام الله، لا يفنون أبداً. قوله: **﴿وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾** أي معظمون مبجلون بالتحية وبالكلام اللين. قوله: **﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾** إما متعلق بمكرمون، أو خبر ثان، أو حال. قوله: **﴿عَلَى سُرُرٍ﴾** قال ابن عباس: على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد، والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية، وما بين عدن إلى إيليا. قوله: **﴿مُتَقَابِلِينَ﴾** أي تواصلاً وتحابياً، وقيل: الأسرة تدور كيف شاؤوا، فلا يرى أحداً قفا أحد.

قوله: **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾** أي والطائف الولدان كما في آية **﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾**. قوله: **(هو الإناء بشرابه)** أي فإن لم يكن فيه شراب، فإنه يسمى قدحاً، ويطلق الكأس على الخمر نفسه، من باب تسمية الشيء باسم محله. قوله: **﴿مِنْ مَعِينٍ﴾** أي ظاهر العيون، أو خارج من العيون، فعلى الأول اسم مفعول كمبيع، وعلى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى نبع، وصف به خمر الجنة، لأنه يجري كالماء النابع.

قوله: **﴿بَيْضَاءَ﴾** إما صفة لكأس أو للخمر. قوله: **﴿لَذَّةٍ﴾** إما صفة مشبهة، كصعب وسهل، فتكون مشتقة، فالوصف بها ظاهر، أو مصدر فالوصف بها مبالغة، أو على حذف مضاف أي ذات لذة. قوله: **(ما يغتال عقولهم)** أي يفسدها، وقيل: الغول صداع في الرأس، وعليه فيكون ما بعده تأسيساً. قوله: **﴿وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾** عن سببية، أي ولا هم ينزفون بسببها. قوله: **(بفتح الزاي)** أي مع ضم

من نزف الشارب وأنزف أي يسكرون، بخلاف خمر الدنيا ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهنّ ﴿عِينٌ﴾ ﴿٤٨﴾ ضخام الأعين حسانها ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾ ﴿٤٩﴾ مستور بريشه، لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾ بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ عما مر بهم في الدنيا ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ صاحب ينكر البعث ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتاً ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ بالبعث ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم ﴿لَمَدِينُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضاً ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كوى الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي رأى قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٥﴾ أي وسط النار ﴿قَالَ﴾ له تشميتاً ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينِ﴾ ﴿٥٦﴾ لتهلكني بإغوائك ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ معك في النار. ويقول أهل الجنة ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٥٩﴾

الياء، فهو مبني للمفعول، وقوله: (وكسرها) أي مع ضم الياء أيضاً، فهو مبني للفاعل قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم. قوله: (من نزف الشارب) إلخ، أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي، والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر. قوله: ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء، وهي الواسعة العين اتساعاً غير مفرط، بل مع الحسن والجمال قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ شبههن هنا ببيض النعام، وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه، وكون بياضه مشوباً ببعض صفرة مع لمعان، لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة. قوله: (عما مر بهم في الدنيا) أي من الفضائل والمعارف، وما عملوه في الدنيا.

قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة، وهذا من جملة ما يتحدثون به. قوله: (تبكيتاً) أي توبيخاً على عدم إنكار البعث. قوله: (ما تقدم) أي من القراءات الأربع، وهي تحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه. قوله: (مجزيون) أي فهو من الدين بمعنى الجزاء. قوله: (أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب، وقوله: (أيضاً) أي كما أنكر البعث. قوله: (لإخوانه) أي من أهل الجنة. قوله: (من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر، وبكسرها مع القصر والمد، جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها. قوله: (تشميتاً) أي فرحاً بمصيبته، لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين. قوله: (مخففة من الثقيلة) أي واللام فارقة، ويصح أن تكون نافية، واللام بمعنى إلا، وعلى كل، فهي جواب القسم.

قوله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره: أنحن مخلدون ومنعمون؟ فما نحن بميتين، إلخ. قوله: ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الأُولَى﴾ ﴿إِلَّا﴾ أداة حصر، و ﴿مَوْتَتَنَا﴾ منصوب على المصدر، والعامل فيه قوله ميتين، ويكون استثناء مفرغاً، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها

هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ قيل يقال لهم ذلك، وقيل هم يقولونه ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ﴿٦٢﴾ المعدة لأهل النار، وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة، ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ أي قعر جهنم وأغصانها

الموت إلا الموتة الأولى﴾. قوله: (هو استفهام تلذذ) أي فهو من كلام بعضهم لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت، ويقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت. قوله: (من تأبيد الحياة) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: (الذي ذكر لأهل الجنة) أي من قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ إلخ. قوله: ﴿لِمِثْلِ هٰذَا﴾ أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى. قوله: ﴿فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ أي ليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة، فإن جزاءها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا كان كذلك، فلو أفنى الإنسان عمره في خدمة ربه، ولم يشتغل بشيء سواها، لكان ذلك قليلاً بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه. قوله: (قيل يقال لهم ذلك) أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى، وقوله: (وقيل هم يقولونه) أي يقول بعضهم لبعض، ويبعد كلاً من الاحتمالين. قوله: ﴿فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ﴾ فإن العمل والترغيب فيه، إنما يكون في الدنيا، فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى، ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات.

قوله: ﴿أَذٰلِكَ﴾ معمول لمحذوف تقديره: قل يا محمد لقومك، على سبيل التوبيخ والتبكيت ﴿أَذٰلِكَ خَيْرٌ﴾ إلخ. قوله: (المذكور لهم) أي لأهل الجنة من قوله: ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ إلخ. قوله: ﴿نُزُلاً﴾ تمييز لخير، وقوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿أَمْ﴾ حرف عطف، و ﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ معطوف على اسم الإشارة، وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه، والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلاً. والتعبير بخير، و ﴿نُزُلاً﴾ تهكم بهم وللمشاكلة. قوله: (من ضيف وغيره) الضيف من يأتي بدعوة، وغيره من يأتي زائراً للمحبة والألفة، وربما كان أعز من الضيف. قوله: ﴿أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ من التزقم، وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة، سميت بذلك، لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها، وهي شجرة مسمومة، متى مست جسد أحد تورم فمات، وهي خبيثة مرة كريهة الطعم. قوله: (وهي من أخبث الشجر) أي وهي صغيرة الورق منتنة.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾(بذلك) أي بسبب إخبار الله تعالى بذلك. قوله: ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي امتحاناً واختباراً، هل يصدقون أم لا؟ قوله: (إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أي ولم يعلموا أن القادر لا يعجزه شيء. قوله: ﴿تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي تنبت في أسفلها. قوله: (إلى دركاتها) أي منازلها، وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة، فإن أصلها في عليين، وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها.

ترتفع إلى دركاتها ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ ﴿٦٥﴾ أي الحيات القبيحة المنظر ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لَأٓكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدَّة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿٦٧﴾ أي ماء حار يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوباً له ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٨﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ يزعجون إلى اتباعهم فيسرعون إليه ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٧١﴾ من الأمم الماضية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ من الرسل مخوفين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ الكافرين، أي عاقبتهم العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ أي المؤمنين، فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: رب إني

قوله: ﴿طَلْعُهَا﴾ الطلع في الأصل، اسم لثمر النخل أول بروزه، فتسميته طلعاً تهكم بهم. قوله: **(أي الحياة القبيحة المنظر)** أي ووجه الشبه الشناعة والسم في كل، وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة، وقيل: شبه طلعها برؤوس الشياطين حقيقة، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل، لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين، وأجيب: بأن الشيطان وإن كان غير معلوم في الخارج، فهو معروف في الأذهان والخيالات، كالغول فإنه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة، وقيل: الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين. قوله: **(لشدة جوعهم)** أي ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ أي على ما يأكلونه منها، إذا شبعوا وغلبهم العطش. قوله: ﴿لَشَوْباً﴾ بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله، وقرىء شذوذاً بضم الشين اسم بمعنى المشوب. قوله: **(يفيد أنهم يخرجون منها)** هذا أحد قولين، والآخر وهو قول الجمهور، أنهم لا يخرجون أصلاً، لقوله تعالى: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ وحينئذ فالمعنى أنه ينوع عذابهم وهم في النار، فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم، وتارة بشرب الحميم، وتارة بالزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، فإذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه، يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره، والحال أنهم في النار لا يخرجون منها، ويمكن التوفيق بين القولين، بأن يحمل القول بأنه خارجها، وعلى أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية، لمعارضته صريح النص؛ فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب، ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولاً.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ﴾ هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب، والمعنى: أن سبب استحقاقهم للعذاب، تقليد آبائهم في الضلال، في غير شيء يتمسكون به سوى التقليد. قوله: ﴿يُهْرَعُونَ﴾ أي من غير تأمل ولا تدبر. قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ إلخ اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم حذوف، وكل من الجملتين سبق لتسليته ﷺ. قوله: ﴿فَانْظُرْ﴾ خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر. قوله: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ﴾ استثناء منقطع، لأن ما قبله وعيد، وهم لم يدخلوا فيه. قوله: **(لاخلاصهم في العبادة)** أي على قراءة كسر اللام. قوله: **(على قراءة فتح اللام)** أي والقراءتان سبعيتان.

مغلوب فانتصر ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ۝٧٥﴾ له نحن، أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾ أي الغرق ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناء حسناً ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝٧٨﴾ من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٩﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨١﴾ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٨٢﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي ممن تبعه في أصل الدين

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ شروع في تفصيل ما أجمله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح، وقصة إبراهيم، وقصة الذبيح، وقصة موسى وهرون، وقصة الياس، وقصة لوط، وقصة يونس، وذلك تسلية له ﷺ وتحذير لمن كفر من أمته. قوله: (ربي إني مغلوب) أي مقهور، وقوله: (فانتصر) أي انتقم منهم. قوله: ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ الواو للتعظيم، وقوله: (نحن) هو المخصوص بالمدح. قوله: ﴿وَأَهْلَهُ﴾ أي من آمن به، ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم. قوله: (فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد، وقيل كان لغير ولد نوح أيضاً نسل. قوله: (سام) إلخ، الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس، كذلك للعلمية والتأنيث، لأنه علم على قبيلة. قوله: (والخزر) بفتح الخاء والزاي بعدهما راء مهملة، وهكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب، وفي بعض النسخ: والخزرج، وهو تحريف فاحش، لأن الخزرج من جملة العرب، والخزر صنف من الترك صغار الأعين، يعرفون الآن بالططر. قوله: (وما هنالك) أي وهم قوم عند يأجوج ومأجوج، إذا طلعت عليهم الشمس، دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض، فإذا زالت عنهم، خرجوا إلى معايشهم وحروثهم، وقيل: هم قوم عراة، يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى. قوله: (ثناء حسناً) قدره إشارة إلى أن مفعول ﴿تَرَكْنَا﴾ محذوف، وقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ كلام مستقل انشاء، ثناء من الله تعالى على نوح، فالأول ثناء الخلق، والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «من قال حين يمسي: سلام على نوح في العالمين، لم تلدغه عقرب». قوله: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ متعلق بما تعلق به الجار قبله، والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان.

قوله: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليل لما فعل بنوح من الكرامة، في إجابة دعائه، وإبقاء ذريته، وذكر الجميل، وتسليم الله عليه في العالمين، أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من اتصف بالإحسان كنوح. قوله: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ علة لكونه محسناً، وفيه إجلال لشأن الإيمان، وإظهار لفضله، وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه. قوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ معطوف على ﴿نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ فالترتيب حقيقي، لأن نجاتهم بركوب السفينة، حصلت قبل غرق الباقين فتدبر.

قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ إلخ عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ عطف قصة على قصة. قوله: (أي ممن اتبعه) إلخ، أي فالشيعة الأتباع والحزب. قوله: (في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع

﴿لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ ﴿٨٣﴾ وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنـة، وكان بينهما هود وصالح ﴿إِذۡ جَآءَ﴾ أي تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ﴾ ﴿٨٤﴾ من الشك وغيره ﴿إِذۡ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾ موبخاً ﴿مَاذَا﴾ الذي ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿أَئِفۡكًا﴾ في همزتيه ما تقدم ﴿ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ وإفكاً مفعول له، وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب أي أتعبدون غير الله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ إذ عبدتم غـيره أنه يـترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجّامين، فخرجوا إلى عيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ﴾ ﴿٨٨﴾ إيهاماً لهم

شرائعهما، فالأتباع في أصول الدين وهو التوحيد، لا في الفروع كالصلاة مثلاً. قوله: **(وإن طال الزمان)** إلخ، الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده، والحال أن الزمان طال بينهما، فطول المدة لم ينسه العهد. قوله: **(وهو ألفان)** إلخ، هذا أحد قولين، والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة. قوله: **(وكان بينهما هود وصالح)** أي وكان قبل نوح ثلاثة: إدريس وشيت وآدم، فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾** إلخ، معنى مجيئه توجهه بقلبه مخلصاً لربه، وفي الكلام استعارة تبعية تقريرها أن تقول: شبه اقباله على ربه مخلصاً قلبه بمجيئه بتحفة جميلة، والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا، واشتق من المجيء جاء بمعنى أقبل بقلبه. قوله: **(أي تابعه وقت مجيئه)** أشار بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليـه قولـه: **﴿شِيْعَتَهُ﴾** ويصـح جعله متعلقـاً بشيعتـه، لما فيهـا من معنى المشـايعـة، لكن فيـه أنه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبي وهو قوله: **﴿لإِبْرَاهِيمَ﴾** وأيضاً يلزم عليه عمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها، وأجيب: بأنه يتوسع في الظروف، ما لا يتوسع في غيرها. قوله: **(من الشك وغيره)** أي من الآفات والعلائق التي تشغل القلب عن شهود الرب تعالى.

قوله: **﴿لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾** تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وإنما عبر بالأب، لأن العم أب، والمراد بقومه النمروذ وجماعته. قوله: **(في همزتيه ما تقدم)** أي وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها. قوله: **(وإفكاً مفعول له)** أي وقدم على المفعول به، لأجل التقبيح عليهم بأنهم على إفك وباطل. قوله: **(أي تعبدون غير الله)** كان عليـه أن يزيد قوله لأجل الافك، ليوفي بالمفعول لأجله. قوله: **(إذ عبدتم غيره)** أي وقت عبادتكم غيره. قوله: **(أنه يترككم بلا عقاب)** معمول للظن، والمعنى: أي سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حـين عبدتم غـيره، وأشار بقـوله: **(لا)** إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي ليس لكم سبب ولا عذر، يحملكم على الظن المذكور، إذا انتفى السبب، انتفى المسبب بالأولى. قوله: **(وكانوا نجّامين)** ذكر هذا توطئة لقوه تعالى: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾**. قوله: **(فخرجوا إلى عيد لهم)** أي وكانوا في قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز. قوله: **(زعموا التبرك عليه)** أي أنها تنزل عليه البركة.

قوله: **﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾** أي في علم النجوم، متفكراً في أمر يعذرونه بسببه فيتركونه قوله:

أنه يعتمد عليها ليعتمدوه ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ﴿٨٩﴾ عليل أي سأسقم ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ إلى عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿فَرَاغَ﴾ مال في خفية ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاء ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٩١﴾ فلم ينطقوا فقال ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ ﴿٩٢﴾ فلم تجب ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ ﴿٩٣﴾ بالقوة فكسرها، فبلغ قومه ممن رآه ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ ﴿٩٤﴾ أي يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده، وما مصدرية، وقيل موصولة، وقيل موصوفة ﴿قَالُواْ﴾ بينهم ﴿ابْنُواْ لَهُۥ بُنْيَانًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ ﴿٩٧﴾ النار الشديدة ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ المقهورين فخرج من النار سالماً ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ

(أي سأسقم) جواب عما يقال: كيف قال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ والحال أنه لم يكن سقيماً؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى سقيم القلب، من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع، وقد أشار بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إلى سقم مخصوص وهو الطاعون، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون منه العدوى، فتفرقوا عن ابراهيم خوفاً منها، فهربوا إلى عيدهم، وتركوه في بيت الأصنام، قوله: (وهي الأصنام) أي وكانت اثنين وسبعين صنماً، بعضها من حجر، وبعضها من خشب، وبعضها من ذهب، وبعضها من فضة، وبعضها من نحاس، وبعضها من حديد، وبعضها من رصاص، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر، وكان في عينيه ياقوتتان تتقدان نوراً. قوله: (وعندها الطعام) الجملة حالية.

قوله: ﴿فَقَالَ﴾(استهزاء بهم) إن قلت: أي فائدة في خطاب ما لا يعقل؟ أجيب: بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم. قوله: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ أي مال في خفية، من قولهم: راغ الثعلب روغاناً: تردد وأخذ الشيء خفية. قوله: (بالقوة) أي القدرة. قوله: ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله: (فبلغ قومه) إلخ. قوله: ﴿يَزِفُّوْنَ﴾ بكسر الزاي مع فتح الياء أو ضمها قراءتان سبعيتان. قوله: (فقالوا نحن نعبدها) إلخ، أي بعد أن سألوه وأجابهم، فلما تحققوا أنه هو الذي كسرها قالوا: ﴿نحن نعبدها﴾ إلخ، وقد تقدم بسط ذلك في الأنبياء. قوله: (موبخاً) أي على ما وقع منهم، حيث يأتون للخشب مثلاً، فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلهاً، مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم، ولا تضر ولا تنفع. قوله: (وما مصدرية) إلخ، ذكر فيها ثلاثة أوجه، وبقي اثنان كونها استفهامية، والمعنى: وأي شيء تعلمونه وكونها نافية؟ والمعنى: ليس العمل في الحقيقة لكم، وإنما هو لله تعالى. قوله: ﴿بُنْيَاناً﴾ قيل بنوا له حائطاً من الحجر، طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه من الحطب، وأوقدوا عليه النار، ثم تحيروا في كيفية رميه، فعلمهم إبليس المنجنيق، فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً. قوله: (وأضرموه بالنار) أي أوقدوه بها. قوله: (النار الشديدة) أي فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيماً من الجحمة، وهي شدة التأجج. قوله: (المقهورين) أي بإبطال كيدهم، حيث جعلت عليه برداً وسلاماً.

قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ إلخ، عطف على محذوف قدره بقوله: (فخرج) إلخ، والمعنى: لما خرج

رَبِّي﴾ مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ﴿٩٩﴾ إلى حيث أمرني ربي بالمصير إليه وهو الشام، فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ ولداً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١٠١﴾ أي ذي حلم كثير ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ﴾ أي أن يسعى معه ويعينه، قيل بلغ سبع سنين، وقيل ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي رأيت ﴿فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد

من النار سالماً، ولم يهتد من قومه أحد، هاجر هو ولوط ابن اخيه، وسارة زوجته إلى أرض الشام، وهو أول من هاجر من الخلق في طاعة الله، وقوله: ﴿إِلَى رَبِّي﴾ أي إلى عبادة ربي وطاعته. قوله: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي إلى ما فيه صلاح ديني وبلوغ مطالبي. قوله: (إلى حيث أمرني ربي) أي إلى مكان أمرني إلخ، وهذا متعلق بكل من ﴿ذَاهِبٌ﴾ ويهدين. قوله: (فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾ إلخ. قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي بعض الصالحين، يكون خليفة لي ويرث حالي.

قوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ﴾ مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه، وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاؤوا له في صورة أضياف، فبشروه بالغلام، ثم انتقلوا من قريته وهي فلسطين، إلى قرية لوط وهي سذوم، لإهلاك قومه، كما تقدم ذلك في سورة هود، ويأتي في الذاريات. قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أشار المفسر إلى أن قوله: (معه) ظرف متعلق بالسعي، وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من (أن) والفعل عليه وهو لا يجوز، وأجيب: بأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها، ويصح جعله متعلقاً بمحذوف على سبيل البيان، كأن قائلاً قال: مع من بلغ السعي؟ فقيل: بلغ معه، ولا يصح جعله متعلقاً ببلغ، ولا حالاً من ضميره، لأنه يوهم اقترانهما في بلوغ السعي، لأن المصاحبة تقتضي المشاركة، مع أن المقصود، وصف الصغير بذلك فقط.

قوله: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾ جواب لما، والحكمة في ذلك: أن ابراهيم اتخذه الله تعالى خليلاً، والخلة هي صفاء المودة، ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل، وكان قد سأل ربه الولد، فلما وهبه له، تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل، فأمر بذبح المحبوب، لتظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها، حيث امتثل أمر ربه، وقدم محبته على محبة ولده. قوله: (أي رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل، لما روى: أنه رأى ليلة التروية، أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك، فلما أصبح فكر في نفسه أنه من الله، فلما أمسى رأى مثل ذلك في الليلة الثانية، ثم رأى مثله في الليلة الثالثة، فهم بنحره فقال له: ﴿يَا بُنَيَّ﴾ إلخ، ولذلك سميت الأيام الثلاثة: بالتروية، وعرفة، والنحر، لأنه في اليوم الأول تروى، وفي الثاني عرف، وفي الثالث نحر.

قوله: ﴿أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ أي أفعل الذبح، أو أمرت، به، احتمالان: ويشير للأول قوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾، وللثاني. قوله: ﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾. قوله: ﴿مَاذَا تَرَى﴾ يصح أن تكون ﴿مَاذَا﴾ مركبة، وحينئذ فهي منصوبة بترى، وما بعدها في محل نصب بالنظر، لأنها معلقة له، ويصح أن تكون ما استفهامية، وذا موصولة، فتكون ﴿مَاذَا﴾ مبتدأ وخبراً، وقوله: ﴿تَرَى﴾ بفتحتين من الرأي، وفي قراءة سبعية ترى بالضم والكسر، والمفعولان محذوفان، أي تريني إياه من صبرك واحتمالك، وقرىء شذوذاً

للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ على ذلك ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ خضعا وانقاداً لأمر الله تعالى ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ ﴿١٠٣﴾ صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمنى، وأمرَّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلهية ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي يكفيك ذلك، فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ ﴿١٠٥﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبح المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ ﴿١٠٦﴾ أي الاختبار الظاهر

بضم ففتح، أي ما يخيل لك. قوله: **(شاوره ليأنس)** إلخ، أي وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله.

قوله: **﴿قَالَ يَا أَبَتِ﴾** أي بفتح التاء وكسرها، قراءتان سبعيتان. قوله: **(التاء عوض عن ياء الإضافة)** أي فهي في محل جر، كما كانت الياء في محل جر. قوله: **﴿افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾** قال ابن اسحاق وغيره: لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني، خذ هذا الحبل والمدية، وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب، فلما خلا بابنه في الشعب، أخبره بما أمره الله به، فقال: **﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾**. قوله: **﴿إِنْ شَاءَ اللهُ﴾** أتى بها تبركاً وإشارة إلى أنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله، ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله.

قوله: **﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾** أي الوالد والولد. قوله: **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** أي صرعه ورماه على شقه فوق التل الذي هو المكان المرتفع، قال ابن عباس: لما فعل ذلك الابن قال: يا أبت اسدد رباطي كي لا أضطرب، واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء، فينقص أجري، وتراه أمي فتحزن، واستحد شفرتك، وأسرع بها على حلقي، ليكون أهون علي، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وأن رأيت أن ترد قميصي عليها فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل عليه وهو يبكي، والابن يبكي، فلما وضع السكين على حلقه فلم تؤثر شيئاً، فاشتدها بالحجر مرتين أو ثلاثاً، كل ذلك لا تستطيع أن تقطع شيئاً، فمنعت بقدرة الله تعالى، وقيل: ضرب الله صفيحة من نحاس على حلقه، والأول أبلغ في القدرة الإلهية، وهو منع الحديد عن اللحم، فعند ذلك قال الابن: يا أبت كبني لوجهي على جبيني، فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني، فأدركتك رأفة تحول بينك وبين أمر الله، وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها، ففعل ذلك إبراهيم، ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت، فنودي **﴿يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾** إلخ. قوله: **(بمنى)** يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة. قوله: **(وأمرَّ السكين)** هذ أحد قولين مشهورين، وهو ما تقدم عن ابن عباس، والآخر: أنه لم يمرّ السكين، بل لما أضجعه وأراد أن يمرَّ السكين جاءه النداء، وبالأول استدل أهل السنة، على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئاً، لا بنفسها، ولا بقوة أودعها الله فيها، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فتخلف القطع في ولد إبراهيم، وتخلف الاحراق في إبراهيم. قوله: **(فجملة ناديناه جواب لما)** إلخ، هذا أحد أوجه ثلاثة، والثاني أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما، أو أجز لنا لهما الأجر، والثالث أن قوله: **﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾** بزيادة الواو. قوله: **(بإفراج الشدة)** المناسب أن يقول:

﴿وَفَدَيْنَٰهُ﴾ أي المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان ﴿بِذِبْحٍ﴾ بكبش ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿١٠٧﴾ من الجنة هو الذي قربه هابيل، جاء به جبريل عليه السلام فذبحه السيد إبراهيم مكبراً ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ لأنفسهم ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ استدل بذلك على أن الذبيح غيره ﴿نَبِيًّا﴾ حال مقدرة، أي يوجد مقدراً نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ ولده، بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ مؤمن ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ ﴿١١٣﴾ بيِّن الكفر ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ بالنبوّة ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ﴿١١٥﴾ أي

بتفريج الشدة أو بفرجها، لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد، فمصدره إما التفريج أو الفرج.

قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ عطف على قوله: ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾. قوله: (قولان) أي وهما مبنيان على قولين آخرين: هل اسماعيل أكبر أو اسحاق؟ فمن قال بالأول، قال إن الذبيح اسماعيل، ومن قال بالثاني، قال إن الذبيح اسحاق، واعلم أن كلاً من القولين، قال به جماعة من الصحابة والتابعين، لكن القول بأن الذبيح اسحاق، أقوى في النقل عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، حتى قال سعيد بن جبير: أرى إبراهيم ذبح اسحاق في المنام، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة، حتى أتى به المنحر بمنى، فلما صرف الله عنه الذبح، أمره أن يذبح به الكبش فذبحه، وسار إلى الشام مسيرة شهر في روحة واحدة، وطويت له الأودية والجبال. وبقي قول ثالث، وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين، وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى. قوله: (كبش) ﴿عَظِيمٍ﴾ وقيل: إنه كان تيساً جبلياً أهبط عليه من ثبير. قوله: (**وهو الذي قربه هابيل**) أي ووصفه بالعظم، لكونه تقبل مرتين. قوله: (**فذبحه السيد ابراهيم**) أي وبقي قرناه معلقين على الكعبة، إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير، وما بقي من الكبش أكلته السباع والطيور، لأن النار لا تؤثر فيما هو من الجنة. قوله: (**مكبراً**) روي أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر، الله أكبر، فقال الذبيح: لا إله إلا الله والله أكبر، فقال إبراهيم: الله أكبر ولله الحمد، فصار سنة. قوله: (**استدل بذلك**) إلخ، أي وهو مذهب الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة: لا دليل فيها، لأن اسحاق وقعت البشارة به مرتين، مرة بوجوده، ومرة بنبوته، فمعنى قوله: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِياً﴾ بشرنا بنبوة اسحاق بعد البشارة بوجوده. قوله: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إما صفة لنبياً، أو حال من ضميره. قوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ خبر مقدم، وقوله: ﴿مُحْسِنٌ﴾ إلخ، مبتدأ مؤخر، وفيه اشارة إلى أن النسب، لا مدخل له في الهدى ولا في الضلال.

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا﴾ معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة، واللام موطئة لقسم محذوف تقديره: وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا إلخ؛ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم، وقوله: (**بالنبوة**) أي المصاحبة للرسالة، لأنهما كانا رسولين، ولا مفهوم للنبوة، بل أعطاهما الله تعالى نعماً جمة دينية ودنيوية، وإنما خصها لأنها أشرف النعم. قوله: (**بني إسرائيل**) أي أولاد يعقوب. قوله: (**أي استعباد**

استعباد فرعون إياهم ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ على القبط ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ ﴿١١٧﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرهما، وهو التوراة ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾ الطريق ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿١١٨﴾ ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبقينا ﴿عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ ﴿١٢٠﴾ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾ ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾ بالهمز أوّله وتركه ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ قيل هو ابن أخي هرون أخي موسى، وقيل غيره، أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها ﴿إِذْ﴾ منصوب باذكر

فرعون إياهما) وسبب استيلائه عليهم: أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكاً، فاستمروا بها، فلما ظهر فرعون وتكبر، استعبد ذريتهم وجعلهم خدماً للقبط.

قوله: **﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾** الضمير عائد على موسى وهارون وقومهما. قوله: **﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾** يصح أن يكون **﴿هُمْ﴾** ضمير فصل أول بدلاً من الواو في كانوا، والأول أظهر. قوله: **(وغيرهما)** أي كالقصص والمواعظ. قوله: **﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾** أي وصلناهما للدين الحق. قوله: **﴿سَلَامٌ﴾** مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله: **(منا)** وقوله: **﴿عَلَى مُوسَى وَهَٰرُونَ﴾** متعلق بسلام، والمسوغ للابتداء بالنكرة قصد التعظيم، وعملها في الجار والمجرور بعدها. قوله: **(كما جزيناهما)** أي ما تقدم، من الإنجاء والنصر وإيتاء الكتاب وإبقاء الثناء. قوله: **﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾** في مثل هذه الآيات، ترغيب للمؤمنين، وإشعار بأن كل مؤمن، قابل لكل خير وصالح له. قوله: **﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾** أي الكاملين في الإيمان، البالغين الغاية فيه.

قوله: **﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ﴾** معطوف على ما قبله، عطف قصة على قصة. قوله: **(بالهمز أوله وتركه)** أي بناء على أنها همزة قطع أو وصل، قراءتان سبعيتان، وسبب جواز الأمرين، أنه اسم أعجمي استعملته العرب، فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل. قوله: **﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** خبر **﴿إِنَّ﴾**. قوله: **(قيل هو ابن أخي هارون)** إلخ، الصحيح أنه من ذرية هارون، لقول محمد بن اسحاق: هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن معيزار بن هارون بن عمران وإلياس ابن عم اليسع. قوله: **(وقيل غيره)** من جملة ذلك، أنه هو ادريس، وقيل هو اليسع. قوله: **(أرسل إلى قوم ببعلبك)** حاصل قصته كما قال محمد بن اسحاق وعلماء السير والأخبار: لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي ﷺ، عظمت الأحداث في بني اسرائيل، وظهر فيهم الفساد والشرك، ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني اسرائيل، بتجديد ما نسوا من أحكام التوراة، وكان يوشع لما فتح الشام، قسمها على بني اسرائيل، وإن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها، وهم الذين بعث إليهم الياس، وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب، وكان قد أضل قومه، وجبرهم على عبادة الأصنام، وكان له صنم من ذهب، طوله عشرون ذراعاً، وله أربعة وجوه، وكان اسمه بعلاً، وكانوا قد فتنوا به وعظموه، وجعلوا له أربعمائة سادن، وجعلوهم أبناءه، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل، ويتكلم بشريعة الضلال، والسدنة، يحفظونها عنه ويبلغونها الناس، وهم أهل بعلبك، وكان الياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل، وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به، إلا ما كان من

مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ الله ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبهٖ سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى بك أي أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تتركون ﴿أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ فلا

أمر الملك، فإنه آمن به وصدقه، فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده؛ ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال: يا إلياس ما أرى ما تدعونا إليه إلا باطلاً، وهم بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحس إلياس بالشر، رفضه وخرج عنه هارباً، ورجع الملك إلى عبادة بعل، ولحق إلياس بشواهق الجبال، فكان يأوي إلى الشعاب والكهوف، فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفياً، يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر، وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون، والله يستره منهم، فلما طال الأمر على الياس، وسئم الكمون في الجبال، وطال عصيان قومه، وضاق بذلك ذرعاً، دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم، فقيل: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج الياس ومعه اليسع، حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به، إذا أقبل فرس من نار، وقيل لونه كالنار، حتى وقف بين يدي الياس، فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه اليسع: يا الياس ما تأمرني؟ فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني اسرائيل، وكان ذلك آخر العهد به، ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فصار إنسياً ملكياً أرضياً سماوياً، ونبأ الله تعالى اليسع، وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله إليه وأيده، فآمنت به بنو اسرائيل، وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم، إلى أن فارقهم اليسع، وقد أعطى الله الياس معجزات جمة منها: تسخير الجبال له، والأسود وغيرهما، وأعطاه الله قوة سبعين نبياً، وكان على صفة موسى في الغضب والقوة. روي أن الياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس، ويحضران موسم الحج كل عام، ويفترقان على أربع كلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله، بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، وقيل في الرواية غير ذلك، والياس موكل بالفيافي والقفار، والخضر موكل بالبحار، ولا يموتان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن. وعن أنس قال: غزونا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا عند فج الناقة، فسمعت صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد، المرحومة، المغفور لها، المستجاب لها، فقال النبي ﷺ: «يا أنس انظر ما هذا الصوت؟ فدخلت الجبل، فإذا رجل عليه ثياب بيض، أبيض الرأس واللحية، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع، فلما رآني قال: أنت صاحب رسول الله ﷺ؟ فقلت: نعم، قال: فارجع إليه فأقرأه السلام وقل له: هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي وأنا معه، حتى إذا كنا قريباً منه، تقدم النبي وتأخرت أنا، فتحدثا طويلاً، فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة، ودعواني فأكلت معهما، وإذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرسف، فلما أكلت قمت فتنحيت، فجاءت سحابة فحملته، وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوي قبل السماء. انتهى.

قوله: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ الله﴾ أي تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه. قوله: (وبه سمي البلد) أي ثانياً، وأما أولاً فاسمها بك فقط، فلما عبد بعل سميت بعلبك. قوله: (مضافاً إلى بك) أي مضموماً إليه، فالتركيب مزجي لا إضافي. قوله: ﴿وَتَذَرُونَ﴾ عطف على ﴿تَدْعُونَ﴾ فهو داخل في حيز الإنكار. قوله: ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ أي المصورين، لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح، وغيره يصور من

تعبدونه ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٢٦﴾ برفع الثلاثة على إضمار هو، وبنصبها على البدل من أحسن ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٢٧﴾ في النار ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٢٨﴾ أي المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ﴿١٢٩﴾ ثناء حسناً ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ قيل هو إلياس المتقدم ذكره، وقيل هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للملهب وقومه المهلبون، وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله، المراد به إلياس أيضاً ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣١﴾ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ ﴿١٣٥﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾ ﴿١٣٦﴾ كفار قومه ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ ﴿١٣٧﴾ أي وقت الصباح يعني بالنهار ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٣٩﴾ ﴿إِذْ أَبَقَ﴾

غير روح. قوله: **(برفع الثلاثة)** إلخ، أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(فإنهم نجوا منها)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في ﴿**لَمُحْضَرُونَ**﴾ كأنه قال: فكذبوه فإنهم لمحضرون، إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا، فإنهم غير محضرين. قوله: **(قيل هو الياس المتقدم)** أي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة، وهي لغة ثانية فيه. قوله: **(وقيل هو)** إلخ، أي وعليه، فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالماً. قوله: **(المراد به الياس)** أي فأطلق الأول وأراد به ما يشمله وقومه المؤمنين به، فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات: الياس أولها، وإلياسين وآل ياسين في آخرها، وكلها سبعية.

قوله: ﴿**وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ عطف على ما قبله ايضاً، عطف قصة عل قصة. قوله: **(اذكر)** ﴿**إِذْ نَجَّيْنَاهُ**﴾ إلخ، قدر المفسر **(اذكر)** إشار إلى أن الظرف متعلق بمحذوف، ولم يجعله متعلقاً بقوله: ﴿**الْمُرْسَلِينَ**﴾ لأنه يوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولاً، مع أنه رسول قبل النجاة وبعدها. قوله: ﴿**وَأَهْلَهُ**﴾ المراد بهم بنتاه. قوله: ﴿**إِلاَّ عَجُوزاً**﴾ هي امرأته. قوله: **(أي وقت الصباح)** بيان لمعناه في الأصل، وقوله: **(يعني بالنهار)** بيان للمراد منه، وقوله: ﴿**بِاللَّيْلِ**﴾ عطف على ﴿**مُصْبِحِينَ**﴾ وهو حال أخرى. قوله: ﴿**أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أتشاهدون ذلك فلا تعقلون؟.

قوله: ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ هو ابن متى، وهو ابن العجوز التي نزل عليها الياس، فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر، ويونس صبي يرضع، وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه، ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها، ثم إن الياس أذن له في السياحة فلحق بالجبال، ومات يونس ابن المرأة، فخرجت في أثر الياس، تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته، فسألته أن يدعو الله لها، لعله يحيي لها ولدها، فجاء الياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوماً مضت من موته، فتوضأ وصلى ودعا الله، فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام، وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل، وكانوا يعبدون الأصنام.

هرب ﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ ﴿١٤٠﴾ السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ ﴿١٤١﴾ المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿١٤٢﴾ أي آت بما يلام عليه، من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ﴿١٤٤﴾ لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام، أو عشرين أو أربعين يوماً ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ﴿١٤٥﴾ عليل كالفرخ الممعط ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ ﴿١٤٦﴾ وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت تأتيه وعلة صباحاً ومساء، يشرب من لبنها حتى قوي ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾

قوله: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ ظرف لمحذوف تقديره اذكر، كما تقدم نظيره، وقوله: أبق: بابه فتح، والإباق في الأصل: الهروب من السيد، وإطلاقه على هروب يونس، استعارة تصريحية، فشبه خروجه بغير إذن ربه، بإباق العبد من سيده. قوله: **(حين غاضب قومه)** المفاعلة على بابها، لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والإيمان به، وهو غضب عليهم. قوله: **(فركب السفينة)** أي باجتهاد منه، لظنه أنه إن بقي بينهم قتلوه، لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب، فركوب السفينة ليس معصية لربه، لا صغيرة ولا كبيرة، ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى، فإن الأولى له انتظار الإذن من الله تعالى، هذا هو الصواب في تحقيق المقام، وهناك أقوال أخر، اعتقادها يضر في العقيدة، والعياذ بالله تعالى. قوله: **(فوقفت)** أي من غير سبب، وقوله: **(في لجة البحر)** المراد به الدجلة. قوله: **(فقال الملاحون)** إلخ، أي وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر. قوله: **(قارع أهل السفينة)** أي غالبهم، قيل مرة واحدة، وقيل ثلاثاً. قوله: **(فألقوه في البحر)** قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ مرتب على محذوف قوله: **(أي آت بما لا يلام عليه)** أي أو المعنى وهو مليم نفسه. قوله: **(بقوله كثيراً)** استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين. قوله: **(قبراً له)** أي بأن يموت فيبقى في بطنه ميتاً، وقيل: بأن يبقى على حياته.

قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي أمرنا الحوت بنبذه فنبذه. قوله: ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ أي بالأرض المتسعة التي لا نبات بها. قوله: **(من يومه)** أي فالتقمه ضحى ونبذه عشية، وما ذكره المفسر خمسة أقوال: الأول للشعبي، والثاني لمقاتل، والثالث لعطاء، والرابع للضحاك، والخامس للسدي. قوله: **(الممعط)** بضم الميم الأولى، وتشديد الثانية مفتوحة، بعدها عين مهملة، بعدها طاء مهملة أيضاً أي المنتوف الشعر. قوله: **(وهي القرع)** خص بذلك، لأنه بارد الظل، لين الملمس، كبير الورق، لا يعلوه الذباب، وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير اليقطين، وقيل: كانت شجرة التين، وقيل: شجرة الموز، تغطى بورقه، واستظل بأغصانه، وأفطر على ثماره. قوله: **(وعلة)** إما بفتح الواو والعين، أو بكسر الواو وسكون العين، هي

بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ ﴿١٤٧﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً ﴿فَـَٔامَنُوا۟﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ أبقيناهم ممتعين بما لهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٤٨﴾ تنقضي آجالهم فيه ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾ استخبر كفار مكة توبيخاً لهم ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ ﴿١٤٩﴾ فيختصون بالأسنى ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾ ﴿١٥٠﴾ خلقنا، فيقولون ذلك؟ ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ وَلَدَ ٱللَّهُ﴾ ﴿١٥١﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ فيه ﴿أَصْطَفَى﴾ بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت، أي اختار ﴿ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ ﴿١٥٣﴾ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾ هذا الحكم الفاسد ﴿أَفَلَا

الغزالة. قوله: **(كقبله)** جواب عما توهم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلاً. قوله: **(بنينوى)** بكسر النون الأولى، وياء ساكنة، ونون مضمومة، وألف مقصورة بعد الواو.

قوله: **﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾** جعل المفسر **﴿أَوْ﴾** للإضراب بمعنى بل، ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين، أي أن الرائي يشك عند رؤيتهم، أو للإبهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم، أو الإباحة، أو التخيير بمعنى أن الناظر يباح له، أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا. قوله: **(عند معاينة العذاب)** أي عند حضور أمارته، ولذا نفعهم إيمانهم، وأما مثل فرعون، فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل، وأيضاً قوم يونس، أخلصوا في إيمانهم، وفرعون لم يخلص، وإنما ايمانه عند الغرغرة لدفع الشدة، ولو ردوا لعادوا. قوله: **(بما لهم)** بفتح اللام، أي بالذي ثبت لهم من النعم، وتقدم بسط قصة يونس في سورة يونس، فراجعها إن شئت.

قوله: **﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت ما تقدم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم فاستفتهم، أي اطلب من أهل مكة الخبر، لأجل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم. قوله: **(توبيخاً لهم)** أي فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والإفادة، بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم. قوله: **﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾** أي ألهذه القسمة الجائرة وجه؟ فإنهم كفروا من وجهين: الأول: نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو. الثاني: كونه خصوص الأنثى فإنهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم، بل إما أن يمسكوها على الهوان، أو يدفنوها حية، فكيف يرضونها لله عز وجل، ويختصون بالبنين؟ قوله: **(فيختصون بالأسنى)** أي الأشرف وهو الذكور وفي نسخة بالأبناء.

قوله: **﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً﴾** **﴿أَمْ﴾** منقطعة تفسر ببل والهمزة، فهو اضراب عما زعموا، ورد عليهم، وهذا بمعنى قوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم﴾ الآية. قوله: **﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾** الجملة حالية، أي والحال أنهم معاينون لخلقهم. قوله: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ﴾** استئناف لبيان إبطال ما هم عليه، كأنه قيل: ليس لهم مستند، إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح. قوله: **﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فِيهِ﴾** أي في قولهم: الملائكة بنات الله. قوله: (واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام في التوصل للنطق بالساكن، والاستفهام للتوبيخ والتقريع. قوله: **﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾** أي أي شيء ثبت واستقر لكم، من حكمكم بهذا الحكم الجائر، حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله

﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ بإدغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٥٦﴾ حجة واضحة أن لله ولداً ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ التوراة فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿١٥٧﴾ في قولكم ذلك ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي المشركون ﴿بَيْنَهُۥ﴾ تعالى ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ أي الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم إنها بنات الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ للنار يعذبون فيها ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾ بأن لله ولداً ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٦٠﴾ أي المؤمنين، استثناء منقطع، أي فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هولاء ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ من الأصنام ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على معبودكم، وعليه متعلق بقوله ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ أي أحداً ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿١٦٣﴾ في علم الله تعالى، قال جبريل للنبي ﷺ ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿١٦٤﴾ في

سبحانه وتعالى؟ قوله: **(بإدغام التاء في الذال)** أي أو بتاء واحدة من غير إدغام، قراءتان سبعيتان.

قوله: **﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ﴾** انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لا وجود له، ولا يقدرون على اثباته. قوله: **(التوراة)** الصواب اسقاطه لأن الخطاب مع المشركين، والتوراة ليس لهم. قوله: **﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ﴾** التفات من الخطاب للغيبة، اشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله، وليسوا أهلاً لخطابه. قوله: **(لاجتنانهم عن الأبصار)** أي استتارهم عنها.

قوله: **﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾** هذا زيادة في تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل: هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم، وما يؤول اليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم، على سبيل التأبيد. قوله: **﴿سُبْحَانَ﴾** إلخ، هذا من كلام الملائكة، تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم له، فكأنه قيل: ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك، وقالوا سبحان الله عما يصفونه به، ولكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم، برآء من هذا الوصف، وقوله: **﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين، ببيان عجزهم عن اغوائهم. قوله: **(استثناء منقطع)** أي من الواو في **﴿يَصِفُونَ﴾** وهو في قوة والاستدراك، دفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه، كأنه قال: تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه، لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكمالات. قوله: **(أي على معبودكم)** أشار بذلك إلى أن الضمير في **(عليه)** عائد على **﴿مَا﴾** وعلى هذا، فالواو للمعية، و **﴿مَا﴾** مفعول معه ساد مسد خبر إن. قوله: **﴿بِفَاتِنِينَ﴾** مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: **(أحداً)** والمعنى: إنكم مع معبودكم، لستم بمفسدين أحداً، إلا من سبقت له الشقاوة في علم الله. قوله: **(إلا من هو صال الجحيم)** استثناء من المفعول الذي قدره المفسر، و **(صال)** مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوف لالتقاء الساكنين، فهو معتل كقاض. قوله: **(في علم الله تعالى)** أي من علم الله أنه من أهل الجحيم، فإنه يميل إلى الكفر وأهله.

قوله: **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية رداً على عبدتهم والمعنى: ليس منا أحد، إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة، وامتثال ما يأمرنا الله تعالى به. قال ابن

السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ ﴿١٦٥﴾ أقدامنا في الصلاة ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ المنزهون الله عما لا يليق به ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿ لَيَقُولُونَ ﴾ ﴿١٦٧﴾ ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا ﴾ كتاباً ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦٨﴾ أي من كتب الأمم الماضية ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ﴿١٦٩﴾ العبادة له، قال تعالى ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي الكتاب الذي جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٧٠﴾ عاقبة كفرهم ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿ لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿١٧١﴾ وهي لأغلبن أنا ورسلي؛ أو هي قوله ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي المؤمنين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ الكفار بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عن

عباس: ما في السماوات موضع شبر، إلا وعليه ملك يصلي ويسبح، وقيل: إن هذه الثلاث آيات، نزلت ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى، فتأخر جبريل، فقال النبي ﷺ: أهنا تفارقني؟ فقال جبريل: ما أستطيع أن أتقدم عن مكاني هذا، وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة **﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** الآيات، وفي الحديث: «ما في السماوات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» . قوله: **(أحد)** قدره إشارة إلى أن في الآية حذف الموصوف وابقاء صفته وهو مبتدأ، والخبر جملة قوله: **﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾** والتقدير: ما أحد منا إلا له مقام معلوم. قوله: **(أقدامنا في الصلاة)** أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف. قوله: **(مخففة من الثقيلة)** أي واللام فارقة، والمعنى: أن قريشاً كانت تقول قبل بعثة النبي ﷺ: لو أن لنا كتاباً مثل كتاب الأولين، لأخلصنا العبادة لله تعالى، وهذا نظير قوله تعالى: **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من أحدى الأمم﴾**. قوله: **﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾** الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله. قوله: **﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** أي في الدنيا والآخرة، والتعبير بسوف تهديد لهم، كقولك لمن تريد ضربه مثلاً: سوف ترى ما توعد به وأنت شارع فيه، **﴿فَسَوْفَ﴾** للوعيد لا للتعبير.

قوله: **﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾** إلخ، هذا تسلية له ﷺ، وإنما صدرت هذه الجملة بالقسم، لتأكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها. قوله: **﴿كَلِمَتُنَا﴾(بالنصر)** إنما سمى الوعد بالنصر كلمة، مع أنه كلمات، لكون معنى الكل واحداً. قوله: **(وهي لأغلبن أنا ورسلي)** أي فيكون قوله: **﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾** جملة مستأنفة، وقوله: **(أو هي قوله) ﴿إِنَّهُمْ﴾** إلخ، أي وعليه فيكون بدلاً من **﴿كَلِمَتُنَا﴾** أو تفسيراً لها. قوله: **﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا﴾** الجند في الأصل الأنصار والأعوان، والمراد منه أنصار دين الله، وهم المؤمنون، كما قال المفسر. قوله: **(وإن لم ينتصر بعض منهم)** إلخ، دفع بهذا ما يقال: قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين في بعض الأزمان، فأجاب: بأن النصر إما في الآخرة للجميع، أو في الدنيا للبعض، فالمؤمنون منصورون على كل حال. أجيب أيضاً: بأن الأنبياء المأذون لهم في القتال، لا بد لهم من النصر في الدنيا، ولا تقع لهم هزيمة أبداً، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة، كما في أحد، فهو لحكم عظيمة، ولا تبيت على المؤمنين، بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى: **﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله﴾** الآية، وأما غيرهم، فتارة ينصرون في الدنيا، وتارة لا، وإنما ينصرون في الآخرة. قوله: **(تؤمر فيه**

كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٧٤﴾ تؤمر فيه بقتالهم ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾ عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء: متى نزول هذا العذاب؟ قال تعالى تهديداً لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَاءَ﴾ بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ ﴿١٧٧﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿١٧٨﴾ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له ﷺ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ بأن له ولداً ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

بقتالهم) أي فكان أولاً مأموراً بالتبليغ والصبر، ثم لما كان في السنة الثانية من الهجرة، أمر ﷺ بالجهاد، وغزواته سبع وعشرون غزوة، قاتل في ثمان منها بنفسه: بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف.

قوله: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾**(إذا نزل بهم العذاب)** أي من القتل والأسر، والمراد بالأمر: الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهدة. قوله: **(عاقبة كفرهم)** أي من نزول العذاب بساحتهم. قوله: **(تهديداً لهم)** أي فليس الاستفهام على حقيقته، بل المقصود تهديدهم. قوله: **(تكتفي بذكر الساحة)** أي تستغني على سبيل الكفاية، فالمعنى: فإذا نزل بهم العذاب، فشبه العذاب بجيش هجم عليهم، فأناخ بفنائهم بغتة وهم في ديارهم، ففي ضمير العذاب استعارة بالكناية، والنزول تخييل. قوله: **(بئس صباحاً)** أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير، والتمييز محذوف، والمذكور مخصوص، والأوضح ما قاله غيره، من أن المذكور هو الفاعل، والمخصوص محذوف، وعليه فالتقدير: بئس صباح المنذرين صباحهم. قوله: **(فيه اقامة الظاهر مقام المضمر)** أي في التعبير بالمنذرين، وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم.

قوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ إلخ، الغرض منه تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه، لما روي عن علي كرم الله وجهه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إلخ، وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته أو حين ينصرف: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. قوله: ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها، كأنه قيل: ذي العزة، وقيل: المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه، ويترتب على كل من القولين مسألة اليمين، فعلى الأول ينعقد بها اليمين، لأنها من صفات الله تعالى، وعلى الثاني لا ينعقد، لأنها من صفات المخلوق. قوله: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم.





مكيّة

وهي ست أو ثمان وثمانون آية

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾(١) أي البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي ما الأمر، كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهل مكة ﴿ فِي عِزَّةٖ ﴾ حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٖ ﴾(٢) خلاف وعداوة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة صٓ مكية

وهي ست أو ثمان وثمانون آية

أي ويقال لها سورة داود. قوله: (مكية) أي كلها. قوله: (أو ثمان) أو لحكاية الخلاف. قوله: (**الله أعلم به**) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم، لأن تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب، واعلم أن في لفظ ص قراءات خمسة السبعة على السكون لا غير، والباقي شاذ، وهو الضم والفتح من غير تنوين، والكسر بتنوين وبدونه، فالضم على أنه خبر لمحذوف، على أنه اسم للسورة، أي هذه ص، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، والفتح إما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه، أو مبني على الفتح كأين وكيف، والأول أقرب، والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين، وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف، وصرف بالنظر إلى اللفظ. قوله: (**أي البيان**) أي لما يحتاج إليه أمر الدين، وقوله: (**أو الشرف**) أي أن من آمن به، كان شريفاً في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ أي شرفكم، وأيضاً القرآن شريف في ذاته، من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرهما، فهو شريف في نفسه مشرف لغيره، وقيل: المراد بالذكر، ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده، وقيل: المراد به الموعظة، وقيل: غير ذلك. قوله: (**وجواب هذا القسم محذوف**) إلخ، هذا أحد أقوال وهو أحسنها، وقيل: تقديره ﴿إنك لمن المرسلين﴾ كما في يس، وقيل: هو قوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وفيه حذف اللام، والأصل لكم أهلكنا، وإنما حذفت لطول الكلام، نظير حذفها في قوله: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ بعد قوله: ﴿والشمس﴾، وقيل: غير ذلك.

قوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اضراب وانتقال من قصة إلى قصة. قوله: (**من أهل مكة**) خصهم

للنبي ﷺ ﴿كَمْ﴾ أي كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾ أي ليس الحين حين قرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل نادوا، أي استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ أي عجيب ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي

بالذكر لأنهم سبب النزول، وإلا فالمراد كل كافر. قوله: (أي كثيراً) أشار بذلك إلى أن ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى كثيراً مفعول ﴿أَهْلَكْنَا﴾ و ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ تمييز لها. قوله: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ اختلفت المصاحف في رسم التاء، فبعضهم رسمها مفصولة، وبعضهم رسمها متصلة بحين، وينبني على هذا الاختلاف الوقف، فبعضهم يقف على التاء، وبعضهم على لا، ومن يقف على التاء، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة، اتباعاً لمرسوم الخط الشريف، والأقل منهم يقف بالهاء، وهذا الوقف للاختيار، لا أنه من جملة الأوقاف الجائزة. قوله: ﴿مَنَاصٍ﴾ المناص يطلق على المنجي والمفر والتقدم والتأخر، وكل هنا يناسب المقام. قوله: (أي ليس الحين) إلخ، أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في لات، من حيث إنها تعمل عمل ليس، وان اسمها محذوف، وهو وخبرها لفظ الحين، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله:

وما للات في سوى حين عمل ... وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

قوله: (والتاء زائدة) أي لتأكيد النفي. قوله: (من فاعل نادوا) أي وهو الواو. قوله: (وما اعتبر) معطوف على ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾. قوله: ﴿وَعَجِبُوا﴾ إلخ أي جعلوا مجيء رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه. قوله: (من أنفسهم) أي من جنسهم. قوله: (فيه وضع الظاهر) إلخ زيادة في التقبيح عليهم، وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول. قوله: ﴿سَاحِرٌ﴾ أي فيما يظهره من الخوارق. قوله: ﴿كَذَّابٌ﴾، أي فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال.

قوله: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ﴾ إلخ، الاستفهام تعجبي، أي كيف يعلم الجميع، ويقدر على التصرف فيهم إله واحد؟ وسبب هذا التعجب، قياسهم للقديم على الحادث، ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة، بل وحدته تعزز وانفراد، تنزه الله عن مماثلة الحوادث له. قوله: (عجيب) أشار بذلك إلى أن ﴿عُجَابٌ﴾ مبالغة في (عجيب). قوله: (عند أبي طالب) روي أنه لما أسلم عمر، شق ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم، فأتوا أبا طالب فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأحضره وقال له: يا ابن أخي، هؤلاء قومك يسألونك السواء والإنصاف، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال النبي ﷺ: ماذا تسألونني؟ فقالوا: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم، أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب، وتدين لكم العجم، فقالوا: نعم وعشر أمثالها، فقال: قولوا لا إله إلا الله،

طالب، وسماعهم فيه من النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله ﴿ أَنِ ٱمْشُوا ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿ وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ المذكور من التوحيد ﴿ لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ﴿٦﴾ منا ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾ ﴿٧﴾ كذب ﴿أَءُنزِلَ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿ٱلذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ أي لم ينزل عليه، قال تعالى ﴿ بَل هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾ وحيي، أي القرآن حيث كذبوا الجائي به ﴿ بَل لَّمَّا ﴾ لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ ﴿٨﴾ ولو ذاقوه لصدقوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿ ٱلْوَهَّابِ ﴾ ﴿٩﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴾ ﴿١٠﴾ الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاؤوا، وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ أي في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة جند ﴿مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ ﴿١١﴾

فقاموا وانطلقوا قائلين: امشوا واصبروا على آلهتكم. قوله: **(أي يقول بعضهم)** إلخ، أشار بذلك إلى أن ﴿أنِ﴾ تفسيرية، وضابطها موجود، وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه.

قوله: **﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾** أي استمروا على عبادتها. قوله: **﴿إنْ هٰذَا﴾** تعليل للأمر بالصبر. قوله: **﴿يُرَادُ﴾(منا)** أي يقصد منا تنفيذه، فلا انفكاك لنا عنه. قوله: **﴿مَا سَمِعْنَا بِذٰلِكَ﴾** إلخ، أي وإنما سمعنا فيها التثليث. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** أي فالقراءات أربع سبعيات. قوله: **(أي لم ينزل عليه)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾** اضراب عن مقدر تقديره انكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه. قوله: **﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾** اضراب انتقالي لبيان سبب الشك، والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن، ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به. قوله: **﴿يَذُوقُوا﴾** أشار بذلك إلى أن ﴿لمَا﴾ بمعنى لم، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن، وذوقهم له متوقع، فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا، وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم. قوله: **(حينئذ)** أي حين ذاقوه.

قوله: **﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾** المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له. قوله: **(الغالب)** أي الذي لا يغلبه شيء، بل هو الغالب لكل شيء. قوله: **﴿الْوَهَّابِ﴾** أي الذي يهب من يشاء لمن يشاء. قوله: **﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** المعنى: ليس لهم تصرف في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته، فمن أين لهم التصرف فيها. قوله: **﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾** الفاء واقعة في جواب شرط مقدر قدره بقوله: **(إن زعموا ذلك)** أي المذكور من العندية والملكية، والمعنى: فليصعدوا في المعاريج التي يتوصل بها العرش، حتى يستووا عليه، ويدبروا أمر العالم، وينزلوا الوحي على من يختارون. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي وبعضها قدرها ببل والهمزة. قوله: **(أي وهم جند)** أشار بذلك إلى أن **﴿جُنْدٌ﴾** خبر لمحذوف، والتنوين للتقليل، والتحقير، و **﴿مَا﴾** لتأكيد القلة. قوله: **﴿هُنَالِكَ﴾** ظرف لجند أو لمهزوم. قوله: **﴿مَهْزُومٌ﴾** أي مقهور ومغلوب، والمعنى: إن قريشاً

صفة جند أيضاً، أي كالأجناد، من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأولئك قد قهروا وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث قوم باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ﴿١٢﴾ كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ﴾ أي الغيضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابِ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة تحل بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ﴿١٥﴾ بفتح الفاء وضمها: رجوع ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الخ ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿١٦﴾ قالوا ذلك استهزاء، قال

جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب، فلا تكترث بهم، وتسلَّ عنهم. قوله: (**صفة جند أيضاً**) أي فقد وصف ﴿**جُنْدٌ**﴾ بصفات ثلاث: الأولى ﴿**مَا**﴾ والثانية ﴿**مَهْزُومٌ**﴾ والثالثة ﴿**مِنَ الأَحْزَابِ**﴾. قوله: (**وأولئك**) أي الأحزاب.

قوله: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ**﴾ إلخ، استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب. قوله: (**باعتبار المعنى**) أي وهو أنهم أمة. قوله: (**كان يتد**) من باب وعد، أي يدق ويغرز، و ﴿**الأَوْتَادِ**﴾ جمع وتد، بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح. قوله: (**يشد إليها يديه**) إلخ، أي ويضجعه مستلقياً على ظهره. قوله: (**ويعذبه**) قيل: يتركه حتى يموت، وقيل: يرسل عليه العقارب والحيات، وقيل: معنى ذو الأوتاد: ذو الملك الثابت، أو ذو الجموع الكثيرة، وفي ﴿**الأَوْتَادِ**﴾ استعارة بليغة، حيث شبه الملك ببيت الشعر، وهو لا يثبت إلا بأوتاد. قوله: (**أي الغيضة**) أي الأشجار الملتفة المجتمعة، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة.

قوله: ﴿**أُولَٰئِكَ الأَحْزَابُ**﴾ بدل من الطوائف المذكورة، وقوله: ﴿**إِنْ كُلٌّ**﴾ إلخ، استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم، وبياناً لكيفيته، وتمهيداً لما يعقبه، و ﴿**إِنْ**﴾ نافية لا عمل لها لانتقاض النفي بإلا. قوله: (**لأنهم**) إلخ، جواب سؤال كيف يقال: إن كلاً كذب الرسل، مع أن كل أمة كذبت رسولاً واحداً. قوله: ﴿**وَمَا يَنْظُرُ هٰؤُلَاءِ**﴾ شروع في بيان عقاب كفار مكة، إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب. قوله: (**هي نفخة القيامة**) أي الثانية. قوله: ﴿**مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ**﴾ الجملة في محل صفة لصيحة، و ﴿**مِنْ**﴾ مزيدة في المبتدأ. قوله: (**بفتح الفاء وضمها**) أي فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد، هو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع، والمعنى: ما لها من توقف قدر فواق ناقة، وقال ابن عباس: ما لها من رجوع، من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته، وقد مشى عليه المفسر، وكل صحيح. قوله: (**لما نزل ﴿فأما من أوتي كتابه﴾**) إلخ، أي الذي في سورة الحاقة. قوله: ﴿**قِطَّنَا**﴾ أي نصيبنا وحظنا، وأصله من قط الشيء أي قطعه. قوله: (**أي كتاب أعمالنا**) سمي قطاً لأنه مقطوط أي مقطوع، لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها. قوله: ﴿**قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ أي في الدنيا.

تعالى ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ أي القوة في العبادة، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ﴿١٧﴾ رجاع إلى مرضاة الله ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ ﴾ بتسبيحه ﴿ بِٱلْعَشِىِّ ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ ﴿١٨﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها ﴿ وَ ﴾ سخرنا ﴿ ٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿ كُلٌّ ﴾ من الجبال والطير ﴿ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ﴿١٩﴾ رجاع إلى طاعته بالتسبيح ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ قوَّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ ﴿٢٠﴾ البيان الشافي في كل قصد

قوله: ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ**﴾ فيه تهديد للكفار، وتسلية لرسول الله ﷺ. قوله: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ**﴾ إلخ، والمقصود من ذكر تلك القصص، إظهار فضل المتقدمين، وتسليته له ﷺ على أذى قومه، فيقتدي بمن قبله لكونه سيد الجميع، فهو أولى بالصبر، والإضافة في عبدنا لتشريف المضاف. قوله: ﴿**ذَا الأَيْدِ**﴾ مصدر مفرد بوزن البيع، من آد يئيد، إذا قوي واشتد، وليس جمع يد. قوله: (**كان يصوم يوماً ويفطر يوماً**) أي وهو جهاد للنفس، دليل على قوة داود، لأن النفس كالطفل، فإذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوماً، أطلقها في اليوم الثاني، ثم يعود لفطمها، ولا شك أنه جهاد عظيم. قوله: (**ويقوم نصف الليل**) إلخ، هكذا في بعض النسخ موافقة لما في القرطبي والبيضاوي وأبي السعود، وفي بعض النسخ: كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، وهو الموافق لما في الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه». ولما في الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحياناً هكذا، وأحياناً هكذا. قوله: ﴿**إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ تعليل لكونه ذا قوة في الدين. قوله: (**إلى مرضاة الله**) المرضاة بمعنى الرضا.

قوله: ﴿**إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ**﴾ تعليل آخر لقوته في الدين. قوله: ﴿**يُسَبِّحْنَ**﴾ أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة، والجملة حالية من مفعول سخرنا. قوله: (**وقت صلاة العشاء**) ظاهره أن المراد بها العشاء الآخرة، والذي يفهم من كلام غيره، أنها المغرب حيث قال: فكان داود يسبح إثر صلاته، عند طلوع الشمس وعند غروبها. قوله: (**ويتناهى ضوؤها**) أي وهو ربع النهار. قوله: ﴿**وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً**﴾ بالنصب في قراءة العامة معطوف على الجبال، وقرىء شذوذاً بالرفع مبتدأ وخبر.

قوله: ﴿**كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ**﴾ أشار المفسر إلى أن الضمير في ﴿**لَهُ**﴾ عائد على ﴿**دَاوُدَ**﴾، وحينئذ فالمعنى: كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا، وإن خفض خفضوا، وهو أحد قولين، والآخر أنه عائد على الله تعالى، والمعنى: كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى. قوله: (**بالحرس**) بفتحتين اسم جمع كخدم، أو بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس. قوله: (**ثلاثون ألف رجل**) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفاً. قوله: (**النبوة والإصابة في الأمور**) هذا أحد أقوال تفسير الحكمة، وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى، وقيل: العلم والفقه، وقيل: السنة. قوله: (**البيان الشافي**) أي

﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ﴿٢١﴾ محراب داود أي مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي خبرهم وقصتهم ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ﴾ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل اثنان والضمير بمعناها، والخصم على الواحد وأكثر، وهما ملكان جاءا في صورة وقع لهما ما ذكر على سبيل الفرض، لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة، وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ تجر ﴿وَٱهْدِنَآ﴾ أرشدنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ

الإظهار المنبه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال في تفسير فصل المخاطب، وقيل الفصل في القضاء، وقيل: هو البينة على المدعي واليمين على من أنكر، وقيل: هو أما بعد، وقيل: غير ذلك. قوله: **(التعجيب)** أي حمل المخاطب على التعجب، أو إيقاعه في العجب. قوله: **(إلى استماع ما بعده)** أي لكونه أمراً غريباً، كقولك لجليسك: هل تعلم ما وقع اليوم؟ تريد أن يستمع لكلامك، ثم تذكر له ما وقع.

قوله: **﴿إِذْ تَسَوَّرُوا﴾** ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم الخصم، ولا يصح إن يكون ظرفاً لأتاك، لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله، لا في عهد داود، ولا لنبأ، لأن النبأ واقع في عهد داود، فلا يصح إتيانه رسول الله ﷺ. قوله: **(أي مسجده)** أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة. قوله: **(حيث منعوا الدخول عليه من الباب)** أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة، فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب. قوله: **﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾** أي لأنهم نزلوا من أعلى، على خلاف العادة والحرس حوله.

قوله: **﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾** جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال: قالوا: لا تخف. قوله: **(قيل: فريقان)** هذا مبني على أن الداخل فيه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين والمزكيين. قوله: **(وقيل: اثنان)** أي شخصان، وهو مبني على أن الداخل المتداعيان فقط. قوله: **(والخصم يطلق)** إلخ، أي لأنه في الأصل مصدر. قوله: **(وهما ملكان)** قيل هما جبريل وميكائيل. قوله: **(على سبيل العرض)** بالعين المهملة أي التعريض، وهو جواب عما يقال: إن الملائكة معصومون، فكيف يتصور منهم البغي أو الكذب؟ فأجاب: بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب، فلا بغي فيه ولا كذب. قوله: **(لتنبيه داود)** أي ايقاظه على ما صدر منه. قوله: **(وكان له تسع)** إلخ، بيان لما وقع منه. قوله: **(وطلب امرأة شخص)** هو وزيره أوريا بن حان لسر عظيم، وهو كما **قيل**: إنها أم سليمان عليه السلام. قوله: **(وتزوجها ودخل بها)** مشى المفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته، ثم بعد وفاء عدتها، تزوجها داود ودخل بها، وهو أحد أقوال ثلاثة، والثاني: أن داود لما تعلق بها قلبه، أمر أوريا ليذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود، والثالث أن أوريا لم يكن متزوجاً بها، وإنما خطبها فقط، فخطبها داود على خطبته وتزوجها، وكان ذلك كله جائزاً في شرعه، وإنما عاتبه الله لرفعة قدره، وللسيد أن يعاقب عبده على ما يقع منه، وإن كان جائزاً، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: **﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾** العام على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد،

﴿ٱلصِّرَٰطِ﴾ ﴿٢٢﴾ وسط الطريق الصواب ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي على ديني ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِى﴾ غلبني ﴿فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ ﴿٢٣﴾ أي الجدال وأقره الآخر على ذلك ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشركاء ﴿لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾ ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه، فتنبه داود، قال تعالى: ﴿وَظَنَّ﴾ أي أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أوقعناه في فتنة أي بلية بمحبته تلك المرأة ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي ساجداً ﴿وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ

وقرىء شذوذاً تشطط بفتح التاء وضم الطاء، وتشط من أشط رباعياً، إلا أنه أدغم، وتشطط من شطط وتشاطط. قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي﴾ إلخ، مرتب على مقدر تقديره: فقال لهما داود تكلما، فقال أحدهما: إن هذا أخي، إلخ. قوله: ﴿أي على ديني﴾ أي فليس المراد أخوة النسب، لأن الملائكة لا يلدون، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة. قوله: **(يعبر بها عن المرأة)** أي يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة. قوله: **(أي اجعلني كافلها)** هذا هو معناه الأصلي، والمراد هنا ملكنيها وانزل لي عنها. قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ أي فهو أصح مني في الكلام، فالغلبة له علي لضعفي. قوله: **(وأقره الآخر)** أي المدعى عليه، وهو جواب عما يقال: كيف حكم داود، ولم يسمع شيئاً من المدعى عليه؟ فأجيب: بأنه سمع منه الإقرار والاعتراف. قوله: ﴿بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ من أضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف، أي بأن سألك نعجتك. قوله: **(ليضمها)** أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم. قوله: ﴿الْخُلَطَاءِ﴾**(الشركاء)** أي الذين خلطوا أموالهم، وفيه اشارة إلى أن داود ساير ظاهر دعواهم.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ استثناء متصل. قوله: **(فتنبه داود)** أي علم أنهما يريدانه بهذا التعريض. قوله: ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ ما زائدة، والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر. قوله: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ﴾ أي طلب منه المغفرة، وتقدم أنه ليس بذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: **(أي ساجداً)** عبر بالركوع عنه، لأن كلاً منهما فيه انحناء.

قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾ أي رجع إلى مولاه، قال المفسرون: سجد داود أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة، أو لوقت صلاة مكتوبة، ثم يعود ساجداً إلى تمام الأربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي، حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إليه خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلقتني وكان في سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء، سبحان خالق النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، سبحان خالق النور، إلهي بأي قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده،

لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ أي زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٢٥﴾ مرجع في الآخرة ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي هوى

سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك، سبحان خالق النور، إلهي أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه، سبحان خالق النور، إلهي كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا، سبحان خالق النور، إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي، سبحان خالق النور، إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني، سبحان خالق النور، إلهي أعوذ بك بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني، سبحان خالق النور، إلهي ففررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور. قيل: مكث داود أربعين يوماً، لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم؟ أظمآن أنت فتسقى؟ أمظلوم أنت فتنصر؟ فأجيب في غير ما طلب، ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء، فحزن حتى هاج ما حوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه، ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله: **﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾** وقد ورد أنه لما قبل الله توبته، بكى على خطيئته ثلاثين سنة، لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة، فقسم الدهر على أربعة: يوم للقضاء، ويوم لنسائه، ويوم يسيح في الجبال والفيافي والسياحة، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان، ينوح معهم على نفسه، فإذا كان يوم سياحته، خرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش، حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء، فتبكي معه دواب البحر وطير الماء، فإذا كان يوم من نوحه على نفسه نادى مناديه: إن اليوم يوم نوح داود على نفسه، فليحضره من يساعد ويدخل الدار التي فيها المحاريب، فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها، ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب، ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله، وقد ورد أيضاً أنه لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرت لي فكيف لي أن أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة، فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا واستغفر للخاطئين قبل نفسه، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل، ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله وقام الليل كله، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله، وإذا ذكر رحمة الله تراجعت اهـ ملخصاً.

قوله: **﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾** يحتمل أنه كلام مستأنف، بيان للزلفى في قوله: **﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾** يحتمل أن مقول القول محذوف معطوف على قوله: **﴿فَغَفَرْنَا لَهُ﴾** كأنه قيل: فغفرنا له وقلنا يا داود إلخ، وفي هذه الآية دليل على أن خلافته التي كانت قبل الفتنة، باقية مستمرة بعد التوبة. قوله: **(تدبر أمر الناس)** أي لكونك ملكاً وسلطاناً عليهم، فقد جمع لداود بين النبوة والسلطنة، وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر، فيحكم للسلطان بما يأمره به النبي. قوله:

النفس ﴿ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ﴾ بنسيانهم ﴿ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ ﴿٢٦﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ﴾ أي عبثاً ﴿ذَٰلِكَ ﴾ أي خلق ما ذكر لا لشيء ﴿ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ من أهل مكة ﴿فَوَيْلٌ ﴾ واد ﴿ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ ﴿٢٨﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون، وأم بمعنى همزة الإنكار ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي هذا ﴿ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ﴾ أصله يتدبروا أدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ ينظروا في معانيها فيؤمنوا

﴿بِالْحَقِّ﴾ أي العدل، لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به، صلحت الخلق واستقام نظامهم، بخلاف ما إذا كانت موافقة لهوى النفس، فإن ذلك يؤدي إلى فساد النظام، ووقوع الهرج والمرج المؤدي للهلاك، وهو معنى قولهم: العدل إن دام عمر، والظلم إن دام دمر.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ المقصود من نهيه اعلام أمته بأنه معصوم، ولتتبعه فيما أمر به، لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فيغيره أولى. قوله: ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾ بالنصب في جواب النهي، وهو أولى من جعله مجزوماً عطفاً على النهي، وفتح للتخلص من التقاء الساكنين. قوله: **(أي عن الدلائل الدالة على توحيده)** إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى، ليوافق قوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ إلخ. قوله: **(بنسيانهم)** أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية، وقوله: ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ إما ظرف لقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أو مفعول لنسوا. قوله: **(المرتب عليه)** إلخ، أي فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم، هو ترك الإيمان، ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الإيمان، فاكتفى بذكر السبب.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إلخ، استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب. قوله: ﴿بَاطِلًا﴾ نعت لمصدر محذوف، أي خلقنا باطلاً، أو حال من ضمير الخلق. قوله: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي مظنونهم. قوله: ﴿فَوَيْلٌ﴾ هو في الأصل معناه الهلاك، أي هلاك ودمار للذين كفروا، وعبر بالظاهر تقبيحاً عليهم، واشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم. قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلخ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو إضراب انتقالي من أمر البعث والحساب، إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين في العواقب، وهو نظير قوله تعالى: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الآية.

قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ﴾ إلخ، تنويع آخر في الإضراب، والمعنى واحد. قوله: **(بمعنى همزة الإنكار)** أي مع بل التي للإضراب. قوله: **(خبر مبتدأ محذوف)** أي و ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ صفة ﴿كِتَابٌ﴾ و ﴿مُبَارَكٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب، لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد، وفيه خلاف. قوله: **(ينظروا في معانيها)** أي يتأملوا فيها، فيزدادوا معرفة ونوراً على

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٢٩﴾ أصحاب العقول ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أي سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ رجاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الخيل جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفوناً ﴿ٱلْجِيَادُ﴾ ﴿٣١﴾ جمع جواد وهو السابق، المعنى: أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر، لإرادته الجهاد عليها لعدو، فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتمّ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي أردت ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي صلاة العصر ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ﴾ أي الشمس ﴿بِٱلْحِجَابِ﴾ ﴿٣٢﴾ أي استترت بما يحجبها عن الأبصار ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ أي الخيل المعروضة فردّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ بالسيف ﴿بِٱلسُّوقِ﴾ جمع ساق

حسب مشاربهم، فإن التالين للقرآن على مراتب، فالعامة يقرؤونه مرتلاً مجوداً مراعي بعض معانيه على حسب الطاقة، والخاصة يقرؤونه ملاحظين أنهم في حضرة الله تعالى يقرؤون كلامه عليه، وخاصة الخاصة يقرؤون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى، رضي الله عنهم وعنا بهم. قوله: ﴿أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بالذكر.

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ﴾ أي من المرأة التي أخذها من أوريا، وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة. قوله: (أي سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح. قوله: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ﴾ ظرف لمحذوف تقديره: اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض إلخ، والمعنى اذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت. قوله: (ما بعد الزوال) أي إلى الغروب. قوله: (وهي القائمة) أي الواقفة على ثلاثة قوائم. قوله: (على طرف الحافر) أي من رجل أو يد. قوله: (وهو من صفن) أي مأخوذ منه، والصافن من الآدميين الذي يصف قدميه ويقرن بينهما، وجمعه صفون. قوله: (جمع جواد) وقيل: جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى، مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق، والمعنى طويلة العنق لفراهتها. قوله: (المعنى) أي معنى الصافنات الجياد. قوله: (وكان ألف فرس) روي أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس، وقيل: أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال، وقيل: خرجت له من البحر ولها أجنحة. قوله: (لإرادة الجهاد) أي ليختبرها.

قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ﴾ إلخ، أي على وجه الاعتذار عما صدر منه وندماً عليه، وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن. قوله: (أي الخيل) إنما سماها خيراً لتعلق الخير بها لما في الحديث: «الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة». قوله: ﴿بِالْحِجَابِ﴾ أي وهو جبل دون جبل ق بمسيرة سنة تغرب من ورائه. قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل، والضمير عائد على التي شغلته وهي التسعمائة، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها، وما في أيدي الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة. قوله: (أي ذبحها وقطع أرجلها) أي وكان مباحاً له، ولذا لم يعاتبه الله عليه، وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين، وقيل: الضمير في قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ عائد على الشمس، والخطاب للملائكة الموكلين بها

﴿وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ ﴿٣٣﴾ أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى، حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوَّضه الله تعالى خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف شاء ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ ابتليناه بسلب ملكه، وذلك لتزوجه بامرأة هواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير

فردوها، فصلى العصر في وقتها، وقال الفخر الرازي: معنى قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ﴾ أي يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها، لكونه كان أعلم بأحوال الخيل، وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع، إلى أنه يباشر الأمور بنفسه، ولم يحصل منه ذبح ولا عقر، ولم تفوت عليه صلاة، ومعنى ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ أي لأجل طاعة ربي لا لهوى نفسي، ومعنى ﴿تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ أي الخيل غابت عن بصره حين أمر بإجرائها ليختبرها للغزو فقال: ردّوها علي، فردوها، فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم، وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولا فوات صلاة ا. هـ بالمعنى.

قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ إلخ، أجمل المفسر في القصة. وحاصل تفصيلها على ما رواه وهب بن منبه قال: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، وبها ملك عظيم الشأن، ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر، وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، وإنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها وسبى ما فيها، وأصاب فيها أصاب بنتاً لذلك الملك يقال لها جرادة، لم ير مثلها حسناً ولا جمالاً، فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الإسلام، فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحب مثله أحداً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، فقال سليمان، فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك؟ قالت: إن ذلك كذلك، ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين، فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها، أراها بكرة وعشية، لرجوت أن يذهب ذلك حزني، وأن يسلي عن بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه، إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه، فألبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها، تغدو إليه في ولائدها أي جواريها، فتسجد له ويسجدن له، كما كانت تصنع في ملكه أي أبيها، وتروح في كل عشية بمثل ذلك، وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا، وكان صديقاً له، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء، كان سليمان حاضراً أو غائباً، فأتاه وقال: يا نبي الله، إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال سليمان: في داري؟ قال في دارك، قيل: فإنا لله وإنا اليه راجعون، ثم رجع سليمان إلى داره، فكسر ذلك الصنم وعاتب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الظهيرة فأتى بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يغسلها إلا الأبكار، لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، وأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله تعالى، حتى جلس على ذلك الرماد، وتمعك به في ثيابه تذللاً إلى الله تعالى، وتضرعاً اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى،

علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه مرة عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته، فجاءها جني في صورة سليمان فأخذه منها ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ هو ذلك الجني،

ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل الخلاء، أو أراد إصابة امرأة من نسائه، وضع خاتمه عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه يوماً عندها ثم دخل مذهبه، فأتاها شيطان اسمه صخر المارد ابن عمير في صورة سليمان، لا تنكر منه شيئاً، فقال: هات خاتمي يا أمينة، فناولته إياه فجعله في يده، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والوحش والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى أمينة، وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: سليمان بن داود، فقالت: كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه، وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته أدركته، فخرج وجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل ويقول: أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع احدى سمكتيه بأرغفة، ويشوي الأخرى فيأكلها، فمكث على ذلك أربعين صباحاً، عدة ما كان يعبد بعد الوثن في داره، ثم إن آصف وعظماء بني اسرائيل، أنكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك المدة، فقال آصف: يا معشر بني اسرائيل، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم؟ فقالوا: نعم، فلما مضى أربعون صباحاً، طار الشيطان عن مجلسه، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه، فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه، فلما أمسى أعطاه سمكتيه، فباع سليمان أحدهما بأرغفة، وبقر بطن الأخرى ليشويها، فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه وجعله في يده وخر لله ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن، وأقبل الناس عليه، وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ما حدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد، فأتي به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف به في البحر، فهو باق فيها إلى النفخة، وسيأتي رد تلك القصة، وأنها من موضوعات الأخباريين. قوله: **(لتزوجه بامرأة)** أي واسمها جرادة. قوله: **(هواها)** هويها قياسه بمعنى أحبها من باب صدى، وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط، وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة. قوله: **(وكانت تبعد الصنم)** أي وهو صورة أبيها، ومدة ذلك أربعون يوماً. قوله: **(وكان ملكه في خاتمه)** أي كان ملكاً مرتباً على لبسه إياه، فإذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها، وإذا نزعه زال عنه وكان خاتمه من الجن، وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة، وقد نظمها بعضهم بقوله:

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم
وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبي المعظم

وقوله العود: المراد به عود البخور، وقوله واليمين بمكة: المراد بالحجر الأسود، وورد في الحديث: «أن نقش خاتم سليمان: لا إله إلا الله محمد رسول الله». قوله: **(ووضعه عند امرأته)** في عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة. قوله: **(هو ذلك الجني)** أي وسمي جسداً، لأنه ليس فيه روح سليمان، وإن كان فيه

وهو صخر أو غيره، جلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيه وقال للناس: أنا سليمان فأنكروه ﴿ ثُمَّ أَنَابَ ﴾ ﴿٣٤﴾ رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي ﴾ لا يكون ﴿ لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ أي سواي، نحو فمن يهديه من بعد الله أي سوى الله ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً ﴾ لينة ﴿ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ ﴿٣٦﴾ أراد

روحه هو، لأن الجسد هو الجسم الذي لا روح فيه. قوله: (وهو صخر) أي ابن عمير المارد. قوله: (في غير هيئته) أي المعتادة التي كانوا يعرفونه بها. قوله: (رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبني على أن قوله: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ مرتبط بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾ وقال غيره: إنه مرتبط بقوله: ﴿وَلَقَدْ فُتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ ومعنى إنابته: رجوعه إلى الله تعالى وتوبته. قوله: (بعد أيام) أي أربعين، قال القاضي عياض وغيره من المحققين: لا يصح ما نقله الإخباريون، من تشبه الشيطان بسليمان، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، وإن الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا، والذي ذهب إليه المحققون، أن سبب فتنته، ما أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، وفي رواية على مائة امرأة، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون» قال العلماء: والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته من نسيان المشيئة، فامتحن بهذا، فتاب ورجع، وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه، أنه ولد له ولد، فاجتمعت الشياطين وقال بغضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخيله، فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله، فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته، إذ ألقي ذلك الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين، حيث لم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه واستغفر ربه. إذا علمت ذلك، فالمناسب أن يعرج على ما في الصحيحين، ويترك تلك القصة البشعة.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ إنما قال ذلك تواضعاً واظهاراً للخضوع للمولى عز وجل، وإلا فهو لم يحصل منه ذنب، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً﴾ إلخ، قدم طلب المغفرة اهتماماً بأمر الدين. قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ أي ليكون معجزة لي، فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا، وإنما كان هو من بيت النبوة والملك، وكان في زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك، فطلب ما يكون معجزة لقوله، ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره. قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة.

قوله: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ أي أعدنا له تسخير الريح، بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه، وهذا على ما مشى عليه المفسر، وعلى ما مشى عليه المحققون، فيقال: أدمنا تسخيرها. قوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بيان لتسخيرها له. قوله: ﴿رُخَاءً﴾ حال من قوله: ﴿الرِّيحِ﴾. قوله: (لينة) أي غير عاصفة، وهذا في

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿ وَغَوَّاصٍ ﴾ ﴿٣٧﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ ﴿ وَءَاخَرِينَ ﴾ منهم ﴿ مُقَرَّنِينَ ﴾ مشدودين ﴿ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ ﴿٣٨﴾ القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ ﴾ أعط منه من شئت ﴿ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ عن الأعطاء ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ﴿٣٩﴾ أي لا حساب عليك في ذلك ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ ﴿٤٠﴾ تقدم مثله ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى ﴾ أي بأني ﴿ مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ ﴾ ضر ﴿ وَعَذَابٍ ﴾ ﴿٤١﴾ ألم، ونسب ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالى، وقيل له ﴿ ٱرْكُضْ ﴾ أضرب ﴿ بِرِجْلِكَ ﴾ الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل ﴿ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ ﴾ ماء تغتسل به ﴿ بَارِدٌ

أثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة، فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره. قوله: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ أي اياها، فالمصدر مضاف لفاعله. قوله: ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ بدل من الشياطين. ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطف على ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾ وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة، استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك، وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعتاة. قوله: **(القيود)** من المعلوم أن القيد يكون في الرجل، فلا يلتئم مع قوله: **(بجمع أيديهم)** إلخ، فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى، لأنها تطلق عليها، كما تطلق على القيود. قوله: **(وقلنا له)** ﴿هٰذَا﴾ أي هذا الملك عطاؤنا. قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه متعلق بعطاؤنا، أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر. الثاني أنه حال من عطاؤنا، أي في حال كون عطائنا غير محاسب عليه. والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك، والمعنى أعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في اعطاء ولا منع. قال الحسن: ما أنعم الله نعمة على أحد، إلا عليه فيها تبعة، إلا سليمان، فإنه إن أعطى أجر، وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة. قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ أي زيادة خير في الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ عطف على قوله: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ عطف قصة على قصة، وليس معطوفة على قصة سليمان، لأن لكمال الاتصال بينه وبين أبيه، لم يصدر في قصته بقوله واذكر عبدنا سليمان مثلاً، بل كانا كأنهما قصة واحدة، وتقدم لنا في الأنبياء، أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام، وقيل: إنه ابن عيصو بن اسحاق، وقيل: وهو ابن أموص بن رعيل بن عيص بن اسحاق، وتقدمت قصته مفصلة في سورة الأنبياء.

قوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ بدل من ﴿عَبْدَنَا﴾ أو عطف بيان له. قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ﴾ أي حين ابتلي بفقد ماله وولده وتمزيق جسده، وهجر جميع الناس له إلا زوجته، وكانت مدة بلائه ثلاث سنين، وقيل سبعاً، وقيل عشراً، وقيل ثماني عشرة. قوله: ﴿بِنُصْبٍ﴾ بضم فسكون، التعب والمشقة، وقوله: ﴿وَعَذَابٍ﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: **(تأدباً معه تعالى)** أي لأن الشيطان هو السبب في ذلك، لأنه نفخ في أنفه، فمرض جسده ظاهراً وباطناً، إلا قلبه ولسانه. قوله: **(وقيل له)** أي حين رجا وقت شفائه. قوله: **(فنبعت عين ماء)** ظاهره أنها عين واحدة، وهو أحد قولين، وقيل: كانتا عينين بأرض الشام في أرض الجابية، فاغتسل من احداهما، فأذهب الله تعالى ظاهر دائه، وشرب من الأخرى، فأذهب الله باطن دائه، وكانت احدى العينين حارة، والأخرى باردة، فاغتسل من الحارة، وشرب من الأخرى.

وَشَرَابٌ ﴾ ﴿٤٢﴾ تشرب منه، فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ أي أحيى الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ ﴾ عظة ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ﴿٤٣﴾ لأصحاب العقول ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ﴿٤٤﴾ رجاع إلى الله تعالى ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي ٱلْأَيْدِي ﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ ﴿٤٥﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة عبدنا، وإبراهيم بيان له، وما بعده عطف على عبدنا ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ ﴿٤٦﴾ الآخرة أي ذكرها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا

قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بقوله: **(فاغتسل)** إلخ. قوله: **(من مات من أولاده)** أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث اناث، وقيل كل صنف سبع. قوله: **(ورزقه مثلهم)** أي من زوجته وزيد في شبابها، واسمها، قيل رحمة بنت أفراثيم بن يوسف، وقيل ليا بنت يعقوب. قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ إلخ، مفعول لأجله، أي لأجل رحمتنا إياه، وليتذكر بحاله أولو الألباب. قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾ عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله: **(وكان قد حلف)** إلخ. قوله: **(هو حزمة)** أي ملء الكف. قوله: **(لإبطائها عليه يوماً)** واختلف في سبب بطئها المتسبب عنه حلفه، فقيل: إن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوي المرضى، فمرت عليه فوجدت الناس منكبين عليه، فقالت له: عندي مريض، فقال: أداويه على أنه إذا برىء قال أنت شفيتني، ولا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف ليضربنها وقال: ويحك ذلك الشيطان، وقيل: إنها باعت ذوائبها برغيفين، حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أردا القيام، فلهذا حلف ليضربنها، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ أي لا تقع في يمينك بحيث تلزمك كفارته، وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقاً بزوجته، وأما في شرعنا فلا يبر إلا بضرب المائة، وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها، إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة. قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً﴾ أي علمناه، والمعنى أظهرنا صبره للناس. قوله: **(أيوب)** تفسير للمخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا ابْرَاهِيمَ﴾ إلخ، اذكر صبرهم على ما امتحنوا به. قوله: ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾ العامة على ثبوت الياء، وهو جمع يد، فكنى بذلك عن الأعمال، لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها، وقيل: المراد بالأيدي النعم، وفسرها المفسر بالقوة في العبادة، وكلها معان متقاربة، وقرىء شذوذاً بحذف الياء تخفيفاً.

قوله: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل. قوله: ﴿بِخَالِصَةٍ﴾ صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة. قوله: **(هي)** ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ جعلها المفسر

لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾ المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٧﴾ جمع خيِّر بالتشديد ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نبي واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فروا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾ أي كلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ ﴿٤٨﴾ جمع خير بالتثقيل ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٤٩﴾ مرجع في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ بدل أو عطف بيان لحسن مآب ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ ﴿٥٠﴾ منها ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ ﴿٥٢﴾ أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة جمع ترب ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالغيبة وبالخطاب التفاتاً ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ ﴿٥٣﴾ أي لأجله ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ أي انقطاع، والجملة حال من رزقنا، أو خبر ثان لأن، أي دائماً أو دائم ﴿هَٰذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف

خبر المحذوف. قوله: (وفي قراءة) إلخ، مقابل لما قدره المفسر، وهما قراءتان سبعيتان، فعلى القراءة الأولى يكون ﴿ذِكْرَى﴾ مرفوعاً على اضمار مبتدأ، وعلى الثاني يكون مجروراً بالإضافة، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة، والإضافة بيانية كما قال المفسر.

قوله: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمٰعِيلَ﴾ فصل ذكره عن أبيه وأخيه، للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكر مناقبهم. قوله: ﴿وَالْيَسَعَ﴾ هو ابن أخطوب بن العجوز، استخلفه الياس على بني اسرائيل، ثم نبأه الله عليهم كما تقدم. قوله: (اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب، أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشراً وسماه ذا الكفل، فهو بشر بن أيوب، اختلف في نبوته ولقبه، والصحيح أنه نبي، وسمي ذا الكفل، إما لما قاله المفسر، أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بما التزم، وتقدمت قصته في الأنبياء. قوله: (أي كلهم) أي المتقدمين من داود إلى هنا. قوله: ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها، فهي للإنتقال من غرض إلى آخر، ففيها تخلص من قصة، وكذا يقال في قوله هذا: وإن للطاغين إلخ. قوله: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلخ، شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل. قوله: (الشاملين لهم) أي فالمتقين يشملهم وغيرهم. قوله: ﴿مُفَتَّحَةً﴾ حال من جنات عدْن، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، و﴿الأَبْوَابُ﴾ مرفوعة باسم المفعول، وأل عوض عن الضمير.

قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال من الهاء في لهم، والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي، لأنه لا جوع فيها. قوله: (حابسات الأعين) أي لا ينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل. قوله: (أسنانهن واحدة) أي فقد استوين في السن والجمال، وقيل: ﴿أَتْرَابٌ﴾ متآخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن، وكل صحيح. قوله: (لأجله) أي لأجل وقوعه فيه، فوقوعه وانجازه فيه علة للوعد به في الدنيا. قوله: ﴿إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا﴾ من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أي ما ذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا، أي لهو الرزق الذي نتفضل به على عبادنا ﴿مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أي انقطاع أبداً. قوله: (أي دائماً) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: ﴿هٰذَا﴾ مبتدأ حذف خبره قدره بقوله: (المذكور) وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين، فهو بمنزلة أما بعد.

﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ ﴿٥٦﴾ الفراش ﴿هَٰذَا﴾ أي العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ ﴿٥٧﴾ بالتخفيف والتشديد ما يسيل من صديد أهل النار ﴿وَءَاخَرُ﴾ بالجمع والإفراد ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَزْوَٰجٌ﴾ ﴿٥٨﴾ أصناف، أي عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾ داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿قَالُوا۟﴾ أي الأتباع ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي الكفر ﴿لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ ﴿٦٠﴾ لنا ولكم النار ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي مثل عذابه على كفره ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي كفار مكة وهم في النار ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ بضم

قوله: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ أي الكافرين. قوله: ﴿لَشَرَّ مَآبٍ﴾ مقابل قوله في حق المتقين ﴿لَحُسْنَ مَآبٍ﴾. قوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ أي يكونون بها على سبيل التأبيد، وهو لازم للدخول. قوله: (الفراش) أي الغطاء والوطاء. قوله: ﴿هٰذَا﴾ مبتدأ، و ﴿حَمِيمٌ﴾ و ﴿غَسَّاقٌ﴾ و ﴿آخَرُ﴾ خبره، و ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ صفة أولى لآخر، و ﴿أَزْوَاجٌ﴾ صفة ثانية له، وقوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، وهذا أحسن ما يقال. قوله: (محرق) أي للإمعاء لقوله في الآية الأخرى: ﴿وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم﴾.

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (من صديد) إلخ بيان لما، كأنه قال: وهو صديد أهل النار الذي يسيل من جلودهم وفروجهم. قوله: (بالجمع والإفراد) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي مثل المذكور) أي في كونه حاراً يقطع الامعاء. قوله: (من أنواع مختلفة) أي كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير، وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه. قوله: (ويقال لهم) أي من خزنة النار. قوله: ﴿مُقْتَحِمٌ﴾ الاقتحام: الإلقاء في الشيء بشدة، فإنهم يضربون بمقامع من حديد، حتى يقتحموها بأنفسهم خوفاً من تلك المقامع، قوله: (فيقول المتبعون) أي جواباً للخزنة كأنهم يقولون: أنحسد على كثرة أتباعنا، مع كوننا واياهم في النار؟

قوله: ﴿لَا مَرْحَباً بِهِمْ﴾ مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحباً، أي مكاناً واسعاً. قوله: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ هو من كلام الرؤساء، أي إنهم صالوا النار كما صليناها. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي الأتباع، أي جواباً للرؤساء. قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ﴾ أي أنتم أحق بما قلتم لنا، فدأبهم أنه ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾. قوله: ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾ أي دللتمونا عليه، بتزيين الأعمال السيئة لنا واغوائنا عليها. قوله: (النار) هذا هو المخصوص بالذم. قوله: ﴿قَالُوا﴾(أيضاً) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع. قوله: (أي مثل عذابه وكفره) أي وهو عذاب الدلالة على الكفر، فإن الدال على الشر كفاعله.
قوله: (أي كفار مكة) أي كأبي جهل وأبي بن خلف وغيرهما. قوله: (وهم في النار) الجملة حالية.

قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً﴾ أي أي شيء ثبت لنا لا نبصر رجالاً، إلخ. قوله: ﴿مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ إنما سموهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم. قوله: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ إما بوصل الهمز مكسورة، أو قطعها

السين وكسرها، أي كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي أمفقودون هم؟ ﴿ أَمْ زَاغَتْ ﴾ مالت ﴿ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ﴿٦٣﴾ فلم نرهم، وهم فقراء المسلمين: كعمار وبلال وصهيب وسلمان ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ ﴾ واجب وقوعه وهو ﴿ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴾ ﴿٦٤﴾ كما تقدم ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ﴾ مخوف بالنار ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ ﴿٦٥﴾ لخلقه ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب على أمره ﴿ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ ﴿٦٦﴾ لأوليائه ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ ﴿٦٨﴾ أي القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحي وهو قوله ﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ ﴾ أي الملائكة ﴿ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ ﴿٦٩﴾ في شأن آدم

مفتوحة، قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالاً، أي رجالاً موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار، وبكوننا نسخر بهم في الدنيا، وعلى الثانية فالجملة استفهامية، حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها، والمعنى: ما لنا لا نرى رجالاً موصوفين، بكوننا عددناهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً، فهم مفقودون من النار، أم زاغت عنهم الأبصار، أي هم معنا في النار، لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم. قوله: **(بضم السين وكسرها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(أي كنا نسخر بهم)** راجع لقراءة الوصل. قوله: **(والياء للنسب)** أي على كل من القراءتين.

قوله: ﴿**أَمْ زَاغَتْ**﴾ على قراءة الوصل تكون ﴿**أَمْ**﴾ بمعنى بل، وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة. قوله: **(وهم فقراء المسلمين)** تفسير لقوله: ﴿**رِجَالاً**﴾. قوله: **(وسلمان)** المناسب اسقاطه، لأن الكلام في أهل مكة، وهو إنما أسلم في المدينة. قوله: ﴿**إِنَّ ذٰلِكَ**﴾ أي المحكي عنهم من أقوالهم وأحوالهم. قوله: **(وهو)** ﴿**تَخَاصُمُ**﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿**تَخَاصُمُ**﴾ خبر لمحذوف، والجملة بيان لاسم الإشارة قوله: ﴿**إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ**﴾ أي لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن، واقتصر على الإنذار لأن كلامه مع الكفار، وهم إنما يناسبهم الإنذار فقط، وإن كان مبشراً أيضاً. قوله: ﴿**الْوَاحِدُ**﴾ أي المعدوم المثيل في ذاته وصفاته وأفعاله، وقد ذكر أوصافاً خمسة، كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية.

قوله: ﴿**رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي مالكهما. قوله: ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ**﴾ كرر الأمر إشارة إلى الاهتمام به. قوله: **(أي القرآن)** تفسير لهو. قوله: **(بما يعلم)** أي من القصص والأخبار وغيرهما. قوله: **(وهو)** أي ما لا يعلم إلا بوحي، وفيه أن ما لا يعلم إلا بوحي، وهو قوله: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ**﴾ إلخ، لا قوله: ﴿**مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ**﴾ إلخ، إلا أن يقال إنه ذكر توطئة وتمهيداً لما لا يعلم إلا بالوحي. قوله: **(أي الملائكة)** أي وابليس. قوله: ﴿**إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ منصوب إما بعلم أو بمحذوف، والتقدير: ما كان لي من علم بالملأ الأعلى وقت اختصامهم، أو ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم. قوله: ﴿**إِلاَّ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ ﴿**إِلاَّ**﴾ أداة حصر، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل يوحى، والتقدير: ما يوحى إلي إلا كوني نذيراً مبيناً، والحصر فيه وفي قوله: ﴿**إنما أنا منذر**﴾ اضافي، والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم.

قوله: ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ**﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(اذكر)** ويصح أن يكون بدلاً من قوله: ﴿**إِذْ يَخْتَصِمُونَ**﴾ إن حمل الاختصام على ما حصل في شأن آدم فقط، وأما إن جعل عاماً، فلا

حين قال الله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ الخ ﴿إن﴾ ما ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠﴾ أي أني ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٧٠﴾ بيِّن الإنذار اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ هو آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾ أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ فصار حياً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ فيه تأكيدان ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ في علم الله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ أي توليت خلقه، وهذا تشريف لآدم، فإن كل مخلوق تولى الله خلقه ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود، استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ

يصح جعله بدلاً منه، بل ظرف لمحذوف. قوله: **﴿إنِّي خَالِقٌ بَشَراً﴾** أي انساناً ظاهر البشر أي الجلد، ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر. قوله: **(أجريت) ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى، وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها. قوله: **(والروح جسم لطيف)** إلخ، هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح، وقيل: إن الروح عرض، وهي الحياة التي صار الجسم بها حياً، وقيل: إنها ليست بجسم ولا عرض، بل هي جوهر مجرد قائم بنفسه، له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك، غير داخل فيه ولا خارج عنه، وهو قول بعض الفلاسفة. قوله: **(بنفوذه فيه)** أي سريانه فيه؛ كسريان الماء في العود الأخضر. قوله: **﴿فقَعُوا﴾** الفاء واقعة في جواب إذا. قوله: **(سجود تحية بالانحناء)** جواب عما يقال: كيف جاز السجود لغير الله تعالى؟ وتقدم قول بأنه كان سجوداً حقيقة بالجباه. وتقدم الجواب عنه، بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز، ما لم يأمر به المولى تعالى، أو يقال: إن السجود لله تعالى، وآدم جعل كالقبلة.

قوله: **﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾** إلخ، قيل: أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، وقيل مائة سنة، وقيل خمسمائة سنة. قوله: **(فيه تأكيدان)** أي فكل منهما يفيد ما أفاد الآخر، وقيل: إن كل للإحاطة، و **﴿أَجْمَعُونَ﴾** للاجتماع، فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم، وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات. قوله: **(كان بين الملائكة)** أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق، وتقدم تحقيق ذلك. قوله: **(في علم الله)** أي أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال، وكان مسلماً عابداً، طاف بالبيت أربعة عشرة ألف عام، وعبد الله ثمانين ألف عام. قوله: **(أي توليت خلقه)** أي بذاتي من غير واسطة أب وأم، وتثنية اليد إظهاراً لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام. قوله: **﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾(الآن)** إلخ، أشار المفسر إلى جواب سؤال وارد وهو أن قوله: **﴿مِنَ الْعَالِينَ﴾** معناه المتكبرين، فيلزم عليه التكرار، فأجاب: بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث، أم لاستكبارك القديم.

قوله: **﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾** هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق، لأنه أجاب بأنه إنما

مِنۡهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ مطرود ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ الجزاء ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾ أي الناس ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾﴾ وقت النفخة الأولى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ أي المؤمنين ﴿قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ونصب الأول، قيل: بالفعل المذكور،

ترك السجود، لكونه خيراً منه، وبين ذلك بأن أصله من النار، وأصل آدم من الطين، والنار أشرف من الطين، لكون النار نورانية، والطين من الأرض وهي ظلمانيـة، والنوراني أشرف من الظلماني، وهذه شبهته، وقد أخطأ فيها، لأن مآل النار إلى الرماد الذي لا ينتفع به، والطين أصـل لكل نـام نابت، كالإنسان والشجرة، ومن المعلوم أن الإنسان والشجرة خير من الرماد، وزيـادة على ذلـك، أن النوع الإنساني تشرف بأمور: الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ والثاني من جهة الصورة المشار إليها بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله: ﴿وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾؛ ولم يحصل ذلك غير النوع الإنساني، فدل على أفضليته. قوله: **(أي من الجنة)** إلخ، هذا الخلاف مبني على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم، هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله؟ فقوله: **(أي من الجنة)** مبني على الأول، و قوله: **(أو من السماوات)** مبني على الثاني، وقيل: المعنى اخرج من الخلقة التي كنت عليها أولاً، لما ورد: أن ابليس كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض، وقبح بعد ما كان حسناً، وأظلم بعد ما كان نورانياً، وروي أن ابليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك، وكان له جناحان من زمرد أخضر، فلما طرد غيرت صورته، وجعله الله معكوساً على مثال الخنازير، ووجهه كالقردة، وهو شيخ أعور، وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس، وعيناه مشقوقتان في طول وجهه، وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير، ورأسه كرأس البعير، وصدره كسنام الجمل الكبير، وشفتاه كشفتي الثور، ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام. قوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ إلخ، فإن قلت: إذا كان الرجم بمعنى الطرد، فاللعنة بمعناه ولزم التكرار. أجيب: بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء، واللعنة والطرد من الرحمة وهو أبلغ.

قـولـه: ﴿وَإِن عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ ذكرها هنا بالإضافة وفي غيرها بالتعريف تفنناً. قوله: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإن قلت: كلمة ﴿إِلَى﴾ لانتهاء الغاية، فتقتضي انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين، مع أنها لا تنقطع. أجيب: أن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوده في العذاب، ومن العبيد طلب ذلك، وفي يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب. قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ أي أمهلني وأخـرني، والفاء متعلقـة بمحذوف تقديرها إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا تمتني إلى يوم يبعثون، أي آدم وذريته، وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم، ويأخذ منهم ثأره، وينجو من من الموت بالكلية، إذ لا موت بعد البعث. فأجابه الله تعالى بالإمهال مدة الدنيا لأجل الإغواء، لا بالنجاة من الموت.

قوله: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ الباء للقسم، ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿قال فبما أغويتني﴾ فإن إغواء الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا. قوله: **(بنصبهما ورفع الأول)** إلخ، أي فالقراءتان

وقيل: على المصدر، أي أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي الناس ﴿ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ مِنْ أَجْرٍ﴾ جعل ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ﴿٨٦﴾ المتقوِّلين القرآن من تلقاء نفسي ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ﴿٨٧﴾ للإنس والجن والعقلاء دون الملائكة ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأَهُۥ﴾ خبر صدقه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ ﴿٨٨﴾ أي يوم القيامة، وعلم بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر أي والله.

سبعيتان. قوله: (وجواب القسم) أي المذكور في بعض الأعاريب المتقدمة أو المحذوفة. قوله: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ توكيد للضمير في ﴿مِنْكَ﴾ وما عطف عليه. قوله: (دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين، وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ والذكر معناه الموعظة والتخويف، وهو لا يناسب إلا الإنس والجن. قوله: (خبر صدقه) أي من ذكره الوعد والوعيد. قوله: (أي يوم القيامة) تفسير لـ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ والحين مدة الدنيا، وقال ابن عباس: بعد الموت، وقيل من طال عمره علم ذلك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾. قوله: (بمعنى عرف) أي فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه، وقيل: إن علم على بابها فتنصب مفعولين، والثاني قوله: ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



مكيّة

إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ ① في صنعه ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ ② من الشرك أي موحداً له ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر مكية

إلا ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ الآية مدنية وهي خمس وسبعون آية

سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها في قوله: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ وسيأتي أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة، وتسمى أيضاً سورة الغرف، لذكر الغرف فيها، قال تعالى: ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ وروي من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه، فليقرأ في سورة الغرف، وورد أنه ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني اسرائيل. قوله: **(إلا قل يا عبادي)** إلخ، أي فإنها نزلت في وحشي قاتل حمزة عم النبي ﷺ، فإنه اسلم بالمدينة، وظاهره أنها آية واحدة، وقيل: إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات، هذه الآية وست بعدها، وقيل: إنهما آيتان، هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ الآية، فتحصل أن فيها ثلاثة أقوال: قيل مكية إلا آية، وقيل إلا آيتين، وقيل الا سبعاً. قوله: **(وهي خمس وسبعون)** وقيل: اثنتان وسبعون.

قوله: ﴿**تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِن اللهِ**﴾ أي انزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره، نزل رداً لقول المشركين ﴿إنما يعلمه بشر﴾ ولقولهم ﴿إن به جنة﴾. قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا**﴾ إلخ، شروع في بيان تشريف المنزل عليه، إثر بيان شأن المنزل، من حيث كونه من عند الله. قوله: ﴿**الْكِتَابَ**﴾ هو عين الكتاب الأول، لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عيناً. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي والباء سببية، والمعنى: بسبب الحق الذي أنت عليه واثباته واظهاره. قوله: ﴿**فَاعْبُدِ اللهَ**﴾ تفريع على قوله: ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ**﴾ إلخ، والخطاب له، والمراد ما يشمل جمع أمته. قوله: ﴿**مُخْلِصاً**﴾ حال من فاعل اعبد، و ﴿**الدِّينَ**﴾ مفعول لاسم فاعل. قوله: **(أي موحداً له)** أي مفرداً له بالعبادة والإخلاص، بأن لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك. قوله: ﴿**أَلَا لِلَّهِ**

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وهم كفار مكة قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ قربى مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ ﴿٣﴾ بعبادته غير الله ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿اتخذ الرحمن ولداً﴾ ﴿لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذه ولداً، غير من قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ لخلقه ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بخلق ﴿يُكَوِّرُ﴾ يدخل ﴿اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ

﴿الدِّينُ﴾ إلخ، **﴿أَلَا﴾** أداة استفتاح، والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص.

قوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾** إلخ، اسم الموصول مبتدأ، **﴿اتَّخَذُوا﴾** صلته، والخبر محذوف قدره المفسر بقوله: (قالوا) وقوله: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** إلخ، مقول لذلك القول، وقوله: **﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾** إلخ، استئناف بياني واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم؟ وهذا هو الأحسن، وقيل: إن خبر المبتدأ وهو قوله: **﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ﴾** إلخ، وقوله: **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** حال من فاعل **﴿اتَّخَذُوا﴾** على تقدير القول، أي قائلين **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** الخ. قوله: **(الأصنام)** قدره اشارة إلى أن **﴿اتَّخَذُوا﴾** تنصب مفعولين، الأول محذوف. قوله: **(وهم كفار مكة)** تفسير للموصول. قوله: **(قالوا)** **﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾** إلخ، أي فكانوا إذا قيل لهم: من خلقكم، ومن خلق السماوات والأرض، ومن ربكم؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى، تشفع لنا عنده. قوله: **(مصدر)** أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى، والتقدير ليزلفونا زلفى، أو ليقربونا قربى، قوله: **(وبين المسلمين)** أشار بذلك إلى أن المقابل محذوف. قوله: **(فيدخل المؤمنين الجنة)** أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر. قوله: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي﴾** أي لا يوفق للهدي من هو كاذب كفار، أي مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى. قوله: **(في نسبة الولد إليه)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي﴾** إلخ، توطئة لقوله: **﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ﴾** إلخ، ويصح أن يكون من تتمة ما قبله، وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى.

قوله: **﴿لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾** أي لو تعلقت ارادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير، والآية اشارة إلى قياس استثنائي حذفت صغراه، ونتيجته وتقريره أن يقال: لو أراد الله أن يتخذ ولداً، لاصطفى مما يخلق ما يشاء، لكنه لم يصطف من خلقه شيئاً، فلم يرد أن يتخذ ولداً. قوله: **(غير من قالوا)** أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه انه ابن الله. قوله: **(تنزيهاً عن اتخاذ الولد)** أي لأنه امتنع عقلاً ونقلاً، أما عقلاً فلأنه يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه، وكونه جنساً منه، يستلزم حدوث الخالق وهو باطل، وأما نقلاً فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية، على أن الله تعالى لم يتخذ ولداً.

قوله: **﴿هُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾** هذا بيان لتنزه في الصفات، اثر بيان تنزهه في الذات، لأن الوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن الولد، والقهارية تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا لكان مقهوراً، تعالى الله عن ذلك. قوله: **﴿خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية،

﴿ٱلنَّهَارِ﴾ يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيۡلِۖ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره، المنتقم من أعدائه ﴿ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٥﴾ لأوليائه ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ من كلٍّ زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ أي نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ

واتصافه بالصفات الجليلة. قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ﴾ من التكوير، وهو في الأصل اللف والليّ، يقال كور العمامة على رأسه، أي لفها ولواها، ثم استعمل في الإدخال والإغشاء، فكان الليل يغشى النهار، والنهار يغشى الليل. قوله: (فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة، ومنتهى النقص عشر ساعات، فالزيادة أربع ساعات، تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار. قوله: (ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانه لانتقال العالم من الدنيا، فإن تسخير الشمس والقمر، إنما كان في الدنيا لمصالح العالم، فلما انتقل العالم، فقد فرغت مصالحه. قوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه، للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها، كأنه قال: تنبهوا يا عبادي، فإني الغالب على أمري، الستار لذنوب خلقي، فلا تشركوا بي شيئاً وأخلصوا عبادتكم لي.

قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر، وجميع صفات الألوهية. قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إن قلت: إن ﴿ثُمَّ﴾ للترتيب، فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء، هو خلاف المعروف المشاهد. وأجيب بثلاثة أجوبة، الأول: أن ﴿ثُمَّ﴾ لمجرد الإخبار، لا لترتيب الإيجاد. الثاني: أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و ﴿ثُمَّ﴾ عاطفة عليه، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها، ثم شفعت بزوج. الثالث: أن معنى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق في دفعة واحدة، لأن الله تعالى خلق آدم، وأودع في صلبه أولاده كالذر، ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منهم حواء.

قوله: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ إلخ إنما عبر عنها بالنزول، لأنها تكونت بالنبات، وهو غذاء لها، والنبات بالماء المنزل، فهو يسمى عندهم بالتدريج، ومنه قوله تعالى: ﴿قد أنزلنا عليكم لباساً﴾ الآية، وقيل: إن الإنزال حقيقة لما روي أن الله خلق الأنعام في الجنة، ثم أنزلها في الأرض، كما قيل في قوله تعالى: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فإن آدم لما هبط إلى الأرض نزل معه الحديد. قوله: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ الزوج ما معه آخر من جنسه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر. قوله: (كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين﴾ الآيات.

قوله: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى. قوله: ﴿خَلْقاً﴾ مصدر ليخلقكم، وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ صفة لخلقا. قوله: (أي نطفاً) إلخ، فيه قصور، وعكس ترتيب الإيجاد، فالمناسب أن يقول: أي حيواناً سوياً، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ بدل اشتمال من بطون أمهاتكم بإعادة الجار، ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه المصدر، لأنه من تتمة العامل فليس

﴿ثَلَٰثٍۚ﴾ هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ ⑥ عن عبادته إلى عبادة غيره ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراده من بعضهم ﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر ﴿لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰۗ﴾ أي لا تحمله ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ⑦ بما في القلوب ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ أي الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾ تضرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعاً ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾ أعطاه

بأجنبي. قوله: (وظلمة المشيمة) أي فهي داخل الرحم، وهو داخل البطن، و (المشيمة) بوزن كريمة، وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء، نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وهي غشاء ولد الإنسان، ويقال لها الغلاف والكيس، ويقال لها من غير ولد الإنسان السلا.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ، و ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران له وجملة ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ خبر ثالث. قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنفة نتيجة ما قبله، أي فحيث ثبت أنه ربنا وله الملك، نتج منه لا إله إلا هو. قوله: ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ أي تمنعون. قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ أي له الغنى المطلق، فلا يفتقر إلى ما سواه. قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أيَ لا يفعل فعل الراضي، بأن يثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل الساخط، بأن ينهى عنه، ويعاقب فاعله ويذمه عليه. قوله: (وإن أراده من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة، بل قد يرضى ولا يريد، وقد يريد ولا يرضى، وإنما التلازم بين الأمر والرضا، خلافاً للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة، ومن هنا قال العلماء: إن الأمور أربعة: تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من المؤمنين، وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم، وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار، وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار. وحكي أن رجلاً من المعتزلة، تناظر مع رجل من أهل السنة، فقال المعتزلي: سبحان منْ تنزه عن الفحشاء، فقال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيريد ربك أن يعصى؟ فقال السني: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرأيت إن منعني الهدى، وحكم عليَّ بالردى، أحسن إلي أم أساء؟ فقال: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له، فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء، فبهت المعتزلي. قوله: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه به، تعالى الله عن ذلك. قوله: (بسكون الهاء) إلخ، أي فالقراءات ثلاث سبعيات.

قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر، وما ورد من أن الدال على الشر كفاعله، فمعناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالته، ولا شك أن دلالته من فعله، فآل الأمر إلى عقابه على فعله، لا على فعل غيره، وقوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ أي وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها، بمعنى أن من كان ناجياً، وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره، فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر. قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ علة لقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي يخبركم بأعمالكم، لأنه عليم بما في القلوب، فضلاً عن غيرها. قوله: (أي الكافر) أشار بهذا إلى أن أل في الإنسان للعهد. قوله: ﴿ضُرٌّ﴾ المراد به جميع المكاره، كانت في نفسه أو ماله أو أهله. قوله: ﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ أي تاركاً عبادة الأصنام، لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به. قوله:

إنعاماً ﴿مِنْهُ نَسِيَ﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ﴾ يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله، فما في موضع من ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِّيُضِلَّ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٨﴾ ﴿أَمَّنْ﴾ بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ﴾ جنة ﴿رَبِّهِۦ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة أم من، فأم بمعنى بل والهمزة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ﴿٩﴾ أصحاب العقول ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ أي عذابه بأن تطيعوه ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالطاعة

(أعطاه إنعاماً) أي اعطاء على سبيل الإنعام والإحسان، فإنعاماً مفعول لأجله، لأن التحويل هو اعطاء النعم على سبيل التفضل والإحسان من غير مقتض لها. قوله: **(وهو الله)** أشار بذلك إلى أن ﴿مَا﴾ موصولة، بمعنى الذي مراداً بها الله تعالى، ويصح أن يراد بها الضر، والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو لكشفه، ويصح أن يكون ﴿مَا﴾ مصدرية، والمعنى نسي كونه داعياً من قبل تحويل النعمة، والأظهر ما قاله المفسر. قوله: ﴿لِيُضِلَّ﴾ اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: **(بفتح الياء وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ الأمر للتهديد، وفيه إشعار بقنوطه من التمتع في الآخرة. قوله: **(بقية أجلك)** أشار بذلك إلى أن ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لموصوف محذوف، أي زماناً قليلاً. قوله: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام. قوله: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ هذا من تمام الكلام المأمور بقوله، وحينئذ فالمعنى قل للكافر ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ إلخ. قوله: **(بتخفيف الميم)** أي والهمزة للاستفهام الأنكاري و ﴿مِنْ﴾ موصولة مبتدأ، خبره محذوف قدره بقوله: **(كمن هو عاص)**. قوله: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ جمع إنى بالكسر والقصر، كمعى وامعاء. قوله: **(ساعاته)** أي أوله وأوسطه وآخره، وفي الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار، لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون». قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل. قوله: **(وفي قراءة أمن)** أي بالتشديد، وعليها فأم داخلة على من الموصولة، فأدغمت الميم في الميم، وترسم على هذه القراءة ميماً واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف، اتباعاً لرسم المصحف والإعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير، وقوله: **(بمعنى بل)** أي التي للإضراب الانتقالي، وقوله **(والهمزة)** أي التي للاستفهام الإنكاري، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي وهم المؤمنون بربهم، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي وهم الكفار. قوله: **(أي لا يستويان)** أشار به إلى أن الاستفهام انكاري بمعنى النفي. قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر.

قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ﴾ إلخ، أمر الله سبحانه وتعالى رسول الله ﷺ بأوامر لنفسه ولأمته، زيادة في الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى، واجتناب الشكوك والأوهام. قوله: **(بأن تطيعوه)** أي تتمثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وهو تفسير للتقوى التي هي جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية. قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ خبر

﴿حَسَنَةٌ﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ عن الطاعة وما يبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ بغير مكيال ولا ميزان ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ ﴿١١﴾ من الشرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٢﴾ من هذه الأمة ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ من الشرك ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ غيره؛ فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتخليد

مقدم و ﴿أَحْسَنُوا﴾ صلته، و ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ متعلق بأحسنوا، ﴿حَسَنَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر. قوله: **(هي الجنة)** أي بجميع ما فيها من النعيم المقيم، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾.

قوله: ﴿**وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ**﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وهي حالية. قوله: **(فهاجروا إليها)** إلخ، أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض أرض الدنيا، والمعنى: من تعسرت عليه التقوى في محل، فليهاجر إلى محل آخر يتمكن فيه من ذلك، إذ لا عذر في التفريط أصلاً، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطاً في صحة الإسلام، فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطاً، وصارت تعتريها الأحكام، فتارة تكون واجبة، كما إذ هاجر من أرض لا يتيسر له فيها اقامة دينه، لأرض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره، وتارة تكون مندوبة، كما إذا هاجر من أرض لا أخيار بها، لأرض بها أخيار، يجتمع عليهم للإرشاد، وتكون مكروهة، كما إذا هاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح، لأرض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل، وتارة تكون محرمة، كما إذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه، لأرض لا يأمن فيها عليه.

قوله: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ**﴾ هذا ترغيب في التقوى المأمور بها. قوله: **(على الطاعات)** أي أو عن المعاصي. قوله: **(وما يبتلون)** أي ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها في قوله: ﴿**وأرض الله واسعة**﴾. قوله: ﴿**بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ أي لما ورد: «تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج؛ فيوفون بها أجورهم، ولا تنصب لأهل البلاء، بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا، أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

قوله: ﴿**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ**﴾ إلخ، الحكمة في هذا الأخبار، اعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه، فإن العادة أن المتصف بخلق، ثم يأمر به، أو يعرض بالأمر به ويؤثر في غيره كما قيل: حال رجل في ألف رجل، أنفع من حال ألف رجل في رجل. قوله: **(من هذه الأمة)** جواب عما يقال: إن رسول الله ﷺ ليس أول المسلمين مطلقاً، فأجاب: بأن الأولية بحسب سبق الدعوة. قوله: ﴿**قُلْ أَنِّي أَخَافُ**﴾ سبب نزولها: أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ما حملك على هذا الذي أتيتنا به، ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها؟ فنزلت، فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصي، لأنه ﷺ إذا كان خائفاً مع كمال طهارته وعصمته، فغيره أولى، وذلك سنة الأنبياء والصالحين، حيث يخبرون غيرهم بما هم متصفون به ليكونوا مثلهم، لا الملوك والمتجبرين، حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به. قوله: **(فيه تهديد لهم)** أي من حيث الأمر. قوله: **(وإيذان)** أي اعلام.

قوله: ﴿**الَّذِينَ خَسِرُوا**﴾ خبر ﴿**إِنَّ**﴾. قوله: ﴿**وَأَهْلِيهِمْ**﴾ أي أزواجهم وخدمهم يوم القيامة، لما

الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدَّة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ ⑮ البيّن ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ طباق ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ من النار ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ أي المؤمنين ليتقوه، يدل عليه ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ⑯ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الأوثان ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟﴾ أقبلوا ﴿إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ⑰ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ

ورد: أن الله تعالى جعل لكل انسان منزلاً وأهلاً في الجنة، فمن عمل بطاعة الله، كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله، فخسر نفسه وأهله ومنزله، وقيل: المراد أهلهم في الدنيا، لأنهم إن كانوا من أهل النار، فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة، فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي حين يدخلون النار. قوله: (**بتخليد الأنفس**) راجع لقوله: ﴿أَنْفُسَهُمْ﴾. قوله: (**بعدم وصولهم إلى الحور العين**) إلخ، راجع لقوله: ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ على سبيل اللف والنشر المرتب. قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي الذي لا خفاء فيه، وتصدير الجملة بأداة التنبيه، إشارة إلى فظاعته وشناعته.

قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿ظُلَلٌ﴾ مبتدأ مؤخر، و ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ حال. قوله: (**طباق**) أي قطع كبار، وإطلاق الظلل عليها تهكم، وإلا فهي محرقة، والظلة تقي من الحر. قوله: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي لغيرهم وإن كان فراشاً لهم، لأن النار دركات، فما كان فراشاً لجماعة، يكون ظلة لآخرين. قوله: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي فالحكمة في ذكر أحوال أهل النار، تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم. قوله: (**يدل عليه**) أي على الوصف المقدر وهو قوله: (**المؤمنين**).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ إلخ، قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم، سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا. قوله: (**الأوثان**) هذا أحد أقوال في تفسيره، وقيل هو الشيطان، وقيل: كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: غير ذلك. قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾(**بالجنة**) أي على ألسنة الرسل، أو على ألسنة الملائكة، عند حضور الموت، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا، بالثناء عليهم بصالح أعمالهم، وعند الموت وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبور، وعند الوقوف للحساب، وعند المرور على الصراط، ففي كل موقف من هذه المواقف، تحصل لهم البشارة بالروح والريحان.

قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ أي الموصوفين باجتناب الأوثان، والإنابة إلى الله تعالى، والإضافة لتشريف المضاف. قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: المراد يسمعون الحسن والقبيح، فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح، وقيل: يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن، وقيل: يسمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون المحكم ويعملون به، ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى، وقيل: يسمعون العزيمة والرخصة، فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة، وكل صحيح. قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ﴾ أي الموصوفون بتلك الأوصاف.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ﴿١٨﴾ أصحاب العقول ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ تخرج ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ ﴿١٩﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ ﴿٢٠﴾ وعده ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أدخله أمكنة نبع ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ﴾ فتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ تذكيراً ﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ ﴿٢١﴾ يتذكرون به، لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته

قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ إلخ، يحتمل أن ما شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ كما قال المفسر، وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار ولطول الكلام، وأقيم الظاهر مقام المضمر، أي أفأنت تنقذه، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مستقلة مؤكدة لما قبلها، وهذه الآية نزلت في حق أبي لهب وولده، ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان، وقد كان حريصاً على إيمانهم. قوله: (والهمزة) أي الأولى والثانية توكيد لها. قوله: (للإنكار) أي الاستفهام الإنكاري. قوله: (والمعنى لا تقدر على هدايته) إلخ، أشار بهذه إلى أن قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مجاز مرسل، حيث أطلق المسبب وأراد السبب، لأن الإدخال في النار، مسبب عن الضلال وترك الهدى، كأنه قال: أنت تهدي من أضله الله، وجعل له النار بسبب ضلاله، وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية، حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول في النار، على طريق المكنية في المركب، وحذف المركب الدال على المشبه به، ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الإنقاذ، وفيه إشكال، انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان، لأستاذنا الشيخ الدردير.

قوله: ﴿لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ أي وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم﴾ الآية، ولكن ليست للاستدراك، وإنما هي للإضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى. قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ مقابل قوله في حق أهل النار ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾. قوله: (بفعله المقدر) أي وتقديره وعدهم الله وعداً. قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلخ، استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها، بما ذكر من أحوال الزرع، تحذيراً عن زخارفها والاغترار بها. قوله: (أدخله أمكنة نبع) أي فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد، بحيث تكون قريبة من وجه الأرض، وتطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض، وكل صحيح. قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً﴾ صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها. قوله: ﴿مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ أي من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض، واختلاف تلك الألوان، إما ثماره أو عوده، ومراده بالزرع كل ما يستنبت. قوله: (فتاتاً) أي متفتتاً ومتمزقاً.

قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ الله صَدْرَهُ﴾ إلخ، الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير:

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ فاهتدى ﴿ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كمن طبع على قلبه دل على هذا ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي عن قبول القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) بينٌ ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾ بدل من أحسن أي قرآناً ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي يشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ

أكل الناس سواء؟ فمن شرح الله صدره إلخ، والاستفهام إنكاري، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذف قدره المفسر بقوله: **(كمن طبع)** الخ، وهذه الآية مرتبة على قوله: ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾. قوله: ﴿**فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ أي نور المعرفة والاهتداء، وفي الحديث: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسخ، فقيل: ما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزوله». قوله: **(دل على هذا)** أي المقدر. قوله: **(كلمة العذاب)** أي كلمة تقيد العذاب للمخاطب بها. قوله: **(أي عن قبول القرآن)** أشار بذلك إلى أن ﴿**مِنْ**﴾ بمعنى عن، وفي الكلام مضاف محذوف، ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل، أي قست قلوبهم من أجل ذكر الله، لفساد قلوبهم وخسرانها. ومن المعلوم المشاهد، أن الأطعمة الفاخرة، تكون داء لبعض المرضى، ومن هنا قول بعض العارفين: ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب.

قوله: ﴿**الله نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ**﴾ إلخ، سبب نزولها: أن أصحاب رسول الله ﷺ حصل لهم بعض ملل، فقالوا لرسول الله ﷺ: حدثنا حديثاً حسناً، فنزلت. قوله: **(في النظم)** أي اللفظ، وقوله: **(وغيره)** أي المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع. قال البوصيري رضي الله عنه في هذا المعنى:

ردت بلاغتها دعوى معارضها ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم
فما تعد ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام من الإكثار بالسأم

واعلم أنه في هذه الآية أثبت أن القرآن متشابه، وفي آية أخرى أثبت أنه محكم، وفي آية أخرى أن بعضه محكم وبعضه متشابه، ووجه الجمع بينها، أن المراد بالمتشابه في آية الاقتصار عليه، ما أشبه بعضه بعضاً في اللفظ، والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب، وبالمحكم في آية الاقتصار عليه، ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالمتشابه في آية الجمع ما خفي معناه، وبالمحكم ما ظهر معناه، وتقدم هذا الجمع. قوله: ﴿**مَثَانِيَ**﴾ جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير، ووصف به المفرد وهو الكتاب، لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر، نظير قولك: الإنسان عروق وعظام وأعصاب. قوله: **(وغيرهما)** أي كالقصص والأحكام.

قوله: ﴿**وَتَقْشَعِرُّ مِنْهُ**﴾ أي تنقبض وتتجمع من الخوف. قوله: **(عند ذكر وعيده)** أشار بهذا إلى أن ﴿**إِلَى**﴾ بمعنى عند. قوله: **(تطمئن)** أي تسكن وتستقر. قوله: **(أي عند ذكر وعده)** أشار إلى أن ﴿**إِلَى**﴾ بمعنى عند، فالتضمين في الحرف وهو أحد وجهين، والآخر أنه ضمن ﴿**تَلِينُ**﴾ معنى تسكن، فعداه بإلى، والمفسر قد جمع بينهما. والحاصل: أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن، ففي حال ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر، وفي حال ذكر الوعد، يغلب عليه الرجاء، فيتسع صدره، وتطمئن

ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ أي أشده بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي كفار مكة ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ أي جزاءه ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ من جهة لا تخطر ببالهم ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ عذابها ما كذبوا ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ يتعظون ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي لبس واختلاف ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ الكفر ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من مثلاً ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ متنازعون سيئة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ﴾

نفسه، لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد، كجناحي الطائر إن عدم أحدهما سقط. قوله: **(أي الكتاب)** أي الموصوف بتلك الصفات. قوله: **﴿هُدَى الله﴾** أي سبب في الهدى أو بولغ فيه، حتى جعل نفس الهدى.

قوله: **﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي﴾** الهمزة داخل على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقي إلخ، ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف، قدره المفسر بقوله كمن أمن منه. قوله: **(مغلولة يداه)** أي وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة، فتشتعل النار فيها، وهي في عنقه، فحرها ووهجها على وجه، لا يطيق دفعها عنه للأغلال التي في يده وعنقه. قوله: **﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾** التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: **(أي كفار مكة)** الأوضح أن يقول: أي الكفار من هذه الأمة. قوله: **(أي جزاؤه)** أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: **﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** بيان لحال المكذبين قبلهم، وما حصل لهم في الدنيا من العذاب. قوله: **(لا تخطر ببالهم)** المراد بالجهة السبب، أي أتاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم، كاللواط في قوم لوط مثلاً. قوله: **﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** أي يصدقون ويوقنون، وقوله: **(ما كذبوا)** جواب **﴿لَوْ﴾**. قوله: **﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾** اللام موطئة لقسم محذوف، ومعنى **﴿ضَرَبْنَا﴾** بينا ووضحنا. قوله: **(حال مؤكدة)** أي لفظ قرآناً، وكما تسمى **(مؤكدة)** بالنسبة لما قبلها، تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها، كما تقول: جاء زيد رجلاً صالحاً. قوله: **﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾** نعت لقرآناً أو حال أخرى. قوله: **(أي لبس واختلاف)** أي فمعناه صحيح لا لبس ولا تناقض فيه. قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾** علة لقوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾**.

قوله: **﴿ضَرَبَ الله مَثَلاً﴾** إلخ، والمعنى: اضرب يا محمد لقومك هذا المثل، واذكره لهم لعلهم يؤمنون قوله: **﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾** التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق، ومثل التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف. قوله: **﴿وَرَجُلاً سَلَماً﴾** بألف بعد السين مع كسر اللام، وتركها مع فتح السين واللام، قراءتان سبعيتان، فالأولى اسم فاعل، والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة، وقرىء

تمييز، أي لا يستوي العبد لجماعة، والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد، تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للواحد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ بلى ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فالذي بمعنى الذين ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ الشرك ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ لأنفسهم بإيمانهم

شذوذاً بكسر السين وسكون اللام. قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: (تمييز) أي محول عن الفاعل، والمعنى لا يستوي مثلهما وصفتهما. قوله: **(أي لا يستوي العبد لجماعة)** هذا هو المثل المحسوس للمشرك الذي يعبد غير الله، فقوله: **(لجماعة)** أي سيئة اخلاقهم، وقوله: **(والعبد لواحد)** هذا هو المثل المحسوس للموحد الذي يعبد الله وحده، وقوله: **(فإن الأول)** إلخ، تقرير للمثل الأول، ولم يتعرض للثاني لوضوحه.

قوله: **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** أي على عدم استواء هذين الرجلين. قوله: **﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي مع بيان ظهوره، وهو اضراب انتقالي من بيان عد الاستواء على الوجه المذكور، إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك. قوله: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾** العامة على التشديد وهو من سيموت، وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل. قوله: **(فلا شماتة بالموت)** الشماتة الفرح ببلية العدو. قوله: **(نزلت لما استبطؤوا موته)** إلخ، أي وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته، فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم، فلا معنى لشماتة الفاني بالفاني. قوله: **(أيها الناس)** أي مؤمنكم وكافركم، وقوله: **﴿تَخْتَصِمُونَ﴾** أي يخاصم بعضكم بعضاً، فيقتص للمظلوم من الظالم، لما روي أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم ولا متاع له، فقال رسول الله ﷺ: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا؛ وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار». قوله: **(أي لا أحد)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **﴿مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾** أي ومن جملة الكذب على الله، الكذب على رسوله، بأن يقول مثلاً: قال رسول الله كذا، أو هذا شرعه، والحال أنه لم يكن قاله، ولم يكن شرعه.

قوله: **﴿إِذْ جَاءَهُ﴾** ظرف لكذب بالصدق، والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه. قوله: **(بلى)** أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريري، والمعنى **﴿فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ﴾** لأن (بلى) يجاب بها النفي ويصيره إثباتاً كما تقدم. قوله: **(فالذي بمعنى الذين)** أي بالنسبة للصلة الثانية، ولذا روعي معناه، فجمع في قوله: **﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** وروعي لفظه في قوله: **﴿جَاءَ﴾** و **﴿صَدَّقَ﴾** قوله: **﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ﴾** أي كل ما

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أسوأ وأحسن، بمعنى السيِّىء والحسن ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي النبي بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي انتِقَامٍ﴾ ﴿٣٧﴾ من أعدائه؟ بلى ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾؟ لا، وفي قراءة بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ يثق الواثقون ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي

يشتهون من وقت حضور الموت، كالأمن من الفتانات عنده، ومن فتنة القبر وعذابه، ومن هول الموقف إلى غير ذلك. قوله: (**لأنفسهم**) متعلق بالمحسنين، وفيه إشارة إلى أن إحسان الإنسان لنفسه، وثمرته عائدة عليها، فلا يعود على الله نفع محسن، ولا ضر مسيء، تعالى الله عنه، والإحسان للنفس، يكون بطاعة الله والالتجاء إليه وبذل المعروف للخلق محبة في الخالق، وبهذا تكون النفس عزيزة: ومن أعز نفسه أعزه الله. وبضدها تتميز الأشياء.

قوله: ﴿**لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ**﴾ متعلق بمحذوف، أي يسر الله لهم ذلك ليكفر إلخ، واللام للعاقبة والصيرورة، وهو تفصيل لقوله: ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ**﴾. قوله: (**بمعنى السيىء والحسن**) أي فافعل التفضيل ليس على بابه، وهو جواب عما يقال: مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط، ويجازون على الأحسن فقط، ولا يكفر عنهم السيىء، ولا يجازون على الحسن. قوله: ﴿**عَبْدَهُ**﴾ أي رسول الله ﷺ، وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله وهو الأتم، ويؤيده قراءة عباده بالجمع، وهي سبعية أيضاً، والمعنى أنه من أخلص لله في عبادته، كفاه ما أهمه في دينه ودنياه وآخرته.

قوله: ﴿**وَيُخَوِّفُونَكَ**﴾ يصح أن تكون الجملة حالية، والمعنى أن الله كافيك في كل حال تخويفهم لك، ويصح أن تكون مستأنفة. قوله: (**أو تخبله**) أي تفسد أعضاءه وتذهب عقله. قوله: ﴿**ذِي انْتِقَامٍ**﴾ أي ينتقم من أعدائه لأوليائه، وتأخير قوله: (**بلى**) للإشارة إلى أنه راجع لقوله: ﴿**ذِي انْتِقَامٍ**﴾ أيضاً. قوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ أي فلا جواب لهم غيره، لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والإيجاد. قوله: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ**﴾ إلخ، رأى متعدية لمفعولين: الأول قوله: ﴿**مَا تَدْعُونَ**﴾، والثاني قوله: ﴿**هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**﴾ إلخ، وقوله: ﴿**إِنْ أَرَادَنِي**﴾ إلخ، جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثاني، وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثاني عليه، وتقديره لا كاشف له غيره. قوله: ﴿**إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ**﴾ قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام. قوله: ﴿**هَلْ هُنَّ**﴾ عبر عنها بضمير الإناث تحقيراً لها، ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث، كاللات والعزى ومناة. قوله: (**وفي قراءة بالإضافة**) أي وهي سبعية أيضاً. قوله: ﴿**قُلْ حَسْبِيَ اللهُ**﴾ أي كافيّ فلا ألتفت لغيره. قوله: (**يثق الواثقون**) أي يعتمد المعتمدون.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿مَن﴾ موصولة مفعولة العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾ ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بأنزل ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ اهتداؤه ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ فتجبرهم على الهدي ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ﴾ يتوفى ﴿ٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ أي يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ أي وقت موتها، والمرسلة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على

قوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا﴾ إلخ، هذا الأمر للتهديد. قوله: **(حالتكم)** أي وهي الكفر والعناد، وفيه تشبيه الحال بالمكان، بجامع الثبوت والاستقرار في كل. قوله: **(مفعولة العلم)** أي لأنها بمعنى عرف، فتنصب مفعولاً واحداً. قوله: ﴿يُخْزِيهِ﴾ أي يهينه ويذله. قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي لمصالح الناس في معاشهم ومعادهم. قوله: **(متعلق بأنزل)** ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال، إما من فاعل أنزل، أو من مفعوله. قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ هذا تسلية له ﷺ، والمعنى ليس هداهم بيدك ولا في ضمانتك، حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدنا، فإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال.

قوله: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي يقبض الأرواح عند حضور آجالها، فالنفس والروح شيء واحد على التحقيق، وذلك القبض ظاهر، بحيث ينعدم التمييز والإحساس، وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة. قوله: ﴿وَ﴾**(يتوفى)** ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على ﴿الأَنْفُسَ﴾ مسلط عليه ﴿يَتَوَفَّى﴾ والمعنى يقبض الأرواح التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهراً، بحيث ينعدم التمييز والإحساس لا باطناً، فإن الحياة والنفس والحركة باقية، ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية، تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة، وعقله الإدراك، وأما في حالة اليقظة، فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً، لأنها جسم لطيف شفاف، مشتبك بالاجسام الكثيفة، اشتباكاك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها، وقيل مقرها القلب، وشعاعها مقوم للجسد، كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورها سار في جميع أجزائه.

قوله: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوتَ﴾ أي لا يردها إلى جسدها، وتحيا حياة دنيوية. قوله: **(أي وقت موتها)** ظاهره أن قوله: ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ راجع لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى﴾ فقط، ويصح رجوعه له وللذي قبله، ويراد بالأجل المسمى في الممسوكة النفخة الثانية. قوله: **(نفس التمييز)** أي والإحساس. قوله: **(نفس الحياة)** أي والحركة والنفس. قوله: **(بخلاف العكس)** أي فمتى ذهبت نفس الحياة، لا تبقى نفس التمييز والإحساس، واعلم أنه اختلف، هل في الإنسان روح واحدة والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق، أو روحان: إحداهما روح اليقظة، التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان متيقظاً، فإذا خرجت منه، نام الإنسان ورأت تلك الروح المنامات، والأخرى: روح الحياة، التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حياً، فإذا فارقته مات، فإذا رجعت إليه حيي، وكلام المفسر محتمل للقولين. قوله: **(المذكور)** أي من التوفي والإمساك والإرسال. قوله:

البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك ﴿أَمِ﴾ بل ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي الأصنام آلهة ﴿شُفَعَآءَ﴾ عند الله بزعمهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ أي هو مختص بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي دون آلهتهم ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنى يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ من أمر الدين اهدني لما اختلفوا فيه من الحق ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَبَدَا﴾ ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ يظنون ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ أي العذاب ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾ أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾ إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأني له أهل ﴿بَلْ هِىَ﴾ أي القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾

(وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ إضراباً انتقالياً. قوله: **(أي الأصنام)** بيان للمفعول الأولى. قوله: ﴿أَ﴾**(يشفعون)** أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه. قوله: ﴿لَا﴾ أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي. قوله: **(أي وهو مختص بها)** جواب عما يقال: مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى، مع أنه قد جاء في الأخبار: إن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب: بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله، وشفاعات بإذن الله ورضاه، قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾. قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون فيجازيكم بأعمالكم.

قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ﴾ ﴿إِذَا﴾ معمولة لقوله: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي لنسيانهم حق الله تعالى، وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق، الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها، على مجالس الطاعات. قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ أي التجىء إلى ربك بالدعاء والتضرع، فإنه القادر على كل شيء. قوله: **(أي يا الله)** أي فحذفت يا النداء، وعوض عنها الميم وشددت، لتكون على حرفين كالمعوض عنه. قوله: **(اهدني)** هذا هو المقصود بالدعاء، وتمام تلك الدعوة النبوية على ما ورد: اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ إلخ، بيان لغاية شدة ما ينزل بهم. قوله: ﴿لافْتَدَوْا بِهِ﴾ أي بالمذكور من الأمرين. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف ﴿لافْتَدَوْا﴾. قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ إلخ، كلام مستأنف أو معطوف على قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ ظَلَموا﴾ إلخ. قوله: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم. قوله: **(الجنس)** أي فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده. قوله: **(إنعاماً)** أي تفضلاً وإحساناً. قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾**(من الله)** إلخ أي أو مني بوجود سببه، أو أني أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي. قوله: **(أي القولة)** أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على **(القولة)** وقيل عائد

بلية يبتلى بها العبد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٩﴾ أن التخويل استدراج وامتحان ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، كقارون وقومه الراضين بها ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٥٠﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي جزاؤها ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥١﴾ بفائتين عذابنا، فقحطوا سبع سنين ثم وسع عليهم ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾ به ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ بكسر النون وفتحها، وقرىء بضمها تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من

على النعمة، والمعنى أن النعمة فتنة، أي امتحان واختبار، هل يشكر عليها أو يكفرها. قوله: (أن التخويل) أي إعطاء النعم تفضلاً وإحساناً. قوله: (الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل، وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها. قوله: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي جزاء أعمالهم السيئة. قوله: ﴿مِنْ هٰؤُلَاءِ﴾ بيان للذين ظلموا. قوله: (فقحطوا سبع سنين) أي أوائل سني الهجرة، حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق. قوله: (ثم وسع عليهم) أي استدراجاً لهم، لا رضاً عليهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي القائلون: إنما أوتيته على علم عندي. قوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي وإن كان لا حيلة له ولا قوة، طائعاً أو عاصياً، وقوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي لمن يشاء، وإن كان قوياً شديداً، طائعاً أو عاصياً، فليس لبسط الرزق الدنيوي ولا لقبضه، مدخل في محبة الله ولا بغضه، بل بحكمته تعالى. قوله: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ﴾ أي المذكور.

قوله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ الخ، سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ بعث إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك، وأنت تزعم أنه من قتل أو اشرك أو زنى يلق أثاماً يضاعف له العذاب، وأنا فعلت ذلك كله؟ فأنزل الله ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ فقال وحشي: هذا شرط شديد، لعلي لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ قال وحشي: اراني بعد في شبهة، أيغفر لي أم لا؟ فنزلت هذه الآية، فقال وحشي: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم، وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثم قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى، وفيها من أنواع المعاني والبيان أمور حسان، منها: إقباله تعالى على خلقه ونداؤه إياهم. ومنها: إضافتهم إليه إضافة تشريف، ومنها: التفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾. ومنها: إضافة الرحمة لأجل اسمائه، الجامع لجميع الأسماء والصفات، وهو لفظ الجلالة. ومنها: الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بأن وضمير الفصل في قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ للإشارة إلى أنه تعالى لا وصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة، ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم في قوله ﴿ولو أن الذين ظلموا ما في الأرض جميعاً﴾ الآية، أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن، ليجمع العبد بين الرجاء والخوف. قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي فرطوا في الأعمال الصالحة، وارتكبوا سيىء الأعمال، واكثروا منه. قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ إن قلت: إن في هذا إغراء بالمعاصي، واتكالاً

الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ ارجعوا ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ﴿٥٤﴾ بمنعه إن لم تتوبوا ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ هو القرآن ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ قبل إتيانه

على غفرانه تعالى، وهو لا يليق. اجيب: بأن المقصود تنبيه العاصي على إنه ينبغي له أن يقدم على التوبة، ولا يقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراء بالمعاصي، بل هو تطمين للعصاة، وترغيب لهم في الإقبال على ربهم. قوله: **(بكسر النون وفتحها)** أي من باب جلس وسلم وهما سبعيتان. قوله: **(وقرىء بضمها)** أي من باب دخل، وهي شاذة.

قوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾** أي إشراكاً أو غيره، وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر، لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلماً ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه، ثم يدخله الجنة، وأما من مات مشركاً، فلا يغفر له بنص قوله تعالى﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾ومن هنا قيل: رحمة الله غلبت غضبه، لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركاً، بخلاف دار الرحمة، فهي لمن عدا ذلك. قوله: **(لمن تاب من الشرك)** إنما خص الشرك، لأن التوبة منه مقبولة قطعاً بنص قوله تعالى:﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾بخلاف التوبة من غير الشرك، ففيها قولان: قيل مقبولة ظناً، وقيل قطعاً، والفرق أن تعذيب العاصي تطهير، وتعذيب الكافر غضب، فمآل العاصي للجنة، وإن طالت مدته في النار، لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر، فمعاملته بالعدل. قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾** تعليل لما قبله، وهذان الوصفان يكونان لمن تاب، فالغفران له دخوله الجنة.

قوله: **﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾** أتى بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكل العاصي على الغفران، ويترك التوبة والرجوع إلى الله، فأفاد أن الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوب، ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم. قوله: **(إن لم يتوبوا)** راجع لقوله: **﴿مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾**. قوله: **﴿وَٱتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾** أي على لسان أحسن نبي وهو محمد ﷺ، وهذا معطوف على قوله: **﴿وَأَنِيبُوا﴾** والمعنى: ارجعوا إلى ربكم، والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه، وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولكن من أدركه التكليف كلف بإتباعه، ومن لم يدركه بأن كان متقدماً عليه، يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه، ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم، إن ظهر محمد ﷺ وأحدهم حي يلزمه اتباعه، وفي الحديث: «لو أدركني موسى ما وسعه إلا اتباعي». وحينئذ فالمعنى: اتبعوا يا عبادي من أول الزمان لآخره، أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم، فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه، لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت، ولذا كلف به من بقي حياً حتى أدركه، كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام. قوله: **(القرآن)** تفسير لأحسن، فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة، وأحسنها القرآن، وهذا كله على ما فهم المفسر، وقيل: معنى **﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾** الخ، أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيه، أو عزائمه دون رخصه، أو ناسخه دون منسوخه، أو ما هو أعم، والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر.

بوقته، فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾ أصله يا حسرتي أي ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة أي وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ بدينه وكتابه ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٥٧﴾ عذابه ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨﴾ المؤمنين، فيقال له من قبل الله ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ القرآن وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩﴾ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ عن الإيمان؟ بلى

قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: **(بادروا قبل)** ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ الخ، وقدره غيره، كراهة أو مخافة ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ الخ، وحينئذ فيكون مفعولاً لأجله، وهو أسهل مما قدره المفسر، والمراد نفس الكافر، ونكرها للتحقير. قوله: **(أصله يا حسرتي)** أي فقلبت الياء ألفاً، فهي في محل جر ونداؤها مجاز، أي هذا أوانك فاحضري. قوله: **(أي طاعته)** أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازاً، لأن الجنب في الأصل الجهة المحسوسة، ويرادفه الجانب، فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه، لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى، والجهة لها تعلق بصاحبها. قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ الجملة حالية، والمعنى فرطت في جنب الله وأنا ساخر. قوله: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ الخ، ﴿أَوْ﴾ للتنويع في مقالة الكافر. قوله: **(بالطاعة)** وفي نسخة بإلطافه أي إسعافه، ولو قال بآياته لكان أظهر. قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إما معطوف على ﴿كَرَّةً﴾ فيكون من جملة التمني، والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص، نظير قول الشاعر:

لولا توقع معتر فأرضيه ... ما كنت أوثر أتراباً على ترب

ويكون إضمار ﴿أَنَّ﴾ جائزاً لا واجباً، قال ابن مالك:

وإن على اسم خالص فعل عطف ... تنصبه إن ثابتاً أو منحذف

أو منصوب في جواب التمني، ويكون مرتباً على التمني، والفاء للسببية، وإضمار ﴿أَنَّ﴾ واجب. قوله: **(فيقال له)** الخ، أي جواباً لمقالته الثانية، وأخر عن الثانية، ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض، ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة، لئلا يكون مخالفاً للترتيب الوجودي، فإن الكافر أولاً يتحسر، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، إن قلت: إن ﴿بَلَى﴾ يجاب بها النفي ولا نفي في الآية، أجيب: بأن الآية متضمنة للنفي، لأن معنى قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي﴾ لم يهدني. قوله: **(وهي سبب الهداية)** أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل، وأما إن أريد بها مطلق الدلالة، فالآيات نفسها دالة. قوله: **(بنسبة الشريك)** الخ، أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي للكفر، وإلا فظاهر الآية يعم كل كذب على الله تعالى، وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب على الله تعالى، كالافتاء بغير الشرع، ورواية الحديث بالكذب.

قوله: ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية، أو مفعول ثان إن جعلت

﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦١﴾ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ متصرف فيه كيف يشاء ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٦٣﴾ متصل بقوله ﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ الخ، وما بينهما اعتراض ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ۝٦٤﴾ غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ﴾ والله ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ

علمية. قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ الخ، هذا تقرير لاسوداد وجوههم. قوله: ﴿ٱتَّقَوْا﴾ (الشرك) أي جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان، وهذه تقوى العامة، وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصي، وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير ببالهم. قوله: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ الباء سببية متعلقة بينجي، وفي قراءة سبعية أيضاً بمفازاتهم جمعاً باعتبار الأشخاص. قوله: (أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة. قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوءُ﴾ يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم، فلا محل لها من الإعراب، ويحتمل أن تكون حالية من قوله: ﴿الَّذِينَ ٱتَّقَوْا﴾.

قوله: ﴿ٱللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هذا دليل لما قبله، ودخل في الشيء الجنة وما فيها، والنار وما فيها، وحينئذ فلا مشارك لله في خلقه. قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المقاليد جمع مقلاد أو مقليد، والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السماوات أو الأرض، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السماوات والأرض، من تكلم بها فتحت له. قوله: (من المطر) الخ، بيان للخزائن. قوله: (متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه، من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه. قوله: (المعمول لتأمروني) أي والأصل أتأمرونني بأن أعبد غير الله، قدم مفعول ﴿أَعْبُدُ﴾ على تأمرونني العامل في عامله وحذفت. قوله: (بنون واحدة) أي مخففة مع فتح الياء لا غير، وهذه النون الرفع، كسرت للمناسبة، واستغني بها عن نون الوقاية. قوله: (بإدغام) أي مع فتح الياء وسكونها وقوله: (وفك) أي مع سكون الياء لا غير، فالقراءات أربع سبعيات.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ الخ، اللام موطئة لقسم محذوف، أي والله لقد أوحي الخ، ونائب الفاعل قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ الخ، والمعنى أوحي اليك هذا الكلام. قوله: (فرضاً) أي على سبيل التقدير وفرض المحال، وهو وجواب عن سؤال مقدر: كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم؟ وقيل: المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك، إن قلت: كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟ أجيب: بأن المعنى أوحي إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ، كما يقال: كسانا الأمير حلة، أي كسا كل واحد منا حلة. قوله: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ من باب تعب، وقرىء شذوذاً من باب ضرب.

﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ إنعامه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي السبع ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي مقبوضة له، أي في ملكه وتصرفه ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ معه ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ

قوله: ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني وهو ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾، والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الأول ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ﴾ وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة. قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ عطف على محذوف، والتقدير فلا تشرك بل الله الخ. قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته، لأن الشكر على ذلك، أفضل من الشكر على باقي النعم.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إن قلت: إن مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته، ومقتضى قوله ﷺ: «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك». وقوله: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته، إنه لا يعلم الله إلا الله» فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم، وهي تنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات، والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الإدراك ادراك، والبحث عن الذات اشراك، ولم يكلفنا الله إلا بأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى. قوله: **(أو ما عظموه حق عظمته)** مفهومه أنهم عظموه ولا حق تعظيمه وهو كذلك، لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر، الخالق لكل شيء.

قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعاً﴾ الخ، الجملة حالية من لفظ الجلالة والمعنى ما عظموه حق تعظيمه، والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة، وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها. قوله: **(أي في ملكه وتصرفه)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض، بل المراد التصرف والملك، ظاهراً وباطناً، بخلاف أمور الدنيا، فإن للعبيد فيها أملاكاً ظاهرية، وقيل: إنه كناية عن انعدامها بالمرة وهو ظاهر، ويقال في الطي مثل ذلك له.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ الخ، التعبير في هذا وما بعده بالماضي لتحقق وقوعه، أي لكونه واقعاً في علم الله تعالى أزلاً، لأن كل ما ظهر فهو جار في سابق علمه تعالى، والنافخ اسرافيل وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره عليهم السلام، والصور بسكون الواو في قراءة العامة وهو القرن، فيه ثقب بعدد جميع الأرواح، وله ثلاث شعب: شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها، وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى، وشعبة في فم اسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وقدماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام. قوله: **(النفخة الأولى)** ظاهر المفسر أن النفخ مرتان: نفخة الصعق، ونفخة البعث، وهو ظاهر الآية، وقيل: إن النفخ ثلاث مرات: فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم

ٱللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ينتظرون ما يفعل بهم ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى

وتسخير البحار، والناس أحياء والهون ينظرون إليها، فتذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هو بسكارى وهي المعنية بقوله تعالى: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾والنفخة الثانية يكون بها الصعق، وعندها يموت كل من كان حياً حياة دنيوية، وأما من كان حياً حياة برزخية فإنه يغشى عليه، والنفخة الثالثة نفخة القيام، وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح، لتستريح الأرض من الهول الذي حصل لها، وفي تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض، ولا حي على ظهرها من سائر المخلوقات. قوله: (مات) أي ما كان حياً في الدنيا، ويغشى على من كان ميتاً من قبل، لكنه حي في قبره، كالأنبياء والشهداء. قوله: (من الحور) الخ، أي فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت. ويستثنى منه بمعنى الغشي والدهش موسى عليه السلام، فإنه لا يغشى عليه، بل يبقى متيقظاً ثابتاً، لأنه صعق في الدنيا في قصة الجبل، فلا يصعق مرة أخرى. قوله: (وغيرهما) أي كجبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين، لما روي: أن رسول الله ﷺ تلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الآية فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم، فيقول: يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خذ نفس اسرافيل وميكائيل، فيخران ميتين كالطودين العظيمين، فيقول: مت يا ملك الموت، فيموت، فيقول الله لجبريل: يا جبريل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وجهك الباقي الدائم، وجبريل الميت الفاني، فيقول الله تعالى: يا جبريل لا بد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه يقول: سبحانك ربي تباركت وتعاليت، يا ذا الجلال والإكرام».

قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ أي بعد أربعين سنة على الصحيح، وقرب نفخة القيام، تأتي سحابة من تحت العرش، فتمطر ماء خاثراً كالمني، فتنبت أجسام الخلائق كما تنبت البقل فتتكامل أجسامهم، وكل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب، فإنه يبقى مثل عين الجرادة لا يدركه الطرف، فتركب عليه أجزاؤه، فإذا تم وتكامل، نفخ فيه الروح، ثم انشق عنه القبر، ثم قام خلقاً سوياً، وفي النفخة الثانية يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، والأعضاء المتمزقة، والشعور المنتشرة، إن الله المصور الخالق يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، فيجتمعن، ثم ينادي: قوموا للعرض على الجبار فيقومون، كما قال تعالى: ﴿يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾ الآية، فإذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله، كما قال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ويمشي المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم، كما قال تعالى: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾وفي الآية الأخرى ﴿يحملون أوزارهم على ظهورهم﴾. قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير، وقرىء شذوذاً بالنصب على الحال، وخبر الضمير.

قوله: ﴿يَنْظُرُونَ﴾. قوله: (ما يفعل بهم) أي من الحساب والمرور على الصراط، وإدخالهم الجنة أو النار.

لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي بمحمد ﷺ وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ شيئاً ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ فلا يحتاج إلى شاهد ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ جواب إذا ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ

قوله: ﴿وأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ المراد بالأرض: الأرض الجديدة المبدلة التي يحشر الناس عليها. قوله: (حين يتجلى) أي حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما في الحديث: «سترون ربكم لا تمارون فيه كما لا تمارون في الشمس في اليوم الصحو». وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضيء به الأرض، وليس من نور الشمس والقمر، وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون. قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي أعطي كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله.

قوله: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ أي وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثم يقول لكفار الأمم: ألم يأتكم نذير؟ فينكرون ويقولون: ما جاءنا من نذير، فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون: كذبوا قد بلغناهم، فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون: أمة محمد تشهد لنا، فيؤتى بأمة محمد ﷺ فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا، فتقول الأمم الماضية: من أين علموا، وإنما كانوا بعدنا؟ فيسأل هذه الأمة فيقولون: أرسلت إلينا رسولاً، وأنزلت علينا كتاباً، أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل، وأنت صادق فيما أخبرت، ثم يؤتى بمحمد ﷺ فيسأله الله تعالى عن أمته، فيزكيهم ويشهد بصدقهم. قوله: (أي العدل) أي بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل. قوله: (أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: (أي عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه، إذ لا مشاركة بين القديم والحادث. قوله: (فلا يحتاج إلى شاهد) أي لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها، وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة، منها إقامة الحجة على من عائد، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله:

والعرش والكرسي ثم القلم ... والكاتبون اللوح كل حكم
لا لاحتياج وبها الإيمان ... يجب عليك أيها الإنسان

قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الخ، هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾. قوله: (بعنف) أي شدة، لأنهم يضربون من خلف بالمقامع، ويسبحون من أمام بالسلاسل والأغلال. قوله: ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ المراد دار العذاب بجميع طبقاتها. قوله: ﴿زُمَراً﴾ جمع زمرة من الزمر وهو الصوت، سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالباً عنه. قوله: (جماعات متفرقة) أي فوجاً فوجاً كما في آية ﴿كلما ألقي فيها فوج﴾ والمعنى كل أمة على حدة. قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا﴾ ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل. قوله: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي ليتلقوا حرارتها بأنفسهم. قوله: (جواب إذا) أي باتفاق. قوله: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ أي من جنسكم. قوله: (القرآن) أي بالنسبة لأمة محمد ﷺ، وقوله:

عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ مقدرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٢﴾ جهنم ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ حال ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾

(وغيره) أي بالنسبة لبقية الأمم. قوله: ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه، فإنه مختلف باعتبار الأشخاص، فيكون نعيماً وسروراً للمؤمنين، وشدة وعذاباً للكافرين.

قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ إقرار بما وقع منهم، وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعاً في النجاة، فلما قامت الحجج عليهم، وتحتم الأمر بعذابهم، رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقروا، وبالجملة فالقيامة مواطن، تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم، وتارة يقرون بألسنتهم. قوله: ﴿عَلَى ٱلْكَافِرِينَ﴾ أظهر في محل الإضمار، إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر. قوله: **(مقدرين الخلود)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة، وذلك لأنهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم منتظرون ومقدرون الخلود. قوله: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أظهر في محل الإضمار، إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذي استحقوا به العذاب، وقوله: **(جهنم)** هو المخصوص بالذم.

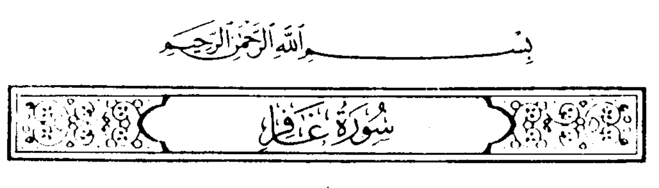
قوله: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به، ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين. قوله: **(بلطف)** أشار بذلك إلى أن السوق في الموضعين مختلف، فسوق الكفار سوق إهانة وانتقام، وسوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام، وفي المعنى: سوق المؤمنين سوق مراكبهم، لأنهم يذهبون راكبين، فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان، فشتان ما بين السوقين، وهذا من بديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان في حق جماعة، وعلى العز والرضوان في حق آخرين. قوله: ﴿زُمَراً﴾ أي جماعات على حساب قربهم ومراتبهم.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية. قوله: **(الواو فيه للحال)** والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها، أن أبواب السجن مغلقة، إلى أن يجيئها صاحب الجريمة، فتفتح له ثم تغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح، فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها. قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ عطف على قوله: ﴿جَاءُوهَا﴾. قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سلمتم من كل مكروه، وقوله: ﴿طِبْتُمْ﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي، لما رود: أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، يشرب المؤمنون من احداهما، فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم، فعندها يقول لهم خزنتها ﴿ٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. قوله: **(وجواب إذا مقدر)** هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل: إن جوابها قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ والواو زائدة، وقيل: هو قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ والواو زائدة. قوله: **(وسوقهم)** مبتدأ و **(تكرمة)** خبره، وكذا ما بعده.

مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر أي دخلوها وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم، وسوق الكفار، وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ عطف على دخلوها المقدر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ أي أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾ ننزل ﴿مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ الجنة ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ حال ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ حال من ضمير حافين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ بين جميع الخلائق ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٧٥﴾ ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ أي بعد استقرارهم في الجنة. قوله: ﴿الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أي حققه لنا في قوله: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾. قوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾ أي ملكها لنا نتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه، وقد كانت لآدم وحده، فأخذها أولاده إرثاً لها منه، وقيل: المراد أورثنا أرض الجنة التي كانت للكفار لو آمنوا، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث، فإنه ملك بلا ثمن، ولا شبهة لأحد فيه، فكذلك منازل الجنة. قوله: **(لا يختار فيها مكان على مكان)** أي بل يرى كل إنسان بمكانه الذي أعد له، بحيث لو أطلق الاختيار لا يختار غيره، لزوال الحقد والحسد، من القلوب، وهذا جواب عما قيل: كيف ذلك، مع أن كل إنسان له محل معد لا سبيل له إلى غيره؟ وأجيب أيضاً: بأن المعنى يختار من منازله من يشاء، لما ورد: أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسناً، فيتبوأ من جنته حيث يشاء، ولا يخطر بباله غيرها. قوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ﴾ هذا من كلام الله تعالى، زيادة في سرور أهل الجنة، وقوله: **(الجنة)** هو المخصوص بالمدح.

قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، بل ولكل مؤمن زيادة في السرور، لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم، لاتحاد روحانيتهم مع الإنس، وأما في الدنيا فمفزع، لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب، فلا يستطيع رؤية المقربين. قوله: **(حافين)** أي محيطين مصطفين بحافته وجوانبه. قوله: **(أي يقولون سبحان الله وبحمده)** أي تلذذاً، لأن منتهى درجاتهم الاستغراق في تسبيحه تعالى وتقديسه. قوله: **(ختم استقرار الفريقين)** الخ، أي كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد في قوله: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي حمده في مبدأ كل أمر ونهايته. قوله: **(من الملائكة)** أي بل ومن جميع الخلق، فإن جميع أهل الجنة، يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.



مكيّة

وآياتها خمس وثمانون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾﴿١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن مبتدأ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر مكية

إلا ﴿الذين يجادلون﴾ الآيتين . وهي خمس وثمانون آية

وتسمى سورة المؤمن، لقوله في أثنائها ﴿وقال رجل مؤمن﴾ وسورة الطول، لافتتاحها به في أوصاف الباري تعالى، واعلم أنه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «الحواميم ديباج القرآن». ومنها: «لكل شيء ثمرة، وإن ثمرة القرآن ذوات حم، هن روضات حسان مخصبات متجاورات، من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم». ومنها: «مثل الحواميم في القرآن، كمثل الحبرات في الثياب». ومنها: «لكل شيء لباب، ولباب القرآن الحواميم». ومنها: «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع، جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم، فكل حم تقف يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول: لا يدخل النار من كان يؤمن بي ويقرؤني». فتحصل أنه يقال: حواميم، وآل حم، وذوات حم، خلافاً لمن أنكر الأول. قوله: **(مكية)** أي وكذا بقية الحواميم. قوله: **(إلا الذين يجادلون)** الخ، الصواب أن يقول: إلا ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر﴾ الآيتين، وأول الآية الثانية ﴿لخلق السموات والأرض﴾ الآية، لأن هاتين الآيتين هما المدنيتان، خلافاً لما يوهمه المفسر. قوله: **(خمس وثمانون)** وقيل: اثنتان وثمانون.

قوله: ﴿حمٓ﴾ بسكون الميم في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بضم الميم وفتحها وكسرها. فالأول على أنه خبر لمحذوف. والثاني على أنه مفعول محذوف، ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث، أو شبه العجمة. والثالث على أنه مبني على الكسر مبتدأ خبره محذوف، أي هذا محله مثلاً. قوله: **(الله أعلم بمراده)** تقدم أن هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم، وقيل: اسم من اسماء الله تعالى، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقيل: اسم الله الأعظم، وقيل: مفاتح السور، وقيل: كل حرف منه يشير إلى كل اسم من اسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف، فالحاء افتتاح اسمه: حميد وحليم وحكيم وهكذا، والميم افتتاح اسمه: مالك ومجيد ومنان وهكذا، لما روي: أن أعرابياً سأل النبي ﷺ ما حم، فإنا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدء

﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ ۝٢﴾ بخلقه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ لهم مصدر ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكافرين أي مشدِّده ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ أي الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات، فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ المرجع ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من أهل مكة ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾ للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يقتلوه ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟﴾ يزيلوا ﴿بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥﴾ لهم؟ أي هو واقع موقعه ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ

أسماء وفواتح سور». قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ (في خلقه) أشار إلى أنه من عز، بمعنى قهر وغلب.

قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ أي ماحيه من الصحف. واعلم أن غافر وغفار وغفور، صيغ نسب على الصحيح، لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها، بخلاف أوصاف الحوادث. قوله: ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة، فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير، إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة، ويمكن قبول التوبة في بعض الذنوب دون بعض. قوله: **(مصدر)** وقيل جمع توبة كدوم ودومة. قوله: **(للكافرين)** أي وأما العصاة وإن عوقبوا، فلا يعاملهم الله بالشدة. قوله: **(أي الإنعام الواسع)** وقيل: ﴿الطَّوْلِ﴾ بالفتح المن، وقيل: هو الغنى والسعة، وكلها ترجع لما قال المفسر. قوله: **(وهو موصوف على الدوام)** الخ، هذه العبارة جواب عما يقال: إن الصفات الثلاث التي هي غافر وقابل وشديد مشتقات، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً، فكيف وقعت صفات للمعرفة التي هي لفظ الجلالة؟ فأجاب المفسر: بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام. وإلا تعرف بالإضافة نظيره ما قيل في ﴿مالك يوم الدين﴾. وأجيب أيضاً بأن الكل إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية في التعريف.

قوله: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ يصح أن يكون حالاً، لأن الجمل بعد المعارف أحوال، ويصح أن يكون مستأنفاً. قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرِ﴾ أي فيجازي كل واحد بعمله. قوله: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي في إبطالها والطعن فيها، وهذا هو الجدال المذموم، وأما الجدال في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح، ومنه قوله تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾. قوله: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ الخ، الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره: إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن، ولا يغررك إمهالهم، فإنهم مأخوذون عن قريب، وهذا تسلية له ﷺ. قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي قبل أهل مكة، وهو تسلية له ﷺ أيضاً. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم نوح. قوله: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به. قوله: **(أي هو واقع موقعه)** أي فهو عدل منه سبحانه وتعالى.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما وقع للأمم السابقة. قوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أي وجبت وثبتت. والمعنى: مثل ما وقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء، يحصل لهؤلاء في الآخرة، وإكرامهم في الدنيا بالنعم،

﴿ٱلنَّارِ﴾ ⑥ بدل من كلمة ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ مبتدأ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ﴾ عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ خبره ﴿بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ ملابسين للحمد، أي يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ تعالى ببصائرهم، أي يصدقون بوحدانيته ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ

إنما هو ببركتك يا محمد. قوله: **(بدل من كلمة)** أي بدل كل من كل، إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله: ﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾ أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله: ﴿**لأملأن جهنم**﴾ الخ، ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله: ﴿**أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾.

قوله: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ**﴾ مبتدأ، أي الاسم الموصول مبتدأ، و ﴿**يَحْمِلُونَ**﴾ صلته، وقوله: ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ اسم الموصول معطوف على الموصول قبله، و ﴿**حَوْلَهُ**﴾ صلته، والتقدير والذين حوله، وليس معطوفاً على الضمير في ﴿**يَحْمِلُونَ**﴾ لإيهامه أن من حوله حامل أيضاً. واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة، وأولهم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية، ورد: أن لكل ملك منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع، وجناحان يصفق بهما بالهواء، يروى أن أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرضون والسماوات إلى حجزهم، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم، وهم أشد خوفاً من أهل السابعة، وأهلها أشد خوفاً من أهل السادسة وهكذا، والعرش جوهرة خضراء، وهو أعظم من المخلوقات خلقاً، ويكسى كل يوم ألف لون من النور.

قوله: ﴿**وَمَنْ حَوْلَهُ**﴾ أي وهم الكروبيون سادات الملائكة، قال وهب: إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف، يطوفون بالعرش، يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء، يكبر فريق ويهلل فريق، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم، واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم، رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظمك وأجلك، أنت الله لا إله غيرك، والخلق كلهم إليك راجعون، ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة، قد وضعوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم أحد إلا يسبح بتسبيح لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة. قوله: **(أي يقولون سبحان الله وبحمده)** أي لما ورد: أن حملة العرش، يكونون يوم القيامة ثمانية، أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك، وأربعة يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. قوله: **(ببصائرهم)** جواب عما يقال: إن وصفهم بالتسبيح، يغني عن وصفهم بالإيمان، فما فائدة ذكره عقبه؟ فأجاب: بأن التسبيح من وظائف اللسان، والإيمان من وظائف القلب، فأفاد فائدة لم تكن في الأول، فذكره للاعتناء بشأنه.

قوله: ﴿**وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ أي يطلبون المغفرة لهم. وحكمة طلبهم المغفرة لهم، أنهم تكلموا في بني آدم حيث قالوا: ﴿**أتجعل فيهَا من يفسد فيها ويسفك الدماء**﴾؟ فلما وقع منهم ذلك، أمرهم الله بالاستغفار لهم جبراً لما وقع عنهم، ففيه تنبيه على أن من تكلم في غيره، ينبغي له أن يستغفر ربه. قوله: **(ويقولون)** أي في كيفية الاستغفار لهم، وهذه الجملة المقدرة، حال من ضمير ﴿**يَسْتَغْفِرُونَ**﴾.

﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي وسع رحمتك كل شيء، وعلمك كل شيء ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من الشرك ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ﴾ دين الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ النار ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾ عطف على هم في وأدخلهم، أو في وعدتهم ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٨﴾ في صنعه ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ أي عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠﴾ ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين لأنهم نطفاً أموات، فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا

قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الخ، قدم هذا بين يدي الدعاء، توطئة له للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، وهو موقن بالإجابة، ولا يتردد في الدعاء، فإنه مانع من الإجابة قوله: ﴿رَحْمَةً وَعِلْماً﴾ قدم الرحمة على العلم، لأن المقام للدعاء، والرحمة مقصودة فيه بالذات، وإلا فالعلم سابق عليها. قوله: (من الشرك) أي إن كان عليهم ذنوب. قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي بأن آمنوا. قوله: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه، بأن توقفهم لصالح الأعمال.

قوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ الخ، أي بأن مات على غير الكفر، فيدخل فيه أهل الفترة والجنون. قوله: ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي زوجاتهم لما ورد: إذا دخل المؤمن الجنة قال: أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أي زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخوهم، فإذا اجتمع بأهله في الجنة، كان أكمل لسروره ولذاته. قوله: (في وأدخلهم) أي وهو أولى، لأنه يسير الدعاء لهم بالدخول صريحاً بخلافه على (وعدتهم) فإنه ضمني. قوله: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّآتِ﴾ الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية. قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق، والتقدير: يوم إذ تدخل من تشاء الجنة، ومن تشاء النار، وهو يوم القيامة. قوله: ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار؛ إثر بيان أنهم من أصحاب النار. قوله: (وهم يمقتون أنفسهم) أي يبغضونها ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه: مقتّك يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقت الله إياكم، إذ أنتم في الدنيا، وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا، أشد من مقتكم أنفسكم اليوم. قوله: ﴿لَمَقْتُ آللهِ﴾ أي بغضه، والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب، لأن حقيقته محالة في حق الله تعالى. قوله: (لأنهم نطفاً أموات) كذا في بعض النسخ بنصب نطفاً على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا أو خلقوا نطفاً، فإن الإماتة إعدام الحياة، ابتداء أو بعد سبق الحيـاة.

﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ ﴿١١﴾ طريق؟ وجوابهم: لا ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾ يجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾ تصدَّقوا بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾ ﴿١٢﴾ العظيم ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ يرجع عن الشرك ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿١٤﴾ إخلاصكم منه ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي الله عظيم الصفات أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقه ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾ يخوِّف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ بحذف الياء وإثباتها يوم

قوله: ﴿ذٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿بِأَنَّهُ﴾ خبره، والضمير للشأن. قوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ هذا من جملة ما يقال لهم في الآخرة بدليل قوله: (في تعذيبكم)، وأما قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِه﴾فكلام مستأنف منقطع عما قبله، ويصح أن يكون الكلام تم بقوله: ﴿وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ وقوله: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ تفريع على ما تقدم، كأنه قال: إذا علمتم أن الخلق فريقان، مؤمنون وكفار، فلا تعترضوا فإن الحكم لله، أي القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار، لله وحده الموصوف بكون يرينا آياته، فيعتبر بها من يشاء فيهدى، ويكذب بها من يشاء فيضل. قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ﴾ أي من أجلكم. قوله: (بالمطر) أي بسببه، فإن الماء سبب في جميع الأرزاق، كما هو مشاهد.

قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ يطلق الدعاء على الطلب حقيقة، وليس مراداً هنا بإجماع، بقرينة ما قبله وما بعده، وعلى العبادة مجازاً كما هنا، من باب تسمية الكل باسم جزئه، لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة، وسميت العبادة دعاء، لأنه أعظم أجزائها، لما في الحديث: «الدعاء مخ العبادة». قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال من فاعل ادعوا، وأشار بذلك إلى أن الإنسان مأمور بالعبادة ظاهراً، وبإخلاص قلبه من أنواع الشك، والشرك الأكبر والأصغر، فقوله: (من الشرك) عام في الشرك الأكبر وهو الكفر، والأصغر وهو الرياء.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ مبالغة فيما قبله، أي اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم، هذا إذا رضي الكافرون بذلك، بل ولو كرهوا، أو قاتلوكم ومانعوكم من عبادته. قوله: (أي الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن ﴿رَفِيعُ﴾ صفة مشبهة خبر لمحذوف، أي هو منزه صفاته عن كل نقص، وقوله: (أو رافع) أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل.

قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ أي الوحي، سمي بذلك لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد، ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان. قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بيان للروح أو حال منه (أي قوله) وقيل المراد بالأمر القضاء. قوله: (الملقى عليه) هو فاعل الأنذار، وهو كناية عن الموصول في قوله: ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله: (الناس) والمفعول الثاني هو قوله: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾. قوله: (بحذف الياء) أي وصلاً ووقفاً، وقوله: (وإثباتها) أي وصلاً ووقفاً، أو وصلاً فقط، فالقراءات ثلاث

القيامة، لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه ﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ ﴿١٦﴾ أي لخلقه ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ ﴿١٧﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ يوم القيامة من أزف الرحيل قرب ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفاً ﴿لَدَى﴾ عند ﴿ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ ممتلئين غماً حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾ ﴿١٨﴾ لا مفهوم للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً، فما لنا من شافعين أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء أي لو شفعوا فرضاً لم يقبلوا ﴿يَعۡلَمُ﴾ أي الله

سبعيات. قوله: (لتلاقي أهل السماء) علة لتسمية ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾. قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بدل كل من كل، ويكتب ﴿يَوْمَ﴾ هنا وفي الذاريات في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ منفصلاً، لأن ﴿هُمْ﴾ مرفوع بالابتداء فيهما، فالمناسب القطع، وأما في غير هذين المحلين نحو ﴿يومهم الذي يوعدون﴾ ﴿يومهم الذي فيه يصعقون﴾ فيكتب موصولاً، لأن هم مجرور، فالمناسب وصله. قوله: (خارجون من قبورهم) أي ظاهرون لا يستترون بشيء، لكون الأرض إذ ذاك قاعاً صفصفاً، لما في الحديث: «يحشرون حفاة عراة غرلا».

قوله: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ الحكمة في تخصيص ذلك اليوم، مع أن الله لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام، أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا، أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلاً، لا يراهم الله، وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم. قوله: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ هذا حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ، وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾ الخ. قوله: (يقول الله تعالى) قيل في القيامة كما ورد: يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة، لم يعص الله عليها، فيؤمر مناد ينادي: ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فيقول له العباد مؤمنهم وكافرهم ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ فيقول المؤمنون هذا الجواب سروراً وتلذذاً، ويقول الكافرون غماً وانقياداً وخضوعاً، وقيل: بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق ويبقى الله وحده، فلا يرى غير نفسه، فيقول ﴿لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيب نفسه بعد أربعين سنة ﴿لِلَّهِ ٱلْوَاحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ لأنه بقي وحده قهر خلقه.

قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الخ، إما من تتمة الجواب، أو لحكاية ما يقوله الله تعالى عقب جواب الخلق. قوله: ﴿لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ﴾ ﴿لَا﴾ نافية، للجنس، و ﴿ظُلْمَ﴾ اسمها، و ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ خبرها. قوله: (في قدر نصف النهار) أي ولا يشغله حساب أحد عن أحد، بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب. قوله: (من أزف الرحيل) من باب تعب أي دنا وقرب. قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ الآزِفَةِ﴾ و ﴿ٱلْقُلُوبُ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله: (ترتفع). قوله: ﴿ٱلْحَنَاجِرِ﴾ جمع حنجور كحلقوم وزناً ومعنى، أو جمع حنجرة. قوله: ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ زائدة في المبتدأ. قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ أي يؤذن له في الشفاعة فيقبل. قوله: (إذ لا شفيع لهم أصلاً) أي لا مطاع ولا غيره. قوله: (أي لو شفعوا) الخ، تفسير للمفهوم على الوجه الثاني.

﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرَّم ﴿وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ القلوب ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي كفار مكة بالياء والتاء ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ فكيف يكونون شركاء لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿٢٠﴾ بأفعالهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة منكم ﴿قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ ﴿٢١﴾ عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٣﴾ برهان بيِّن ظاهر ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟﴾ هو ﴿سَٰحِرٌ

قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾ خبر رابع عن المبتدأ الذي أخبر عنه برفيع وما بعده، والإضافة على معنى من، أي الخائنة من الأعين. قوله: (بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك: الرجل ينظر إلى المرأة، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره، فإذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. قوله: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ أي عن العبادة من خير وشر. قوله: (أي كفار مكة) تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾. قوله: (بالياء والتاء) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ من باب التهكم بهم، إذ الجماد لا يوصف بقضاء ولا بغيره. قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم، أي فيجازيكم بها.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة، أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الخ، وقوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ الخ ﴿كَيْفَ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و ﴿عَاقِبَةُ﴾ اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كَانُوا﴾ الخ جواب ﴿كَيْفَ﴾ والواو اسم ﴿كَانَ﴾ والضمير للفصل، و ﴿أَشَدَّ﴾ خبرها. قوله: ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله. قوله: ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم، كعاد وثمود وأضرابهم. قوله: (وفي قراءة منكم) أي بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب. قوله: ﴿وَآثَاراً فِي الأَرْضِ﴾ عطف على ﴿قُوَّةً﴾. قوله: (من مصانع) أي أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ الخ. ﴿لَهُمْ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدم، و ﴿وَاقٍ﴾ اسمها مؤخر على زيادة ﴿مِنْ اللهِ﴾ متعلق بواق، و ﴿مِنْ﴾ فيه ابتدائية، ومفعول ﴿وَاقٍ﴾ محذوف قدره بقوله: (عذابه) وكان للاستمرار، أي ليس لهم واق أبداً.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي أخذهم بسبب أنهم كانت، الخ. قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ الخ، شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحكمة تكرارها وغيرها، تسليته ﷺ وزيادة في الاحتجاج على من كفر من أمته. قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ قيل: المراد به نفس الآيات، فالعطف مرادف، وإنما التغاير باعتبار العنوانين، وقيل: المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد، وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام، والنكتة الاعتناء بهما.

قوله: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء، فإن فرعون كان ملكاً،

كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ ﴿٢٥﴾ هلاك ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعونه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٢٦﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة أو، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه وقد سمع ذلك ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات

وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، إنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما، في الكفر والتكذيب في آخر الأمر، وإن آمن أولاً، فإن فعله آخراً، دل على أنه مطبوع على الكفر كإبليس. قوله: ﴿فَقَالُوا﴾ نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر. قوله: (هو) ﴿سَاحِرٌ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿سَاحِرٌ﴾ خبر لمحذوف، و ﴿كَذَّابٌ﴾ عطف على ﴿سَاحِرٌ﴾ والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات، كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله.

قوله: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم، فهذا القتل غير القتل الأول، لأن فرعون بعد ولادة موسى، أمسك عن قتل الأولاد، فلما بعث الله موسى، وعجز عن معارضته، أعاد القتل في الأولاد، ليمتنع الناس من الإيمان، ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب، كالضفادع والقمل والدم والطوفان، إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله تعالى، وجعل كيدهم في نحورهم. قوله: (استبقوا) ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ أي بناتهم للخدمة. قوله: (هلاك) أي ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً. قوله: (لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) في حكمة منعهم له عن قتله وجوه، أولها: أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره، فكان صاحب سر فرعون، وكان يتحيل في منع فرعون من قتله. ثانيها: أنهم منعوه من قتله احتقاراً له، فكانوا يقولون: إنه ساحر ضعيف، فإن قتلته قالت الناس: إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته. ثالثها: خوفهم على فرعون، لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالاً. رابعها: ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى، لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا من يشتغلوا به، تعرضوا لرعاياهم. قوله: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ اللام للأمر، وهو أمر تعجيز في زعم فرعون. قوله: (فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون. قوله: (وفي قراءة أو) الخ، تحصل أن القراءات أربع سبعيات: رفع الفساد، ونصبه مع الواو، أو أو.

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ﴾ بإدغام الذال في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لم يسم فرعون، بل ذكره في ضمن المتكبرين، لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر. قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى، قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين، قال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون، وغير المؤمن الذي قال لموسى ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ الخ، وفي الحديث: «الصديقون: حبيب النجار من آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، والثالث أبو بكر الصديق وهو

الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ بـه من العـذاب عـاجـلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾ ﴿٢٨﴾ مفتر ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين حال ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ أي لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ﴿٢٩﴾ طريق الصواب ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ ﴿٣٠﴾ أي يوم حزب بعد حزب ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مثل بدل من مثل قبله، أي مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ ﴿٣٢﴾ بحذف الياء وإثباتها، أي يـوم القيامة، يكثر فيه نداء أصحاب الجنـة أصحاب النـار وبالعكس، والنـداء بالسعـادة لأهلها،

أفضلهم». وكان اسم الرجل حزقيل، وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان. قوله: **(قيل هو ابن عمه)** وقيل: كان من بني اسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون. قوله: **(أي لأن)** ﴿**يَقُولَ**﴾ الخ، أي لأجل هذا القول، من غير تأمل وتفكر. قوله: ﴿**وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ**﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿**يَقُولَ**﴾. قوله: ﴿**بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**﴾ أي إن لم يصبكم كله، فلا أقل من أن يصيبكم بعضه، إن تعرضتم له بسوء.

قوله: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون، فالأول معناه: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات، ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذابـاً، فموسى ليس بمسرف ولا كذاب، والثاني معنا: أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في ادعائه الألوهيـة، وحينئذ فالله لا يهدي من هذا وصفه.

قوله: ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ**﴾ الخ، أي فلا تفسدوا أمركم، ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل قوله: **(حال)** أي من الضمير في ﴿**لَكُمُ**﴾. قوله: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ**﴾ أي بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها. قوله: **(أي ما أشير عليكم بما أشير به على نفسي)** أي فلا أظهر لكم أمراً وأكتم عنكم غيره. قوله: ﴿**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى. قوله: **(أي يوم حزب بعد حزب)** أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ**﴾ مفـرد في معنى الجمع، أي أيـامها. قـوله: **(أي مثل جزاء)**، أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف. قوله: **(عادة)** تفسير للدأب. والمعنى جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم.

قوله: ﴿**وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**﴾ أي فلا يعاقبهم بغير ذنب. قوله: ﴿**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ**﴾ الخ، لما خوفهم بالعذاب الدنيوي، شرع يخوفهم بالعذاب الأخروي. قوله: **(بحذف الياء)** أي في الوصل والوقف، وقوله: **(وإثباتها)** أي في الوصل والوقف، فالقراءات أربـع سبعيات، وهـذا في

وبالشقاوة لأهلها، وغيرذلك ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى، وهو يوسف بن يعقوب في قول عمر إلى زمن موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ أي فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾ شاك فيما شهدت به البينات ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿أَتَىٰهُمْ كَبُرَ﴾ جدالهم خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ۝٣٥﴾ بتنوين قلب ودونه، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس، وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب

اللفظ، وأما في الخط فمحذوفة لا غير. قوله: (وغير ذلك) من جملته أن ينادى: ألا إن فلاناً سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلاناً شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وأن ينادي حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت، وأن ينادي المؤمن: هاؤم اقرؤوا كتابيه، وينادي الكافر: يا ليتني لم أوت كتابيه، وأن ينادي بعض الظالمين بعضاً بالويل والثبور، فهذه الأمور كلها تقع في هذا اليوم. قوله: ﴿**مُدْبِرِينَ**﴾ (**عن موقف الحساب إلى النار**) أي لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين، فلا يأتوا قطراً من الأقطار، إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعوا إلى مكانهم. قوله: ﴿**مَلَكُمْ مِنَ اللهِ**﴾ الجملة حالية، وقوله: ﴿**مِنْ عَاصِمٍ**﴾ مبتدأ، و ﴿**مِنْ**﴾ زائدة، و ﴿**مِنْ اللهِ**﴾ متعلق بعاصم. قوله: ﴿**فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ بإثبات الياء وحذفها في الوقف وبحذفها في الوصل مع حذفها في الخط على كل شيء.

قوله: ﴿**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ**﴾ الخ، المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن، وقيل من كلام موسى. قوله: (**عمر إلى زمن موسى**) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين، لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة، فالصواب أن يقول: عمر إلى زمن فرعون، فإن فرعون أدركه، وعمر إلى أن أدرك موسى، وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم، ويتعدى بالتضعيف. قوله: (**أو يوسف بن إبراهيم**) أي فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب، أرسله الله إلى القبط، فأقام فيهم عشرين سنة نبياً. قوله: ﴿**فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ**﴾ أي فما زالت أصولكم. قوله: (**فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره**) أتى بهذا دفعاً لما يتبادر من ظاهر الآية، أنهم كانوا مؤمنين بيوسف، وندموا على فراقه، بل كانوا كفاراً به، وانقيادهم له خوفاً من سطوته بهم، وطمعاً في جاهه الدنيوي.

قوله: ﴿**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ**﴾ الخ، من كلام الرجل المؤمن، وقيل ابتداء كلام من الله تعالى. قوله: ﴿**أَتَاهُمْ**﴾ صفة لسلطان. قوله: (**خبر المبتدأ**)، هذا أحسن الأعاريب في هذا المقام، وقوله: ﴿**مَقْتاً**﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي كبر مقت جدالهم، و ﴿**عِنْدَ**﴾ ظرف لكبر، مقت الله أياهم سخطه وانزال العذاب بهم. قوله: (**مثل إضلالهم**) المناسب أن يقول: مثل ذلك الطبع. قوله: (**بتنوين قلب ودونه**) أي فهما

لا لعموم القلوب ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ بناء عالياً ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ طرقها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بالرفع عطفاً على أبلغ، وبالنصب جواباً لابن ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي موسى ﴿كَٰذِبًا﴾ في أن له إلهاً غيري، قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ طريق الهدى بفتح الصاد وضمها ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ خسار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ﴾ بإثبات الياء وحذفها ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ ﴿٣٨﴾ تقدم ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ تمتع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٤٠﴾ رزقاً واسعاً بلا

قراءتان سبعيتان. قوله: **(ومتى تكبر القلب)** الخ أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين، لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر، اتصاف الشخص به، لأن القلب سلطان الأعضاء، فمتى فسد فسدت. قوله: **(لعموم الضلال جميع القلب)** أي جميع أجزائه، فلم يبق فيه محل يقبل الهدى، وهذا على خلاف القاعدة في ﴿كُلِّ﴾ فإن قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة، أو مجموعة، أو معرفة مجموعة، تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة، تكون لعموم الأجزاء، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة، فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد، وإنما أريد هذا المعنى، وإن كان مخالفاً للقاعدة، للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها.

قوله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أي معرضاً عن كلام المؤمن. قوله: **(بناء عالياً)** أي مفرداً طويلاً ضخماً، وتقدمت قصته في سورة القصص. قوله: **(طرقها)** أي أبوابها الموصلة إليها، وحكمة التكرار في أسباب التفخيم والتعظيم، أن الشيء إذا أبهم ثم وضح، كان أدخل في تعظيم شأنه. قوله: **(عطفاً على أبلغ)** أي فيكون داخلاً في حيز الترجي. قوله: **(فبالنصب جواباً لابن)** أي فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله:

يا ناق سيري عنقاً فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا

وقيل: إنه منصوب في جواب الترجي، والقراءتان سبعيتان. قوله: ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ أي انظر إليه واطلع على حاله. قوله: **(تمويهاً)** أي تلبيساً وتخليطاً على قومه، وإلا فهو يعرف ويعتقد أن موسى صادق في جميع ما قاله. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك التزيين. قوله: **(بفتح الصاد وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ هو الرجل المؤمن، وقيل المراد به موسى عليه السلام. قوله: ﴿اتَّبِعُونِي﴾ أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: **(بإثبات الياء وحذفها)** أي وهما سبعيتان، وهذا في اللفظ، وأما في الخط، فهي محذوفة لا غير، لأنها من ياءات الزوائد. قوله: **(تمتع يزول)** أي تمتع قليل يسير لا بقاء له. قوله: ﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي الثبات فلا تحول عنها. قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ أي ولم يتب عنها. قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الجملة حالية. قوله: **(بضم الياء)** الخ، أي وهما سبعيتان. قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها، فهذا في ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال،

تبعة ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ ﴿٤٢﴾ لمن تاب ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ لأعبده ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ أي استجابة دعوة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾ مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ ﴿٤٤﴾ قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ ﴿٤٥﴾ الغرق ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾ يحرقون بها ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾

فإذا تم الحساب، تفضل الله على عباده، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: (**بلا تبعة**) أي فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن، بل يتنعمون نعيماً خالياً من العلل، صافياً من الكدر، جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ**﴾ الخ، أتى بالواو في النداء الأول والثالث، لأنه كلام مستقل مستأنف، وتركها من الثاني لأنه من تعلقات الكلام الأول، والعطف يقتضي المغايرة، وقوله: ﴿**مَا لِي**﴾ أي أي شيء ثبت لي، فما مبتدأ، والجار والمجرور خبر عنه، وقوله: ﴿**أَدْعُوكُمْ**﴾ حال، والاستفهام للتعجب، ومحط العجب هو قوله: ﴿**وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ**﴾ كأنه قال: أعجب من هذه الحال، أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشر. قوله: ﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ**﴾ الخ، هذا بدل من قوله: ﴿**تَدْعُونَنِي**﴾ الأول، بدل مفصل من مجمل. قوله: ﴿**مَا لَيْسَ لِي بِهِ**﴾ أي بوجوده، والمراد نفي المعلوم من أصله. قوله: ﴿**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ**﴾ راجع لقوله: ﴿**أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَاةِ**﴾. قوله: ﴿**إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ**﴾ أي إلى عبادته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله: ﴿**لَا جَرَمَ**﴾ ﴿**لَا**﴾ نافية، و﴿**جَرَمَ**﴾ فعل ماض بمعنى حق، وقوله: ﴿**أَنَّمَا تَدْعُونَنِي**﴾ فاعله، والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم. قوله: (**حقاً**) مفعول لمحذوف دل عليه ﴿**لَا جَرَمَ**﴾ والمعنى حق ما تدعونني إليه حقاً، وهي كلمة في الأصل بمنزلة لا بد، ثم تحولت إلى معنى القسم. قوله: ﴿**أَنَّمَا تَدْعُونَنِي**﴾ ما اسم موصول، فحقها أن تفصل من النون، وإنما وصلت بها تبعاً للمصحف. قوله: (**أي استجابة دعوة**) أي لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل: المعنى ليست له دعوة إلى عبادته، لأن الأصنام لا تدعي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادة نفسها، وفي الآخرة تتبرأ من عبادها. قوله: ﴿**مَا أَقُولُ لَكُمْ**﴾ أي من النصيحة. قوله: (**توعدوه**) أي ففر هارباً إلى جبل، فأرسل فرعون خلفه ألفاً ليقتلوه، فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله، فأكلت السباع بعضهم، ورجع بعضهم هارباً، فقتله فرعون.

قوله: ﴿**فَوَقَاهُ ٱللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**﴾ أي شدائد مكرهم، وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضاً. قوله: (**قومه معه**) أي ولم يصرح به، لأنه أولى منهم بذلك. قوله: (**ثم**) ﴿**ٱلنَّارُ**﴾ أتى بثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف، و﴿**ٱلنَّارُ**﴾ مبتدأ، وجملة ﴿**يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا**﴾ خبره، والمعنى: تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار، لما روي: أن أرواح الكفار في جوف طير سود، تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين، فذلك عرضها.

صاحباً ومساء ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال ﴿أَدْخِلُوٓاْ﴾ يا ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿٤٦﴾ عذاب جهنم ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَآجُّونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبًا﴾ جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ ﴿٤٨﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي الخزنة تهكماً ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ أي فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدْعُواْ﴾ أنتم فإنا لا نشفع لكافر، قال تعالى ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ ﴿٥٠﴾ انعدام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ ﴿٥١﴾ جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم لو

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ إما معمول لادخلوا، أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ﴿آدْخُلُوا﴾ وعليه درج المفسر. قوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً، فعلى القراءة الأولى، يكون المنادي على حذف ياء النداء، وعلى الثانية يكون مفعولاً لادخلوا. قوله: (عذاب جهنم) تفسير للأشد، فإنه أشد مما كانوا فيه، لأن ذاك عرض، وهذا دخول واستيطان. قوله: ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ تفصيل للتخاصم. قوله: (جمع تابع) كخدم وخادم. قوله: (دافعون) أشار بذلك إلى أن ﴿مُغْنُونَ﴾ مضمن معنى (دافعون) فنصب نصيباً، ويصح أن يضمن معنى حاملون، و﴿مِنَ النَّارِ﴾ صفة لنصيباً. قوله: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم. قوله: ﴿إِنَّ آللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أي فلا يغني أحد عن أحد شيئاً.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ أي من الضعفاء والمستكبرين جميعاً، حين حصل لهم اليأس، من تحمل بعضهم عن بعض. قوله: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أتى بالظاهر في محل الضمير تقبيحاً عليهم، أو لبيان محلهم فيها. قوله: ﴿يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم، وقوله: (أي قدر يوم) أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليل ولا نهار. قوله: ﴿أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ﴾ الخ، المقصود من ذلك، إلزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم. قوله: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أتونا فكذبناهم، وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون، وبعده يقرون. قوله: (فإنا لا نشفع لكافر) أي لتحتم خلوده في النار، فالشفاعة لا تفيد شيئاً، قوله: (انعدام) أي من الإجابة.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ أي بالحجة والظفر على الأعداء، وإن وقع لهم بعض امتحان، فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر. قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ والمعنى ننصرهم في الدنيا والآخرة. قوله: (جمع شاهد) أي ويصح أن يكون جمع شهيد، قال تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾. قوله: (وهم الملائكة) أي والأنبياء والمؤمنون، أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون، يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء، فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم، وأما المؤمنون من أمة محمد ﷺ، فتشهد على باقي الأمم يوم القيامة. قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ بدل من يوم

اعتذروا ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ الآخرة أي شدة عذابها ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ ﴿٥٣﴾ من بعد موسى ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٤﴾ تذكرة لأصحاب العقول ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن اتبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ ليستن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلِّ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ ﴿٥٥﴾ الصلوات الخمس ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿أَتَاهُمْ إِن﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾

الأول. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما سبعيتان. قوله: (لو اعتذروا) جواب عما يقال: مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم، إلا أنها لا تنفعهم، وحينئذ يكون بينها وبين الآية الأخرى وهي ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ تناف، فأجاب: بأن معنى (لو اعتذروا) فرضاً لا تنفعهم معذرتهم، فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ هذا مرتب على قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ فهذا من النصر الدنيوي الموصل لنصر الأخروي. قوله: (من بعد موسى) أي إلى نزول عيسى، فآتاه الله الإنجيل، ناسخة لبعض احكام التوراة. قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ لم يعبر عنه في جانب بني إسرائيل بالهدى، كما عبر في جانب موسى، إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم، بل هدى لمن آمن وصدق، ووبال لمن طغى وكفر. قوله: (هادياً) أشار بذلك إلى أن ﴿هُدى﴾ حال من ﴿الْكِتَابَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾. قوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ هذا نتيجة ما قبله، أي إذا علمت أن الله ناصر لرسله في الدنيا والآخرة، فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك

قوله ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ أي اطلب المغفرة من ربك لذنبك، والمقصود من هذا الأمر، تعليم الأمة ذلك، وإلا فرسول الله ﷺ معصوم من الذنوب جميعاً، صغائر وكبائر، قبل النبوة وبعدها على التحقيق كجميع الأنبياء، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (ليستن بك) أي يقتدى بك، وأجيب أيضاً: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: واستغفر لذنب أمتك، وإنما أضيف الذنب له، لأنه شفيع لهم، وأمرهم متعلق به، فإذا لم يسع في غفرانه في الدنيا، اتبعه في الآخرة، قال تعالى ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية، فقد تشرفت بأمور: منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها، وغير ذلك. وأجيب أيضاً: بأن المراد بالذنب خلاف الأولى، وسمي ذنباً بالنسبة لمقامه، من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين. قوله: (صلِّ) إنما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله: (بعد) ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾. قوله: (وهو من بعد الزوال) أي وفيه أربع صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ أي وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاة واحدة وهي الصبح، فلذلك قال: الصلوات الخمس.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ﴾ الخ، بيان لتفصيل أن جدالهم ناشىء من الحقد الذي في صدورهم، وفيما تقدم بين عاقبة جدالهم، وما أعد لهم في نظيره. قوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾

﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿٥٦﴾ بأحوالهم، ونزل في منكري البعث ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ابتداء ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ ذلك، فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ﴾ فيه زيادة لا ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ يتعظون بالياء والتاء، أي تذكرهم قليل جداً ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ بها ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي إعبدوني أثبكم بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ﴾

وصف كاشف، إذ يستحيل المجادلة في آيات الله بسلطان. قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾ خبر ﴿إِنْ﴾. قوله: ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ هذا وعد حسن من الله تعالى، بأن المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره، وإنما يجعل كيده في نحره. قوله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ أي تحصن بالله من كيدهم، والتجىء إليه في دفع مكرهم. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿لَخَلْقُ السَّمٰواتِ﴾ الخ، أي سبعاً طباقاً على هذا الوجه المشاهد. قوله: (ابتداء) أي من غير سبق مثال. قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم بحسب العادة، وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى، لا تفاوت فيها بين الصغير والكبير، بدءاً وإعادة. قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي والأقل يعلمه وهو من آمن. قوله: (فهم كالأعمى) الخ. هذا نتيجة ما قبله، وهو دخول على قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ الخ. قوله: ﴿وَ﴾ (لا) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الخ، راجع للبصير، وقوله: ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾ راجع لقوله: ﴿الْأَعْمَى﴾ على سبيل اللف والنشر المشوش، وهو من أنواع البلاغة. قوله: (فيه زيادة لا) أي للتوكيد لطول الكلام بالصلة.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق، أي يتذكرون تذكراً قليلاً، و ﴿مَا﴾ زائدة لتوكيد القلة. قوله: (بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: (أي تذكرهم قليلاً) هكذا بالنصب على الحال، والخبر محذوف، والتقدير يحصل حال كونه قليلاً. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي لوضوح الأدلة على حصولها. قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (بها) أي جحداً وعناداً، والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلي والشرعي، على أنه تعالى قادر على كل شيء، وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا، فلو جوز تخلفه للزم، إما كذب خبره تعالى أو عجزه، وكلاهما محال تنزه الله عنه.

قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء في الأصل، السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ومنه ما ورد: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى في شسع نعله إذا انقطع، وقوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي أجبكم فيما طلبتم، لما ورد: إذا قال العبد: يا رب، قال الله: لبيك يا عبدي. إن قلت: قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعد بالإجابة، ووعده لا يتخلف، مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له. أجيب: بأن الدعاء له شروط، فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة، منها: إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء، بحيث لا يحصل في قلبه غير ربه، وأن لا يكون

بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ صاغرين ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي لأنه يبصر فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ الله فلا يؤمنون ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ﴾ أي مثل إفك هؤلاء إفك ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ

لمفاسد، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، وأن لا يستعجل الإجابة، وأن يكون موقناً بها، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط، كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يعجلها له، وإما أن يؤخرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذ فالذي ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، ويفوض له الأمر في الإجابة، ولذا ورد: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت فما استجاب لي» والدعاء من خصائص هذه الأمة، لما حكي عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثاً، لم يعطهن أمة قبلهم إلا نبي، كان إذا أرسل نبي، قيل له: أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال تعالى لهذه الأمة ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً، من اطلاق الخاص وارادة العام، وهما تفسيران للدعاء هنا مشى على المفسر على الثاني، وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة، الذل والخضوع والفقر والمسكنة، والدعاء مشعر بذلك. قوله: **(بقرينة ما بعده)** أي وهو قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾** الخ، فتحصل أن في الآية تفسيرين: أحدهما حقيقة، والثاني مجاز، اختار المفسر الثاني لوجود القرينة، ويصح ارادة الحقيقة لأنها الأصل. قوله: **(بفتح الياء وضم الخاء)** أي والقراءتان سبعيتان. قوله: **(صاغرين)** أي أذلاء، فمن أنف واستكبر في الدنيا، ألبس ثوب الذل في الآخرة، ومن تواضع وتذلل في الدنيا، ألبس ثوب العز والفخر في الآخرة، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى، لما حكي عن سيدي أحمد الرفاعي أنه قال: طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة، إلا باب الذل والإنكسار، وورد أن داود سأل ربه فقال: يا ربنا كيف الوصول إليك؟ قال: يا داود خلّ نفسك وتعال.

قوله: **﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾** الخ، هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته تعالى كأنه قال: لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله. قوله: **(مجازي)** أي عقلي من اسناد الفيء إلى زمانه. قوله: **﴿لَذُو فَضْلٍ﴾** أي جود وإحسان. قوله: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾** أي وهم الكفار، وكان حقاً على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه. قوله: **﴿ذَلِكُمْ﴾** الإشارة مبتدأ، و **﴿اللَّهُ﴾** و **﴿رَبُّكُمْ﴾**، و **﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾** و **﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾** أخبار أربعة له. قوله: **﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف، وأما الإفك بالكسر فهو الكذب. قوله: **﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾** الخ، هذا تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن يا محمد فلا خصوصية لأمتك، بل من قبلهم كذلك. قوله: **(أفك)** **﴿الَّذِينَ﴾** بضم الهمزة فعل

﴿ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ تكامل

ماض مبني للمجهول، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً استحضاراً للصورة الغريبة.

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً﴾ هذا من جملة أدلة توحيده، وقوله: ﴿قَرَاراً﴾ أي محل قرار، أي سكون مع كونها في غاية الثقل، لا ممسك لها إلا قدرة الله تعالى. ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أي صوركم أحسن تصوير، حيث جعلكم منتصبي القامة، بادي البشرة، متناسبي الأعضاء، تمشون على رجلين، وجعل محل المواجهة من أعلى ومحل الاقتذار من أسفل، فسبحان الحكيم العليم. قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ﴾ أي المستلذات ملبساً ومطعماً ومركباً. قوله: ﴿ذٰلِكُمُ﴾ أي الفاعل لذلك كله، واسم الإشارة مبتدأ، و﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ خبران له. قوله: ﴿هُوَ ٱلْحَيُّ﴾ أي الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء. قوله: (اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين، ويصح ارادة الآخر، وهو السؤال والتضرع، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك، المتصرف فيه دون غيره، فاسألوه في جميع ما تحتاجون، لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره. قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حال، وقوله: ﴿ٱلدِّينَ﴾ مفعول للمخلصين، والمعنى غير مشركين غيره، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ يحتمل أنه من كلام العباد، فهو مقول لقول محذوف حال، والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس: من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ فهو إشارة إلى أن العبد لا يؤجر على الحمد، ولا يعد به شكوراً، إلا إذا كان موحداً، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثوراً، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليماً لعباده كيفية الحمد.

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ الخ، أمر الله تعالى نبيه أن يخاطب قومه بذلك زجراً لهم، حيث استمروا على عبادة غير الله، بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَنِي﴾ أي حين جاءني. قوله: (دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾ الخ، إما من الإسلام بمعنى الانقياد، أو بمعنى الخلوص، وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمري له، وعلى الثاني أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى. قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ الخ، لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهي: الليل والنهار والأرض والسماء، وثلاثة من دلائل الأنفس وهي: التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات، ذكر هنا كيفية خلق الأنفس ابتداء وانتهاء. قوله: (بخلق أبيكم آدم) الخ، أي فالكلام على حذف مضاف، ويصح ابقاء الكلام على ظاهره، باعتبار أن أصل النطفة الغذاء، وهو ناشىء من التراب. قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي بعد مضي أربعين يوماً.

قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرها ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿٦٨﴾ بضم النون وفتحها بتقدير أن، أي يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ عن الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ عقوبة تكذيبهم ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ

قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أجمل هنا في المراتب، وفصلها في سورة المؤمنون في قوله: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ الخ، أي فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العاري عن اللحم. قوله: (بمعنى أطفالاً) إنما أوله بالجمع، لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها، فإن ﴿طِفْلًا﴾ حال من الكاف في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾ فالحال مفردة لفظاً جمع معنى، لأن لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا﴾. قوله: ﴿ثُمَّ﴾ (يبقيكم) ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾. قوله: ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا﴾ معطوف على ﴿لِتَبْلُغُوا﴾. قوله: (بضم الشين وكسرها) أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: (فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره إشارة إلى أن قوله: ﴿وَلِتَبْلُغُوا﴾ معطوف على محذوف وهما علتان، والمعلول ما تقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى. قوله: (وقتاً محدوداً) أي وهو وقت الموت. قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معطوف على قوله: ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ ويصح أن يكون معطوفاً على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْراً﴾ مرتب على ما تقدم، والمعنى: من ثبت أن هذه أفعاله، علم أنه لا يعسر عليه شيء ولا يتوقف إلا على تعلق إرادته به. قوله: (بضم النون) أي على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي فهو يكون. قوله: (وفتحها) أي فهو منصوب بأن مضمرة وجوباً، بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر، والقراءتان سبعيتان. قوله: (عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور، كناية عن سرعة الإيجاد، فالمعنى: أن المراد ايجاد شيء وجد سريعاً من غير توقف على شيء، وإلا فكلام المفسر يقتضي أن معنى الآية: فإذا أراد إيجاد شيء، فإنما يريد إيجاده فيوجد، وهذا لا معنى له.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين يُجَادِلُونَ﴾ الخ، هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة، وبيان لعاقبة أمرهم. قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ إما بدل من الموصول قبله فهو في محل جر، أو في محل نصب أو رفع على الذم. قوله: (من التوحيد) أي وسائر الكتب والشرائع. قوله: (إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال: إن سوف للاستقبال، و﴿إِذِ﴾ للماضي؛ وحينئذ فلا يصح تعلق الماضي بالمستقبل، فأجاب: بأنها مستعملة في

﴿فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ إذ بمعنى إذاً ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾ عطف على الأغلال فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف أي في أرجلهم أو خبر ﴿يُسۡحَبُونَ﴾ ﴿٧١﴾ أي يجرُّون بها ﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ﴾ أي جهنم ﴿ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ يوقدون ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ﴾ تبكيتاً ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ معه وهي الأصنام ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت، قال تعالى: ﴿آنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ أي وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ ويقال لهم أيضاً ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ ﴿٧٥﴾ تتوسعون في الفرح ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى﴾ مأوى ﴿ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ فيه إن الشرطية مدغمة،

الاستقبال مجازاً، والمسوغ الإشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع. قوله: **(عطف على الأغلال)** أي وقوله: **﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾** خبر عنهما. قوله: **(أو مبتدأ)** الخ، أي وجملة **﴿يُسْحَبُونَ﴾** حال من الضمير المستكن في الظرف، أو مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا حالهم؟ فقيل **﴿يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ﴾**. قوله: **(أو خبره)** **﴿يُسْحَبُونَ﴾** أي وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله: **(بها)** فتحصل أن المعنى: الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم، ويسحبون في جهنم على وجوههم؛ وهذا على الاعرابين الأولين؛ وعلى الثالث فالمعنى: أن الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، ويسحبون في جهنم، وكل صحيح. قوله: **(أي جهنم)** وقيل **﴿الْحَمِيمِ﴾** الماء الحار. قوله: **﴿يُسْجَرُونَ﴾** أي يعذبون بأنواع العذاب.

قوله: **﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾** التعبير بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: **﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾** ترسم **﴿أَيْنَ﴾** مفصولة من **﴿مَا﴾**. قوله: **(وهي الأصنام)** تفسير لما. قوله: **﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾** هذا في أول الأمر يتبرؤون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم، فهو إضراب عن قوله: **﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾** وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم. قوله: **(ثم أحضرت)** جواب عما يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه؛ يخالف قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ فأجاب: بأنهم أولاً تضل عنهم آلهتهم ويتبرؤون؛ ثم تحضر وتقرن بهم. قوله: **(ويقال لهم أيضاً)** أي توبيخاً. قوله: **(تتوسعون في المعاصي)** أي تظهرون السرور في الدنيا؛ بالمعصية وكثرة المال وضياعه في المحرمات، فالمرح شدة الفرح، وهو إن كان ذماً في الكفار؛ يجر بذيله على كل من توسع في معاصي الله، فله من هذا الوعيد نصيب.

قوله: **﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾** عطف على قوله: **﴿ذَلِكُمْ﴾** الخ، داخل في حيز القول المقدر. قوله: **﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾** لم يقل فبئس مدخل المتكبرين، لأن الدخول لا يدوم، وإنما يدوم المثوى، ولذا خصه بالذم. قوله: **﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾** هذا تسلية من الله لنبيه ﷺ، ووعد حسن بالنصر له على أعدائه. قوله: **(بعذابهم)** أي وسمي وعداً، بالنظر لكونه نصراً للنبي، فهو في الحقيقة وعد ووعيد. قوله: **(فيه)** خبر مقدم و **(إن الشرطية)** مبتدأ مؤخر، وقوله: **(مدغمة)** حال من **(إن)** ولم يذكر

وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي فذاك ﴿أَوْنَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط ﴿وَلَقَدْأَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿قُضِىَ﴾ بين الرسل ومكذبيهم ﴿بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ أي ظهر القضاء والخسران

المدغم فيه وهو (ما) الزائدة، وقوله: **(تؤكد معنى الشرط)** أي التعليق، وقوله: **(أول الفعل)** حال من (ما) الزائدة، والمعنى: حال كونها واقعة في أول فعل الشرط، وقوله: **(والنون تؤكد)** أي تؤكد الفعل، فحذف المؤكد بالفتح، وقوله: (آخره) حال من النون، أي حال كونها واقعة في آخر الفعل، فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما: ما والنون، ومؤكدين بالفتح وهما: التعليق وفعل الشرط. قوله: **﴿بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾** مفعول **﴿نُرِيَنَّكَ﴾** الثاني؛ والكاف مفعول أول. قوله: **(وجواب الشرط)** أي الأول.

قوله: **﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾** عطف على قوله: **﴿نُرِيَنَّكَ﴾**. قوله: **(فالجواب المذكور للمعطوف فقط)** أي ولا يصح أن يكون جواباً عن الأول، لأن من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله، ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة، مسبباً عن رؤية النبي ﷺ تعذيبهم في الدنيا، وفي الحقيقة قوله: **﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾** دليل الجواب، والجواب محذوف أيضاً، والتقدير فلا يفوتهم.

قوله: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾** الخ، هذا تسلية له ﷺ، كأن الله تعالى يقول له: إنا قد أرسلنا رسلاً، وآتيناهم معجزات؛ وجادلهم قومهم، وصبروا على أذاهم، فتأسَّ بهم، وقوله: **﴿رُسُلًا﴾** المراد بهم ما يشمل الأنبياء. قوله: **﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾** أي ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة وعشرون. قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مِنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾** أي لم نذكر لك قصصهم في القرآن، تخفيفاً ورحمة بأمتك، لئلا يعجزوا عن حفظه، وبهذا التقدير اندفع ما قد يتوهم أن النبي ﷺ مساو لأمته في عدم علم ما عدا الخمسة والعشرين، فتحصل أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى علم جميع الأنبياء تفصيلاً، كيف لا، وهم مخلوقون منه، وصلوا خلفه ليلة الإسراء في بيت المقدس؟ ولكنه من العلم المكتوم، وإنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون. قوله: (روي) في عبارة غيره، قيل: والصحيح ما روي عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله، كم عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً».

قوله: **﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾** أي ما صح وما استقام. قوله: **﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** أب بإرادته. قوله: **(مربوبون)** أي مملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمر إلا بإذن سيده، وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك مما تقدم تفصيله في سورة الإسراء. قوله: **﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾** أي حكمه وقضاؤه، والمعنى ظهر وبرز حكمه بنزول العذاب بهم. قوله: **﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾** الحكمة في ختم هذه الآية بالمبطلون، وختم السورة بالكافرون، أنه ذكر هنا الحق، فكان

للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ قيل الإبل خاصة هنا، والظاهر والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٧٩﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ من الدر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ ۝٨٠﴾ ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ ۝٨١﴾ استفهام توبيخ وتذكير أي أشهر من تأنيثه ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨٢﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا۟﴾ أي الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم﴾ أي الرسل ﴿مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ فرح استهزاء وضحك منكرين له ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣﴾ أي العذاب ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ أي شدة عذابنا ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ۝٨٤﴾ ﴿فَلَمْ

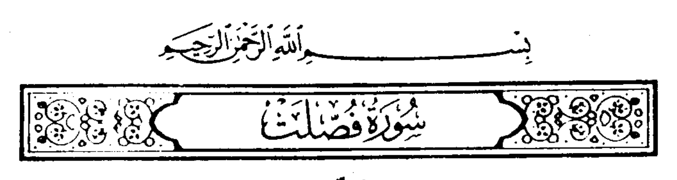
مقابلته بالباطل أنسب، وهناك ذكر الإيمان، فكان مقابلته بالكفر أنسب. قوله: (**أي ظهر القضاء**) الخ، دفع بذلك ما يقال: إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة، فأجاب: بأن المراد ظهر الأمر الذي كان مخفياً. قوله: (**قيل الإبل خاصة**) أي لأنها هي التي يوجد فيها جميع المنافع الآتية.

قوله: ﴿**لِتَرْكَبُوا مِنْهَا**﴾ الخ، هذه الآية نظير قوله تعالى في النحل ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء**﴾ الآية. قوله: ﴿**وَعَلَيْهَا**﴾ (**في البر**) الخ، أفرد الحمل عما قبله لكونه مزية عظيمة، وقرن بينها وبين الفلك، لما بينهما من شدة المناسبة، حتى سميت الإبل سفائن البر، وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك، وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: ﴿**وقال اركبوا فيها**﴾ ما قيل: إن سفينة نوح كانت مغطاة، فظاهرها كباطنها، فالخلق مظروفون فيها، وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة، فالخلق على ظاهرها. قوله: ﴿**فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ**﴾ الخ، أي منصوب بتنكرون، قدم لكونه له صدر الكلام. قوله: (**وتذكيره أشهر من تأنيثه**) أي فلم يقل أية آيات الله، وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب، وهي في أي أغرب لإبهامها.

قوله: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ، والاستفهام إنكاري؛ وتقدم نظيره غير مرة. قوله: ﴿**كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ**﴾ كلام مستأنف مبين لمبدأ أحوالهم وعواقبها. قوله: ﴿**وَآثَاراً**﴾ عطف على ﴿**قُوَّةً**﴾. قوله: (**من مصانع**) أي أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج. قوله: (**والقصور**) أي الأماكن المرتفعة. قوله: ﴿**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ ما الأولى نافية أو استفهامية، والثانية موصولة أو مصدرية. قوله: (**فرح استهزاء**) أي سخرية؛ حيث لم يأخذوه بالقبول، ويمتثلوا أمر الله، ويجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى. قوله: ﴿**وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُو بِهِ يَسْتَهْزِؤنَ**﴾. قوله: (**أي العذاب**) أي فكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به، قال تعالى حكاية عن أهل مكة ﴿**وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك**﴾ الآية. قوله: ﴿**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**﴾ أي في الدنيا. قوله: (**بفعل مقدر من لفظه**) أي والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم. قوله:

يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه ﴿ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ تبين خسرانهم لكل أحد وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

﴿الَّتي قدْ خلَتْ﴾ أي مضت وسبقت. قوله: ﴿وَخسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَافِرُونَ﴾ أي وقت رؤيتهم العذاب. قوله: (تبين خسرانهم) أي ظهر ما كان خافياً، وهو جواب عن سؤال مقدر كالذي قبله.



مكيّة

وآياتها اربع وخمسون

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ١﴾ الله أعلم بمراده به ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ مبتدأ ﴿كِتَٰبٌ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بينت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من كتاب بصفته ﴿لِّقَوۡمٍ﴾ متعلق بفصلت ﴿يَعۡلَمُونَ ٣﴾ يفهمون ذلك وهم العرب ﴿بَشِيرًا﴾

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة فصلت مكية

وهي ثلاث وخمسون آية

مبتدأ، و (ثلاث وخمسون آية) خبر أول، و (مكية) خبر ثان، وتسمى أيضاً سورة حم السجدة، وسورة المصابيح، وسورة السجدة. قوله: (الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم. قوله: ﴿مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ خص هذين الاسمين، إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم، ولا شك أن النعم من مظهر تجلي الرحمة، فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة. قوله: (مبتدأ) أي وسوغ الابتداء به، عمله في الجار والمجرور بعده على حد: ورغبة في الخير خير. قوله: ﴿كِتَابٌ﴾(خبره) أي و ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ نعت للخبر. قوله: (بينت بالأحكام) أي ميزت ووضحت لفظاً ومعنى، فاللفظ في أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق، والمعنى: كالوعد والوعيد والقصص والأحكام، وغير ذلك من المعاني المختلفة، فإذا تأملت في القرآن، تجد بعض آياته متعلقاً بذات الله وصفاته، وبعضها متعلقاً بعجائب خلقه، من السماوات والأرض وما فيهما، وبعضها متعلقاً بالمواعظ والنصائح، وغير ذلك، قال البوصيري في ذلك المعنى:

فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام من الإكثار بالسأم

قوله: (حال من كتاب) أي كل من ﴿قُرْآناً﴾ و ﴿عَرَبِيّاً﴾ فتكون حالاً مؤسسة، ويصح أن يكون الحال لفظ ﴿قُرْآناً﴾ و ﴿عَرَبِيّاً﴾ صفته. قوله: (بصفته) أي الكتاب، والمعنى أن المسوغ لمجيء الحال منه مع كونه نكرة، وصفه بما بعده. قوله: (متعلق بفصلت) أي والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء. قوله: (يفهمون ذلك) أي تفاصيل آياته. قوله :(وهم العرب) أي وإنما خصوا بالذكر، لأنهم يفهمونها بلا واسطة، لكون القرآن

صفة قرآناً ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ سماع قبول ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ ثقل ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين ﴿فَاعْمَلْ﴾ على دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ على ديننا ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

نزل بلغتهم، وأما غيرهم فلا يفهم القرآن إلا بواسطتهم. قوله: (صفة قرآناً) ويصح أن يكونا حالين من كتاب، وهذا على قراءة الجمهور، وقرىء شذوذاً على أنه خبر لمحذوف، أي ﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾، ونعت لكتاب. قوله: ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي تكبراً وعناداً، واستفيد منه أن الأقل لم يعرض، بل خضع وانقاد وآمن، وذلك كأبي بكر وأضرابه.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ معطوف على ﴿فَأَعْرَضَ﴾ وقوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كنان، وهو ما تجعل فيه السهام، ويسمى جعبة بفتح الجيم، ويجمع على جعاب. قوله: ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ ما واقعة على التوحيد، والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو، والفاعل مستتر تقديره أنت، ونا مفعوله. قوله: ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم، من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه. قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ ﴿مِنْ﴾ لابتداء الغاية، والمعنى: أن الحجاب ناشىء من جهتنا، فلا نستطيع التوصل لما عندك، والحجاب ناشىء من جهتك، فلا تستطيع التوصل لما عندنا، فنحن معذورون في عدم اتباعك، لوجود المانع من جهتنا وجهتك. قوله: (خلاف) أي مخالفة في الدين. قوله: ﴿فَاعْمَلْ﴾(على دينك) أي استمر عليه، وقوله: ﴿إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾ أي مستمرون على ديننا.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال: دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها، لأني بشر من جنسكم، تعرفون حالي وطبعي، وأعرف حالكم وطبعكم، فلست مغايراً لكم، حتى يكون بيني وبينكم حجاب وتباين، ولست بداع لكم إلى شيء لا تقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم، الذي قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية. قوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ ضمنه معنى توجهوا، فعداه بإلى. قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ أي مماأنتم عليه من سوء العقيدة، وفيه اشارة إلى أن الاستقامة لا تتم، إلا بالاستغفار والندم على ما مضى، بحيث يكره أن يعود الكفر، كما يكره الوقوع في النار.

قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ مبتدأ وخبر، وسوغ الابتداء به قصد الدعاء. قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إنما خص منع الزكاة، وقرنه بالكفر في الآخرة، لأن المال أخو الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله، كان دليلاً على قوته وثباته في الدين، قال تعالى: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ إلخ، أي يثبتون أنفسهم، ولذا كان ﷺ يؤلف حديث العهد بالإيمان بالمال، وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته ﷺ، ففي هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة، وتحضيض على أدائها، وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. فإن قلت: على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية، والزكاة فرضت

﴿ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ﴾ ﴿٨﴾ مقطوع ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى ﴿لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ الأحد والاثنين ﴿وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٩﴾ جمع عالم وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة

بالمدينة، فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها. والجواب: أن المراد بالزكاة، صرف المال في مراضي الله تعالى.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلخ، ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين، جرياً على عادته سبحانه وتعالى في كتابه. قوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(مقطوع) أي بل هو دائم مستمر بدوام الله، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل غير منقوص، وقيل غير ممنون به عليهم، فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطلبهم بشكرها، لانقطاع التكليف بالموت، وأيضاً نفوس أهل الجنة مطهرة، فلا تزال تشكر الله تعالى، وإن كان غير مطلوب منهم تلذذاً وفرحاً بنعم الله تعالى، ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى، والكريم لا يعدد نعمه على أضيافه.

قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ﴾ قدم الاستفهام على التأكيد، لأن له صدر الكلام، وهو استفهام انكار وتشنيع، وأن اللام لتأكيد الإنكار، والمعنى: أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي، فكيف تجعلون له شريكاً؟ قوله: (وإدخال ألف) إلخ، المناسب أن يقول وتركه، لأن القراءات السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه. قوله: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق يوماً فسماه يوم الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفات يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت، وهذا هو الصحيح، وقد مشى عليه المفسر، وقيل إن مبدأ الخلق السبت.

قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ عطف على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ عطف سبب على مسبب. قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ اسم الإشارة عائد على الموصول، وأتى بالخطاب مفرداً، اشارة إلى أن المخاطب فرد غير معين. قوله: (وجمع) إلخ جواب عما يقال: إنه اسم جنس يصدق على كل ما سوى الله، والجمع لا بد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر. فأجاب: بأنه جمع باعتبار أنواعه. قوله: (بالياء والنون) اشارة لسؤال آخر، فلو أتى بالواو لكان أوضح. وحاصل هذا السؤال: أن هذا الجمع خاص بالعقلاء، والعالم غالبه غير عاقل. فأجاب بقوله: (تغليباً) إلخ. قوله: (مستأنف) إلخ، هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة، ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، فالأولى اسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ، وقوله: (للفاصل) أي وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ إلخ، فإنه معطوف

الذي للفاصل الأجنبي ﴿فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِيٓ﴾ تمام ﴿أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ﴾ أي الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءٗ﴾ منصوب على المصدر أي استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ١٠ عن خلق الأرض بما فيها ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ﴾ قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ في موضع الحال أي طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾ ١١ فيه تغليب المذكر العاقل، أو

على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ فليس من أجزاء الصلة. قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ الحكمة في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ أنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها، لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول، فجعل الله الجبال فوقها، ليعلم الإنسان أن الأرض وما عليها ممسكة بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال محمد بن كعب: قدر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان، فخص كل قوت بقطر من الأقطار، وأضاف القوت إلى الأرض، لكونه متولداً منها، وناشئاً فيها، وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الأشياء المطلوبة، حتى أن أهل هذه البلدة، يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلدة، وهكذا، فصار ذلك سبباً لرغبة الناس في التجارة واكتساب الأموال؛ وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين، ولو زادت الخلق أضعافاً، وإنما ينقص توصل بعضهم إليه، فلا يجد له ما يكفيه، وفي الأرض أضعاف كفايته. قوله: ﴿في﴾(تمام) ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما يتوهم أن الأيام ثمانية: يومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات، ويومان في خلق السماوات، لينافي في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ والحكمة في تقديره هذه المدة، مع أنه تعالى قادر على خلق كل في قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتأني في الأمور، والبعد من العجلة. قوله: (في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها.

قوله: ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ متعلق بسواء، والمعنى مستوية للسائلين، أي جواب السائلين فيها سواء، لا يتغير لسائل بزيادة ولا نقص. قوله: (قصد) ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي أراد، والمعنى تعلقت ارادته بخلق السماوات. قوله: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ المراد بخار الماء؛ وذلك أن العرش كان على الماء، قبل خلق السماوات والأرض، ثم أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً، فأزبد وارتفع، فخرج منه دخان فارتفع وعلا، فخلق منه السماوات، وأما الزبد فبقي على وجه الماء، فخلق منه اليبوسة، وأحدث منه الأرض. قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾ إلخ، اختلف في قول الله للأرض والسماوات وجوابهما له، فقيل: هو حقيقة وأجابتاه بلسان المقال ولا مانع منه، لأن القادر لا يعجزه شيء، فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا، ويؤيده ما روي أنه نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء بحذائها، فوضع الله فيهما حرمه، وقيل: إن معنى القول في حق الله تعالى، ظهور تأثير قدرته، وكلاهما كناية عن الطاعة والانقياد. قوله: (فيه تغليب المذكر العاقل) أي حيث جمعوا جمعه.

نزلتا لخطابهما منزلته ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى السماء، لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه، أي صيرها ﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به من فيها من الطاعة والعبادة ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ بنجوم ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بفعله المقدر، أي حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ ﴿١٢﴾ بخلقه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ أي كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ خوفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿١٣﴾ أي عذاباً يهلككم مثل

قوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ تفصيل لتكوين السماء. قوله: (أي صير) ﴿سَبْعَ سَمٰوَاتٍ﴾ أشار بذلك إلى أن قضى مضمن معنى صير، فسبع مفعول به. قوله: (وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها ألوفاً من السنين. وأجيب: بأن المراد أنه خلق في مثل ذلك اليوم، كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين. قوله: (ووافق ما هنا) إلخ، أي بتقدير المضاف السابق، والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا؛ وقيل: كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام، بقدر الستة آلاف سنة. إن قلت: إن اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها، وقبل خلق السماوات لا يعقل حصول اليوم، فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه. أجيب: بأن الله تعالى، قدر مقداراً خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء. بقي شيء آخر وهو: أن ما هنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السماوات، قال تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ إلى أن قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾. وأجيب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كروية، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحي بعد ذلك، فلا تناقض، واستشكل ذلك الرزاي وأجاب عنه بما لا طائل تحته. قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الوحي كناية عن التكوين. قوله: (الذي أمر به من فيها) إلخ، وقيل: المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج. قوله: (بفعله المقدر) أي وهو معطوف على ﴿زَيَّنَّا﴾. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ أي المذكور بتفاصيله. قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ مرتب على قوله فيما تقدم ﴿قل أئنكم لتكفرون﴾ إلخ، والمعنى: بين يا محمد لقومك طريق الرشاد، وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك، فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى، فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم، لأنه جرت عادة الله تعالى، أن لا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم وإعراضهم عنه، وفي قوله: ﴿أَعْرَضُوا﴾ التفات من خطابهم بقوله: (أئنكم) إلى الغيبة، إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالإعراض والالتفات من خطابهم، لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله، وهو ليسوا كذلك.

قوله: ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ عبر بالماضي اشارة إلى تحققه وحصوله. قوله: ﴿صَاعِقَةً﴾ هي في الأصل

الذي أهلكهم ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتي، والإهلاك في زمنه فقط ﴿أن﴾ أي بأن ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ على زعمكم ﴿كَـٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟﴾ لما خوفوا بالعذاب ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي لا أحد، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾

الصيحة التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد، والمراد هنا العذاب المهلك، وقرىء شذوذاً صعقة بغير ألف مع سكون العين في الموضعين، وقوله: ﴿مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ التشبيه في مطلق الهلاك، وإن كان هلاك عاد وثمود عاماً، وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم، فهو تشبيه جزئي بكلي، وبهذا اندفع ما قد يقال: إن العذاب العام لا يأتي لهذه الأمة، لما ورد في الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك. وأجيب أيضاً: بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل، وحينئذ فالمعنى: أنتم ارتكبتم أموراً تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود.

قوله: ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ﴾ ظرف لصاعقة الثانية، والمعنى: صعقتهم وقت مجيء رسلهم إليهم، والضمير في ﴿جَاءَتْهُمُ﴾ عائد على ﴿عَادٍ وَثَمُودَ﴾ وقوله: ﴿الرُّسُلُ﴾ المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وادريس وشيث وآدم، لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقي، ومجيء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم، لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد، وتكذيب واحد تكذيب للجميع. قوله: **(أي مقبلين عليهم)** أي وهم هود وصالح، وقوله: **(ومدبرين عنهم)** أي وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح، وهو لف ونشر مرتب.

قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾ إلخ، يصح أن تكون ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية، وكلام المفسر يشير للمعنيين الأولين، حيث قدر الياء و ﴿لَا﴾ ناهية في الأوجه الثلاثة، ويصح أن تكون نافية أيضاً في الوجه الثاني، والفعل منصوب بأن، حذفت منه النون للناصب، و ﴿لَا﴾ النافية لا تمنع عمل ﴿أَنَّ﴾ في الفعل. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي عاد وثمود لهود وصالح. قوله: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أي انزال ملائكته بالرسالة، فمفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف. والمعنى: لو شاء ربنا ارسال رسول، لجعله ملكاً لا بشراً، وهذا توصل منهم لإنكار الرسالة، لزعمهم أنها لا تكون للبشر. قوله: **(على زعمكم)** أي وإلا فهم ينكرون رسالتها.

قوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي تعظموا على أهلها واستعلوا فيها، وهذا شروع في حكاية ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب، بعد الإجمال في كفرهم. قوله: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي فنحن نقدر على دفع العذاب على أنفسنا بقوتنا. قال ابن عباس: إن أطولهم كان مائة ذارع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً. قوله: **(يجعلها)** أي يضعها حيث شاء. قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ إلخ، هذا الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه، خوطب بها النبي ﷺ للتعجيب من مقالتهم الشنيعة، والهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أيقولون ذلك ولم يروا؟ قوله: ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ ضمنه

باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ بكسر الحاء وسكونها مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ الذل ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ﴾ أشد ﴿وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ بمنعه عنهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ بينا لهم طريق الهدى ﴿فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾ اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ﴾ المهين ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿وَنَجَّيۡنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ يُحۡشَرُ﴾ بالياء والنون المفتوحة، وضم الشين وفتح الهمزة ﴿أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾ يساقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿وَقَالُواْ

معنى يكفرون، فعداه بالباء وهو معطوف على قوله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

قوله: ﴿صَرْصَراً﴾ من الصر وهو البرد، أو من الصرير، وهو التصويت بشدة، والمفسر جمع بينهما. قوله: (بكسر الحاء وسكونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، وقيل: هما صفة مشبهة، والسكون للتخيف، كأشر وفرح، وقيل: إنه بالسكون مصدر وصف به. قوله: (مشؤومات) أي غير مباركات من الشؤم ضد اليمن. وهو تفسير لكل من القراءتين، وكان آخر شوال صبح الأربعاء، إلى غروب الأربعاء التي يليها، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً. قال ابن عباس: ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء. قوله: ﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ أي العذاب الخزي، فهو من اضافة الموصوف لصفته، وقوله: (الذل) وصف به العذاب مبالغة، وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب.

قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية. قوله: (بينا لهم طريق الهدى) أي فالمراد بالهداية الدلالة، لا الوصول بالفعل. قوله: ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ أي الإيمان. قوله: (المهين) أي الموقع في الإهانة والذل. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي من الكفر وتكذيب نبيهم. قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي مع صالح وكانوا أربعة آلاف، وتقدم في الأعراف أنه نجا من كان مع هود، قال تعالى: ﴿فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا﴾وكانوا أربعة آلاف أيضاً، كما تقدم لنا في سورة هود. قوله: ﴿وَ﴾(اذكر) ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ ﴿يَوْمَ﴾ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: (اذكر). قوله: (بالياء) أي مع فتح الشين ورفع ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه نائب فاعل. قوله: (وفتح الهمزة) أي من ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه مفعول، والفاعل على كل هو الله تعالى، والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿أَعْدَاءُ اللهِ﴾ المراد بهم كل من كان من أهل الخلود في النار مطلقاً، من أول الزمان لآخره. قوله: ﴿إِلَى النَّارِ﴾ المراد موقف الحساب، وإنما عبر بالنار لأنها عاقبة حشرهم. قوله: (يساقون) وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ولا ينافي ما قاله المفسر، فإن المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم، فيحصل الاجتماع والازدحام، حتى يكون على ألف قدم. قوله: (زائدة) أي للتأكيد، وإنما أكده لأنهم ينكرون مضمون الكلام.

قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ إلخ، أي بأن يخلق الله فيها النطق والفهم والادراك كاللسان، فتقر بما فعلته من المعاصي حقيقة وهو التحقيق، وقيل: النطق كناية عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح، كظهور النتونة على فروج الزناة، ونحو ذلك، وقيل: النطق من غير فهم ولا ادراك. عن أنس بن مالك

لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢١﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء، وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾ بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ نعت والخبر ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟﴾ على العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟﴾ يطلبوا العتبى أي الرضا ﴿فَمَا

قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «أتدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً، وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهوداً، قال: فيختم علي فيه ويقال لأركانه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينها فيقول: بعداً لكن وسحقاً، فعنكن كنت أناضل». قوله: ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ المراد بها مطلق الجوارح، فيكون من عطف العام على الخاص، وقيل: المراد بالجلود خصوص الفروج، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية، ويكون هذا في شهادة الزنا، وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا، والأقرب الأول.

قوله: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ﴾ أي توبيخاً وتعجباً من هذا الأمر. قوله: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ﴾ إلخ، أي جواباً لهم واعتذاراً عما صدر منهم. قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أي تردون إليه بالبعث، وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل، لأن المراد بالرجوع البعث، وما يترتب عليه من العذاب الدائم، والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم. قوله: (قيل هو) أي قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ إلخ. قوله: (كالذي بعده) أي وهو قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾. قوله: (وموقعه) أي مناسبته. قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾ ووجه مناسبته له في المعنى، أنه يقربه من القول، من حيث إن القادر على الإبداء والإعادة؛ قادر على إنطاقها.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ أي تستخفون من هؤلاء الشهود، وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكلية، لأنها ملازمة للإنسان في حركاته وسكناته. قوله: (من) ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ في محل نصب بنزع الخافض، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، والتقدير مخالفة إن يشهد، إلخ. قوله: (عند استتاركم) أي من الناس. قوله: ﴿أَنَّ اللهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً﴾ المراد به ما اخفوه عن الناس من الأعمال، فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق، فكل ما ستروه عن الناس لا يعلمه الله. قوله: ﴿وَذٰلِكُمْ ظَنُّكُمْ﴾ إلخ، اعلم أن الظن قسمان: حسن وقبيح، فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والإحسان والخير، ففي الحديث: «أنا عند ظن عبدي بي» والقبيح أن يظن الله نقصاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله. قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ نتيجة ما قبله.

قوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾ إن قلت: إن النار مأوى لهم صبروا أو لا، فما وجه التقييد بالصبر؟ وأجيب: بأن في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبروا أو لا يصبروا، فالنار مثوى لهم، وإنما حذف

هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ المرضيين ﴿وَقَيَّضْنَا﴾ سببنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب وهو ﴿لأملأن جهنم﴾ الآية ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ عند قراءة النبي ﷺ ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ائتوا باللغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ فيسكت عن القراءة، قال الله تعالى فيهم ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي أقبح جزاء عملهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب

المقابل للعلم به، لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر، فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا، فإن الإنسان مع الصبر، ربما تخف مصيبته أو يعوض خيراً ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه. قوله: **(أي الرضا)** وقيل العتبى الرجوع إلى ما يحبون. قوله: **(المرضيين)** أي المرضي عليهم.

قوله: **﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ﴾** أي لكفار مكة ومعنى (سببنا) هيأنا وبعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض وهو قشر البيض على البيض. قوله: **﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ﴾** أي من القبائح. قوله: **﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(من أمر الدنيا)** إلخ، وقيل: ما بين أيديهم من أمر الآخرة، وما خلفهم من أمر الدنيا، قال القشيري: إذا أراد الله بعبد سوءاً، قيض له إخوان سوء، وقرناء سوء، يحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، وأشر منه النفس وبئس القرين، يدعوه اليوم إلى ما فيه الهلاك، ويشهد عليه غداً؛ وإذا أراد الله بعبد خيراً، قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة، ويحملونه عليها، ويدعونه إليها، وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد شراً، قيض له قبل موته شيطاناً، فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده، ولا قبيحاً إلا حسنه عنده». وعن عائشة قالت: إذا أراد الله بالوالي خيراً؛ جعل له وزير صدق، إن نسي ذكره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد غير ذلك، جعل له وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بعث الله نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله تعالى».

قوله: **﴿وَحَقَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾** أي ثبت وتحقق. قوله: **﴿فِي أُمَمٍ﴾** حال من الضمير في **﴿عَلَيْهِمْ﴾** والمعنى كائنين في جملة أمم. قوله: **﴿قَدْ خَلَتْ﴾** صفة لأمم. قوله: **(هلكت)** المناسب أن يقول مضت. قوله: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ تعليل لاستحقاقهم العذاب**. قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي من كفار مكة، وإنما قالوا ذلك، لأنه لما كان النبي ﷺ يقرأ، يستميل القلوب بقراءته، فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافوا أن يتبعه الناس. قوله: **﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾** اللغو الكلام الذي لا فائدة فيه، وهو بفتح الغين في قراءة العامة من لغي كفرح وقرىء شذوذاً بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث أنصت فقد لغوت. قوله: **(باللغط)** بسكون الغين وفتحها، وهو كلام فيه جلبة واختلاط.

قوله: **﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** أي في القول فإذا غلبتموه وسكت، لأنه لم يكن مأموراً حينئذ بقتالهم. قوله: **(قال تعالى فيهم)** أي في شأنهم. قوله: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾** أي استمروا على الكفر وماتوا عليه.

الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ﴾ بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واواً ﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ إي إقامة الانتقال منها ﴿جَزَآءَۢ﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿يَجۡحَدُونَ ۝٢٨﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ أي إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل ﴿نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ۝٢٩﴾ أي أشد عذاباً منا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَلَّا﴾ بأن لا

قوله: (**أي أقبح جزاء عملهم**) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، دفعاً لما قد يتوهم، أنهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلاً، والمعنى أن المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم، وفي هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط في حال قرءاة القرآن، ويشوش على القارىء ويخلط عليه، فإنه حرام بإجماع، إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه، وإلا فهو كافر.

قوله: ﴿**ذَلِكَ**﴾ أي المذكور من الأمرين كما قال المفسر. قوله: (**بتحقيق الهمزة الثانية**) أي الكائنة أول أعداء، والقراءتان سبعيتان. قوله: (**عطف بيان**) هذا أحد أوجه في إعرابها، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿**جَزَاءُ**﴾ ورد بأن البدل يصح حلول المبدل منه محله، وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار، ويصح أن يكون مبتدأ، و ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾ خبره، ويصح أن يكون خبر مبتدأ محذوف. قوله: ﴿**لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ**﴾ في الكلام تجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة، أمراً آخر موافقاً له في تلك الصفة على سبيل المبالغة، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد. قوله: (**منصوب على المصدر بفعله المقدر**) والتقدير يجزون جزاء. قوله: ﴿**بِآيَاتِنَا**﴾ الباء إما زائدة أو ضمن ﴿**يَجْحَدُونَ**﴾ معنى يكفرون، فعداه بالباء. قوله: (**في النار**) حال من فاعل ﴿**قَالَ**﴾.

قوله: ﴿**أَرِنَا**﴾ أصله أرأينا، فالراء فاء الكلمة، والهمزة الثانية عينها، والياء لامها، حذفت الياء لبناء الفاعل على حذفها، ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها، فسقطت الهمزة وصار وزنه أفنا وهي بصرية، تعدت بالهمزة للمفعول الثاني الذي هو الاسم الموصول، ومفعولها الأول الضمير. والمعنى صيرنا رائين بأبصارنا. قوله: ﴿**مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**﴾ أي لأن الشيطان على قسمين: جني وإنسي، كما قال تعالى: ﴿**وكذلك** جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ وقدم الجن لأنهم أصل الضلال. قوله: (**سنا الكفر والقتل**) لف ونشر مرتب، فقابيل أخو هابيل، فهو أول من سن القتل، وإبليس أول من كفر بالله. قوله: ﴿**نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا**﴾ أي إما حقيقة فيكونان أشد عذاباً منا، أو هو كناية عن كونهم في الدرك الأسفل. قوله: ﴿**لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ**﴾ أي في دركات النار.

قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ**﴾ إلخ، شروع في بيان حال المؤمنين، إثر بيان وعيد الكفارين. والمعنى: قالوا ربنا الله اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته. قوله: ﴿**ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ أي ظاهراً أو باطناً، بأن فعلوا المأمورات، واجتنبوا المنهيات، وداموا على ذلك إلى الممات، قال عمر بن الخطاب: الاستقامة إن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تزوغ زوغان الثعلب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق. قوله: (**عند الموت**) أي أو عند الخروج من القبر، ولا مانع من الجمع، والمراد ملائكة الرحمة

﴿ تَخَافُواْ ﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ على ما خلفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ تطلبون ﴿نُزُلًا﴾ رزقاً مهيأ منصوب بجعل مقدراً ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ أي الله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا ﴾ أي لا أحد أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

تأتيهم بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن. قوله: ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، أو مصدرية، أو مفسرة، وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين، والخوف غم يلحق النفس، لتوقع مكروه في المستقبل، والحزن غم يلحقها لفوات نفع في الماضي.

قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ أي وهي دار الكرامة التي فيها من النعيم الدائم والسرور، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قوله: ﴿الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي في الكتب المنزلة وعلى ألسنة الرسل. قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إلخ، يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى، وهو ولي المؤمنين ومولاهم، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة. والمعنى: كنا أولياءكم في الدنيا، ونكون معكم في الآخرة، فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ من الدعاء بمعنى الطلب، وهو أعم من الأول. والمعنى: لكم كل ما تشتهون وكل ما تطلبون، ولو لم يكن مشتهى، كالرتب العلية والفضائل السنية. قوله: (منصوب بجعل مقدراً) ويصح أن يكون حالاً من قوله: ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾. قوله: ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ متعلق بتدعون أو صفة لنزلاً، وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلاً، إشارة إلى مزيد السرور لهم وإكرمهم، وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة، ويتجلى لهم بأوصاف الجمال، دون أوصاف الجلال.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ إلخ، وقيل: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي جمع تلك الأصاف، لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولاً، كالأشعري والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة، وفعلاً كالمجاهدين، ومنهم الداعون إلى الله بالأحكام الشرعية، كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم، ومنهم الداعون إلى الله تعالى، بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب، بحيث يكون دائماً في حضرة الله، ليس في قلبه سواه، كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالإعلام بأداء الفرائض، كالمؤذنين، وهذه الأقسام مجموعة في النبي عليه الصلاة والسلام، متفرقة في أصحابه، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم، وهكذا إلى يوم القيامة، لقوله في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، ولا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». قوله: (بالتوحيد) أي وفروعه وإنما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها.

قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ أي امتثل أمر ربه واجتنب نواهيه، وحيث كان داعياً إلى الله، مع اتصافه بالعمل الصالح، كان قوله مقبولاً، ويؤثر في القلوب، وأما من كان بخلاف ذلك، فلا يكون قوله مقبولاً، ولا يؤثر في القلوب، ولا تنبغي صحبته، قال العارف: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك

إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتها لأن بعضها فوق بعض ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئة ﴿بِٱلَّتِي﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ أي فصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فالذي مبتدأ، وكأنه الخبر، وإذا ظرف لمعنى التشبيه ﴿وَمَا

على الله مقاله، وقال بعضهم:

أتنهي الناس ولا تنتهي ... متى تلحق القوم يا لكع
ويا حجر السن ما تستحي ... تسن الحديد ولا تقطع

فمن لم يؤثر كلامه في نفسه، فلا يؤثر في غيره بالأولى. قال بعضهم:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

وبالجملة، فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح، وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون، الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق، وهم موجودون في كل زمن، غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم، إلا من لحظه الله تعالى بفضله، كما قال بعض العارفين: الأولياء عرائس مخدرة، ولا يرى العرائس المجرمون، نفعنا الله بهم أجمعين. قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي تحدثاً بنعمة ربه، وفرحاً بالإسلام. قوله: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يحتمل أن ﴿لَا﴾ زائدة للتوكيد، لأن الاستواء لا يكون من واحد، بل من اثنين، كأنه قال: لا تستوي الحسنة مع السيئة، بل الحسنة خير، والسيئة شر، ويحتمل أن ﴿لَا﴾ أصلية، والمعنى: لا تستوي مراتب الحسنات، بل بعضها أعلى من بعض، ولا تستوي مراتب السيئات، بل بعضها أعلى من بعض، فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات، وهذا ما مشى عليه المفسر. قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي حيث فعلت معك سيئة، ادفعها بخصلة هي أحسن. قوله: (كالغضب بالصبر) إلخ، أي أعلى مراتب أن تعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وقد كان هذا خلق رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ إلخ. ﴿إِذَا﴾ فجائية ظرف لمعنى التشبيه، فعاملها معنوي مؤخر، واغتفر تأخير عاملها المعنوي، لأنه يغتفر في الظروف ما لا يغتفر في غيرها؛ و ﴿الَّذِي﴾ مبتدأ و ﴿بَيْنَكَ﴾ خبر مقدم، و ﴿عَدَاوَةٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة صلة الموصول، و ﴿كَأَنَّهُ﴾ إلخ، خبر الموصول، والمعنى: فإذا فعلت مع عدوك ما ذكر، فاجأك في الحضرة انقلابه وصيرورته مشابهاً في المحبة للصديق الذي لم تسبق منه عداوة. قوله: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الحميم يطلق على الماء الحار، وعلى القريب الذي تهتم لأمره، وهو المراد هنا. قوله: (فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولي الحميم، فالولي القريب والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولي، قال بعضهم في وصفه:

﴿يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي يؤتي الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾ ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ بالفعل ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لا يملون

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

قوله: (في محبته) هذا هو وجه الشبه. قوله: (إذ فعلت ذلك) أي الإحسان للعدو. قوله: (التي هي أحسن) الأوضح أن يقول: وهي مقابلة الإساءة بالإحسان. قوله: (ثواب) ﴿عَظِيمٍ﴾ وقيل: المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس.

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ إلخ، المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى: وإن يوسوس الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله، أي اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب، فإنه ربما يحمله على ارتكاب منهي عنه، فإذا حصل عنده فليدفعه باستعاذة، فإن لم يزل فليدفعه بالسكون، ثم بالجلوس إن كان قائماً، ثم بالاضطجاع إن كان جالساً، فإن لم يزل بعد ذلك، ذهب من المكان الذي هو به. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله، وفي هذه الآية دليل على استعمال التعوذات في الصباح والمساء، لأن الإنسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية، فلذلك ورد في الأحاديث وفي كلام العارفين، كثرة التعوذ في هذين الوقتين، فتدبر.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خبر مقدم، و ﴿اللَّيْلُ﴾ وما عطف عليه مبتدأ مؤخر، والمعنى: ومن دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل إلخ، أي ظهور كل من هذه الأربع. قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ خصهما بالذكر، لأن الكفار عبدوهما من دون الله. قوله: (أي الآيات الأربع) وإنما عبر عنها بضمير الإناث، مع أن غالبها مذكر، والعادة تغليب المذكر لا العكس، نظراً للفظ الآيات، فإن مفرده آية وهو مؤنث. قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي تفردونه بالعبادة، فاتركوا عبادة غيره. قوله: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي تكبروا وعاندوا، حيث جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلهاً معبوداً.

قوله: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ علة لجواب الشرط المحذوف، والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين إلخ، والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان، فهو كما تقول: عند الملك من الجند كذا وكذا. قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هذا من مجاراة الكفار، وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته، لم ينقص ملكه شيء، لما في الحديث: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من ألحد ولحد ﴿فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤١﴾ منيع ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ﴾ أي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤٢﴾ أي الله المحمود في أمره ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ

واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ خبر مقدم و ﴿إِنَّ﴾ وما دخلت عليه، في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والتقدير: ومن آياته رؤيتك الأرض، إلخ. قوله: **(يابسة)** أي فالأرض الخاشعة هي الغبراء التي ليس بها نبات، استعير لها حال الخاشع، وهو الذل والتقاصر. قوله: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة، وارتفع ترابها وعلا، فالآية باقية على أصلها خلافاً لمن قال: إن فيها قلباً، والتقدير ربت واهتزت. قوله: ﴿لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ أي يبعثهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ أي يميلون عن الاستقامة في الدين، ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والأكاذيب. قوله: **(من ألحد ولحد)** أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضم الياء وكسر الحاء من ألحد رباعياً، وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثياً، من باب نفع، والإلحاد الميل والعدول، ومنه اللحد في القبر، لأنه أميل إلى ناحية منه. قوله: **(فنجازيهم)** أي بأعمالهم. قوله: ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً﴾ عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل: أم من يدخل الجنة، تصريحاً بحصول الأمن لهم؛ وانتفاء الخوف عنهم. قوله: **(تهديد لهم)** أي للكفار، وزيادة مسرة للمؤمنين.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلخ، خبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف قدره المفسر بقوله: **(نجازيهم)** وهو أحد أعاريب وهو أسهلها، وقيل: إنه جملة لا يأتيه الباطل، إلخ، والعائد محذوف، والتقدير: لا يأتيه الباطل منهم، والمعنى لا يبلغون مرادهم فيه، بل هو محفوظ منهم، وقيل: إن الخبر قوله ما يقال لك، إلخ، والعائد محذوف ما يقال لك في شأنهم، وقيل غير ذلك. قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿كَفَرُوا﴾. قوله: ﴿لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ الجملة حالية من الذكر والمعنى، والتقدير: كفروا بالقرآن حين جاءهم، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره، قال البوصيري:

كم جدلت كلمات الله من جدل ... فيه وكم خصم البرهان من خصم

قوله: **(منيع)** فعيل بمعنى فاعل، أي مانع المعارض عن الخوض فيه، ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال. قوله: **(أي ليس قبله كتاب يكذبه)** إلخ، أي لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع، ليس بعده كتاب أصلاً، وليس قبله ما تقدح فيه، وفي كلام المفسر لف ونشر مشوش، فقوله: **(ليس قبله)** راجع للخلق، وقوله: **(ولا بعده)** راجع لما بين يديه. قوله: ﴿مِنْ حَكِيمٍ﴾ الحكيم هو الذي يضع الشيء في محله. قوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ إلخ، شروع في تسليته ﷺ على ما يصيبه من

قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ للكافرين ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿فُصِّلَتْ﴾ بينت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿ءَأَ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ نبي ﴿عَرَبِيٌّ﴾ استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ ثقل فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٤٤﴾ أي هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ ﴿٤٥﴾ موقع في الريبة ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾

أذى الكفار. قوله: (من التكذيب) أي من أجل حصوله ووقوعه. قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ إلخ، هذا هو المقول، والمعنى: ما يقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم، إلا قولاً مثل ما قيل للرسل من قبلك وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ إلخ.

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِياً﴾ لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم. قوله: ﴿لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي بلسان نفهمه وهو لسان العرب، وقوله: ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ إلخ، جملة مستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى: أنهم طلبوا أولاً نزوله بلغة العجم، فرد الله عليهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي جاءت بلغة العرب، وأخبر الله تعالى أنه لو جاءهم بلغة العجم، لادعوا التنافي بين كونه بلغة العجم، وكون الجائي به عربياً، وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أي حال، والأعجمي يقال للكلام الذي لا يفهم وللمتكلم به، والياء للمبالغة في الوصف، كأحمري وأعجمي، خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله: (أقرآن) إلخ، وكذا قوله: ﴿وَعَرَبِيٌّ﴾. قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي من غير ألف بينهما، وقوله: (وقلبها ألفاً) أي ممدوداً مداً لازماً، وهاتان قراءتان، وقوله: (بإشباع ودونه) سبق قلم منه، والصواب أن يقول: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه، فالإشباع هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة، وعدمه هو ترك الإشباع، وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضاً وهي اسقاط الهمزة الأولى.

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا به وأذعنوا له. قوله: ﴿وَشِفَاءٌ﴾(من الجهل) أي ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية. قوله: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و ﴿فِي آذَانِهِمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿وَقْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول. قوله: (فلا يسمعونه) أي لوجود الحجاب على قلوبهم، فلا يوفقون لاتباعه. قوله: (أي هم كالمنادي) إلخ، أي فالكلام فيه استعارة تمثيلية، حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ، وإعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من ينادي من مكان بعيد، والجامع عدم الفهم في كل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة غير مختص بقومك، وهو تسلية له ﷺ، والمعنى لا تحزن على اختلاف قومك في كتابك فقد اختلف من قبلهم في كتابه. قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي عجل لهم العذاب. قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أي من أجل

عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَارَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ أي بذي ظلم، لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تكون لا يعلمه غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ﴾ وفي قراءة ثمرات ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ﴾ أعلمناك الآن

المخالفة، وقوله: ﴿مُرِيبٍ﴾ أي مورث شكاً آخر. قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾(عمل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق محذوف ويصح أن يكون خبر المحذوف، أي فعمله الصالح لنفسه، والجملة على كل حال جواب الشرط، إن جعلت شرطية، أو خبر لها إن جعلت موصولة، وكذا يقال في الجملة بعدها. قوله: (أي بذي ظلم) جواب عما يقال: إن الآية لم تنف أصل الظلم. فأجيب: بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة، والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز، أي منسوب للتمر والخبز. إن قلت: إن الظلم مستحيل على الله تعالى، لأن التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه، فكيف يتصور اثباته حتى يحتاج لنفيه؟ أجيب: بأن المراد الظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم، وإنما سماه ظلماً تفضلاً منه واحساناً، كأن الله تعالى يقول: لا أدخل أحداً النار من غير ذنب، فإن فعلت ذلك كنت ظالماً وهو مستحيل، على حد ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ فتدبر.

قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿قل إنما علمها عند ربي﴾ ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ فالمعنى تعيين وقت مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. قوله: (لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور، والمعنى: لا يفيد علمه غيره تعالى، فلا ينافي أن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا، حتى اطلع على ما كان وما يكون وما هو كائن، ومن جملته وقت الساعة، ولكن أمر بكتمانه، فلا يفيد السائل عنه شيئاً. قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ المراد الجنس، وقوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً والجمع ظاهر. قوله: (جمع كم بكسر الكاف) أي وهو ما يغطي الثمرة من النوار والزهر، ويجمع أيضاً على أكمة وكمام، وأما ما يغطي اليد من القميص فبالضم، وجمعه أكمام، وقيل: ما يغطي الثمرة بالضم والكسر، وما يغطي اليد بالضم فقط.

قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾ إلخ، أي يعلم قدر أيام الحمل وساعاته، وكونه ذكراً أو أنثى، واحداً أو متعدداً، غير ذلك، ويعلم وقت وضعه ومكانه. قوله: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: وما يحدث شيء، من خروج ثمرة، أو حمل حامل أو وضعها، إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأولين، لدلالة الثالث عليه. إن قلت: قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف، وبعض الكهنة والمنجمين. أجيب: بأن صاحب الكشف عليه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط، وأما الكهنة والمنجمون، فعلمهم مستند لأمور ظنية قد تصيب، والغالب عليها الخطأ. قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ أي بزعمكم وفيه تقريع وتهكم بهم. قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي يقولون، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: (الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لا الإخبار عما سبق، فالجملة خبرية لفظاً إنشائية معنى، ويصح أن يراد الإخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به، فأخبروا وقالوا آذناك.

﴿مَامِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾﴾ أي شاهد بأنَّ لك شريكاً ﴿وَضَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّواْ﴾ أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين معلق عن العمل، وجملة النفي سدَّت مسد المفعولين ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَذَقْنَـٰهُ﴾ آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى﴾ أي بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ شديد، واللام في الفعلين لام قسم ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ثنى عطفه

قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ أي غالب نفعهم عنهم، فلا يشفعون لهم، ولا ينصرونهم، وهذا في المحشر، وأما في النار فيجمعون معهم. قوله: ﴿مِنْ مَحِيصٍ﴾ أي فرار ومهرب من النار. قوله: **(والنفي)** أي وهو ﴿مَا﴾ وقوله: **(في الموضعين)** أي وهما: ما منا، وما لهم. **(معلق عن العمل)** التعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والعامل المعلق هو آذن وظن. قوله: **(وجملة النفي)** أي في الموضعين. قوله: **(سدت مسد المفعولين)** أي الأول والثاني لظنوا، والثالث لآذنا، فإنه يتعدى لثلاثة، كأعلم وأرى، والمفعول الأول الكاف.

قوله: ﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ﴾ المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر. قوله: ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ المصدر مضاف لمفعوله. قوله: **(وغيرهما)** أي كالولد ونحوه من خير الدنيا. قوله: ﴿فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ خبران لمبتدأ محذوف، أي فهو قبل اليأس والقنوط مترادفان، وجمع بينهما للتأكيد، وقيل: اليأس قطع الرجاء من رحمة الله، والقنوط إظهار اثاره على ظاهر البدن، ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى: ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ ويئس من باب فهم، وقنط من باب جلس ودخل وطرف. قوله: **(وما بعده)** أي وهو قوله: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْحُسْنَى﴾ وأما قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ﴾ إلخ، تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه. قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف، لسد جواب القسم مسده، للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

قوله: **(أي بعملي)** أي بما لي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير. قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي تقوم. قوله: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم، وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعنت منها: القسم وإن، وتقديم الظرف والجار والمجرور. قوله: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جواب لقول الكافر ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ﴾ إلخ. قوله: **(الجنس)** أي من حيث هو مسلماً أو كافراً، ولكنه مشكل بالنسبة للكافر، فإنه تقدم عند مس الشر، كان يؤوساً قنوطاً، وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض، فيقتضي أنه راج، فحصل بين الآيتين التناقض. وأجيب: بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون

متبختراً، وفي قراءة بتقديم الهمزة ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ كثير ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ عن الحق، أوقع هذا موقع منكم بياناً لحالهم ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾ أقطار السماوات والأرض من النيرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾ المنزل من الله بالبعث والحساب

آخرين أو على الكل، لكن الأوقات مختلفة، فبعض الأوقات يكونون آيسين، وبعض الأوقات يكونون راجين.

قوله: ﴿وَنَاءَ بِجَانِبِهِ﴾ بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال، وقوله: (وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضاً وقوله: (بتقديم الهمزة) أي على الألف بوزن رمى، والنون مقدمة على كليهما. قوله: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي فهو ذو دعاء. قوله: (كثير) أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال: أطال فلان الكلام، وأعرض في الدعاء إذا أكثر. قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ رأى في الأصل علمية أو بصرية، أطلق العلم أو الإبصار، وأريد ما ينشأ عنه وهو الخبر، ثم أطلق الاستفهام عن العلم أو الإبصار، وأريد منه طلب الإخبار، ففيه مجازان. قوله: (كما قال النبي) المناسب إسقاطه. قوله: (أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري. قوله: (أوقع هذا) أي قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ الضمير عائد على كفار مكة، والمعنى: سنري كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق، جمع أفق كأعناق وعنق، ويقال أفق بفتحتين، كعلم وأعلام. قوله: (من النيرات) أي الشمس والقمر والنجوم، وقوله: (والأشجار والنبات) أي والرياح والأمطار والجبال والبحار، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية.

قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي كخلقهم أولاً، نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً، ثم بعد تمام مدتهم في البطون، يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعافاً، ثم يعطيهم القوة شيئاً فشيئاً وهكذا، واستشكل ظاهر الآية، بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال، مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال. أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها، ففيه وعد للمعتبر، ووعيد لغيره، لأن حكمة هذه الآيات، النظر والتأمل والاعتبار، فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد، ومن تركه فقد شقي. قوله: (من لطيف الصنعة وبديع الحكمة) من ذلك ما خلقه وأبدعه في نفس الإنسان، كالأكل والشرب، يدخل من مكان واحد، ويتميز ذلك خارجاً من مكانين مختلفين، لا يختلط أحدهما بالآخر، وبالبصر فإنه ينظر به السماء من الأرض مسيرة خمسمائة عام، والسمع فإنه يفرق به بين الأصوات المختلفة، وغير ذلك، وهذا ما قرر به المفسر الآية. وهناك احتمالات أخر منها: أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده، الذي لم يتيسر مثله لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم، وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده، ومنها: أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة، والمراد بأنفسهم ما حصل لهم يوم بدر من القتل والأسر، ومنها غير ذلك.

والعقاب، فيعاقبون على كفرهم به، وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ فاعل يكف ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ بدل منه، أي أو لم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء ما ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

قوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ إلخ، الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أتحزن على إنكارهم ومعارضتهم لك، ولم يكفك ربك؟ والاستفهام انكاري، والباء زائدة في الفاعل، والمفعول محذوف تقديره يكفك، وإن وما دخلت عليه في تأويل مصدر بدل من الفاعل، بدل كل من كل، والمعنى: أتحزن على كفرهم، ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم؟ والمفسر قرر الآية بتقرير آخر، والمؤدى واحد، حيث جعل الآية إخباراً عن حالهم، وعليه فالمعنى: ألم يعتبروا؟ أو لم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق، وعليهم بالتكذيب؟ قوله: (لأنكارهم البعث) أي بألسنتهم، والمعنى: أن الدليل لنا على كونهم في شك من لقاء ربهم، إنكارهم بألسنتهم للبعث، ولا يقال: إن عندهم جزماً في قلوبهم بعدم البعث، لأننا نقول: لا دليل لهم عليه، حتى يحصل الجزم بالأوهام، أو وساوس شيطانه، والحجة القطعية إنما هي على البعث، وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر. قوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ تسلية له ﷺ والمعنى: لا تحزن على كفرهم، فإن الله محيط بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومن لازمه أنه يجازيهم، فلذلك قال المفسر: (فيجازيهم).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكيّة
وآياتها ثلاث وخمسون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ ①﴾ ﴿عٓسٓقٓ ②﴾ الله أعلم بمراده به ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ﴾ فاعل الإيحاء ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشورى مكية

إلا ﴿قل لا أسألكم﴾ الآيات الأربع. وهي ثلاث وخمسون آية

بالتعريف، وتسمى أيضاً سورة شورى من غير تعريف، وسورة حم عسق، وسورة عسق، وسورة حم سق. قوله: (**إلا ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾**) إلخ، وقيل: أول المدني ﴿ذلك الذي يبشر الله عباده﴾ وينتهي إلى ﴿عليم بذات الصدور﴾ وقيل: فيها من المدني أيضاً. قوله: ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ إلى قوله: ﴿من سبيل﴾. قوله: ﴿حٓم عسق﴾ أجمع القراء على أن ﴿حٓم﴾ مفصولة من ﴿عسق﴾ في الخط، وعلى أن ﴿كهيعص﴾ متصلة ببعضها، والحكمة في ذلك أن ﴿حٓم عسق﴾ فصلت لما قيل: إنهما اسمان للسورة، وأيضاً ليطابق سائر الحواميم. قوله: (**أي مثل ذلك الإيحاء**) أشار بذلك إلى أن الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة، والمعنى: يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ايحاء مثل ذلك الإيحاء في المعنى، لما ورد عن ابن عباس: ليس من نبي صاحب كتاب، إلا وقد أوحي إليه ﴿حٓم عسق﴾ ووجه المشابهة أن الوحي به في الكل، يرجع لأمور ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والبعث، فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب.

قوله: ﴿يُوحِي إِلَيْكَ﴾ جمهور القراء على أنه بالياء مبنياً للفاعل والله فاعله، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل إما ضمير عائد على ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أو الجار والمجرور، وقوله: ﴿الله الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه؟ فقيل: يوحيه الله، نظير ﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ وقرىء شذوذاً بالنون مبنياً للفاعل، ولفظ الجلالة بدل من الضمير في نوحي الواقع فاعلاً. قوله: ﴿وَ﴾ (أوحى) ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أشار بذلك إلى أن يوحي مستعمل في حقيقته ومجازه، فهو مستعمل في المستقبل، بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ، وفي الماضي بالنظر لما أنزل عليه بالفعل،

ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾ في صنعه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ على خلقه ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ ﴿٤﴾ الكبير ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء والياء ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾ أي تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله تعالى ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ملابسين للحمد ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٥﴾ بهم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾ محص ٍ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦﴾ تحصل

وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين. قوله: (فاعل الإيحاء) أي على قراءة الجمهور، وأما على قراءة البناء للمفعول، فهو فاعل بفعل محذوف، وعلى قراءة النون، فهو بدل من ضمير نوحي.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾(على خلقه) أي المنزه عن صفات خلقه. قوله: ﴿الْعَظِيمُ﴾ أي المنفرد بالكبرياء والعظمة. قوله: (بالنون) إلخ، ظاهره أن القراءات أربع، من ضرب اثنتين في اثنتين، وليس كذلك، بل هي ثلاثة فقط سبعيات، لأن من قرأ ﴿تَكَادُ﴾ بالتاء الفوقية، يجوز في ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ الوجهين، ومن قرأ (يكاد) بالياء التحتية لا يقرأ يتفطرن إلا بالتاء مع التشديد. قوله: (أي تنشق كل واحدة) أي تسقط السابعة فوق السادسة، والسادسة فوق الخامسة، وهكذا، إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض ﴿فتنشق الأرض وتخر الجبال هداً﴾والتقييد بالفوقية أبلغ، في مزيد الهيبة والجلال. قوله: (فوق التي تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ عائد على ﴿السَّمٰوَاتُ﴾ ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين، أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض. قوله: (من عظمته تعالى) أي فالسماوات تكاد تنشق وتخر، خوفاً من الجلال الناشىء على قولهم ﴿اتخذ الله ولداً﴾ يدل على ذلك ما تقدم في سورة مريم.

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ إلخ، هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بني آدم. قوله: (من المؤمنين) أي والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله، بدليل ما تقدم في غافر، فحمل المطلق على المقيد، وقيل: المراد مطلق الملائكة وبمن في الأرض العموم، فيشمل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء، وكل صحيح، ولذلك قال بعض العارفين: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة، وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ اللهَ﴾ إلخ ﴿أَلَا﴾ أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد ما بعدها، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة، وأكد بألا الاستفتاحية، و ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية تفضلاً منه وإحساناً، للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه. قوله: (أي الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف، والثاني هو قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ والمعنى: والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ يدل عليه الآية الأخرى، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم، وتولاهم بمحبته ومعرفته، فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله، لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله، وليست محبتنا لهم، وتوسلنا بهم شركاً، إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً، واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضر، خلافاً للخوارج الضالين المضلين، حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك. قوله: ﴿الله حَفِيظٌ﴾ أي ضابط لهم ولأعمالهم، فلا يغيب عنه شيء منها، ولا يفلتون منه، فهذه الآية توبيخ للكفار، وتسلية له ﷺ.

المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ﴾ تخوف ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ أي يوم القيامة، تجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿٧﴾ النار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي على دين واحد وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٨﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أم منقطعة بمعنى بل التي للانتقال، والهمزة

قوله: ﴿وَكَذٰلِكَ﴾ يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لأوحينا، و ﴿قُرْآناً﴾ مفعول به، والتقدير: وأوحينا اليك قرآنا عربياً إيحاء كذلك، واسم الإشارة عائد على الإيحاء المتقدم في قوله: ﴿كذلك يوحي إليك﴾ إلخ، ويصح أن يكون مفعولاً به، و ﴿قُرْآناً﴾ حال، والتقدير: وأوحينا إليك ذلك الإيحاء، حال كونه قرآناً عربياً. قوله: ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها، ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم، وهو سيدنا محمد ﷺ. قوله: ﴿وَمِنْ حَوْلَهَا﴾ أي من كل جهة، فهو مبعوث لسائر أهل الأرض، بل وأهل السماء، وإنما اقتصر على الإنذار، وإن كان مبعوثاً بالبشارة أيضاً، لأنه في ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى، لأن الخلق في ذلك الوقت كفار.

قوله: ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ هو المفعول الثاني، والأول محذوف قدره المفسر بقوله: **(الناس)** عكس الفعل الأول، فإنه قد ذكر المفعول الأول، وحذف الثاني تقديره العذاب، ففي الآية احتباك، حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده، والمسوغ للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى، أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم، أو خبر لمبتدأ محذوف أي هم. قوله: ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ المراد بها دار الثواب، فنعم جميع الجنان، وقوله: ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ المراد به دار العذاب بجميع طباقها، فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين إنساً وجناً، والنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين إنساً وجناً.

قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللهُ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة، والمعنى: أن الأمر كله لله، فلا يسأل عما يفعل لحكمة سبقت، بأن خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق ناراً وخلق لها أهلاً. قوله: **(وهو الإسلام)** أي أو الكفر. قوله: ﴿وَلَٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي بفضله وإحسانه، وهم فريق الجنة. قوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ أي وهم فريق النار، وهو مقابل قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ كان مقتضى الظاهر أن يقال: ويدخل من يشاء في غضبه، وعدل عنه إلى ما ذكر، إشارة إلى دفع توهم، أن لهم شفيعاً ونصيراً في الآخرة، وأما دخولهم في الغضب، فأمر معلوم لا يحتاج للنص عليه. قوله: **(الكافرون)** تفسير للظالمون، فالمراد بالظلم الكفر، وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر، فلهم نصير يدفع عنهم العذاب، لما في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». قوله: **(التي للانتقال)** أي من بيان المسبب لبيان السبب، فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب في دخولهم النار. قوله: **(والهمزة للإنكار)** هذا أحد أوجه في ﴿أَمْ﴾ المنقطعة، وهو أنها تقدر ببل والهمزة، ويصح تقديرها ببل وحدها، أو الهمزة

للإنكار، أي ليس المحذوف أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ﴾ أي الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٩﴾ ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ أرجع ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ حيث خلق حوَّاء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ بالمعجمة يخلقكم ﴿فِيهِ﴾ في الجعل المذكور، أي يكثركم بسببه بالتوالد، والضمير للأناسي، والأنعام بالتغليب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة لأنه تعالى لا مثل له ﴿وَهُوَ

وحدها. قوله: (أي ليس المتخذون أولياء) أي فالنفي منصب على المفعول الثاني.

قوله: ﴿فالله هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي المعبود بحق المتولي أمور الخلق، والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق الله تعالى، إن قلت: مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق، ومقتضى آية ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أنه يتصف به المخلوق، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن معنى الولي هنا المعبود بحق، وذلك لا يتصف به غيره تعالى، وأما الولي في تلك الآية، فمعناه المنهمك في طاعة الله تعالى، المتولي الله أموره، وتقدم ذلك. قوله: (والفاء لمجرد العطف) أي عطف ما بعدها على ما قبلها، ورد بذلك على الزمخشري القائل: إن الفاء واقعة في جواب الشرط مقدر، أي إن أرادوا ولياً بحق، فالله هو الولي، قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير، لتمام الكلام بدونه.

قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿مَا﴾ مبتدأ شرطية أو موصولة، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ خبر المبتدأ. قوله: (وغيره) أي كأمور الدنيا. قوله: (يفصل بينكم) أي فيدخل المحق الجنة والمبطل النار. قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ اسم الإشارة مبتدأ، أخبر عنه بأخبار، أولها لفظ الجلالة، وآخرها ﴿شرع لكم من الدين﴾. قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي فوضت أموري. قوله: (مبدعهما) أي على غير مثال سابق.

قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي من جنسكم، وقوله: ﴿أَزْوَاجاً﴾ أي نساء. قوله: (حيث خلق حواء من ضلع آدم) أي اليسرى وهو نائم، فلما استيقظ ورآها، سكن ومال إليها، ومد يده إليها، فقالت الملائكة: مه يا آدم، قال: لم وقد خلقها الله لي؟ فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: حتى تصلي على محمد ثلاث مرات، وفي رواية: لما رام آدم القرب منها، طلبت منه المهر، فقال: يا رب وما أعطيها؟ فقال: يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشرين مرة، فلما فعل ما أمر به، خطب الله له خطبة النكاح ثم قال: اشهدوا يا ملائكتي وحملة عرشي، أني زوجت أمتي حواء من عبدي آدم، والضلع بوزن عنب وحمل، فالضاد مكسورة، واللام إما مفتوحة أو ساكنة، وفعله ضلع من باب تعب اعوج، ومن باب نفع مال عن الحق.

قوله: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾ أي أصنافاً. قوله: (أي يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن في السببية، والضمير في ﴿فِيهِ﴾ عائد على (الجعل) المأخوذ من جعل. قوله: (والضمير للأناسي) أي وهو الكاف في ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾. قوله: (بالتغليب) جواب عما يقال: كيف جمع بين العاقل وغيره في ضمير واحد؟

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ لما يفعل ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟

فكان مقتضى الظاهر أن يقال: يذرؤكم ويذرؤها. قوله: (الكاف زائدة) أي للتأكيد، وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر، وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال، لأنه يصير التقدير: ليس مثل مثله شيء، فنفى المماثلة عن مثله، فثبت أن له مثلاً، ولا مثل له، وأيضاً يلزم عليه التناقض، لأنه إذا كان له مثل، فلمثله مثل، وهو هو، مع أن إثبات المثل له تعالى محال، فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة، والتقدير: ليس مثله شيء، وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام. وأجيب أيضاً: بأن مثل زائدة، ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة أيضاً، يلزم عليه دخول الكاف على الضمير، وهو لا يجوز إلا في الشعر. وأجيب أيضاً: بأن المثل بمعنى الصفة، وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شيء. وأجيب أيضاً: بأن الكاف أصلية، والكلام من قبيل الكناية كقولهم: مثلك لا يبخل، وليس لأخي زيد أخ، ففي المماثلة عن المثل مبالغة في نفيها عنه، لأن العرب تقيم المثل مقام النفس.

قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ جمع مقلاد، أو مقليد، أو أقليد. قوله: (من المطر) إلخ، بيان للخزائن، وقوله: (وغيرهما) أي كالجواهر المستخرجة من الأرض. قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعليل ما قبله. قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى بين لكم وجعل لكم ديناً قوياً واضحاً، تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل، وهو تفصيل لما أجمل أولاً في قوله: ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك﴾.

قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾ إلخ، خص هؤلاء بالذكر، لأنهم أكابر الأنبياء، وأولي العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة، فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد، وأما من عداهم من الرسل، إنما كان يبعث بتبليغ شرع ما قبله، فمن بين نوح وإبراهيم، وهما هود وصالح، بعثا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى، بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا من بين موسى وعيسى، بعثوا بتبليغ شرع موسى، وإنما يذكر من قبلهم، لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة، لأن آدم كان شرعه التوحيد، ومصالح المعاش، واستمر ذلك الأمر إلى نوح، فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل، ويتناصر بالأنبياء، واحداً بعد واحد وشريعة إثر شريعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية، قد جمع جميع الشرائع المتقدمة. قوله: (هو أول أنبياء الشريعة) أي فهذا حكمة بدئه بنوح، وأيضاً لتقدمه في الزمان.

قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أتى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات، وعبر في جانبه ﷺ بالإيحاء، تعظيماً لشأنه، ورداً على المشركين المنكرين بعثته ﷺ حيث قالوا: لست مرسلاً. قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ الأوضح أن ﴿أَنْ﴾ تفسيرية بمعنى أي، ويصح أن تكون مصدرية، إما في محل رفع خبر

﴿فِيهِ﴾ هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَبُرَ﴾ عظم ﴿عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ يقبل إلى طاعته ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي أهل الأديان في الدين، بأن وحد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾ ﴿١٤﴾ موقع في الريبة ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدْعُۖ﴾ يا محمد الناس ﴿وَٱسْتَقِمْ﴾ عليه ﴿كَمَآ

لمحذوف تقديره هو إقامة الدين، أو في محل نصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾ والمراد بإقامة الدين، تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه. قوله: (وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل، وأما قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو أعم من ذلك، فإن المراد به جميع الشريعة أصولاً وفروعاً، وإنما اقتصر على التوحيد، لأنه رأس الدين وأساسه.

قوله: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي شق عليهم. قوله: (من التوحيد) اقتصر عليه لأنه عماد الدين، وإلا فما يدعوهم إليه عام، يشمل جميع الأصول والفروع. قوله: ﴿الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه، وتخصيصه بالفيوضات الربانية. قوله: ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ ضمنه معنى يقبل أو يميل، فعداه بإلى. قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ الضمير عائد على أهل الأديان المتقدمين، من أول الزمان إلى آخره، كما قال المفسر، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين، كأمة نوح، وأمة هود، وأمة صالح وغيرهم، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره، ففي رواية عنه أن المراد بهم قريش، والمراد بالعلم محمد، دليله قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾ وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً﴾ وفي رواية عنه: أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وفي رواية غيره، أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين. قوله: ﴿الْعِلْمُ﴾ (والتوحيد) أي بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم.

قوله: ﴿بَغْياً﴾ مفعول لأجله، أي تفرقوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر. قوله: (بتأخير الجزاء) أي إلى يوم القيامة، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد. إن قلت: إن كفار الأمم الماضية، قد نزل بهم أنواع العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك. أجيب: بأنه ليس بجزاء، بل هو علامة الجزاء والخزي. قوله: ﴿أُورِثُوا﴾ فعل مبني للمفعول والفاعل الله تعالى. قوله: (وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل، والضمير في ﴿بَعْدِهِمْ﴾ عائد على أصولهم المتفرقين في الحق، وقيل: معنى ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من قبلهم، ويكون الضمير حينئذ عائداً على مشركي مكة، وقيل: المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركي العرب، والمراد بالكتاب القرآن، والضمير في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عائد على اليهود والنصارى. قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ المراد به هنا مطلق التردد والتحير. قوله: (موقع في الريبة) أي الشبهات والضلالات.

قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ الجار والمجرور متعلق بادع، والتقدير: فادع الناس لذلك التوحيد الذي تقدم

أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ في تركه ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ﴾ أي بأن أعدل ﴿بَيۡنَكُمُۖ﴾ في الحكم ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ فكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾ خصومة ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾ هذا قبل أن يؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ ﴿١٥﴾ المرجع ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي﴾ دين ﴿ٱللَّهِ﴾ نبيه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ متعلق بـأنزل ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يعلمك ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ﴾ أي إتيانها ﴿قَرِيبٞ﴾ ﴿١٧﴾ ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده، سد مسد المفعولين ﴿يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ﴾ يقولون

ذكره في قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ فِي الدِّينِ﴾. قوله: ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ الاستقامة لزوم المنهج القويم. قوله: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي من تقوى الله حق تقاته، وعبادته حق العبادة، ومن هنا شاب رسول الله ﷺ وقال: شيبتني هود وأخواتها، فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به، ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ وقوله: ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ الكاف بمعنى مثل، والمعنى استقم استقامة مثل الذي أمرت به، أي موافقة له.

قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي حيث قالوا: اعبد آلهتنا سنة، ونحن نعبد إلهك سنة. قوله: ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيان لما، والمعنى: آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه﴾ إلخ. قوله: **(أي بأن أعدل)** أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء، وأن المصدرية مقدرة، والفعل منصوب بها. قوله: **(فكل يجازي بعمله)** أي من خير وشر. قوله: **(هذا قبل أن يؤمر بالجهاد)** أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وقيل: ليست منسوخة، بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت، فلم يبق إلا العناد، وبعد العناد لا حجة ولا جدال. قوله: ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي فيجازي كل أحد بعمله من خير وشر.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ﴾ الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر. قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ أي من بعد دخول الناس في دينه، وأجابوا دعوته، فالسين والتاء زائدتان. قوله: **(وهم اليهود)** تفسير للموصول. قوله: ﴿دَاحِضَةٌ﴾ من الأدحاض وهو الازلاق، يقال: دحضت رجله أي زلقت، والمراد هنا الإبطال. قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي في الآخرة. قوله: **(متعلق بأنزل)** أي والباء للملابسة. قوله: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ **(العدل)** أي وسمى العدل ميزاناً، لأن الميزان يحصل به الإنصاف والعدل، فهو من تسمية المسبب باسم السبب، وإنزاله الأمر به، وقيل: المراد بالميزان نفسه الذي يوزن به، والمراد بإنزاله إنزال الإلهام بعمله والأمر بالوزن به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ استفهام إنكاري، والمعنى: لا سبب يوصلك للعلم بقربها، إلا الوحي الذي ينزل عليك. قوله: **(أي إتيانها)** ﴿قَرِيبٌ﴾ قدر المضاف ليصح الإخبار بالمذكر عن المؤنث. قوله: **(ولعل معلق للفعل عن العمل)** التعليق إبطال العمل لفظاً، لا محلاً، بسبب توسط أداة لها صدر الكلام.

متى تأتي؟ ظناً منهم أنها غير آتية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ﴾ يجادلون ﴿فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ برّهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿ٱلۡعَزِيزُ ١٩﴾ الغالب على أمره ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي

قوله: (أو ما بعده سد مسد المفعولين) أي الثاني والثالث، وأما الأول فهو الكاف، ويتعين جعل (أو) بمعنى الواو. قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ أي فلا يشفقون منها، وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ أي فلا يستعجلون بها، ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته في الآخر. قوله: ﴿أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ أي كائنة وحاصلة لا محالة. قوله: ﴿فِي السَّاعَةِ﴾ أي في إتيانها. قوله: ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي عن الاهتداء.

قوله: ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أي حفيّ بهم، وقيل: بارّ بهم، وقيل: رفيق بهم، وقيل: معناه لطيف بهم في العرض والمحاسبة، وقيل: يلطف بهم في الرزق من وجهين: أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني أنه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره، وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه، وفي الحديث: «إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس، فيقول الله عز وجل: انمحقت آثارهم، واضمحلت صورهم، وبقي عليهم العذاب، وأنا اللطيف، وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم» وقيل: اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب، ويستر عليهم المثالب، ومنه حديث: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح»، وقيل: هو الذي يقبل القليل، ويبذل الجزيل، وقيل: هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير، وقيل: هو الذي لا يخاف إلا عدله، ولا يرجى إلا فضله، وقيل: هو الذي يعين على الخدمة، ويكثر المدحة، وقيل: هو الذي لا يعاجل من عصاه، ولا يخيب من رجاه، وقيل: هو الذي لا يرد سائله، ولا يؤيس آمله، وقيل: هو الذي يعفو عمن يهفو، وقيل: هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه، وقيل: هو الذي أوقد في أسرار العارفين من المشاهدة سراجاً، وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجاً، وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجاً، وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعاني الأسماء الجمالية، فينبغي للعاقل الإكثار من ذكره، سيما إذا قصد بذكره رضا ربه، فإن له السعادة دنيا وأخرى، ويكفي همومهما لما ورد: اعمل لوجه واحد، يكفك كل الأوجه. قوله: (من كل منهم) بيان لمن، والمعنى: أن الذي يشاء رزقه هو كل منهم.

قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ إلخ، الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض، ويطلق على الزرع الحاصل منه، ثم استعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها، على سبيل الاستعارة، حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلال الحاصلة من البذر، بجامع حصول العمل والتعب في كل، فإن من أتعب نفسه أيام البذر، واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد، فكذلك من أتعب نفسه في الدنيا، وعمل ابتغاء وجه ربه، فإنه يجد ثمرات أعماله في الآخرة، ومنها هنا حديث: «الدنيا مزرعة للآخرة»، وهذه الآية عامة، لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله، والذي يطلب بعمله أعراض الدنيا ذكراً أو أنثى، لأن ﴿مَنْ﴾ من صيغ العموم، وقوله: (بعمله) المراد به خدمته في الدنيا، صلاة أو صوماً أو غيرهما، كالسعي على العيال، وحينئذ فالمدار على النية الحسنة، إذ بها تصير العادات عبادات. قوله:

كسبها وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِي حَرْثِهِۦ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف ما قسم له ﴿وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُواْ﴾ أي الشركاء ﴿لَهُم﴾ للكفار ﴿مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ مؤلم ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُواْ﴾ في الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أنزهها بالنسبة إلى من

(الحسنة) منصوب بالمصدر الذي هو التضعيف.

قوله: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ إلخ، أي بعمله وخدمته، والمعنى: من صرف نيته للدنيا، وجعل عمله وخدمته لها، نعطيه ما قسم له منها، وبعد ذلك ليس له في الآخرة حظ ولا نصيب، فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه، ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده، يحصل له غنى الدنيا والآخرة، ومن معنى هذه الآية حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه». وحديث: «أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا، من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه». قوله: (ما قسم له) مفعول ﴿نُؤْتِهِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي حظ من النعيم، واعلم أن المقام فيه تفصيل، فإن تجرد عمله للدنيا، وقدم السعي فيها على الإيمان، فهو مخلد في النار، وليس له في الآخرة نعيم أصلاً، وأما إن كان التفريط فيما عدا الإيمان، كأن يرائي بعمله قصداً لطلب الدنيا، فهو مسلم عاص، له نعيم في الآخرة غير كامل. قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ قدرها المفسر ببل التي للانتقال من قصة إلى قصة، وقدرها غيره ببل، والهمزة التي للتوبيخ والتقريع، وهو متصل بقوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً﴾. قوله: (شياطينهم) أي الذين شاركوكم في الكفر والعصيان.

قوله: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾ إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الإسناد للسبب، لأنها سبب إضلالهم. قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أي حكم بين الكفار والمؤمنين، بأن يعذب الكفار، ويثيب المؤمنين، ولكن حكم الله وقضى في سابق أزله، أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة. قوله: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية. قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ (حال) أي حال كونهم خائفين في ذلك اليوم، وهذا الخوف زيادة عذاب لهم، وأما المنجي فهو الخوف في الدنيا من عذاب الله. قوله: (أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف، أي من جزاء ما كسبوا. قوله: (لا محالة) أي أشفقوا أو لم يشفقوا.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ مبتدأ خبره ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾. قوله: (أنزهها بالنسبة إلى من

دونهم ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ﴾ من البشارة مخففاً ومثقلاً به ﴿ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ ﴾ ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ أي على تبليغ الرسالة ﴿ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ ﴾ استثناء منقطع، أي لكن أسألكم أن تودوا قرابتي التي

دونهم) أي فروضة الجنة، أي أعلاها وأطيبها، وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات في الجنة، غير أنهم ليسوا في الأعلى، ولا في الأطيب. قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ظرف ليشاؤون، والعندية مجازية. قوله: ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي الذي لا يوصف، لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر، فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث. قوله: ﴿ذٰلِكَ﴾ مبتدأ، و ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ خبره، والعائد محذوف قدره المفسر بقوله: (به) حذف الجار فاتصل الضمير، وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول، وأما على رأي يونس من أنها مصدرية، فلا تحتاج إلى عائد، والتقدير عنده ذلك تبشير الله إلى عباده. قوله: (من البشارة) أي وهي الخبر السار. قوله: (مخففاً ومثقلاً) أي فهما قراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ أي قل يا محمد لأمتك: لا أطلب منكم أجراً في نظير تبليغ الرسالة وتبشيري اياكم؛ ولا خصوصية له ﷺ بذلك، بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة، لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية، نقص في حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء. قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال، الأول عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان وسط النسب من قريش، ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، وكان له فيهم قرابة، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى: إن لم تتبعوني، فاحفظوا حق القربى، وصلوا رحمي، ولا تؤذوني، يعد عليكم نفعها، لما في الحديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني» فثمرته عائدة عليهم لا على النبي ﷺ. الثاني عنه أيضاً: أن النبي ﷺ لما قدم المدينة، لم يكن في يده سعة فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم، وهو ابن أختكم، وأجاركم في بلدكم، فاجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم، ونزلت الآية، وحينئذ فالخطاب للأنصار. الثالث عن الحسن: أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم، وعلى الثاني بمعنى الأقارب، على الثالث بمعنى القرب والتقرب، واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوه، الأول: تبري الأنبياء جميعاً منه. الثاني: أن التبليغ واجب، وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلاً عن الأنبياء. الثالث: أن النبوة أمر عظيم، والدنيا وإن عظمت حقيرة، لا تزن جناح بعوضة، ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف، وغير ذلك، إن قلت: حيث كان الأمر كذلك، فما معنى الاستثناء في الآية؟ أجيب بجوابين، الأول: أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجر، لأن المودة بين المسلمين واجبة، خصوصاً في حق أشرافهم، وحينئذ فيكون الاستثناء متصلاً بالنظر للظاهر. الثاني: أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر، وحينئذ فالكلام تم عند قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي أذكركم قرابتي، والمراد بقرابته قيل: فاطمة وعلي وابناهما، وقيل: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر

هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ ﴿٢٣﴾ للقليل فيضاعفه ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله تعالى ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾ يثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ﴿٢٤﴾ بما في القلوب ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ بالياء والتاء ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْاْ﴾ جميعهم،

وآل عباس، لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الزكاة، وقيل: غير ذلك، فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرة بعموم اللفظ، لأن رحم النبي، رحم لكل مؤمن، لقوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم﴾ فمحبة أهل البيت، فيها السعادة والسيادة، دنيا وأخرى، والمرء يحشر مع من أحب، وقوله: ﴿فِي الْقُرْبَى﴾ الظرفية مجازية. والمعنى: إلا المودة العظيمة المحصورة في القربى، وإنما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بفي للمبالغة، إشارة إلى أنهم جعلوا محلاً للمودة، وهم لها أهل. قوله: **(فإن له في كل بطن)** أي قبيلة. . قوله: **(من قريش)** أي وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده ﷺ. قوله: ﴿حَسَنَةً﴾ فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد ﷺ. قوله: **(بتضعيفها)** أي من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك. قوله: ﴿شَكُورٌ﴾**(للقليل)** أي يقبله ويثيب عليه. قوله: **(وقد فعل)** أي وقد ختم على قلبه ﷺ بأن صبره على ما ذكر، فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها. قوله: ﴿وَيَمحُ الله البَاطِلَ﴾ كلام مستأنف غير داخل في حيز الشرط، لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً. قوله: ﴿بِكَلمَاتِهِ﴾ أي القرآن. قوله: **(بما في القلوب)** أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ولها شروط ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها أبداً فإن كانت المعصية بحق آدمي، فيزاد على هذه الثلاثة رابع، وهو استسماح صاحب الحق، ويكفي عند مالك براءة المجهول، فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق، فإذا تاب بالشروط، وقدر الله عليه الوقوع في الذنب مرة أخرى، فإنه يتوب، ولا يقنط من رحمة الله تعالى، ولا ترجع عليه ذنوبه التي تاب منها. قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أن ﴿عَنْ﴾ بمعنى من، والقبول بمعنى الأخذ. قوله: **(المتاب منها)** أي ويصح أن المراد ولو لم يتب، فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب، ويعفو عن سيئات من لم يتب، إذ لا يسأل عما يفعل. قوله: **(بالياء والتاء)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(يجيبهم إلى ما يسألون)** أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان، والموصول مفعول به، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. قوله: ﴿لَبَغَوْا﴾**(جميعهم)** دفع بذلك ما يقال: إن البغي حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه؟

أي طغوا ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ بالتخفيف والتشديد من الأرزاق ﴿بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ المطر ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ﴾ يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ يبسط مطره ﴿وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ ﴿٢٨﴾ المحمود عندهم ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ هي ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ

فأجاب: بأن اللازم المنتفي هو بغي جميعهم، والملزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبغي البعض، وبسط الرزق للبعض، حاصل في كل زمن. قوله: **(أي طغوا)** ﴿**فِي الأَرْضِ**﴾ أي لأن الله تعالى لو سوى في الرزق بين جميع عباده، لامتنع كون البعض محتاجاً للبعض، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه، فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح، وإن لم يجب على الله فعلها، فقد يعلم من حال عبد، أنه لو يبسط عليه الرزق، قاده ذلك إلى الفساد، فيزوي عنه الدنيا مصلحة له، ففي حديث أنس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة، وإني عليم أني لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده الفقر، وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده الغنى، وإني لأدبر عبادي لعلمي بقلوبهم، فإني عليم خبير» ثم قال أنس: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذي لا يصلحهم إلا الغنى، فلا تفقرني برحمتك. قوله: **(بالتخفيف والتشديد)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(فيبسطها لبعض دون بعض)** أي ويبسطها للبعض أحياناً، ويضيقها عليه أحياناً، فلا يسأل عما يفعل. قوله: ﴿**إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ**﴾ تعليل لما قبله. والمعنى عليم بالبواطن والظواهر.

قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ**﴾ بالتخفيف والتشديد، قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا**﴾ العامة على فتح النون، وقرىء شذوذاً بكسر النون، ومضارعها بفتح النون، وبه قرىء في المتواتر، فتحصل أنه في المضارع قرىء بالوجهين قراءة سبعية، وفي الماضي لم يقرأ في السبع إلا بالفتح، والكسر قراءة شاذة، وإن كان لغة فيه. قوله: **(يبسط مطره)** أشار بذلك إلى أن المطر سمي باسمين: الغيث لأنه يغيث من الشدائد، والرحمة لأنه رحمة وإحسان للخلق، ويصح أن يراد بالرحمة البراكات؛ أي بركات الغيث، ومنافعه في كل شيء، ومن السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ما قبله، من عطف المسبب على السبب. قوله: **(المحمود عندهم)** أي وعند جميع المخلوقات، وإنما خص المؤمنين تشريفاً لهم.

قوله: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ**﴾ أي دلائل قدرته وعجائب وحدانيته. قوله: ﴿**خَلْقُ السَّمٰوات وَالأَرْضِ**﴾ أي فإنهما بذاتهما وصفاتهما، يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات، قال تعالى: ﴿**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها**﴾ الآية. قوله: ﴿**وَ**﴾**(خلق)** ﴿**مَا بَثَّ**﴾ أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**وَمَا بَثَّ**﴾ معطوف على ﴿**السَّمٰوات**﴾ مسلط عليه ﴿**خَلْقُ**﴾ ويصح أن يكون في محل رفع عطف على ﴿**خَلْقُ**﴾. قوله: **(هي ما يدب على الأرض)** أشار بذلك إلى أن المراد في أحدهما، فهو من اطلاق المثنى على المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ وإنما يخرجان من أحدهما وهو الملح، وهذا أسلم وأحسن مما

﴿جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للمؤمنين ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾ منها فلا يجازي عليها وهو تعالى أكرم من أن يثني الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة ﴿وَمَآ

قيل: إن الآية باقية على ظاهرها، ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات في السماوات، يمشون فيها كمشي الأناسي على الأرض، لأن ذلك بعيد من الافهام، لكونه على خلاف العرف العام.

قوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ متعلق بجمعهم، و ﴿قَدِيرٌ﴾ خبر الضمير، و ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ متعلق بقدير، والمعنى: وهو قدير على جمعهم في أي وقت شاء، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ فمتى أراد الله شيئاً أبرزه بقدرته. قوله: (في الضمير) أي وهو قوله: ﴿عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها. قوله: (خطاب المؤمنين) أي وأما مصائب الكفار في الدنيا، فتعجيل لبعض العقاب لهم. قوله: ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ جواب الشرط إن جعلت ما شرطية، أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة، وقرنت بالفاء لما في المبتدأ على معنى الشرط، وهذا على ثبوت الفاء، وأما على حد قراءة حذفها، فالأولى جعلها خبراً وما موصولة، وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه هو شاذ والقراءتان سبعيتان.

قوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من تتمة قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ والمعنى: أن الذنوب قسمان، قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها، وما يعفو عنه أكثر، قال علي بن أبي طالب: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير؛ فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟ وقد روي هذا المعنى مرفوعاً عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ الآية؟ «يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فبما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا، فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه». وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «ما من اختلاف عرق، ولا خدش عود، ولا نكتة حجر، إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر». وقال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بد أن أسألك عما أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي لا تفعل، فوالله إني لأحب الوجع، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فهذا مما كسبت يدي، وعفو ربي عما بقي أكثر. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها، إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها، أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها. وروي أن رجلاً قال لموسى: يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها، ففعل موسى، فلما ترك إذا هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله، فقال موسى: يا رب ما بال هذا؟ فقال الله تعالى: يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى، لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة. قوله: (وهو تعالى أكرم) إلخ، متعلق بقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ فكان المناسب تقديمه بلصقه. قوله: (من أن يثني الجزاء في الآخرة) أي من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة، لأن الكريم لا يعاقب مرتين. قوله:

﴿أَنتُم﴾ يا مشركين ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله هرباً ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٣١﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن ﴿فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ﴿٣٢﴾ كالجبال في العظم ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾ ثوابت لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٣٣﴾ هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ عطف على يسكن، أي يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أي أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٤﴾ منها فلا يغرق أهله ﴿وَيَعْلَمَ﴾ بالرفع مستأنف

(وأما غير المذنبين) أي كالأنبياء والأطفال والمجانين. قوله: (لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال: إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم، وفي الحقيقة رفع درجات لهم، وتكفير لآبائهم. قوله: (يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا، والصواب يا مشركون، لأن المنادى يبنى على ما يرفع به، وهو يرفع بالواو. قوله: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾(الله) أي فارين من عذابه.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي أدلة توحيده وعجائب قدرته. قوله: ﴿الْجَوَارِ﴾ بحذف الياء خطأ، لأنها من ياءات الزوائد، واثباتها في اللفظ وصلاً ووقفاً، وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات. قوله: (السفن) استشكل بأن الظاهر الآية، يوهم حذف الموصوف وإبقاء صفته، مع أن الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو (السفن) وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه. قال ابن مالك:

وما من المنعوت والنعت عقل   يجوز حذفه وفي النعت يقل

أجيب: بأن محل الإمتناع، إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد، بأن تغلب عليها الاسمية، كالأبطح والأبرق والأجرع، وإلا جاز حذف الموصوف، ولذلك فسر ﴿الْجَوَارِ﴾ بالسفن، ولم يقل أي السفن الجارية. قوله: ﴿فَيَظْلَلْنَ﴾ بفتح اللام وفي قراءة العامة، من ظلل بكسرها كعلم، وقرىء شذوذاً فيظللن بكسر اللام من ظل بفتحها كضرب. قوله: (أي يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار، وليس المراد معناها، وهو اتصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً. قوله: ﴿رَوَاكِدَ﴾ جمع راكد، يقال: ركد الماء ركوداً، من باب قعد سكن، ويوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه. قوله: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي كثير الصبر على البلايا، عظيم الشكر على العطايا. قوله: (عطف على يسكن) أي فالمعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن، أو يعصفها فيغرقن، ولا مفهوم له، بل قد يغرقها الله بسبب آخر، كقلع لوح أو غير ذلك. قوله: (بعصف الريح بأهلهن) أي اشتدادها، وإنما قيد به، وإن كانت أسباب الغرق كثيرة، نظراً للشأن والغالب. قوله: (أي أهلهن) تفسير للواو في ﴿كَسَبُوا﴾ العائد على أهل السفن المعلوم من السياق.

قوله: ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ قرأ العامة بالجزم، عطفاً على جواب الشرط، واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة، مع أنه إخبار عن العفو، من غير شرط المشيئة، وأجيب: بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية، لا من حيث المعنى، وقرىء شذوذاً ويعفو بالرفع والنصب، أما قراءة الرفع فهي محتملة لوجهين: الأول الاستئناف، الثاني الجزم، وزيدت الواو للإشباع، كزيادتها في من يتقي ويصبر، وأما قراءة النصب، فهي على إضمار أن بعد الواو، وقال ابن مالك:

وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي يغرقهم لينتقم منهم ويعلم ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ ﴿٣٥﴾ مهرب من العذاب، وجملة النفي سدت مسد مفعولي يعلم، والنفي معلق عن العمل ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَيۡءٖ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ ويعطف عليه ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض على الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ يتجاوزون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ

والفعل من بعد الجزا إن يقترن   بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ما في قوله تعالى: ﴿فيغفر لمن يشاء﴾. قوله: **(منها)** أي الذنوب أو السفن. قوله: **(بالرفع مستأنف)** أي وهو يعلم، وقوله: **(وبالنصب)** أي فيهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(لينتقم منهم)** أي بالغرق، وهو تعليل للإغراق. قوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم، والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل، و ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لما، وقوله: ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط. قوله: **(من أثاث الدنيا)** أي منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك، واحدة أثاثة، وقيل: لا واحد له من لفظه. قوله: **(ثم يزول)** أخذ من قوله: ﴿مَتَاعُ﴾ لأن المتاع هو ما يتمتع به تمتعاً ينقضي. قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي اتصفوا بالإيمان وماتوا عليه.

قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولا ضار ولا نافع سواه، والتوكل بهذا المعنى شرط في صحة الإيمان، وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه، والاعتماد عليه في جميع ما ينزل بالشخص، فليس شرطاً في صحته، بل هو وصف كامل الإيمان، وليس مراداً هنا، لأن ما عند الله من الثواب، يكون لعموم المؤمنين. قوله: **(ويعطف عليه)** أي على قوله: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾. قوله: ﴿يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ هي كل ما ورد فيها حد أو وعيد. قوله: **(من عطف البعض على الكل)** مراده عطف الخاص على العام، لأن من الكبائر ما فيه الوعيد، ولا حد فيه، كالغيبة والنميمة والعجب والرياء.

قوله: ﴿وإِذَا مَا غَضِبُوا﴾ إلخ ﴿إِذَا﴾ ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط، و ﴿مَا﴾ صلة، و ﴿هُمْ﴾ مبتدأ، و ﴿يَغْفِرُونَ﴾ خبره، والجملة معطوفة على الصلة، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون، عطف جملة اسمية على فعلية، ويصح أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطية، و ﴿مَا﴾ صلة، و ﴿غَضِبُوا﴾ فعل الشرط و ﴿هُمْ﴾ تأكيد للواو، و ﴿يَغْفِرُونَ﴾ جواب الشرط، وأما جعل ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ جملة من مبتدأ وخبر جواب الشرط فشاذ، لخلوه من الفاء، ولا ينبغي حمل التنزيل عليه، والمعنى: أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب، ولكن يشترط أن يكون الحلم، غير مخل بالمروءة ولا واجباً، وإلا فالغضب مطلوب، كما إذا انتهكت حرمات الله، فالواجب الغضب لا الحلم، وعليه قول الإمام الشافعي: من استغضب ولم يغضب فهو حمار، وقال الشاعر:

إذ قيل حلم قل فللحلم موضع   وحلم الفتى في غير موضعه جهل

لِرَبِّهِمْ ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أداموها ﴿ وَأَمْرُهُمْ ﴾ الذي يبدو لهم ﴿ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ أعطيناهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ في طاعة الله ومن ذكر صنف ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ ﴾ الظلم ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ صنف أي ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿ فَمَنْ عَفَا ﴾ عن

وبالجملة فكل مقام له مقال. قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ معطوف على الموصول المتقدم، وهذه الآية نزلت في الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا له، ونقب عليهم اثني عشر نقيباً قبل الهجرة. قوله: (أجابوه إلى ما دعاهم) إلخ، أي على لسان رسول الله ﷺ، وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان. قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي أدوها بشروطها وآدابها.

قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ والشورى مصدر شاورته أي شاركته في الرأي كالبشرى، وكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إذا أرادوا أمراً، تشاوروا فيه ثم عملوا عليه، فمدحهم الله تعالى به وأمر ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ تأليفاً لقلوب أصحابه، وذلك في الأمور الاجتهادية، كالحروب ونحوها، ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها منزلة من عند الله تعالى، وكانت الصحابة بعده ﷺ يتشاورون في المهمات من أمور الدين والدنيا، وأول ما تشاور فيه الصحابة الخلافة، لأن النبي لم ينص عليها، فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه، فقال عمر: نرضى لدنيانا ما رضيه النبي لديننا، فوافقوه على ذلك، وبالجملة فالشورى أمرها عظيم، قال الحسن: ما تشاور قوم قط، إلا هدوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاءكم، وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من باطنها، وإن كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها».

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ أي في وجوه البر، وكانوا يقدمون غيرهم عليهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾. قوله: (ومن ذكر صنف) أي المؤمنون المتقدمون، فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين، صنفاً يعفون عمن ظلمهم، وقد ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ وصنفاً ينتقمون ممن ظلمهم، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾. قوله: ﴿يَنْتَصِرُونَ﴾ هذا في الإعراب كقوله: ﴿وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ سواء بسواء، ويزيد هنا: أنه يصح أن يكون ﴿هُمْ﴾ توكيداً للضمير المنصوب في ﴿أَصَابَهُمْ﴾ وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل. قوله: (وهذا) أي قوله مثلها، وقوله: (من الجراحات) أي وغيرها من سائر الحقوق التي يمكن استيفاؤها. قوله: (قال بعضهم) هو مجاهد والسدي.

قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ الفاء للتفريع، أي إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة، فالأولى العفو والإصلاح لتعذر المماثلة غالباً. قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ (الود بينه وبين المعفوّ عنه) أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو، وفيه تحريض وحث على العفو، فإن أمره عظيم، وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى، والله لا

ظالمه ﴿ وَأَصْلَحَ ﴾ الودّ بينه وبين المعفوّ عنه ﴿ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ أي إن الله يأجره لا محالة ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ﴿٤٠﴾ أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ ﴾ أي ظلم إياه ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤١﴾ مؤاخذة ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ ﴾ يعملون ﴿ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ بالمعاصي ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ﴿٤٢﴾ مؤلم ﴿ وَلَمَن صَبَرَ ﴾ فلم ينتصر ﴿ وَغَفَرَ ﴾ تجاوز ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ ﴾ الصبر والتجاوز ﴿ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ ﴿٤٣﴾ أي معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعاً ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ أي أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ ﴾ إلى الدنيا ﴿ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ﴿٤٤﴾ طريق ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ أي النار ﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ خائفين متواضعين ﴿ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ ﴾ إليها ﴿ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ﴾ ضعيف النظر مسارقة، ومن ابتدائية أو بمعنى الباء ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر إن ﴿ أَلَآ إِنَّ

يخيب من فوض الأمر إليه. قوله: (أي البادئين بالظلم) أي الذين فعلوا الظلم ابتداء.

قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ اللام للابتداء، ومن شرطية، وجملة ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إلخ، جواب الشرط أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ خبره، ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. قوله: (أي ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول، وفي هذه الآية إشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه، وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه، وأن يأمن من ولاة الأمور، وأن يكون حقه ثابتاً. قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم. قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قيد به اشارة إلى أن البغي قد يكون مصحوباً بالحق، كما إذا أخذ حقه من التجاوز فيه. قوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ إلخ عطف على قوله: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ وجملة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ إلخ اعتراض، وكرر الصبر اهتماماً به وترغيباً فيه، واشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى، إن لم يترتب عليه مفسدة، وإلا كان الانتصار أولى. قوله: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أي من الأمور التي أمر الله بها وأكد عليها. قوله: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ﴾ أي يمنعه عن الهدى.

قوله: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهي بصرية، والجملة بعدها حال. قوله: ﴿لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ عبر عنه بالماضي اشارة لتحقق الوقوع. قوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ حال، وكذا قوله: ﴿خَاشِعِينَ﴾. قوله: (أي النار) أي المعلومة من دلالة العذاب عليها. قوله: ﴿مِنَ الذُّلِ﴾ متعلق بخاشعين أي من أجل الذل. قوله: (مسارقة) أي يسارقون النظر إليها، خوفاً منها وذلاً في أنفسهم. قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لخسروا، والقول واقع في الدنيا، أو ظرف لقال، فهو واقع يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقق الوقوع. قوله: (بتخليدهم في النار) إلخ، لف ونشر مرتب. قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ ﴿لَهُمْ﴾ خبر مقدم، و ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ اسمها مؤخر، و ﴿مِنْ﴾ زائدة، و ﴿يَنْصُرُونَهُمْ﴾ صفة لأولياء.

﴿ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ۝٤٥﴾ دائم هو من مقول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝٤٦﴾ طريق إلى الحق، في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي أنه إذا أتي به لا يرد ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝٤٧﴾ إنكار لذنوبكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ نعمة كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌۢ﴾ بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ۝٤٨﴾

قوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله: (أجيبوه) والمعنى: أجيبوا داعي ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة. قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ إلخ، أي أطيعوا في الدنيا هي ظرف للأعمال والإيمان، قبل أن يأتي يوم الحسرة والندامة، فإنه إذا جاء لا يرده الله، ففيه وعيد للكافرين. قوله: (لا يرده) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلق بمرد. قوله: ﴿مِنْ مَلْجَأٍ﴾ أي مفر ومهرب. قوله: (إنكار لذنوبكم) أي لأنها مكتوبة في صحائفكم، تشهد بها الملائكة والجوارح، والمراد إنكار نافع، وإلا فالكفار أولاً ينكرون الذنوب طمعاً في العفو، ثم لما لم يجدوا مخلصاً يقرون، وما قاله المفسر أوضح ما قاله غيره، إن المراد بالنكير الناصر الذي ينصرهم لإغناء قوله من ملجأ عنه.

قوله: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف، والتقدير: فلا تحزن، أو لا عتاب عليك، أو لا تكلف بشيء، لأننا ما أرسلناك إلخ. قوله: (بأن توافق) أي أعمالهم الصادرة منهم، وقوله: (المطلوب منهم) أي الأعمال المطلوبة منم كالإيمان والطاعة. والمعنى: لم نرسلك لتخلق الهدى في قلوبهم، وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذي طلبناه منهم. قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الإشارة عائد على الحصر. والمعنى: أن هذا الحصر منسوخ، لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال.

قوله: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ﴾ إلخ، الحكمة في تصدير النعمة بإذا، والبلاء بإن، الإشارة إلى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء، لأن رحمة الله تغلب غضبه. قوله: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ أي فرح بطر وتكبر. قوله: (الضمير) أي في ﴿تُصِبْهُمْ﴾. قوله: (باعتبار الجنس) أي الاستغراق فجمعه باعتبار المعنى. قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصي، والنعمة تكون بمحض فضل الله، قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ فالواجب على الإنسان، إذا أعطاه الله نعمة، أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه، وإذا أصيب بمصيبة، فليصبر عليها ويحمده عليها، فلعلها تكون كفارة لما اقترفه.

قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي يتصرف فيهما كيف يشاء. قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾

للنعمة ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ بجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد، ولا يولد له ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ ﴿٥٠﴾ على ما يشاء ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بالإلهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ ملكاً كجبريل

أي من حيوانات وغيرها. قوله: ﴿يَهَبُ﴾ من وهب كوضع، والمصدر وهباً بسكون الهاء، وفتحها وهبة، والاسم الموهب والموهبة بكسر الهاء، وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض. قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي الآباء والأمهات. قوله: (من الأولاد) متعلق بيهب لا بيان لمن، لأنها عبارة عن الآباء والأمهات. قوله: ﴿إِنَاثاً﴾ قدمهن اشارة إلى أنه يفعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عباده، فالإناث مما يشاؤه هو، ونكرهن لانحطاط رتبتهن عن الذكور، ولذا عرف الذكور وقدمهم آخراً. قوله: (أي يجعلهم) ﴿ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾ مفعول ثان ليزوج، والمعنى: يجعل الأولاد ذكراناً وإناثاً حال كونهم مزدوجين.

قوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾ ﴿مَنْ﴾ واقعة على الرجل والمرأة، فقوله: (فلا يلد) أي إذا كان امرأة، وقوله: (ولا يولد له) أي إذا كان رجلاً، فالعقيم هو الذي لا يولد له ذكراً أو أنثى، وفعله من باب فرح ونصر، وكرم، وقال ابن عباس: يهب لمن يشاء إناثاً، يريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام، لأنهما لم يكن لهما إلا البنات، ويهب لمن يشاء الذكور، يريد ابراهيم عليه السلام، لأنه لم يكن له إلا الذكور، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، يريد محمداً ﷺ، فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: القاسم وعبدالله وإبراهيم، ومن البنات أربع: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، ويجعل من يشاء عقيماً، يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى، ولكن حمل الآية على العموم أولى، لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

قوله: ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم ﴿كَانَ﴾. قوله: ﴿إِلَّا﴾(أن يوحى إليه) أشار بذلك إلى أن ﴿وَحْياً﴾ منصوب على الاستثناء المفرغ، خلافاً لمن قال إنه منقطع نظراً لظاهر اللفظ، فإن الوحي ليس بتكليم، والوحي الإشارة والرسالة والكتابة، ولك ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه، ثم غلب استعماله فيما يلقى إلى الأنبياء. قوله: (في المنام) أي فرؤيا الأنبياء حق، وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده في المنام، ولرسول الله ﷺ حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياهما، وقوله: (أو بالإلهام) أي الإلقاء في القلوب لا بواسطة ملك، وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء، غير أن إلهام الأولياء، لا مانع من اختلاط الشيطان به، لأنهم غير معصومين، بخلاف الأنبياء فإلهامهم محفوظ منه. قوله: ﴿أَوْ﴾(إلا) ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ معطوف على ﴿وَحْياً﴾ باعتبار متعلقة تقديره إلا أن يوحي إليه أو يكلمه. قوله: (ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية، والحجاب وصف العبد لا وصف الرب. قوله: (كما وقع لموسى عليه السلام) أي في جميع مناجاته كما تقدم مفصلاً. قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ برفع اللام وكذا يوحي ونصبهما قراءتان سبعيتان، فالرفع خبر لمحذوف أي هو يرسل، والنصب على ﴿وَحْياً﴾ بإضمار أن، قال ابن مالك:

﴿فَيُوحِيَ﴾ الرسول إلى المرسل إليه، أي يكلمه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ﴾ عن صفات المحدثين ﴿حَكِيمٌ ۝٥١﴾ في صنعه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن به تحيا القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف من قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي شرائعه ومعالمه، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه إن ثابتاً أو منحذف

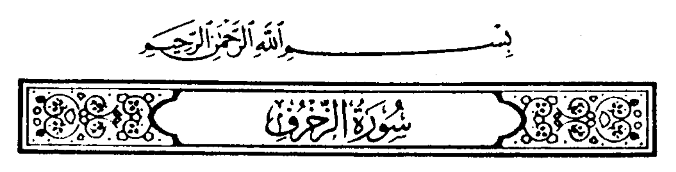
قوله: (كجبريل) أدخلت الكاف غيره كإسرافيل وملك الجبال، فإن الله تعالى أرسل كلاً إلى رسول الله ﷺ. قوله: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾(عن صفات المحدثين) أي منزه ومقدس عنها. قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾(في صنعه) أي يضع الشيء في محله. قوله: (أي مثل ايحائنا إلى غيرك) إلخ، التشبيه في مطلق الإيحاء والإرسال، لأنه ﷺ وقع له الكلام والرؤية، بخلاف باقي الأنبياء، فهو من تشبيه الأكمل بالكامل، بسابقية الكامل في الوجود، فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا ﷺ فلا يقال: إن الآية تدل على أن الوحي منحصر في هذه الثلاثة، ولا يشمل الكلام مشافهة، مع أنه وقع لرسول الله ﷺ. قوله: (هو القرآن) هذا أحد تفاسير في الروح، وقيل هو الرحمة، وقيل هو الوحي، وقيل الكتاب، وقيل جبريل. قوله: (به تحيا القلوب) أي فشبه بالقرآن بالروح من حيث إن كلاً به الحياة، فالقرآن به حياة الأرواح، والروح بها حياة الأشباح. قوله: ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿مِنْ﴾ تبعيضية حال. والمعنى: حال كون هذا القرآن بعض ما نوحيه إليك، لأنه ورد أنه أعطي القرآن ومثله معه. قوله: ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ الكلام على حذف مضاف أي جواب ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ والمعنى جواب هذا الاستفهام.

قوله: ﴿وَلَا الإِيمَانُ﴾ إن قلت: إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح، عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم ألست بربكم، بل بعض الأولياء كذلك، فكيف يقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَا الإِيمَانُ﴾ مع أنه كان يتعبد قبل البعثة، وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده؟ أجاب المفسر: بأن الكلام على حذف مضاف، أي شرائع الإيمان ومعالمه، كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر، والمراد بالإيمان الإسلام. قوله: (والنفي معلق) صوابه الاستفهام لأنه متأخر عن النفي، وهو المعلق للفعل عن العمل لفظاً. قوله: (أو ما بعده) (أو) بمعنى الواو. قوله: ﴿نَهْدِي بِهِ﴾ صفة لنور، أو سمي نوراً لأن بالنور الاهتداء في الظلمات الحسية، فكذا القرآن يهتدى به في الظلمات المعنوية، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله: ﴿مَنْ نَشَاءُ﴾. قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ أي تدل، والمفعول محذوف أي كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد، عليك البلاغ والدلالة وإقامة الحجج، ونحن نخلق الهداية والتوفيق في قلب من نختاره من عبادنا. قوله: (دين الإسلام) أي وسمي طريقاً، لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسي. قوله: ﴿صِرَاطِ اللهِ﴾ بدل من ﴿صِرَاطٍ﴾ الأول بدل معرفة من نكرة.

﴿صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ دين الإسلام ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ ترجع.

قوله: ﴿**أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ ﴿**أَلَا**﴾ أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، والجار والمجرور متعلق بتصير، قدم للحصر، وأتى بهذه الجملة عقب التي قبلها، اشارة إلى أن كل شيء من الله وإلى الله، فأفاد بالجملة الأولى، أن جميع ما في السماوات وما في الأرض، مملوك وناشيء منه، وأفاد بالجملة الثانية، أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه في كل ذرة ولمحة، فلا غنى لها عنه تعالى، والمراد من المضارع الدوام. والمعنى: شأنه رجوع الأمور إليه تعالى، وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به في كل وقت، فإذا علمت ذلك، فكل شيء لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين، قال العارف الشاذلي: ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك، فإذا شاهد الإنسان ذلك أورثه مقام المراقبة، ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها إلى مالكها، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

فائدة: قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف فلم يبق إلا قوله: ﴿**أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله: ﴿**أَلَا إِلَى الله تَصِيرُ الأُمُورُ**﴾ انتهى.



مكيّة
وآياتها تسع وثمانون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حمٓ﴾ ① الله أعلم بمراده به ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ ② المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ③ تفهمون معانيه ﴿وَإِنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُمِّ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف مكية

وقيل إلا ﴿واسأل من أرسلنا﴾ الآية. وهي تسع وثمانون آية

سميت باسم كلمة منها وهي قوله تعالى: ﴿وزخرفا﴾. قوله: (مكية) أي كلها حتى هذه الآية، بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل، وكان ذلك ليلة الإسراء لبيت المقدس، فتكون مكية لكونها قبل الهجرة. قوله: (وقيل إلا قوله تعالى ﴿واسأل من أرسلنا﴾) إلخ، أي بناء على أن المعنى: واسأل من أمم رسلنا، والمراد بهم اليهود والنصارى. قوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هذا هو القسم به، والمقسم عليه هو قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾ وهو من أنواع البلاغة، حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد، كأن الله تعالى يقول: ليس عندي أعظم من كلامي حتى أقسم به. قوله: (أوجدنا الكتاب) أي صيرناه مقروءاً، أي مجموعاً سوراً، موصوفة بكونها عربية، رحمة منا وتنزلاً لعبادنا، لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا، فحدوثه من حيث قيامه بالمخلوقات، وقدمه من حيث وصف الله به، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر، ودفع بذلك ما قيل: إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة: الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول، والمجعول هو المصنوع والمخلوق، والثاني أنه وصفه بكونه قرآناً، والمجموع بعضه لبعض مصنوع، والثالث وصفه بكونه عربياً، والعربي ما كان بلغة العرب، وذلك يدل على أنه مجعول. وأجاب الرازي أيضاً على ذلك: بأن هذا الذي ذكرتموه حق، لأنكم استدللتم بهذه الوجوه، على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة، وذلك معلوم بالضرورة، وليس لكم منازع فيه.

قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ (مثبت) إلخ، أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن، ولعل خبر ثان، واعتراض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها، وفي جوازه خلاف، فالأحسن أن الجار

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصل الكتب، أي اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ ذو حكمة بالغة ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾ إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ ﴿٥﴾ مشركين؟ لا ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ﴿٧﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق في الآيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿٨﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات وواو الضمير لالتقاء

والمجرور متعلق بعليّ، ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام، لأنه يقال محل ذلك في غير باب إن كما قال ابن هشام في مغنيه، لأنها فيه مؤخرة من تقديم، ولهذا تسمى المزحلقة. قوله: (**بدل**) أي من الجار والمجرور، وقوله: (**عندنا**) تفسير للدنيا. قوله: ﴿**لَعَلِيٌّ**﴾ أي رفيع الشأن على غيره من الكتب. قوله: ﴿**أَفَنَضْرِبُ**﴾ الهمزة داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب إلخ، والاستفهام انكاري بدليل قول المفسر في آخر العبارة (**لا**) والمعنى: لا نهملكم برفع الوحي ومنع إنزال القرآن، ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوماً مسرفين، بل نتم نورنا بتمام الإنزال لعبدنا، ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾. قوله: (**نمسك**) أي عن إنزاله لكم. قوله: ﴿**صَفْحاً**﴾ أشار المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله، وهو نضرب، في المعنى. قوله: (**فلا تؤمرون ولا تنهون**) أي بل تصيرون كالبهائم. قوله: ﴿**أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ**﴾ بكسر الهمزة على أنها شرطية، وفتحها على أنها تعليلية، قراءتان سبعيتان، لكن يرد على القراءة الأولى أن ﴿**إنْ**﴾ تفيد الشك، مع إن إسرافهم محقق، ويجاب: بأنه يؤتى بها في مقام التحقق قصداً لتجهيل المخاطب، بجعله متردد في ثبوت الشرط شاك فيه.

قوله: ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا**﴾ ﴿**كَمْ**﴾ خبرية بمعنى عدداً كثيراً، مفعول مقدم لأرسلنا، و ﴿**مِنْ نَبِيٍّ**﴾ تمييز لها، و ﴿**فِي الأَوَّلِينَ**﴾ متعلق بأرسلنا أي في الأمم الأولين. قوله: (**أتاهم**) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وعبر عنه بالمضارع استحضاراً للصورة العجيبة. قوله: ﴿**مِنْ نَبِيٍّ**﴾ أي رسول بدليل قوله: ﴿**أَرْسَلْنَا**﴾ والمعنى تسل يا محمد ولا تحزن، فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك. قوله: ﴿**أَشَدَّ مِنْهُمْ**﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا. قوله: ﴿**بَطْشاً**﴾ تمييز أي أهلكنا قوماً أشد من قومك من جهة البطش، وهو شدة الأخذ. قوله: (**سبق في الآيات**) أي في القرآن غير مرة. قوله: (**صفتهم في الهلاك**) وإنما سمي مثلاً لغرابته، فإن المثل في الأصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته. قوله: (**وعاقبة قومك كذلك**) أي الهلاك، فاصبر على أذى قومك، كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم، وفي هذه الآيات تعليم للأمة، أن يصبروا على من آذاهم، لينالوا العز الأكبر تأسياً بنبيهم. قوله: (**لام قسم**) أي وقوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ**﴾ جوابه، وجواب الشرط محذوف، لدلالة جواب القسم عليه، وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر. قوله: (**حذف منه نون الرفع**) أي لتوالي النونات، ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين، ووجود الدليل عليها وهو الضمة.

الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩﴾ آخر جوابهم أي الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشاً كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ أحيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ ۝١١﴾ من قبوركم أحياء ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾ السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢﴾ حذف العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأول، أي فيه منصوب في الثاني ﴿لِتَسْتَوُۥا﴾ لتستقروا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا

قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ كرر الفعل للتوكيد، وإلا فيكفي أن يقال العزيز العليم، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه، ولو روعي صدره لجيء بجملة ابتدائية بأن يقال: هو العزيز العليم مثلاً. قوله: (آخر جوابهم) أي أن ما ذكر آخر جواب الكفار، وأما قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ إلى قوله: ﴿الْمُنْقَلِبُونَ﴾ فهو من كلامه تعالى زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد. قوله: (كالمهد للصبي) أي الفرش له، أي ولو شاء لجعلها متحركة، لا يثبت عليها شيء، ولا يمكن الانتفاع بها، فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة. قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم، ولو شاء لجعلها سداً ليس فيها طرق، بحيث لا يمكنكم السير فيها كما في بعض الجبال. قوله: (أي بقدر حاجتكم) أي فليس بقليل فلا تنتفعون به، ولا كثير فيضركم. قوله: ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾ في الكلام التفات من الغيبة للتكلم. قوله: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ أي فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء، قادر على احياء الخلق بعد موتهم. قوله: (الأصناف) أي الأشكال والأنواع، كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى.

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ﴾ أي خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره، وألهمكم صنعتها، وسيرها لكم في البحر لتنتفعوا بها. قوله: (كالإبل) إن قلت: إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الإبل، فالكاف استقصائية إلا أن يقال: المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان، وهو الإبل والخيل والبغال والحمير، لأن المقام للامتنان بالركوب. قوله: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ مفعول لجعل، و ﴿مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ﴾ بيان له. قوله: (حذف العائد اختصاراً) إلخ، أي والمعنى: جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه، ومن الأنعام ما تركبونها، فهو مجرور في الأول بفي، منصوب في الثاني بالفعل.

قوله: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ اللام للتعليل أو للعاقبة، والصيرورة متعلقة بجعل. قوله: (ذكر الضمير) أي المضاف إليه، وقوله: (وجمع الظهر) أي الذي هو المضاف، وقوله: (نظراً للفظ ما) إلخ، لف ونشر مرتب، والمناسب أن يقول: أفرد الضمير وجمع الظهر إلخ، ولو روعي معناها، فيهما لقيل على ظهورها، ولو روعي لفظها لقيل على ظهره. قوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ أي بقلوبكم. قوله: ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي على ما تركبون، ففيه مراعاة للفظ ﴿مَا﴾ وكذا في قوله: ﴿سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾.

قوله: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي﴾ إلخ، أي تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان. قوله:

هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ مطيقين ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ لمنصرفون ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد، والملائكة من عباد الله ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ بين ظاهر الكفر ﴿أَمِ﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر أي أتقولون ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ جعل

﴿هٰذَا﴾ أي المركوب من سفينة ودابة، وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى، وقال بعضهم: إن هذا مخصوص بالدابة، وأما السفينة فيقول فيها ﴿بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره﴾ الآية، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فإذا استوى على الدابة قال: الحمد لله على كل حال»، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ فإذا كان الإنسان يريد السفر زاد: اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمال، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال. ومعنى الحور بعد الكور: الفرقة بعد الاجتماع، وورد: أن الإنسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة: بارك الله فيك من مؤمن، خففت عن ظهري، وأطعت ربك، أنجح الله حاجتك، فالذي ينبغي للإنسان، أن لا يدع ذكر الله خصوصاً في هذه المواطن، فإنه معرض فيها للتلف، فكم من راكب دابة، عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، وحينئذ فمنقلبه إلى الله، غير منفلت من قضائه، فيكون مستعداً لقضاء الله بإصلاح نفسه. قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الجملة حالية وهو من الإقران أو المقارنة. قوله: (لمنصرفون) أي من الدنيا إلى دار البقاء، فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، فالآية منبهة بالسير الدنيوي على السير الأخروي، ففيه اشارة للردّ على منكري البعث.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ﴾ إلخ هذا مرتبط بقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ الخ، والمعنى: أنهم ينسبون الخلق لله تعالى، ومع ذلك يعتقدون أن له شريكاً، فالمقصود التأمل في عقول هؤلاء الكفرة، حيث لم يضبطوا أحوالهم. قوله: (لأن الولد جزء الوالد) أي لأنه خارج من مخه وعظامه، وهذا مناف لقولهم ﴿خلقهن العزيز العليم﴾ لأن من شأن الوالد أن يكون مركباً، والإله ليس بمركب، بل هو واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، وشأن الخالق أن يكون مخالفاً لما خلقه، والولد لا بد وأن يكون مماثلاً لوالده لأنه جزء منه، فتبين أن الولد على الله محال، وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط. قوله: (بين) أشار بهذا إلى أن ﴿مُبِينٌ﴾ من أبان اللازم، ويصح أن يقدر من أبان المتعدي، بمعنى مظهر الكفر. قوله: (بمعنى همزة الإنكار) أي والتوبيخ والتقريع، وتقدر ببل أو بها والهمزة، ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة. قوله: (لنفسه) متعلق باتخذ. قوله: (أخلصكم) أي خصكم. قوله: (اللازم) بالنصب نعت لقوله: ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾ المعطوف على ﴿اتَّخَذَ﴾ الواقع مقولاً لقول محذوف، فالمعنى أنهم قالوا ﴿الملائكة بنات الله﴾ مع كراهة نسبتها لأنفسهم، ومحبة نسبة البنين لهم، فلزم منه أنهم قالوا: والبنون لنا. قوله: (فهو من جملة المنكر) أي لعطفه على ﴿اتَّخَذَ﴾ الداخل عليه أم التي هي بمعنى همزة الإنكار.

قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾ إلخ كلام مستأنف تقرير لما قبله، وزيادة توبيخ لهم، وترقٍّ في الرد

له شبهاً بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد، المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ متغيراً تغير مغتم ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ ۝١٧﴾ ممتلىء غماً، فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك ﴿أَوَ﴾ همزة الإنكار، وواو العطف بجملة أي يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ الزينة ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة ﴿وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا﴾ حضروا ﴿خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ ۝١٩﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليها العقاب ﴿وَقَالُوا لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾ يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به ﴿أَمْ

عليهم. قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾ ما موصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ و ﴿ضَرَبَ﴾ بمعنى جعل، والمفعول الأول محذوف هو العائد أي ضربه، و ﴿مَثَلًا﴾ هو المفعول الثاني. قوله: (**شبهاً**) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الشبه أي المشابه، وليس بمعنى الصفة الغريبة. قوله: ﴿**وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ الجملة حالية. قوله: ﴿**أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ**﴾ قرأ العام بفتح الياء وسكون النون من نشأ، وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنياً للمفعول، أي يربى قراءتان سبعيتان، وقرىء شذوذاً ينشأ بضم الياء مخففاً، ويناشأ كيقاتل مبنياً للمفعول. قوله: (**همزة الإنكار**) إلخ، أي إنهما كلمتان لا كلمة واحدة هي أو التي للعطف، فتحل أن ﴿مِنْ﴾ معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف، والتقدير: أيجترئون، ويسيئون الأدب ويجعلون من ينشأ إلخ؟ وقوله: (**الزينة**) أي إن الأنثى تتزين في الزينة لنقصها، إذ لو كملت في نفسها لما احتاجت للزينة. قوله: ﴿**وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ الجملة حالية، والمعنى غير قادر على تقرير دعواه وإقامة الحجة، لنقصان عقله وضعف رأيه، فقلّما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها، إلا تكلمت بالحجة عليها. قوله: (**مظهر الحجة**) أشار بذلك إلى أنه من أبان المتعدي، وسابقاً أفاد أنه من أبان اللازم، وهما استعمالان.

قوله: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ**﴾ إلخ، المراد بالجعل القول والحكم، وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة الملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التي هي وصف خسة كفر، ورد أنهم لما قالوا ذلك، سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يدريكم أنها إناث؟» قالوا سمعنا من أبائنا، ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا، فنزل ﴿**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ**﴾. قوله: ﴿**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ**﴾ إلخ، مفعول ﴿**شَاءَ**﴾ محذوف، أي عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم، وهذا استدلال منهم بنفي مشيئة عدم العبادة، على امتناع النهي عنها، لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهو فاسد، لأن الله تعالى قد يريد ما لا يرضاه، فهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم، فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث: هذه، وقولهم: الملائكة إناث، وقولهم: الملائكة بنات الله.

قوله: ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾ قاله هنا بلفظ ﴿**يَخْرُصُونَ**﴾ وفي الجاثية بلفظ (يظنون) لأن ما هنا متصل بقوله: ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةِ**﴾ الآية، أي قالوا: الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء عبادتنا إياهم وهذا كذب فناسبه ﴿**يُخْرُصُونَ**﴾ وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب، لأن قولهم ﴿نموت ونحيا﴾

ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾؟ أي لم يقع ذلك ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ بهم وكانوا يعبدون غير الله ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ متنعموها مثل قول قومك ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ ملة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ متبعون ﴿قَٰلَ﴾ لهم ﴿أَ﴾ تتبعون ذلك ﴿وَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ قال تعالى تخويفاً لهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ اذكر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ﴾ أي بريء ﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ يرشدني ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي

صدق، وإنكارهم البعث وقولهم ﴿ما يهلكنا إلا الدهر﴾ كذب فناسبه يظنون. قوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾ تنويع في الإنكار عليهم مرتبط بقوله: ﴿أَشْهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾. قوله: (أي لم يقع ذلك) أشار به إلى أن الهمزة للإنكار.

قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا﴾ إلخ، أي لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية، بل اعترفوا بأنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم. قوله: ﴿أُمَّةٍ﴾ قرأ العام بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة، وقرىء شذوذاً بكسرها بمعنى الطريقة أيضاً، وبالفتح المرة من الأم وهو القصد. قوله: (ماشون) أشار بتقدير هذا، إلى أن الجار والمجرور خبر إن، وعليه فيكون ﴿مُهْتَدُونَ﴾ خبراً ثانياً. قوله: ﴿مُهْتَدُونَ﴾ قاله هنا بلفظ ﴿مُهْتَدُونَ﴾ وفيما يأتي بلفظ ﴿مُقْتَدُونَ﴾ تفنناً. قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد، وقوله: ﴿مَا أَرْسَلْنَا﴾ استئناف مبين لذلك، دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضاً مستند غيره، وفيه تسلية لرسول الله.

قوله: ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ جمع مترف اسم مفعول، وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم. قوله: (مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف، أي قولاً مثل قول قومك وقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا﴾ مقول القول. قوله: ﴿قُلْ﴾ (لهم) خطاب للنبي ﷺ أي قل لقومك يا محمد إلخ. قوله: ﴿بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ﴾ إلخ، أي بدين أهدى وأصوب مما وجدتم إلخ، أي من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، والتعبير بالتفصيل لأجل التنزل معهم وإرخاء العذاب.

قوله: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ أي فلا تكترث بتكذيب قومك لك، فإن عاقبتهم كغيرهم من المكذبين. قوله: (واذكر) قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف، وسيأتي أن قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ متعلق بذلك المحذوف. قوله: ﴿لأَبِيهِ﴾ تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه، وتوجيه كل من القولين مفصلاً. قوله: ﴿بَرَاءٌ﴾ العام على فتح الباء والراء، بعدها ألف فهمزة، مصدر وقع موقع الصفة وهي بريء، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقرىء شذوذاً بضم الباء وكسرها، بوزن طوال وكرام.

قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يحتمل أن الاستثناء منقطع، بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره، وذلك أنهم كانوا يعبدون النمروذ، ويحتمل أن إلا صفة بمعنى غير. قوله: (يرشدني لدينه) أي يدلني على

كلمة التوحيد المفهومة من قوله ﴿إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ ﴿ كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ ﴾ ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمْ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٩﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد ﷺ ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآن ﴿ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿ نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ من أية منهما ﴿ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣١﴾ أي الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة؟ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

أحكامه من صلاة وغيرها، ودفع بذلك ما يقال: إن الهداية حاصلة، لكونه مجبولاً على التوحيد من ﴿ألست بربكم﴾ فكيف يعبر بالمضارع فضلاً عن اقترابه بالسين، فأجاب بما ذكر، نظير ما أجاب به عن قوله: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ وأجيب أيضاً: بأن السين زائدة، والمضارع للدلالة على الإستمرار، والمعنى يديمني على الهدى، وأجيب أيضاً: بأن المعنى سيثبتني على الهداية. قوله: **(أي كلمة التوحيد)** إلخ، تفسير للضمير البارز، والضمير المستتر يعود على إبراهيم، والمعنى: أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه، قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾ الآية. قوله: **(أي أهل مكة)** أشار بذلك إلى أن قوله: **﴿لَعَلَّهُمْ﴾** إلخ، متعلق باذكر الذي قدره، والمعنى: اذكر يا محمد لقومك ما ذكر، ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم.

قوله: **﴿بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤلَاءِ﴾** إضراب انتقالي للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع، واسم الإشارة عائد على المشركين الكائنين في زمنه ﷺ. قوله: **(ولم أعاجلهم بالعقوبة)** أي بل أعطيتهم نعماً عظيمة وحرماً آمناً، يجبى إليه ثمرات كل شيء، فلم يشكروا بل ازدادوا طغياناً، فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام. قوله: **﴿حَتَّى جَاءَهُمْ الْحَقُّ﴾** غاية لمحذوف، والتقدير بل متعت هؤلاء، فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم.

قوله: **﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ﴾** إلخ هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته ﷺ، وذلك أنهم قالوا: إن الرسالة منصب شريف، لا يليق إلا برجل شريف، وهذا صدق، غير أنهم غلطوا في دعواهم أن الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه، ومحمد ليس كذلك، فلا تليق به رسالة الله، وليس كذلك، بل العبرة بتعظيم الله، لا بالمال والجاه، فليس كل عظيم المال والجاه معظماً عند الله تعالى. قوله: **(من أية منهما)** أي من أحدى القريتين. قوله: **(أي الوليد بن المغيرة)** أي وقد استمر كافراً حتى هلك. قوله: **(وعروة بن مسعود)** أي وقد هداه الله للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وكان النبي عليه الصلاة والسلام، يشبه عيسى ابن مريم عليه السلام، به رضى الله تعالى عنه.

قـوله: **﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ﴾** الاستفهام انكاري وتعجب من حالهم وتحكمهم. قـوله: **﴿رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾** ترسم بالتاء المجرورة هنا، وفي قوله تعالى فيما يأتي **﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ﴾** اتباعاً لرسم المصحف وهذا مؤضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة. ثالثها في البقرة ﴿أولئك يرجون رحمت الله﴾ رابعها في الأعراف ﴿إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾ خامسها في هود ﴿رحمت الله وبركاته عليهم﴾ سادسها في مريم ﴿رحمت

فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بالغنى ﴿فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم﴾ الغني ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرىء بكسر السين ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ في الدنيا ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ بدل من لمن ﴿سُقُفًا﴾ بفتح السين وسكون القاف وبضمها جمعاً ﴿مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يعلون إلى السطح ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾﴾ ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهباً، المعنى: لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ما ذكر، لأعطيناه ذلك، لقلة حظ الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ بالتخفيف فما زائدة، وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾

ربك﴾ سابعها في الروم﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ وما عداها يرسم بالهاء، وللقراء في تلك المواضع السبعة في الوقف طريقان: فمنهم من يقف بالهاء، كسائر الهاءات الداخلة على الأسماء، كفاطمة وقائمة، ومنهم من يقف بالتاء تغليباً لجانب الرسم.

قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي فجعلنا هذا غنياً، وهذا فقيراً، وهذا مالكاً، وهذا مملوكاً، وهذا قوياً، وهذا ضعيفاً، لاستقامة نظام العالم، لا للدلالة على سعادة وشقاوة. قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾ اللام للتعليل، أي إن القصد من جعل الناس متفاوتين في الرزق، لينتفع بعضهم ببعض، ولو كانوا سواء في جميع الأحوال، لم يخدم أحد أحداً، فيفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه. قوله: **(والياء للنسب)** أي نسبته للسخرة وهي العمل بلا أجرة. إذا علمت ذلك، فقول المفسر **(بالأجرة)** تقييد بالنظر لصحة التعليل، ويصح أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء، والمعنى ليستهزىء الغني بالفقير، وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة. قوله: **(وقرىء بكسر السين)** أي قراءة شاذة هنا، جرياً على عادته في التعبير عن الشاذ بقرىء، وعن السبعي بوفي قراءة، وأما ما في المؤمنين وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية، ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين. قوله: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي والعظيم من حازها وهو النبي ﷺ ومن تبعه، لا من حاز الكثير من المال.

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ﴾ إلخ، الكلام على حذف مضاف، أي ولولا خوف أن يكون الناس إلخ، كما أشار له المفسر فيما يأتي، والأوضح أن يقول: لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجعلنا إلخ، لأنه تعالى لا يوصف بالخوف، ففرق الله الدنيا بين المؤمنين والكافر، على حسب ما قدره لهم في الأزل. إن قلت: لم لم يوسع الدنيا على المسلمين، حيث يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام، فالجواب: لأن الناس حينئذ يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمان المنافقين، فما قدره الله تعالى خير، لأن كل من دخل الإيمان، فإنما يقصد رضا الله فقط. قوله: **(بدل من لمن)** أي بدل اشتمال. قوله: **(وبضمها جمعاً)** أي على وزن رهن جمع رهن، فهما قراءتان سبعيتان. قوله: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم. قوله: ﴿وَ﴾**(وجعلنا لهم)** ﴿سُرُراً﴾ أشار بذلك إلى أن

يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَن يَعْشُ﴾ يعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾ نسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ لا يفارقه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي طريق الهدى ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ في الجمع رعاية معنى من ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَٰلَيْتَ﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ

﴿سُرُراً﴾ معمول لمحذوف معطوف على قوله: ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ﴾ عطف جمل.

قوله: ﴿وَزُخْرُفاً﴾ ذهباً، وقيل الزخرف الزينة. قوله: (**مخففة من الثقيلة**) أي مهملة لوجود اللام في خبرها. قوله: ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي إن الجنة تكون لكل موحد، قال كعب: وجدت في بعض كتب الله المنزلة: لولا أن يحزن عبدي المؤمن، لكللت رأس عبدي الكافر بالإكليل، ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع، أي لا يتحرك، وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». وورد: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى الكافر منها شربة ماء» قال البقاعي: ولا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة، من زخرفة الأبنية، وتذهيب السقوف وغيرها. من مبادىء الفتنة، بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة، حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال، لأن من يبقى إذ ذاك على الحق في غاية القلة، بحيث إنه لا عداد له في جانب الكفرة، لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، وإن خرج مخرج الشرط، فكيف بملك الملوك سبحانه ا. هـ.

قوله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ﴾ من العشاء وهو الإعراض والتغافل، ويطلق على ضعف البصر، وفعله عشا يعشو، كدعا يدعو. قوله: (**يعرض**) أي يتعام ويتغافل، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾. قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ﴾ أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى أن الكافر بإعراضه عن القرآن، سد على نفسه باب الرحمة، ولو اتبعه لعمته الرحمة. قوله: ﴿نُقَيِّضْ﴾ جواب الشرط، وفعله قوله: ﴿يَعْشُ﴾ مجزوم بحذف الواو، والضمة دليل عليها. قوله: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ أي في الدنيا، بأن يمنعه من الحلال، ويحمله على فعل الحرام، وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، أو في الآخرة إذا قام من قبره، لما ورد: إذا مقام من قبره، شفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخله النار، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه، والأولى العموم.

قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان، كما أفرد أولاً في قوله: ﴿فَهُوَ﴾ مراعاة للفظه. قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الجملة حالية، أي يعتقدون أنهم على هدى، وهو بمعنى قوله تعالى: ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾. قوله: (**في الجمع**) أي في المواضع الثلاثة الأول، أي ليصدونهم ويحسبون أنهم، وقوله: (**رعاية معنى من**) أي بعد أن روعي لفظها في ثلاثة أيضاً: الضمير المستتر في ﴿يَعْشُ﴾ والضميران المجروران باللام في نقيض له ﴿فَهُوَ لَهُ﴾ وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في ﴿جَاءَ﴾ و ﴿قَالَ﴾ ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ﴾.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ بالإفراد والتثنية قراءتان سبعيتان، فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي، وعلى الثانية ضمير التثنية. قوله: (**بقرينه**) أي مع قرينه. قوله: ﴿يَا﴾ (**للتنبيه**) ويصح

﴿ٱلْقَرِينُ﴾ ﴿٣٨﴾ أنت لي، قال تعالى: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي العاشين تمنيكم وندمكم ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ أي تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ ﴿٣٩﴾ علة بتقدير اللام لعدم النفع، وإذا بدل من اليوم ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٤٠﴾ بيِّن؟ أي فهم لا يؤمنون ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ في الآخرة ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ على عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ قادرون ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ لشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ عن القيام بحقه ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي غيره ﴿ءَالِهَةً

أن تكون للنداء، والمنادى محذوف تقديره قريني. قوله: ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ اسم ﴿لَيْتَ﴾ مؤخر، وفيه تغليب (المشرق والمغرب). قوله: (أي مثل ما بين المشرق والمغرب) أي في أنهما لا يجتمعان ولا يقربان منه، لأنهما ضدان. قوله: (أنت) هو المخصوص بالذم. قوله: (قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع، لأن هذا القول يحصل في الآخرة. (أي العاشقين) تفسير للكاف، وقوله: (وتمنيكم وندمكم) للضمير المستتر، فهو اشارة إلى أنه فاعل ينفع، وهو معلوم من السياق دل عليه قوله: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ إلخ، وبعضهم قال: إن الفاعل هو ﴿أَنَّكُمْ﴾ وما في حيزها، والتقدير: ولن ينفعكم اليوم اشتراككم في العذاب، وأتى بهذا دفعاً لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها، كمصائب الدنيا، فإنها إذا عمت هانت، بل في الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها. قوله: (أي تبين لكم) أي الآن في الآخرة، ودفع بذلك ما يقال: إن الظلم وقع في الدنيا، و ﴿الْيَوْمَ﴾ عبارة عن يوم القيامة، و ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿الْيَوْمَ﴾ فكيف يدل الماضي من الحال؟ فأجاب: بأن المراد تبين الظلم وظهوره، وذلك يكون يوم القيامة. قوله: (وإذ بدل من اليوم) أي بدل كل، إن قلت: لن ينفعكم عامل في اليوم، وإذ مع أنه مستقبل، واليوم ظرف حالي، وإذ ظرف ماض، فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي؟ أجيب: بأن عمله في الحال، من حيث إنه فريق من الاستقبال، وتقدم أن الماضي مؤول بالحال.

قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، أي أنت لا تسمعهم، كما أشار له المفسر، وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم، وهم لا يزدادون إلا تصميماً على الكفر. قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عطف على ﴿الْعُمْيَ﴾ ويكفي في العطف تغاير العنوان، وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كل كافر. قوله: (بأن نميتك قبل تعذيبهم) أي نقبضك الينا قبل انتقامنا منهم. قوله: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أي فلا يعجزوننا، وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا، وعلى أيدي أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة، ولعذاب الآخرة أشد. قوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أي دم على الاستمساك.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ إلخ تعليل للأمر بالاستمساك. قوله: ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ أي قريش خصوصاً ولغيرهم عموماً، فهو شرف لكل من تبعه، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾. قوله: ﴿مِنْ رُسُلِنَا﴾ بيان لمن. قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ﴾ إلخ، أي حكمنا بعبادة الأوثان،

يَعۡبُدُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ أي القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَا﴾ قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم

وأنزلنا ذلك في كتبنا. قوله: **(قيل هو على ظاهره)** أي من غير تقدير، فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم، وهذا على أن الآية مكية. قوله: **(بأن جمع له الرسل)** إلخ، جواب عما يقال: إنه متأخر في البعث عن الرسل، فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه؟ قوله: **(وقيل المراد أمم)** إلخ، أي فالكلام على حذف مضاف، والمعنى: اسأل أمم من أرسلنا، وقوله: **(أي أهل الكتابين)** تفسير لأمم، وهذا على أن الآية مدنية، لأن أهل الكتابين إنما كانوا في المدينة. قوله: **(ولم يسأل على واحد من القولين)** هذا أحد قولين، قال ابن عباس وابن زيد: لما أسري برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهو مسجد بيت المقدس، بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين، وجبريل مع النبي ﷺ، فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله ﷺ قال له جبريل: سل يا محمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا، أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟ فقال ﷺ: قد اكتفيت: والقول الآخر لغير ابن عباس: أنهم صلوا خلفه ﷺ سبعة صفوف: المرسلون ثلاثة صفوف، والنبيون أربعة صفوف، وكان يلي ظهر رسول الله ﷺ إبراهيم الخليل، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثم موسى، ثم سائر المرسلين، فصلى بهم ركعتين، فلما انتقل قام فقال: إن ربي أوحى إلي أن أسألكم: هل أرسل أحداً منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى؟ فقالوا: يا محمد إنا نشهد إنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة، أن لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل، وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين، وقد استبان ذلك بإمامتك إيانا، وأنه لا نبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم، فإنه مأمور أن يتبع أثرك.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾ إلخ، الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها، عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته ﷺ، فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد ﷺ من قومه، من التعيير بقلة المال والجاه. قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي معجزاتنا التسع، والباء للملابسة. قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص، والمعنى: فقال إني رسول رب العالمين، لتؤمن به وترسل معه بني اسرائيل.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ مرتب على مقدر، أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه، يدل عليه ما تقدم في الأعراف ﴿قال إن كنت جئت بآية فائت بها﴾ إلخ، قوله: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿إِذَا﴾ فجائية، والمعنى: حين جاءهم بالآيات فاجؤوا المجيء بها بالضحك والسخرية، من غير تأمل ولا تفكر. قوله: **(والجراد)** أي والقمل والضفادع والدم، كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم، فيستجيروا بموسى،

﴿بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ عن الكفر ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى لما رأوا العذاب ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أي مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ﴾ افتخاراً ﴿فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي من النيل ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓ﴾ أي تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ ﴿٥١﴾ عظمتي ﴿أَمۡ﴾ تبصرون؟ وحينئذ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا﴾ أي موسى ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ ﴿٥٢﴾ يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره ﴿فَلَوۡلَآ﴾ هلا ﴿أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ﴾ إن كان صادقاً ﴿أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة كأغربة جمع سوار

فيدعو الله تعالى فيكشفه عنهم، فيمكثون بين كل واحدة والأخرى شهراً ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان، ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة، فاستجاروا ثم عادوا للطغيان، ثم دعا الله فكشفت عنهم، ثم دعا عليهم بالطمس فطمست أموالهم، فعزموا على قتل موسى وقومه، فانتقم الله منهم بالغرق.

قوله: ﴿**إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا**﴾ الجملة صفة لآية، والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الإعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنا أكبر من غيرها. قوله: ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ أي عما هم عليه من الكفر. قوله: (**لأن السحر عندهم علم عظيم**) أي فقصدوا بذلك تعظيمه لا نقصه. إن قلت: إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم﴿**قالوا** يا موسى ادع لنا ربك﴾ إلخ، فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه، وهذا صريح في أنهم نادوه بيا أيها الساحر، فكيف الجمع بينهما؟ أجيب: بأن الخطاب تعدد، وإنما لم يلمهم على ذلك، رجاء أن يؤمنوا واستقصاراً لعقولهم. قوله: (**من كشف العذاب**) بيان لما. قوله: ﴿**إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ**﴾ أي إن كشف العذاب عنا. قوله: ﴿**إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ**﴾ أي في كل مرة من مرات العذاب.

قوله: ﴿**وَنَادَى فِرْعَوْنُ**﴾ أي بنفسه وبمناديه. قوله: ﴿**وَهَذِهِ الأَنْهَارُ**﴾ إلخ، معطوف على ﴿**مُلْكُ مِصْرَ**﴾ وجملة ﴿**تَجْرِي**﴾ حال من اسم الإشارة. قوله: ﴿**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله: (**عظمتي**). قوله: ﴿**أَمْ**﴾(**تبصرون**) أشار بذلك إلى أن ﴿**أَمْ**﴾ متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين، والمعادل محذوف، واعترض بأن المعادل لا يحذف بعد ﴿**أَمْ**﴾ إلا إن كان بعدها لا، نحو: أتقوم أم لا؟ أي أم لا تقوم. وأجيب: بأن هذا غالب لا مطرد. قوله: (**وحينئذ**) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿**أَنَا خَيْرٌ**﴾ إلخ، مسبب عن المعادل المحذوف. قوله: (**حقير**) أي لأنه يخدم نفسه، وليس له ملك ولا نفاذ أمر.

قوله: ﴿**وَلَا يَكَدُ يُبِينُ**﴾ الجملة إما عطف على جملة ﴿**وَهُوَ مُهِينٌ**﴾ أو حال أو مستأنفة. قوله: (**للثغته**) بضم اللام وهي تصيير الراء غيناً أو لاماً، أو السين تاء. قوله: (**التي تناولها في صغره**) أي حين لطم فرعون على وجهه، فاغتم لذلك وأراد قتله، فمنعته زوجته وقالت له: إنه صغير لا يعرف التمرة من الجمرة، فأتى له بتمر وجمر، فأراد أخذ التمرة، فحول جبريل يده فأخذ الجمرة، فأثرت في لسانه، وقد حلها الله حين أرسله، وإنما وصفه فرعون بها الآن، استصحاباً لما كان يعرف منه. قوله: ﴿**فَلَوْلَا أُلْقِيَ**

كعادتهم فيمن يسودونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ متتابعين يشهدون بصدقه ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾ استفز فرعون ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم أي سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جعل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدونَ من دون الله حصب جهنم﴾ فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى، لأنه عبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ ﴿٥٧﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾ خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ شديدو الخصومة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب

﴿عَلَيْهِ﴾ أي من عند مرسله الذي يدعي أنه الملك حقيقة. قوله: (استفز فرعون) ﴿قَوْمَهُ﴾ المعنى: استخف فرعون عقول قومه، فألقى عليهم تلك الشبه الواهية التي أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه. قوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أصله أأسفونا بهمزتين، أبدلت الثانية ألفاً. قوله: (أغضبونا) أي حيث بالغوا في العناد والعصيان. قوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي عاقبناهم. قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفسير للانتقام، وقد أهلكوا بجنس ما تكبروا به، ففيه اشارة إلى أن من افتخر بشيء وتعزز به غير الله أهلكه به. قوله: ﴿وَمَثَلاً﴾ معطوف على ﴿سَلَفاً﴾ والمراد بالآخرين المتأخرون في الزمان، وهي الأمة المحمدية.

قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً﴾ سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ الآية، قال عبد الله بن الزبعري وكان قبل أن يسلم: أهذا لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم؟ فقال رسول الله: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: قد خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح؟ واليهود يعبدون عزيراً؟ وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، فسكت انتظاراً للوحي، فظنوا أنه ألزم الحجة، فضحكوا وارتفعت أصواتهم، إذ علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر في القصة. قوله: ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ فجائية، والمعنى: فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم. قوله: ﴿يَصِدُّونَ﴾ بضم الصاد وكسرها من باب ضرب وورد قراءتان سبعيتان. قوله: (فرحاً بما سمعوا) أي إن محمداً صار مغلوباً بهذا الجدال.

قوله: ﴿وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ إلخ، تفصيل لجدالهم، والمعنى أنهم قالوا: آآلهتنا خير عندك أم عيسى؟ فإن كان في النار فلتكن آلهتنا معه، وقوله: ﴿أَآلِهَتُنَا﴾ بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية، بغير ادخال ألف بينهما، فهما قراءتان سبعيتان فقط، وقرىء شذوذاً بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر. قوله: ﴿فَتَرْضَى أَنْ تَكُونَ﴾ إلخ، هذا تفريع على الشق الثاني. قوله: ﴿إِلَّا جَدَلاً﴾ مفعول من أجله، أي لأجل الجدل والمراء. قوله: (لعلمهم أن ما) أي الوقعة في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون﴾ وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب، أن ما تكون لغير العاقل، ومن للعاقل. قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

﴿مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ ﴿٥٩﴾ أي كالمثل لغرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى على ما يشاء ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم﴾ بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ يَخۡلُفُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ بأن نهلككم ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى ﴿لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ أي تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُونِۚ﴾ على التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾ يصرفنكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٦٢﴾ بين العداوة ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره، فبيَّن لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسۡتَقِيمٌ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ﴾ في عيسى، أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيۡلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ كفروا بما قالوه في عيسى

﴿عَبْدٌ﴾ رد عليهم، والمعنى: ما عيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة، لا إله ولا ابن إله. قوله: **(بوجوده من غير أب)** أي فهو نظير آدم في خلقه من غير أبوين. قوله: **﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾** خطاب لقريش، والمعنى: أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم، فلو نشاء لأهلكناكم، وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدوني في الأرض. قوله: **(بدلكم)** أي فهو نظير قوله تعالى: **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾** وقول الشاعر:

جارية لم تأكل المرققا ... ولم تذق من البقول الفستقا

ويصح أن تكون من تبعيضية، والمعنى: لو نشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها، بأن يحول بعضكم إلى صورة الملائكة، أو يلد بعضكم ملائكة. قوله: **﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ﴾** أي نزوله علامة على قرب الساعة، فالكلام على حذف مضاف، واللام بمعنى على. قوله: **﴿وَاتَّبِعُونِ﴾** أي امتثلوا ما آمركم به. قوله: **﴿وعلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾** معطوف على **﴿اتَّبِعُونَ﴾** فهو مقول القول، وقيل: من كلام الله تعالى: والمعنى: اتبعوا يا عبادي هديي أو رسولي **﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾** إلخ. قوله: **﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾** أي أرسل لبني إسرائيل. قوله: **﴿وَلأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾** معطوف على قوله: **﴿بِالْحِكْمَةِ﴾** أي وجئتكم لأبين، ولم يترك العاطف، اشارة إلى أنه متعلق بما قبله، اشعاراً بالاهتمام بالقلة، حتى جعل كأنه كلام برأسه. قوله: **﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾** أي فبين لهم أمر الدين، وهو بعض ما يختلفون فيه، لأن اختلافهم في أمر الدين وتكسبات الدنيا، والأنبياء بعثوا لبيان الدين، لا لصنائع الدنيا، فإنها تؤخذ عن أهلها، وفي الحديث: «أنتم أعلم بأمردنياكم» **﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾** أي فيما أبلغه عنه.

قوله: **﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾** أي تفرقوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى. قوله: **(أهو الله)** هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية. قوله: **(أو ابن الله)** هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى المرقوسية. قوله: **(أو ثالث ثلاثة)** هذا قول فرقة منهم أيضاً تسمى الملكانية، وقالت فرقة: إنه عبد الله ورسوله، وإنما كفرت ببعثة محمد ﷺ وقالت اليهود: إنه ليس بنبي فإنه ابن زنا؛ لعنهم الله. قوله: **(كلمة عذاب)** أي كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ، وقوله: **﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** خبره. قوله: **(أي**

﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٦٥﴾ مؤلم ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي كفار مكة أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل من الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ بوقت مجيئها قبله ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة متعلق بقوله ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ المتحابين في الله على طاعته فإنهم أصدقاء ويقال لهم ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾ تسرون وتكرمون خبر المبتدأ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب وهو إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ تلذذاً ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ نظراً ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾

كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب، إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلاً.

قوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ الجملة حالية. قوله: **(على المعصية)** أي وعليه فيكون الاستثناء منقطعاً، ويصح أن المراد بالاخلاء الأحباب مطلقاً، فيكون الاستثناء متصلاً. قوله: **(متعلق بقوله** ﴿**بَعْضُهُمْ**﴾ أي والفصل بالمبتدأ لا يضر. قوله: **(فإنهم أصدقاء)** أي ويشفعون لبعضهم ويتوددون، كما كانوا في الدنيا. قوله: **(ويقال لهم)** أي تشريفاً وتطييباً لقلوبهم، ورد أنه ينادي مناد في العرصات ﴿**يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾، فيرفع أهل العرصة رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾، فينكس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين.

قوله: ﴿**يَا عِبَادِي**﴾ الإضافة للتشريف والتكريم، والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة، ثلاث قراءات سبعيات، وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور: الأول نفي الخوف، والثاني نفي الحزن، والثالث الأمر بدخول الجنة، والرابع البشارة بالسرور في قوله: ﴿**تُحْبَرُونَ**﴾. قوله: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ**﴾ بالرفع والتنوين في قراءة العامة، وهو مبتدأ، و ﴿**عَلَيْكُمْ**﴾ خبره، وقرىء شذوذاً بالضم والفتح دون تنوين. قوله: ﴿**وَكَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ أي مخلصين في أمر الدين. قوله: **(زوجاتكم)** أي المؤمنات. قوله: **(تسرون)** أي يظهر أثره على وجوهكم. قوله: **(بقصاع)** جمع قصعة وهي الإناء الذي يشبع العشرة، وأكبر منها الجفنة، والصحفة ما يشبع الخمسة، والمأكلة ما يشبع الرجلين أو الثلاثة، ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة، منزلة سبعون ألف غلام، بسبعين ألف صحفة من ذهب، يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم درجة، كل يوم سبعمائة ألف غلام، مع كل غلام صحفة من ذهب، فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يشبه بعضه بعضاً. قوله: **(جمع كوب)** أي كعود وأعواد. قوله: **(لا عروة له)** أي ليس له محل يمسك منه. قوله: **(ليشرب الشارب من حيث شاء)** أي لأن العروة تمنع من بعض الجهات، وروي أنهم يؤتون بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك، أتوا بالشراب الطهور، فتنضمر لذلك بطونهم، وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك، قال تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾.

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي بعضها ﴿تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ساكتون سكوت يأس ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليميتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ مقيمون في العذاب دائماً، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم﴾ أي أهل مكة

قوله: ﴿وَفِيهَا﴾ أي الجنة. قوله: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ﴾ أي من الأشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة، روي «أن رجلاً قال: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل. فقال: إن يدخلك الله الجنة، فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء، فتطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله في الجنة إبل؟ فإني أحب الإبل. فقال: يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة، أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك». وتشتهي: بهاء واحدة اثنتين بينهما الياء، قراءتان سبعيتان. قوله: (تلذذاً) أي بطعامها وشرابها، لا عن عطش. قوله: (نظراً) أي وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفاً لها وتعظيماً لقدرها، ولم يقل: وتلكمو الجنة، ليكون مناسباً لقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ إشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال. قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي أعطيتموها بسبب عملكم، وهذا زيادة في الإكرام لأهل الجنة، وحيث لم يقل أورثتموها من فضلي، وإن كانت في الحقيقة من فضله تعالى، قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة وناراً، فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر. قوله: (يخلف بدله) أي لأنها على صفة الماء النابع، لا يؤخذ منها شيء، إلا خلف مكانه في الحال مثله.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلخ، لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة وما فيها، شرع في ذكر وعيد الكافرين السيىء بالنار وما فيها، على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم في مقابلة المؤمنين. قوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ الجملة حالية، وكذا ما بعدها والفتور السكون، يقال من فتر الماء سكن حره. قوله: (ساكتون) أي فالإبلاس السكوت، ويطلق على السكون، يقال أبلس سكت وسكن. قوله: (سكوت يأس) أي من رحمة الله تعالى. إن قلت: إن مقتضى ما هنا أنهم يسكتون في النار، ومتقضى ما يأتي في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ الآية، أنهم يستغيثون ويتكلمون، فحصل التنافي بين الموضعين. أجيب: بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى، فأحوالهم مختلفة. قوله: ﴿وَلَٰكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ العامة على نصب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ خبراً لكان، و ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل، وقرىء شذوذاً الظالمون بالرفع، على أن ﴿هُمُ﴾ ضمير منفصل مبتدأ، والظالمون خبره، والجملة خبر كان.

قوله: ﴿وَنَادَوْا﴾ التعبير بالماضي لتحقق الحصول. قوله: (هو خازن النار) أي كبير خزنتها، ومجلسه وسط النار، وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها. قوله: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ اللام للدعاء، ويقض مجزوم بحذف الياء، والمعنى: سل ربك أن يميتنا، فهو من قضى عليه إذا أماته. قوله: (ليمتنا) أي لنستريح مما نحن فيه. قوله: (بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال،

﴿بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓا۟﴾ أي كفار مكة أحكموا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ ذلك ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ للولد لكن ثبت أن لا ولد له تعالى، فانتفت عبادته ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ الكرسي ﴿عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فيه العذاب وهو يوم القيامة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾ هو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ﴾ بتحقيق الهمزتين

وقيل بعد مائة سنة، وقيل بعد أربعين سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون. قوله: (مقيمون في العذاب دائماً) أي لا مفر لكم منه بموت ولا غيره. قوله: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ﴾ إلخ، يحتمل أنه من كلام الله تعالى، خطاب لأهل مكة عموماً، مبين لسبب مكث الكفار في النار، وهو ما مشى عليه المفسر، وقوله: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ وأما قلتكم فهو مؤمن يحب الحق، ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار، جار مجرى العلة كأنه قال: إنكم ماكثون لأنا جئناكم إلخ، ويكون معنى أكثركم كلكم. قوله: ﴿كَارِهُونَ﴾ أي لما فيه من منع الشهوات، فكراهتكم له من أجل كونه مخالفاً لهواكم وشهواتكم.

قوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً﴾ الإبرام في الأصل الفتل المحكم، يقال: أبرم الحبل إذا أتقن فتله ثانياً، وأما فتله أولاً فيسمى سحلاً، ثم أطلق على مطلق الإتقان والإحكام، و ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل والهمزة، وهو انتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار، على بعض ما حصل منهم في الدنيا. قوله: (في كيد محمد) أي كما ذكره في قوله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك﴾ الآية.

قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ ﴿أَمْ﴾ منقطعة تفسر ببل وهمزة الإنكار. قوله: ﴿وَرُسُلُنَا﴾ إلخ، الجملة حالية، وقوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾(ذلك) أي سرهم ونجواهم. قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ وَلَدٌ﴾ أي إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح، فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده. قوله: (لكن ثبت أن لا ولد له) أشار بذلك إلى أن قياس استثنائي، وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله: (لكن ثبت) إلخ، فأنتج نقيض التالي وهو قوله: (فانتفت عبادته) وإيضاحه: أنه علق العبادة بكينونة الولد وهي محالة في نفسها، فكان المعلق بها محالاً مثلها، فحصل نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها. قوله: (الكرسي) المناسب إبقاء الآية على ظاهرها، لأن من المعلوم أن ﴿الْعَرْشِ﴾ غير (الكرسي). قوله: (العذاب) مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب. قوله: (وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول: يوم موتهم، لأن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي بيوم الموت.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾(هو) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إلخ، قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ، و ﴿إِلٰهٌ﴾ خبره، و ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ متعلق بإله، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه، ولطول

وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء أي معبود ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ بمصالحهم ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ بالياء والتاء ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون أي الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي قال لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهو: عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ يصرفون عن عبادة الله ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ قال تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ﴾ فأعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٩﴾ بالياء والتاء، تهديد لهم.

الصلة بالمعمول، نظير قولك: ما أنا بالذي قائل لك سوءاً، ولا يصح أن يكون الجار والمجرور خبراً مقدماً، و ﴿إله﴾ مبتدأ مؤخراً، لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير: جاء الذي في الدار زيد. قوله: **(بتحقيق الهمزتين)** إلخ، أي همزة سماء، وهمزة إله، وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات، وفي الحقيقة هي سبع سبعيات: التحقيق وهي قراءة واحدة، وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصر في سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين، وتسهيل الثانية وابدالها ياء مع القصر لا غير. قوله: **(متعلق بما بعده)** أي وهو إله لأنه بمعنى معبود، والتقدير: وهو معبود في السماء ومعبود في الأرض، ولا شك أن العابد في السماء غير العابد في الأرض، والمعبود واحد، ودفع ما يتوهم من ظاهر الآية أن الإله متعدد، لأن النكرة إذا أعيدت كانت غيراً. قوله: ﴿**وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ أي علم وقت قيامها. قوله: **(والتاء)** أي فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد والتقريع.

قوله: ﴿**وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ**﴾ إلخ، الاسم الموصول فاعل ﴿**يَمْلِكُ**﴾ وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله ليكون الاستثناء متصلاً، وهو ما تقتضيه عبارة المفسر، أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعاً. قوله: **(أي الكفار)** تفسير للواو في ﴿**يَدْعُونَ**﴾. قوله: **(لأحد)** قدره اشارة إلى أن مفعول ﴿**الشَّفَاعَةَ**﴾ محذوف. قوله: ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ الضمير عائد على ﴿**مَنْ**﴾ والجمع باعتبار معناها.

قوله: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ**﴾ أي العابدين مع ادعاء الشريك. قوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف على القاعدة. قوله: **(أي قول محمد النبي)** تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه، وقوله: **(ونصبه على المصدر)** أي فالقول والقيل المقالة كلها مصادر بمعنى واحد، وفي قراءة سبعية أيضاً بالجر، إما عطفاً على ﴿**السَّاعَةَ**﴾ أو أن الواو للقسم، والجواب: إما محذوف والتقدير لأفعلن بهم ما أريد، أو مذكور وهو قوله: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون. قوله: ﴿**وَقُلْ سَلَامٌ**﴾ خبر لمحذوف أي شأني سلام، أي ذو سلامة منكم ومني، فهو تباعد وتبرؤ منهم، فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار. قوله: **(وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم)** أي فالآية منسوخة، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكيّة
وآياتها تسع وخمسون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿حم﴾ ① الله أعلم بمراده به ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ ② المظهر الحلال من الحرام ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان مكية

وقيل إلا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾ الآية. وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

أي كلها وهو المعتمد. قوله: (الآية) أي إلى قوله: ﴿عائدون﴾ وورد في فضل هذه السورة أحاديث منها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح مغفوراً له، وزوج من الحور العين». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ الدخان ليلة الجمعة، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك». ومنها قوله ﷺ: «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، بنى الله له بيتاً في الجنة». قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوي من الواردة في فضل السورة متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان، وحديث يس الذي تقدم لنا وهو: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس، من قرأها يريد وجه الله تعالى غفر الله له» إلى آخره، وحديث سورة الواقعة وهو: «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً».

قوله: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ الواو للقسم، و ﴿الْكِتَابِ﴾ مقسم به، وجواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ إلخ، وأما قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ فهو تعليل للجواب، وهو أحسن من جعل الجواب قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه. قوله: (القرآن) هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أقواها، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن، كما تقول للعظيم: أتشفع بك لك، وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك». وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء، والضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائد على القرآن المفهوم من السياق، وقيل المراد به في اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن. قوله: (هي ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين، ووجه بأمور منها قوله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ فيجب أن تكون الليلة المباركة، هي المسماة بليلة القدر، لأن خير ما فسرته بالوارد، ومنها قوله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ فقوله تعالى

من شعبان، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ مخوِّفين به ﴿فِيهَا﴾ أي في ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة ﴿أَمْرًا﴾ فرقاً

هنا: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبت أنها ليلة القدر، ومنها قوله تعالى في صفة ليلة القدر: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ وقال هنا ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ وقال هنا: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِكَ﴾ وقال في ليلة القدر: ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ وإذا تقاربت الأوصاف، وجب القول بأن احدى الليلتين هي الأخرى، وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد، وسميت ليلة القدر، لأن الله تعالى يقدر فيها ما يشاء من أمره، إلى مثلها من السنة القابلة، من أمر الموت والأجل والرزق، ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم: اسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام، وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ، من ليلة نصف من شعبان، ويقع الفراغ في لية القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخة الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازل والصواعق والخسف، ونسخة الأعمال إلى اسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم، ونسخة المصائب إلى ملك الموت. قوله: (**أو ليلة النصف من شعبان**) هو قول عكرمة وطائفة، ووجه بأمور منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الرحمة، وليلة الصك. ومنها فضل العبادة فيها لما ورد: من صلى فيها مائة ركعة، أرسل الله تعالى إليه مائة ملك، ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان، ومنها نزول الرحمة فيها لما في الحديث: «إن الله يرحم أمتي هذه الليلة، بعدد شعر أغنام بني كلب». ومنها حصول المغفرة فيها لما في الحديث: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة، إلا الكاهن، والساحر، ومدمن الخمر، وعاق والديه، والمصر على الزنا». ومنها أن الله تعالى أعطى رسول في تلك الليلة تمام الشفاعة في أمته، وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطي الجميع، إلا من شرد عن الله شرود البعير. قوله: (**نزل فيها**) أي جملة، ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا، فكتبوه في صحف وكانت عندهم في محل من تلك السماء يسمى بيت العزة، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل في عشرين سنة، ينزل بها على النبي ﷺ بحسب الوقائع والحوادث. قوله: ﴿**إِنَّا كُنَّا مِنْذِرينَ**﴾ المراد من كان الاستمرار والدوام، أي شأننا وعادتنا الإنذار والتخويف، وهذه الجملة علة للإنزال، وكونه في ليل مباركة. والمعنى: إنما أنزلناه في ليلة مباركة، لأن شأننا الإنذار، وهذا القرآن عظيم أنزل في ليلة مباركة، شأنه أن يخاف منه.

قوله: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ**﴾ هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لليلة، وما بينهما اعتراض. قوله: (**يفصل**) أي يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف. قوله: (**محكم**) أي مبرم لا تغيير فيه ولا تبديل. قوله: (**فرقاً**) أشار بذلك إلى أن ﴿**أمراً**﴾ منصوب على المصدرية بفعل ملاق له في المعنى: كقمت وقوفاً، وجلست قعوداً، ويصح أن يكون حالاً من فاعل ﴿**أَنْزَلْنَاهُ**﴾ والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين، أو من مفعوله والتقدير أنزلناه حال كونه مأموراً به، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله وعامله أنزلناه، والتقدير

﴿ مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ ۝٥ الرسل محمداً ومن قبله ﴿رَحْمَةً﴾ رأفة بالمرسل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ ۝٦ لأفعالهم ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ﴾ برفع رب خبر ثالث، وبجره بدل من ربك ﴿ إِن كُنتُم ﴾ يا أهل مكة ﴿مُّوقِنِينَ﴾ ۝٧ بأنه تعالى رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ۝٨ ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ ۝٩ استهزاء بك يا محمد، فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، قال تعالى: ﴿ فَٱرْتَقِبْ ﴾ لهم ﴿ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ۝١٠ فأجدبت

أنزلناه لأمر الخلق أي شأنهم، بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم. قال تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾. قوله: ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ صفة لأمراً. قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الإنزال في ليلة مباركة وكونه آمراً.

قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله، والعامل فيه: إما ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ وإما ﴿أَمْراً﴾ وإما ﴿مُنْذِرِينَ﴾ وإما ﴿يُفْرَقُ﴾ وإما ﴿مُرْسَلِينَ﴾ وهو الأقرب، ويصح أن يكون منصوباً بفعل محذوف، أي رحمناهم رحمة، ويصح أن يكون حالاً من ضمير ﴿مُرْسِلِينَ﴾ أي ذوي رحمة، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿أَمْراً﴾. قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ متعلق برحمة، وفيه التفات من التكلم للغيبة، لمزيد الإرهاب والترغيب، فالإرهاب للكفار، والترغيب للمؤمنين. قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله، وإن حرف توكيد ونصب، والهاء اسمها، وهو ضمير فصل، و ﴿السَّمِيعُ﴾ خبر أول، و ﴿الْعَلِيمُ﴾ خبر ثان، وقوله: ﴿رَبُّ﴾ خبر ثالث كما قال المفسر، ففيه إشارة لهذا الإعراب. قوله: (فأيقنوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف، والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار، فإن قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر رابع. قوله: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾ بالرفع في قراءة العامة، على أنه بدل أو بيان أو نعت لرب السماوات والأرض فيمن رفعه، وقرىء شذوذاً بالجر والنصب، فالأول على أنه نعت لرب السماوات في قراءة من جره؛ والثاني على المدح.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إضراب عن محذوف، والمعنى: فليسوا موقنين ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حال، أي حال كونهم يلعبون بظواهرهم، من الأقوال والأفعال، والمراد بلعبهم انهماكهم في الفاني واعراضهم عن الباقي، قال تعالى ﴿إنما الحياة الدنيا لعب﴾. قوله: (فقال اللهم أعني عليهم بسبع) أي سنين، هذا مفرغ على محذوف، أشار له المفسر بقوله: (استهزاء) أي فلما استهزؤوا به وكثر عنادهم، دعا عليهم بقوله: (اللهم أعني عليهم) أي على هداهم، وفي الحقيقة هو دعاء لهم، لأن من شأن النفوس، أنها إذا شبعت وكثر عليها الخير، تكبرت وطغت وبغت، فإذا جاعت واشتد بها الألم، ذلت وصغرت ورجعت للحق، لما ورد: أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها: من أنا؟ قالت له: أنت أنت، وأنا أنا، فألقاها في بحر الجوع، فذلت وقالت أنت الله لا إله غيرك، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع. قوله: (قال تعالى) أي إجابة لدعوته، واختلف هل حصل ذلك والنبي ﷺ في مكة، أو بعد هجرته إلى المدينة، وهو الراجح.

قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعول به، وعامله ﴿فَارْتَقِبْ﴾. قوله: ﴿بِدُخَانٍ﴾ الدخان بوزن غراب وجبل ورمان الغبار، والجمع أدخنه ودواخن ودواخين، والتلاوة بوزن غراب. قوله: (فأجدبت

الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ مصدقون نبيك، قال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ بين الرسالة ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي يعلمه القرآن بشر ﴿مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ أي الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ إلى كفركم فعادوا إليه، اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى

الأرض) أشار بذلك إلى أن حصول مطلوبه فيهم بالفعل. قوله: **(كهيئة الدخان)** أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان، بل رأوا شيئاً يشبهه من ضعف أبصارهم، وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود، فلما اشتد الأمر عليهم، جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا، فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام، حتى تضرروا من كثرته، فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعو برفعه، فدعا فارتفع، وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن: إنه دخان حقيقة، يظهر في العالم في آخر الزمان، يكون علامة على قرب الساعة، يملأ ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرض، يمكث أربعين يوماً وليلة، وأما المؤمن فيصيبه كالزكام، وأما الكافر فيصير كالسكران، فيملأ جوفه ويخرج من منخريه وأذنيه ودبره، وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه للنار.

قوله: **﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾** صفة ثانية للدخان، والمراد بهم قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر، وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار. قوله: **﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾** هذا وعد منهم بالإيمان وقد أخلفوه، وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا. قوله: **(أي لا ينفعهم الإيمان)** إلخ، الأوضح أن يقول: أي لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم، فهو استبعاد لإيمانهم. قوله: **﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾** أي قالوا في حق النبي عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمي، وقالوا تارة إنه مجنون، وتقدم في سورة النحل في قوله: **﴿إنما يعلمه بشر﴾** أن رجلاً اسمه جبر، وهو غلام عامر بن الحضرمي، ورجلاً اسمه يسار، كانا يصنعان السيوف بمكة، ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان النبي عليه السلام يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه، فقال الكفار **﴿إنما يعلمه بشر﴾** فرد الله تعالى عليهم بقوله: **﴿لسان الذي يلحدون اليه أعجمي﴾** الآية.

قوله: **﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾** جواب عن قوله: **﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَا الْعَذَابَ﴾**. قوله: **﴿قَلِيلًا﴾** قيل إلى يوم بدر، وقيل إلى ما بقي من أعمارهم. قوله: **(فعادوا إليه)** أي استمروا عليه، لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل. قوله: **(اذكر) ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾** أشار بذلك إلى أن **﴿يَوْمَ﴾** منصوب بمحذوف، ويصح أن يكون بدلاً من **﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾** . قوله: **(بلونا)** أي امتحنا. والمعنى: فعلنا بهم فعل الممتحن، بإقبال النعم عليهم منا، ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان. قوله: **﴿قَبْلَهُمْ﴾** أي قبل قريش. قوله: **(معه)** أشار بذلك دفعاً لما يتوهم من ظاهر الآية؛ أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون، فأجاب: بأن المراد هو وقومه.

عليه السلام ﴿كَرِيمٌ ۝١٧﴾ على الله تعالى ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَدُّوٓاْ إِلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي أظهروا إيمانكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨﴾ على ما أرسلت به ﴿وَأَن لَّا تَعْلُواْ﴾ تتجبروا ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ﴾ برهان ﴿مُّبِينٍ ۝١٩﴾ بين على رسالتي، فتوعدوه بالرجم فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ بالحجارة ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي﴾ تصدقوني ﴿فَٱعْتَزِلُونِ ۝٢١﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ﴾ أي بأن ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ۝٢٢﴾ مشركون، فقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ﴾ بقطع الهمزة ووصلها ﴿بِعِبَادِي﴾ بني

قوله: ﴿وَجَاءَهُمْ﴾ هو من جملة الممتحن به. قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾(على الله) أي عزيز عليه، حيث اختصه بالرسالة والكلام، وهذا رد لقول فرعون﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين﴾كأنه قال: حاشا موسى من المهانة، بل هو كريم عزيز على ربه. قوله: (أي بأن) أشار بذلك إلى أن ﴿أَنْ﴾ مصدرية، ويصح أن تكون مفسرة، وأن تكون مخففة من الثقيلة. قوله: ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ مشى المفسر على أن مفعول ﴿أَدُّوا﴾ محذوف، و ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ منادى، وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه، وقيل: إن ﴿عِبَادَ اللهِ﴾ مفعول لأدوا، والمراد بهم بنو إسرائيل: ومعنى تأديتهم إياهم اطلاقهم من الأسر، يشير إلى هذا قوله تعالى في سورة الشعراء ﴿أن أرسل معي بني اسرائيل﴾وعلى كلا القولين فالخطاب في ﴿أَدُّوا﴾ لفرعون وقومه. قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تعليل للأمر، وقوله: (على ما أرسلت به) متعلق بأمين. والمعنى: مأمون على ما أرسلني الله به، فلا أزيد ولا أنقص، وذكر الأمانة بعد الرسالة، وإن كانت تستلزمها، اشارة إلى أنها وصف شريف ينبغي الاعتناء به.

قوله: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللهِ﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ أَدُّوا﴾. قوله: (تتجبروا) ﴿عَلَى اللهِ﴾ فسر العلو بالتجبر، وفسره غيره بالتكبر والبغي والافتراء والتعاظم والاستكبار، وكلها معان متقاربة. قوله: ﴿إِنِّي آتِيكُمْ﴾ تعليل للنهي. قوله: (فتوعدوه بالرجم) ظاهره أنه حين قال ﴿إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ توعدوه بالرجم ولم يتمهلوا، مع أنه تقدم أن فرعون قال له: ﴿فائت بها إن كنت من الصادقين﴾ومكث بينهم مدة عظيمة، وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة، ثم لما توعدوه دعا عليهم، وحينئذ فيكون بين ما هنا وبين ما تقدم تناف، فالجواب: أن القصة ذكرت هنا مجملة، وما تقدم ذكرت مبسوطة، وذكر الشيء مفصلاً ثم مجملاً أثبت في النفس. قوله: ﴿أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ الباء فيه وفي قوله: ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾ من ياءات الزوائد لا تثبت في الرسم، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط، وأما في الوقف فيتعين حذفها. قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ اللام بمعنى الباء، ويصح أن تكون لام العلة. والمعنى: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني، إلخ. قوله: (فاتركوا أذاي) أي لا تتعرضوا لي بسوء.

قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ عطف على مقدر قدره بقوله: (فلم يتركوه) وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إلخ، تعريض بالدعاء كأنه قال: فافعل ما يليق بهم، و ﴿أَنَّ﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة، وقرىء شذوذاً بكسرها على اضمار القول. قوله: (بقطع الهمزة ووصلها) أي فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان: الأولى من أسرى، والثانية من سرى، قال تعالى:﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾وقال تعالى:﴿والليل إذا

إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣﴾ يتبعكم فرعون وقومه ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعته أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾ ساكناً منفرجاً حتى يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ۝٢٤﴾ فاطمأن بذلك، فأغرقوا ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ ۝٢٥﴾ تجري ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦﴾ مجلس حسن ﴿وَنَعْمَةٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝٢٧﴾ ناعمين ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ، أي الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي أموالهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ ۝٢٨﴾ أي بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء

يسر﴾والإسراء السير ليلاً، وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ. قوله: **(إذا قطعته أنت وأصحابك)** هذا تعليم لموسى بما يفعله في سيره قبل أن يسير، والمعنى: إذا سرت بهم، وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر، وأمرناك بضربه، ودخلتم فيه ونجوتم منه، فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم، بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم. قوله: ﴿**رَهْواً**﴾ حال من البحر، وهو في الأصل مصدر رها يرهو رهواً، إما بمعنى سكن، وإما بمعنى انفرج، والمفسر جمع بينهما. قوله: **(فاطمأن بذلك)** أي بقوله: ﴿**إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ**﴾ والضمير في اطمأن عائد على موسى. قوله: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ**﴾ ﴿**كَمْ**﴾ مفعول لتركوا، والمعنى: تركوا أموراً كثيرة بينها بقوله: ﴿**مِنْ جَنَاتٍ**﴾ إلخ. قوله: **(مجلس حسن)** أي محافل مزينة ومنازل حسنة، كما هو مشاهد في منازل الملوك الآن. قوله: **(متعة)** أي أمور يتمتعون بها وينتفعون بها، كالملابس والمراكب. قوله: ﴿**فَاكِهِينَ**﴾ العامة بالألف، وقرىء شذوذاً بغير ألف، ومعنى الأولى **(ناعمين)** كما قال المفسر أي متنعمين، ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله. قوله: **(خبر مبتدأ)** أي والوقف على كذلك، والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها. قوله: **(أي الأمر)** أي وهو هلاك فرعون وقومه. قوله: ﴿**وَأَوْرَثْنَاهَا**﴾ معطوف على ﴿**كَمْ تَرَكُوا**﴾ والمعنى: تركوا أموراً كثيرة، وأورثنا تلك الأمور بني اسرائيل. قوله: **(أي بني اسرائيل)** فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون إن قلت: كيف قال تعالى: ﴿**وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ**﴾ مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة؟ قلت: لعل الجواب أنها بعد غرقهم، أعيدت كما كانت، اكراماً لبني اسرائيل، فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس. قوله: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ**﴾ اختلف في البكاء، فقيل حقيقة وعليه فقيل هو واقع من ذات السماوات والأرض، ويؤيده ما ورد: ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات فقداه فيبكيان عليه، وتلا ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ**﴾ ويؤيده أيضاً قول مجاهد: إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدويّ النحل؟ وقيل: الكلام على حذف مضاف أي أهل السماوات والأرض، وقيل: إن بكاهما حمرة أطرافهما، ويؤيده قول السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: بكت عليه السماء، وبكاها حمرتها، وقول محمد بن سيرين: أخبرونا أن الحمرة التي تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنه، وقال سليمان القاضي: مطرنا دماً يوم قتل

﴿ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ مؤخرين للتوبة ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ ﴿٣٠﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ قيل: بدل من العذاب بتقدير مضاف أي عذاب، وقيل: حال من العذاب ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿٣٢﴾ أي عالمي زمانهم أي العقلاء ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣٣﴾ نعمة ظاهرة، من فلق البحر، والمن والسلوى وغيرها ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿إِنْ هِىَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي وهم نطف ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية ﴿ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياء ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ أنا نبعث بعد موتتنا، أي نحيا، قال تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو نبي أو رجل صالح ﴿ وَٱلَّذِينَ

الحسين، وقيل: إن البكاء كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم. قوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هذا من جملة تعداد النعم على بني اسرائيل، والمقصود من ذلك تسليته ﷺ وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدي المشركين، فإنهم لم يبلغوا في التجبر مثل فرعون وقومه. قوله: **(وقيل حال من العذاب)** أي متعلق بمحذوف، والمعنى واقعاً من جهة فرعون. قوله: ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ خبر ثان لكان، والمعنى من المتجاوزين الحد. قوله: ﴿عَلَى عِلْمٍ ﴾ ﴿عَلَى﴾ بمعنى مع، وقوله: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿عَلَى﴾ على بابه للاستعلاء، فاختلف معناهما، وحينئذ فجاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا. قوله: **(بحالهم)** أي بكونهم أهلاً للاصطفاء، لكون أكثر الأنبياء منهم. قوله: **(أي عالمي زمانهم)** دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية، يدل على كون بني اسرائيل، أفضل من كل العالمين، مع أن أمة محمد أفضل منهم، فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم، فلا ينافي في أمة محمد أفضل منهم. قوله: **(العقلاء)** المناسب أن يقول الثقلين، فإن من جملة العقلاء الملائكة، وبنو اسرائيل ليسوا أفضل منهم. قوله: ﴿مِنَ الآيَاتِ﴾ بيان مقدم على المبين. قوله: **(نعمة ظاهرة)** هذا تفسير للبلاء، فإن البلاء معناه الاختبار، وهو يكون بالمحن وبالنعم، هل يصبر أو لا؟ وهل يشكر أو لا؟ قوله: **(أي كفار مكة)** إنما أشار إليهم بإشارة القريب، تحقيراً لهم وازدراء بهم. قوله: ﴿لَيَقُولُونَ﴾ أي جواباً لما قيل لهم: إنكم تموتون موته تعقبها حياة، دل عليه قوله تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ كأنهم قالوا: مسلم أن لنا موتة تعقبها حياة، لكن المراد بها الأولى، وهي حال النطفة، لا الثانية التي ينقضي بها العمر، فإنها لا تعقبها حياة. قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين﴾. قوله: ﴿فَائْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي أحيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم. قوله: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ﴾ أي أمور الدنيا. قوله: ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ هو تبع الحميري أبو كرب واسمه أسعد، وإليه تنسب الأنصار، بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة، مدينة بقرب الكوفة، وبني سمرقند، وأراد غزو البيت وتخريب المدينة، فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد، فكف عنها، وكسا البيت بالحبرة، وكتب كتاباً وأودعه عند أهل المدينة، وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر، إلى أن هاجر النبي ﷺ فدفعوه إليه، يقال: إن الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد وفيه:

شهدت على أحمد أنه رسول الله بارىء النسم

مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ من الأمم ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ ٣٧ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ٣٨ بخلق ذلك، حال ﴿مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي محقين في ذلك، ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا، وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ﴾ أي كفار مكة ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ٣٩ ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ٤٠ للعذاب الدائم ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي لا يدفع ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ ٤١ يمنعون منه، ويوم بدل من يوم الفصل ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ

فلو مد عمري إلى عمره ... لكنت وزيراً له وابن عم

أما بعد: فإني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإسلام، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم أدركك فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبايعتك قبل مجيئك، وأنا على ملتك وملة أبيك ابراهيم عليه السلام، ثم ختم الكتاب ونقش عليه: لله الأمر من قبل ومن بعد، وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله، نبي الله ورسوله، خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ، من تبع الأول. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع، إلى اليوم الذي بعث فيه النبي ﷺ ألف سنة، لا يزيد ولا ينقص. قوله: **(هو نبي أو رجل صالح)** أو لحكاية الخلاف، فالقول الأول لابن عباس، والثاني لعائشة رضي الله عنها، وكان ملكاً من الملوك، وكان قومه كهاناً، وكان معهم قوم من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب فأسلم. قوله: **﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** عطف على **﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾** وقوله: **﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾** حال من المعطوف والمعطوف عليه. قوله: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** إلخ، هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنساني، وخلق له ما في الأرض جميعاً، وكلفه بالإيمان والطاعة، فآمن البعض وكفر البعض، وختم الله في سابق أزله، أن النعيم للمؤمن، والعقاب للكافر، وذلك لا يكون في الدنيا لعدم الاعتداد بها، فحينئذ لا بد من البعث، لتجزى كل نفس بما كسبت. قوله: **﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾** أي بين الجنسين. قوله: **(حال)** أي وهي لا يستغنى عنها. قوله: **(أي محقين في ذلك)** أي لنا فيه حكمة، وقد بينها المفسر بقوله: **(ليستدل به)** إلخ. قوله: **﴿لاَ يَعْلَمُونَ﴾** أي ليس عندهم علم بالكلية. قوله: **﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾** الإضافة على معنى اللام. قوله: **﴿مِيقَاتُهُمْ﴾** أي موعدهم، والمراد جميع الخلق. قوله: **(للعذاب الدائم)** أي للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين. قوله: **﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلىً﴾** المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح، وابن العم والناصر والجار والحليف. قوله: **(بقرابة)** أي بسببها. قوله: **﴿وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾** الضمير للمولى، وجمع باعتبار المعنى، وهذه الجملة توكيد لما قبلها، والمعنى: لا ينصر الكافر، ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما. قوله: **﴿إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ﴾** يصح أن يكون الاستثناء متصلاً، والمعنى: لا يغني قريب عن قريب إلا المؤمنين، فإنه يؤذن لهم في الشفاعة فيشفعون لبعضهم، وهو ما مشى عليه المفسر، ويصح أن يكون منقطعاً، أي ولكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين. قوله: **﴿إِنَّهُ هُوَ**

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٢﴾ بالمؤمنين ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ ﴿٤٣﴾ هي من أخبث الشجر المرِّ بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ ﴿٤٤﴾ أبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي كدردي الزيت الأسود خبر ثان ﴿يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ ﴿٤٥﴾ بالفوقانية خبر ثالث، وبالتحتانية حال من المهل ﴿كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٦﴾ الماء الشديد الحرارة ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ بكسر التاء وضمها جرُّوه بغلظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ﴿٤٧﴾ وسط النار ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ ﴿٤٨﴾ أي من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ ويقال له ﴿ذُقْ﴾ أي العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ بزعمك وقولك: ما بين جبليها أعز وأكرم مني، ويقال لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ فيه تشكون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾ مجلس ﴿أَمِينٍ﴾ ﴿٥١﴾ يؤمن فيه الخوف ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ

﴿الْعَزِيزُ﴾ الخ تعليل لما قبله.

قوله: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾** ترسم شجرت بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن، ويوقف عليه بالهاء والتاء؛ وأما غير هذا الموضع، فيرسم بالهاء، ويوقف عليه بالهاء لا غير، والزقوم يطلق على نبات بالبادية، له زهر ياسميني الشكل، طعام أهل النار، ويطلق على شجر له ثمر كالتمر، وله دهن عظيم المنافع، عجيب الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل وعرق النساء، والريح الساقطة في الورق، يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزمنى والمقعدين، ويقال أصله الأهليلج الكابلي. قوله: **(أي كدردي الزيت الأسود)** هذا أحد معاني المهل، ويطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب. قوله: **(وبالتحتانية)** أي فهما قراءتان سبعيتان. قوله: **(حال من المهل)** الأظهر أنه حال من طعام، لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان، لا وصف المهل لأنه لا يتصف بذلك.

قوله: **﴿كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾** صفة لمصدر محذوف، أي تغلى غلياً مثل غلي الحميم. قوله: **(بكسر التاء وضمها)** أي فهما قراءتان سبعيتان، من باب ضرب ونصر. قوله: **(جروه بغلظة)** أي أو اضربوه بالعتلة، وهي بفتحتين، العصا الضخمة من الحديد لها رأس. قوله: **﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾** أي ليكون محيطاً بجميع جسده. قوله: **(من الحميم الذي)** إلخ، أي فإذا صب عليه الحميم، فقد صب عليه عذابه وشدته. قوله: **(ويقال له) ﴿ذُقْ﴾** الأمر للإهانة والتحقير. قوله: **﴿إِنَّكَ﴾** بفتح الهمزة على معنى التعليل، وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة، قراءتان سبعيتان، ووصفه بهذين الوصفين للتهكم والاستهزاء. قوله: **(وقولك)** تفسير بقوله: **(بزعمك)** وقوله: **(ما بين جبليها)** أي مكة. قوله: **﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾** الجمع باعتبار المعنى، لأن المراد جنس الأثيم.

قوله: **﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾** مقابل: **﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾** لأنه جرت عادة الله تعالى في كتابه، أنه إذا ذكر أحوال أهل النار، أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة، وقوله: **﴿الْمُتَّقِينَ﴾** أي

﴿وَإِسۡتَبۡرَقٖ﴾أي ما رقّ من الديباج وما غلظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ حال أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ يقدر قبله الأمر ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ من التزويج أو قرناهم ﴿بِحُورٍ عِينٖ﴾ ﴿٥٤﴾ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها ﴿يَدۡعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾منها﴿ءَامِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف. حال ﴿لَا

الشرك بأن ماتوا على التوحيد، وهذا أعم من أن يكونوا في أعلى مراتب التقوى، وهي تقوى الأغيار، بأن لا يخطر الغير ببالهم، أو أوسطها وهي تقوى المعاصي بفعل الطاعات، أو أدناها وهي تقوى مجرد الشرك بالإيمان. قوله: ﴿فِي مَقَامٍ﴾ بفتح الميم وضمها، قراءتان سبعيتان، فالفتح هو موضع القيام ومكانه، والضم موضع الإقامة والمكث. قوله: **(يؤمن فيه الخوف)** أي من الخلق والخالق، والمعنى: تطمئن فيه النفس لا تنزعج من شيء أصلاً، فأهل الجنة آمنون من غضب الله، ومن جميع ما يؤذي في البدن والأهل والمال، وآمنون من خطور الأكدار ببالهم.

قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ إلخ، بدل من مقام، وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية، لأن الأمن من المخاوف تحلية، وكونهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلخ تخلية. قوله: ﴿وَعُيُونٍ﴾ أي أنهار تجري تحت القصور. قوله: ﴿يَلْبَسُونَ﴾ خبر آخر لأن أو مستأنف. قوله: **(أي ما رق من الديباج)** إلخ لف ونشر مرتب، والديباج هو الحرير، إن قلت: كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيماً من الجنة، مع أنه في الدنيا ربما كان غير نعيم؟ أجيب: بأن غليظ حرير الجنة، ليس كغليظ حرير الدنيا، بل هو أعلى، على أن من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كالقطيفة مثلاً.

قوله: ﴿مُتَقَابِلينَ﴾ أي يواجه بعضهم بعضاً ليحصل الانس لبعضهم بعضاً، وهذا في غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم، وأما عنده فينسون النعيم، بل ومقابلة اخوانهم، لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة، ومن هنا قيل: إن حكمة المقابلة في حلق العلم والذكر في الدنيا، التشبه بمجالس الجنة والإنس بمقابلة الإخوان، وحكمة الاصطفاف وبالصلاة وعدم المقابلة فيها، التشبه بالنظر لوجه الله الكريم في الجنة، لأن في الصلاة إقبالاً بالكلية على الله تعالى، وقطعاً للشواغل. قوله: **(أي لا ينظر بعضم إلى قفا بعض)** أي لأن النظر للقفا مما يحزن، ولا حزن في الجنة. قوله: **(يقدر قبله الأمر)** أي فهو مبتدأ، وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره، والجملة معترضة لتقدير ما قبلها.

قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿يَلْبِسُونَ﴾. قوله: **(من التزويج)** أي وهو جعل الشيء زوجاً، والمعنى جعلناهم اثنين اثنين، فقوله: **(أو قرناهم)** مرادف له، وليس المراد بالتزويج الإنكاح بالعقد، فإنه لا قابل به. قوله: ﴿عَينٍ﴾ جمع عيناء، وأصله عين بضم العين وسكون الياء، فكسرت العين لتصح الياء. قوله: **(بنساء بيض)** تفسير للحور، وقوله: **(واسعات الأعين)** تفسير لعين، وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقاً، وقيل: الحور شدة بياض العين وشدة سوادها، واختلف هل الأفضل في الجنة نساء الدنيا، أو الحور العين؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل، لما روي: أن الآدميات أفضل من الحور بسبعين ضعف. قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ حال من الهاء في ﴿زَوَّجْنَاهُمْ﴾.

يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي التي في الدنيا بعد حياتهم فيها قال بعضهم: إلا بمعنى بعد ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿فَضْلًا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً منصوب بتفضل مقدراً ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون ﴿فَارْتَقِبْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿آمِنِينَ﴾. قوله: (قال بعضهم) هو الطبري، وبهذا اندفع ما قيل: كيف قال صفة أهل الجنة ذلك، مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً؟ وهذا القول وإن كان يدفع الإشكال، إلا أن مجيء ﴿إِلَّا﴾ بمعنى بعد لم يرد، وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها. قوله: (منصوب بتفضل) أي على أنه مفعول مطلق. قوله: ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي لأنه خلوص من المكاره وظفر بالمطلوب. قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا إجمال لما فصل في السورة كأنه قال: ذكر قومك بهذا الكتاب المبين، فإننا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم. قوله: (لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله: ﴿فَارْتَقِبْ﴾ قوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أشار المفسر إلى أن مفعول (كل) محذوف قدر الأول بقوله: (هلاكهم) والثاني بقوله: (هلاكك). قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي فهو منسوخ، لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال، حتى يحكم الله بينك وبينهم.

* * *

تمَّ الجزء الثالث من كتاب حاشية الصاوي على تفسير الجلالين
ويليه الجزء الرابع وأوله سورة الجاثية

الفهرس

تفسير سورة الفرقان

تفسير سورة الشعراء

تفسير سورة النمل

تفسير سورة القصص

تفسير سورة العنكبوت

تفسير سورة الروم

تفسير سورة لقمان

تفسير سورة السجدة

تفسير سورة الأحزاب

تفسير سورة سبأ

تفسير سورة فاطر

تفسير سورة يٰس

تفسير سورة الصَّافات

تفسير سورة صَ

تفسير سورة الزمر

تفسير سورة غافر

تفسير سورة فصلت

تفسير سورة الشورى

تفسير سورة الزخرف

تفسير سورة الدخان



